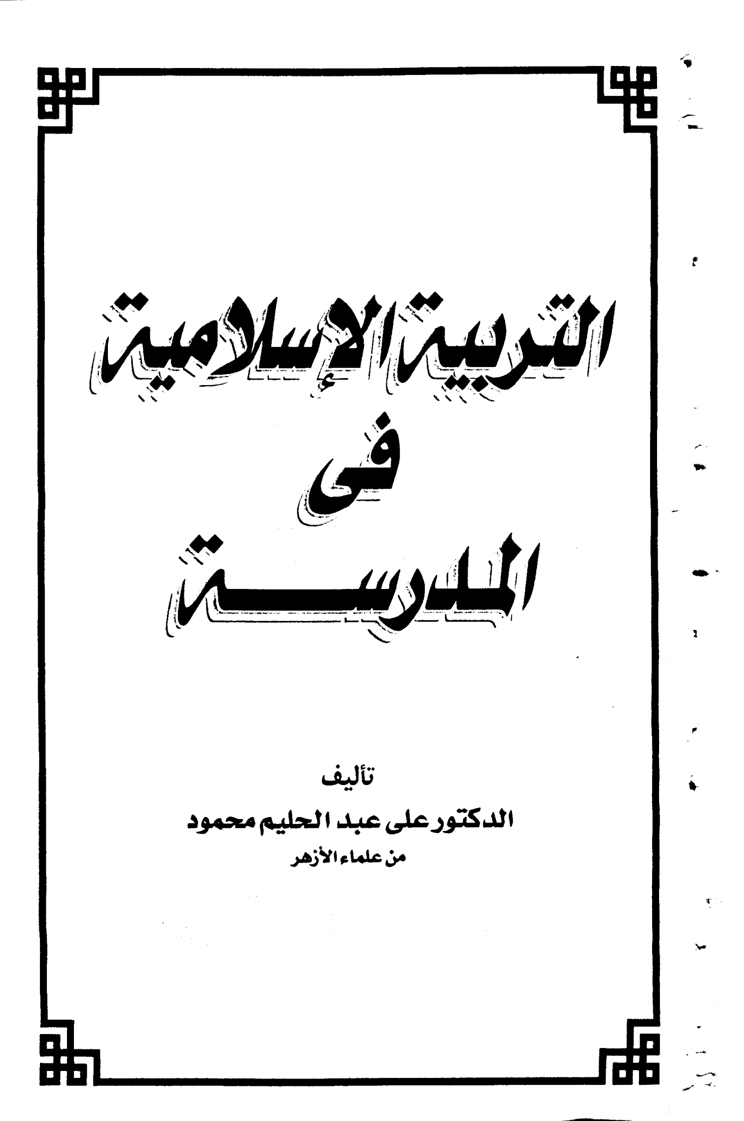


التربية الإسلامية في المدرسة

تأليف

الدكتور على عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٩٨٣٦/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N.

977 - 265 - 529 - 2

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

إهداء

إلى الذين يعملون فى صمت ويحتسبون عند الله أجر ما يقومون به من عمل وجهد في تربية المسلمين صغاراً وكباراً؛ متخذين من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مصدراً ورافداً يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة السليمة.

وإلى القائمين على المؤسسات التربوية حكومية وغير حكومية على مستوى العالم الإسلامى الذى يمتد من شرق الأرض إلى غربها، وفيه مئات الألوف من المدارس ومعاهد التعليم والجامعات.

وإلى مديرى هذه المدارس والمعاهد والجامعات وأصحابها والعاملين فيها أساتذة وفنيين وغيرهم...

إلى هؤلاء وإلى كل مهتم بالتربية والتعليم أهدى هذا الكتاب؛ لأضمه إلى كتاب سابق بعنوان تربية الناشئ المسلم، ولأتبعه بكتاب بعنوان: التربية الإسلامية فى المجتمع إذا أذن الله وأعان.

داعياً الله تبارك وتعالى لى ولهم بالعفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

على عبد الحليم محمود

القاهرة، فى جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

الموافق يونيو ٢٠٠٤م

بين يدى الكتاب

هذا الكتاب يمثل أحد الجوانب الثلاثة للتربية، تلك الجوانب التى يكمل بعضها بعضًا ولا يغنى بعضها عن بعض؛ لتكاملها، وهى المؤسسات الأصيلة لتربية الإنسان؛ البيت والمدرسة والمجتمع.

فالبيت حنان ودفء ورعاية وإبعاد عن المخاطر، ونمو وتعليم فى تربية تسود البيت وتحكم ما فيه.

والمدرسة مؤسسة مخصصة للتربية والتعليم ومتخصصة فى قضاياهما وجميع وسائلهما، وقادرة بحكم التخصيص والتخصُّص على أن تربى الإنسان دينيًا وخُلقيا وروحيًا وعقليًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وجهاديًا وجماليًا وجسديًا – وتلك مفردات عشر[1] تتكفل بها المدرسة، لكى توفرها فى الإنسان ثم تدفع به إلى المجتمع، لبنَةً صالحة فى بناء صالح، لكى يحقق لنفسه ولمجتمعه سعادة الدنيا والآخرة.

والمدرسة يساندها البيت والمسجد.

أما المجتمع فإنه يمد الإنسان بالقيم الفاضلة التى يجب أن تسود علاقاته بالناس خارج البيت والمسجد والمدرسة، والمجتمع هو الذى يهيئ للإنسان احترام القوانين والنظم الاجتماعية والسياسية، فى تعامله مع الأفراد والمؤسسات.

وهذا المجتمع يعينه ويساعده على أداء مهامه، مؤسسات عديدة هى: الأندية رياضية واجتماعية، والنقابات بأنواعها الكثيرة، والأحزاب السياسية، والجماعات والجمعيات المدنية، بالإضافة إلى المؤسسات الحكومية.

إن هذا الكتاب هو الحلقة الوسطى من تلك الحلقات أو الجوانب الثلاثة للتربية.

أما الحلقة الأولى فقد تكفل بالحديث عنها كتابنا: «تربية الناشئ المسلم»[2].

---

(١) أصدرنا فى هذه المفردات العشر سلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» فى عشرة كتب نشرتها دار التوزيع والنشر فى السنوات من سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م إلى سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) صدر هذا الكتاب عن دار الوفاء بمصر من عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م فى عدد من الطبعات.

والحلقة الثالثة الأخيرة سوف يتكفل بها كتابنا التالى: «التربية الإسلامية فى المجتمع» إذا أذن الله وأعان(١).

● والتربية الإسلامية ذات طابع خاص يميزها عن سائر أنواع التربية ومذاهبها، كما أن المدرسة الإسلامية تتميز عن سواها بصفات تخصها.

وهذا الكتاب أرجو أن يوضح أبعاد التربية الإسلامية فى المدرسة الإسلامية، وقد يتساءل بعض الناس قائلين: إن المدرسة الإسلامية بهذا الوصف مدرسة دينية، وهنا تتعالى صيحات الذين يرغبون عن الأديان عمومًا، وعن الإسلام خصوصًا، رافضين لكل ما هو دينىٌّ متأثرين فى هذا الرفض بما كان فى أوربا من صراع بين الكنيسة والعلم وما كان عليه رجال الكنيسة من تحكم فى الناس باسم الدين، وما كان من انتصار العلمانيين على الكنيسة وعزلهم الدين عن الحياة، وهذا شأن الأوربيين مع كنيستهم لا نحمدهم على هذا الصراع ولا نذمهم، لأنهم أولى بأنفسهم وبما فعلوا.

ونحن نعلم علم اليقين أن بعض الناس قد يفزعهم التمسك بالدين أو الالتجاء إليه فى تربية الناس وتوجيههم نحو ما يصلحهم ويصلح بهم؛ وبالتالى فإن تسمية المدرسة بأنها إسلامية تصيبهم بالقلق وتحرك فيهم الرغبة فى الامتعاض والرفض...

كما أننا ندرك أن مذاهب التربية أو مدارسها التى تنوعت فى الغرب بعد انحسار أثر الكنيسة فى الحياة الاجتماعية عمومًا وفى الحياة التربوية خصوصًا، لتحل محلها العلمانية وما تحفل به من نظريات ومذاهب فى التربية وفى الاجتماع والسياسة والخلق، فى كل شىء، نحن ندرك أن هؤلاء لا ترضيهم كلمة التربية الإسلامية ولا المدرسة الإسلامية، حتى يرضى عنها اليهود والنصارى، ولن يرضى اليهود والنصارى عن الإسلام وكل ما هو إسلامى، حتى يتبع المسلمون ملتهم، وما هم بمتبعيها أبدًا!!!

● غير أن علمنا بمن يرفضون التربية الإسلامية والمدرسة الإسلامية ليس بصارفنا أبدًا عن الحديث والكتابة عن التربية الإسلامية والمدرسة الإسلامية لإيماننا بعدد من الحقائق الراسخة فى عقولنا وقلوبنا معشر المسلمين، وتلك الحقائق منها:

- أن التربية حياة الناس وطريق رقيهم ودعم لإنسانيتهم.

---

(١) هذا الكتاب فى طور الإعداد، وقد وفرت له من الأسباب ما استطعت وأسأل الله تعالى العون والتوفيق.

- وأن التربية الإسلامية أكمل أنواع التربية لتفردها بإعداد الإنسان الصالح فى دنياه وفى آخرته، بينما سائر أنواع التربية تعد المواطن الصالح لدنياه أولاً وثانياً وثالثاً وأخيراً.

- وأن التربية الإسلامية بمبادئها وقيمها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة خاتم رسله محمد ﷺ.

- وأنها التربية التى تحظى بالقبول لدى أصحاب الفطرة الإنسانية السوية؛ لأنها لا تتناقض فى شىء مع هذه الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

- وأن المدرسة الإسلامية هى أحسن مؤسسة تربوية تعليمية تزوّد الإنسان بكل ما هو فى حاجة إليه لكى يصبح إنساناً صالحاً فى دنياه وآخرته معاً.

نحن - بفضل الله تعالى - نؤمن بهذه الحقائق، ونستيقن من صحتها وسلامتها، ونؤلف هذا الكتاب لكى نؤكد هذه الحقائق ونقدم على صحتها وسلامتها الأدلة والبراهين من العقل والنقل والتاريخ.

● وإذا كان النهوض بالتربية والتعليم والبحث عن أنسب الوسائل للارتقاء بذلك بوصفه ضرورة حياة، وهدفاً إنسانياً فى كل زمان ومكان وعند كل الناس؛ فإن جميع الحكومات تسعى ما وسعها للارتقاء بالتربية والتعليم، لأن ذلك طريق بناء الإنسان الصالح لممارسة الحياة الصالحة التى يسهم بها فى تطوير مجتمعه نحو الأحسن والأفضل، ما ينكر هذه الحقيقة إنسان ولا حكومة إلا أن يكون ذا هَوًى.

- والمدرسة الإسلامية بوصفها مؤسسة تنفيذية لخطة التربية والتعليم فى أى مجتمع، يقع عليها عبء ثقيل جليل فى تحويل الخطة إلى عمل وتنفيذ، وما لم تفعل المدرسة ذلك - وهو ضخم - فليست مدرسة إسلامية ولا تستحق أن توصف بذلك.

- والمدرسة الإسلامية ترحب دائماً - ما دامت إسلامية - بأن تأخذ بأعلى مستوى من الحداثة بشرط احتفاظها بأصالتها ومحافظتها على ثوابت الإسلام الراسخة التى لا تقبل تبديلاً ولا تعديلاً، وهى كل ما يتصل بالعقيدة والعبادة والقيم الخلقية، أمَّا كل ما تأتى به الحداثة من تقدم علمى أو تطور تقنى مما يؤدى إلى مضاعفة المعارف الإنسانية وإلى سرعتها فإنه لا يتعارض مع الأصول الإسلامية التى أشرنا إليها، وبالتالى فإن الحداثة ليست مرفوضة لذاتها، وإنما ترفض إذا تعارضت مع الثوابت الإسلامية.

● وهذا الكتاب يستهدف تجلية صورة المدرسة الإسلامية الصحيحة، بعد أن حاول بعض

الغُلاة إغلاق منافذها، وحاول بعض المهزومين عقليًا ونفسيًا أن يهدموا جدرانها ويجعلوها خَلاَءً وخُواءً من أصالتها ليلحقوها بمدارس أخرى غربية علمانية لا تعترف بالإسلام منهجًا ونظامًا، أو يجعلوها شرقية تقوم على الإلحاد وجحد الخالق سبحانه وتعالى!!!

إن هذا الكتاب يستهدف تنقية المدرسة الإسلامية من هذا الضلال الذى يحاولون إلصاقه بها، وتشويهها وإفسادها لتحل محلها مدارس تربية المواطن لا الإنسان الصالح، وفرق ما بين هذين النوعين من التربية.. فرق كبير كالفرق بين الشر والخير.

● إن هذا الكتاب يريد أن يؤكد أن المدرسة معنى ومبنى ومنهجًا ونظامًا وهدفًا ووسيلة؛ قادرة على تربية الإنسان الصالح الذى ملأ الإسلامُ قلبه بحب الناس وحب الخير لهم، وحب العمل والدعوة إلى دين الحق لينقل الناس من الضلال إلى الهدى، وينقل البعيد عن أخلاق الإسلام وآدابه إلى العروة الوثقى التى لا انفصام لها؛ لأنها الإيمان بالله والكفر بالطاغوت كما يقرر الله تعالى ذلك ويؤكده بقوله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

● وقد أقمت هذا الكتاب على مدخل وثلاثة أبواب:

– وجعلت المدخل مجالاً للحديث عن موضوعين:

الأول منهما؛ فى التربية والتعليم، ومذاهب التربية التى ذكرت منها ثمانية مذاهب.

والموضوع الثانى الذى تناوله المدخل هو: المدرسة والمؤسسات المعينة لها، منذ الحضارات القديمة وإلى يومنا هذا، ثم تحدثت عن المدرسة فى الإسلام حديثًا مجملاً.

– والباب الأول: المدرسة الإسلامية والمجتمع.

وفى هذا الباب فصلان:

الفصل الأول: المدرسة الإسلامية عريقة فى تاريخ المسلمين.

تناولت فيه نشأتها ومشاهير بناتها وأماكنها ومنهجها، وتعدد هذا المنهج بتعدد مراحل التعليم.

والفصل الثانى: المدرسة الإسلامية الحديثة.

وتناولت فيه شخصيتها ومشكلاتها والمعوقات المبثوثة فى طريقها، وشخصية المدرسة الإسلامية، ومكانتها فى البناء الاجتماعى، وما يُرجَى منها فى الحاضر والمستقبل.

– والباب الثانى: المدرسة الإسلامية المعاصرة تربية وتعليمًا.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: فى المدرسة الإسلامية تعليمًا وتربية.

والفصل الثانى: فى المدرسة الإسلامية إنشاءً وتنظيمًا.

– والباب الثالث: المدرسة الإسلامية أهدافًا ووسائل.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أهداف المدرسة الإسلامية.

والفصل الثانى: وسائل المدرسة الإسلامية لتحقيق أهدافها.

- ثم ختمتُ الكتاب بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على خاتم رسله محمد ﷺ.

المدخل إلى هذا الكتاب

وفى هذا المدخل نتحدث عن أمور تيسر قراءتُها للقارئ فهمَ أهداف الكتاب وتعين على السير فيه، ونكشف عن معانى كثير من مصطلحاته وغوامضه.

وفى هذا المدخل سوف نعتنى بتوضيح موضوعين:

أحدهما: يتصل بالتربية والتعليم.

والآخر: يتصل بالمدرسة والمؤسسات المعينة لها.

● **ففى التربية والتعليم نقول:**

أولاً: التربية فى أبسط تعريف لها وأبعده عن التقعر والتعقيد، هى: عملية يتم عن طريقها تنمية الإنسان فى: معارفه، ووجدانه، ومهاراته من خلال؛ معلِّم ومكان تعلُّم.

■ وتنمية معارف الإنسان تعنى تزويده بقدر من المعلومات والمفاهيم والحقائق، وطريق ذلك أن يتعلم طريقة التفكير الصحيح، ومنهج البحث العلمى، مما يؤهله لإدراك العلاقات بين المفاهيم، وربط بعضها ببعض، وما يترتب على ذلك من القدرة على الاستنتاج بعد ربط المقدمات بالنتائج، وتحليل المعانى ونقدها، والحكم عليها.

■ وأما تنمية وجدان الإنسان أو قلبه وعواطفه، فإنما تتم عن طريق القيام بعملين مهمين هما:

– حسن اختيار الكلمة المؤثرة التى تعبر عن تجارب الآخرين فى مجال العواطف والوجدان، فتُشِيد بتلك التجارب وتوضح آثارها الإيجابية وتقارنها بتجارب أخرى لها آثار سلبية فى حياة الإنسان.

– وحُسن عَرْض بعض المواقف فى حياة الإنسان، وبخاصة تلك التى لها علاقة بحياته الواقعية، مع تحليلها ونقدها لتكون أنموذجًا مؤثرًا فى حياة الإنسان.

■ وأما تنمية الجانب المهارى الحركى فى الإنسان فإنما تتم عن طريق تدريبه على الحركة الجسدية فى مجالات عديدة، كتدريبه على صناعة نافعة أو شىء جميل يتطلب منه مهارة يدوية أو حركية.

هذا – فى تصورنا – أبسط تعريف للتربية التى تستهدف أن تجعل من الإنسان إنسانًا صالحًا قادراً على التعايش مع غيره من الناس فى ظل القيم والمعايير السائدة فى مجتمعه.

ثانيًا: أما التعليم فهو فى أبسط تعريف له: تنبيه النفس لتصور المعانى، ويكون التعليم بالتكرار حتى يحصل منه أثر فى النفس لتصور المعانى.

ومن معانى التعليم فى القرآن الكريم:

– قوله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ٤، ٥]. أى علمه الكتابة بالقلم، وبالقلم والكتابة يكون؛ التعلُّم والعلم والتعليمُ لكل ما لا يعلمه الإنسان.

– فالتعليم لا يتم على وجهه إلا بمعلِّم، وعِلْم، ومُتَعلِّم، والإسلام خاتم الأديان جاء بتقدير التعلّم والعلم والتعليم. بل جعله أساسًا من أُسس تكوين الإنسان وواجبًا من واجباته؛ حين جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأوجب البحث عنه فى مظانه مهما تكن بعيدة ولو كانت بالصين.

– ومن أدبيات الإسلام وواجباته أنَّ من تعلَّم علمًا فعليه أن ينشره فى الناس، ليعم الخير، وليعرف الناس الحرام من الحلال، ولئن سئل عالم مسلم عن علم فكتمه أَثِم وألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة.

ومن تعلَّم العلم ولم يعلمه سواه فقد كفر بنعمة العلم، ومنع زكاته ووضع نفسه موضع المؤاخذة أمام الله تعالى.

- والعلم والتعليم منذ خلق الله تعالى أبانا آدم عليه السلام؛ هو منحة ونعمة من الله تعالى، فهو سبحانه مصدر العلم ومعلمه الأول، فقد شاء سبحانه وتعالى أن يعلم آدم الأسماء كلها، حيث قال: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا...**﴾ [البقرة: ٣١]، والمعنى: أنه سبحانه علمه صفة الأشياء ونعوتها وخواصَّها، فلما حدث التعليم من الله تعالى لآدم عليه السلام حدث لآدم العلم.

وقال بعض العلماء: المراد بالأسماء فى الآية الكريمة؛ كل ما خلق الله من أجناس المحدثات، والأسماء هنا هى: أسماء المسمَّيات.

- والتعليم مصطلح يطلق على العمل المدرسى من بدايته إلى نهاية التعليم الجامعى، بل ما بعد التعليم الجامعى.

- وللتعليم مدارسه ومؤسساته ومعلموه ومناهجه، كما أنه أنواع ومراحل وأدوات ووسائل، وأهداف، والتعليم أيًا كان نوعه وأيًا كانت مراحله بحاجة ماسة إلى الدين؛ لأن الدين والتدين فطرة فى الإنسان السَّوِى فطر الله الناس عليها.

- وما من أمة من الأمم المتحضرة أو التى تريد أن تتحضر إلا وهى تضع التعليم فى مقدمة أولوياتها، لأنها بهذا الاهتمام تزود أبناءها بالعلم والثقافة وبأعلى مستويات التقنية، وتتيح لهم الإسهام فى حياة إنسانية كريمة.

● **فما الفرق بين التربية والتعليم؟**

- التربية فى كل زمان ومكان هى الطريقة المُثْلىَ التى تبلغ بالإنسان درجة السعادة فى الدنيا والآخرة، إذ هى تنمى جميع جوانب شخصيته، وتدعم فيه حب الخير لنفسه وللناس، وتحبب إليه الفضائل، وتحول بينه وبين الرذائل، وتحفزه إلى العمل والإيجابية، وتحارب فيه القعود والكسل والإهمال، وهى التى تهيئ له الجسم السليم والعقل السليم والسلوك القويم، وما تستطيع التربية ذلك إلا إن استهدتْ بالقيم الدينية.

- والتعليم - كما أوضحنا آنفًا - عمل مدرسى، وبناء على ذلك نستطيع القول بأن هناك فرقًا بين التربية والتعليم، فالرجل المتعلم قد لا يكون حسن التربية، كما أن الرجل الحسن التربية قد لا يكون متعلمًا، والنضج الإنسانى فى صورته المكتملة إنما يكون إذا جمع الإنسان بين التربية والتعليم.

● وأما الموضوعان اللذان يحتوى عليهما هذا المدخل فهما:

- التربية ضرورتها ومذاهبها.

- والمدرسة وظائفها والمؤسسات المعينة لها.

الموضوع الأول: التربية ضرورتها ومذاهبها

أولاً: ضرورة التربية:

التربية بمفهومها الذى ذكرنا، وبمداها الواسع الذى يتناول جميع الجوانب من شخصية الإنسان، وبتعدد مذاهبها وأنواعها؛ التربية بهذا المفهوم وذاك الاتساع ضرورية للحياة الإنسانية إذ لا حياة إنسانية كريمة إلا بالتربية.

وعلى سبيل المثال:

فإن جوانب شخصية الإنسان التى تنميها التربية كجانب الروح وجانب العقل، وجانب الخلق، والحس السياسى والاجتماعى والجمالى، وجانب الوعى الاقتصادى، وجانب الإعداد والاستعداد للجهاد فى سبيل الله، بل الجانب الدينى كله.

هذه الجوانب إذا لم تهتم بها التربية فتنميها وتزكيها، فكيف يعيش الإنسان حياة إنسانية كريمة جديرة بالاعتبار؟

– من أجل ذلك أقول مطمئنًا إلى صدق ما أقول ومصداقيته:

إن التربية ضرورة حياة إنسانية كريمة، ولا تتصور حياة إنسانية كريمة دون أن يكون من يمارسون هذه الحياة قد رُبُّوا ليمارسوها.

إن الإنسان قد خلقه الله تعالى ليتعارف مع غيره من الناس ويتعاون معه على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وقد فطره الله على أن يحتاج إلى غيره من الناس، وأن يحتاج الناس إليه، وتلك سنة الله فى خلقه، فالإنسان اجتماعى بحكم فطرته، وهذه الصفة فيه لا تثمر ثمرها إلا مع التربية الصحيحة السليمة الشاملة.

– والله تعالى خالق البشرية كلها من آدم وحواء عليهما السلام، وهو سبحانه المربِّى لهذه البشرية، ولذلك وصف نفسه بأنه ربُّ العالمين أى مربِّيهم.

والتربية فى اللغة العربية لغة القرآن الكريم هى: «بلوغ الشىء كماله على التدرج»، والله سبحانه يأخذ خلقه من الناس بشرعه ونظامه فيبلغ بهم – على التدرج – الكمال الذى تطيقه بشريتهم، لأنه سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

– ومنهج الله ونظامه يربى الناس من لدن آدم عليه السلام وإلى آخر الزمان يوم يقوم الناس لرب العالمين، عن طريق رسله وكتبه، وما من أمة إلا أرسل الله تعالى إليها نذيرًا ليعلمها ويربيها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وآفة الناس أنهم يرفضون تربية ربهم لهم عندما يكذِّبون رسله وأنبياءه، ويخرجون عن منهجه فيستحقون العقاب بتركهم التربية من خلال منهج الله تعالى وشرعه ونظامه.

– ومن دلائل تربيته سبحانه وتعالى لعباده جميعًا أنه سبحانه هو الذى خلقهم ورزقهم وأورثهم الأرض واستخلفهم فيها، وأورثهم الكتاب ليعملوا بما فيه؛ ومن كان هذا شأنه

فمن المحال عليه أن يترك الناس دون رسول يعلمهم ويزكيهم - وتلك هى التربية - ليصلحهم ويصلح بهم.

والآيات القرآنية الدالة على أنه سبحانه الخالق الرازق الذى أورث الناس واستخلفهم فيها وأورثهم الكتاب وأمرهم بالعمل بما جاء فيه، هذه الآيات عديدة نذكر منها:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ... ﴾ [الروم: ٤٠].

وقوله جل شأنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقوله عز شأنه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

- والخلق والرزق والاستخلاف فى الأرض وتوريثها، بل توريث الكتاب إنما يدل على أن الله تعالى يحب عباده ويريد لهم الخير فى الدنيا والآخرة، بل يدل على أنه سبحانه لا يتصور أن يخلقهم ويتركهم دون تربية، لأن الأمر عندئذ يصبح عبثًا، وحاشا لله تعالى أن يخلق خلقه عبثًا كما توهم ذلك الكافرون، فردّ الله عليهم وفنّد ظنونهم وأبطل أوهامهم، فقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

- فالتربية إذن ضرورة حياة للإنسان لا يستغنى عنها ولا يستطيع أن يعيش معيشة إنسانية كريمة بدونها.

- وإذا كانت التربية عمومًا ضرورة حياة إنسانية كريمة؛ فإن التربية الإسلامية التى جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، واشتمل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ضرورة أيضًا، مما يجعلنا نقول: تحت عنوان:

ضرورة التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية نابعة من الكتاب والسنة النبوية وهما عماد هذا الدين الحق الخاتم المغنى عن سائر الأديان، وما دامت التربية الإسلامية نابعة من أكمل الكتب السماوية وأتمها فلابد أن تكون هى التربية الكاملة التامة الملائمة لحياة الناس وظروفهم مهما تعاظمت المتغيرات، فهى بذلك ضرورية للحياة الإنسانية، والرسول الخاتم ﷺ المربّى

المعلم مطالب بأن يربى الناس ويعلمهم ويزكيهم فتلك وظيفته كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

● وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على عديد من مفردات التربية الإسلامية نشير منها إلى:

- التربية الروحية: أى تصفية الروح من الشوائب والأوضار وإقبالها على طاعة الله ونفورها من معصيته، وذلك يفهم من قوله تعالى فى هذه الآية: ﴿ ... يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ... ﴾ أى يقرأ عليكم القرآن ليذكركم ويرقق قلوبكم وينقى أرواحكم، ويمكن أن تكون الآيات هى المعجزات التى تضمنها القرآن الكريم مع رسل الله السابقين ومع خاتمهم عليهم الصلاة والسلام، لأن التذكير بهذه المعجزات ترقيق للقلوب وتوجيه للأرواح أن تتعلق بالله تعالى فتقبل على طاعته، وكل ذلك تربية للروح وهو من صميم عمل الرسول ﷺ.

- والتربية الخلقية: أى إقرار القيم الخلقية الفاضلة، ونبذ القيم الراذلة، وتطهير أخلاق الإنسان من الشوائب والعيوب. وذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿ ... وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ والتزكية: التطهير للنفس والخلق، والمباعدة بين الإنسان وبين الضلال والإضلال وكل ما يغضب الله تعالى بمخالفة منهجه وشريعته، وتلك تربية خلقية، وقد عزَّز رسول الله ﷺ من التزكية، فيما رواه أحمد بسنده: «**إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق**» وفى رواية لمالك بسنده: «**...لأتمم حسن الأخلاق**».

- وتربية عقلية وتربية دينية: وكلاهما يفهم من قوله تعالى فى هذه الآية الكريمة: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أى يعلم الشريعة وأحكامها من هذا القرآن، وتلك تربية عقلية وتربية دينية فى وقت واحد.

ويعلمكم ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أى السنة أو التعاليم المانعة من الوقوع فى الخطأ والفساد، وتعلُّم كل ما يعصم من الوقوع فى الخطأ حكمة وتعقل، ودليل تدين وخوف من الله ومن معصيته.

- وأما التربية الاجتماعية.

- والتربية السياسية.

- والتربية الاقتصادية.

- والتربية الجهادية.

– والتربية الجمالية.

– والتربية الجسدية، وسائر ما يَمُتُّ إلى التربية بصلة، فيفهم من قوله تعالى فى نفس الآية الكريمة: ﴿ ... **وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾ أى كل ما هو من معارف الأمم وثقافاتها وحضاراتها، كما يدخل فيه جميع ما يصلح الدنيا والآخرة.

● وإذا كانت التربية الإسلامية – بين أنواع التربية – بهذا الشمول، وكان هذا الشمول ضروريًا لكى تستقيم حياة الإنسان ويصلح حال دينه ودنياه؛ فهى إذن تربية ضرورية لا يستغنى عنها الإنسان بأى حال، فإن أغراه شيطان الإنس أو الجنّ بالاستغناء عنها أو عن شيء منها فَقَدَ صالحه فى الدنيا بكل تأكيد، كما قد تضيع مصالحه فى الآخرة ما لم يتغمده الله برحمة منه وفضل.

● ومن أبرز وظائف الرسول ﷺ أن يربى الناس على التمسك بكل القيم التى جاء بها الإسلام وعدَّها من شعب الإيمان، وهى بضع وسبعون شعبة أو قيمة فاضلة أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضْع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

● كما أن من أبرز وظائف الرسول ﷺ أن يربى الناس على اجتناب الرذائل وكل ما حرم الله، مما يطلق عليه أو يوصف بأنه من الكبائر، قال العلماء: إن الكبائر(٢) سبع، واحتجوا فى هذا بما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ **قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**».

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع» كما رواه ابن حميد بسنده عن طاوس(٣).

(١) شرح هذا الحديث الشريف الإمام البيهقى فى كتاب حجمه ستة مجلدات بعنوان شعب الإيمان ذكر فيه السبع والسبعين من شعب الإيمان.

(٢) الكبيرة: كل معصية فيها حدٌّ فى الدنيا أو وعيد فى الآخرة، أو ما ورد فيها وعيد بنفى إيمان أو لَعْن ونحوهما.

(٣) ألف الإمام شمس الدين الذهبى (٦٦٣ – ٧٤٨ هـ) كتابًا بعنوان: الكبائر جمع فيه سبعين كبيرة. نشرته دار الغد بالقاهرة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ودار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة أيضًا ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ.

فالتربية الإسلامية بما اشتملت عليه من قيم فاضلة قاربت الثمانين فضيلة، وما اشتملت عليه من دعوة إلى تجنب الرذائل كلها وهى كل معصية لله، والتى بلغت سبعين رذيلة فى القرن السابع الهجرى، وما يعلم إلا الله كم يبلغ اليوم عدد الرذائل؟

إن التربية الإسلامية اليوم ضرورة لأنها بهذا الشمول تُصلح الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع، وذلك ما نأمل أن نتحدث عنه فى هذا الكتاب. وفى الكتاب الذى يتبعه إذا أذن الله وأعان.

ثانيًا: مذاهب التربية:

مذاهب التربية قد يُعبَّر عنها بفلسفة التربية، أو بتطور فلسفة التربية، وتختلط التربية بالتعليم حتى إنهما يتبادلان المواقع والدلالات فى كثير من الكتب والدراسات.

● ونحب أن ننبه إلى أن التربية أو التعليم كانا منذ القدم بيد الكهنة أو رجال الدين أو المؤسسات الدينية، كما عرف ذلك عند الفراعنة وغيرهم من القدماء، وكان ذلك بسبب إيمان رجال الدين بأهمية التعليم، وخطر تركه دون توجيه وتدخل وتسديد لخطاه أهدافًا ووسائل.

ورجال الدين كانوا ولا يزالون - فى غالبهم - من المصلحين، إذ كان منهم الحكماء والعلماء والقضاة، وقد صاحبتهم صفة الإصلاح أمدًا بعيدًا.

وعندما حدث انفصال للتعليم عن الأديان - منذ قرون معدودة من الزمان - لأسباب متعددة لا مجال للحديث فيها هنا - أصبحت المدرسة مؤسسة تابعة للحكومة تأخذ بالدين إن كانت الحكومة تأخذ به، وتتجاهل الأخذ به إن كانت الحكومة على هذا المذهب فى تجاهل الدين أو عزله عن الحياة.

● وهذه التربية أو التعليم تنازعتها مذاهب عديدة اختلفت فيما بينها أهدافًا ووسائل، وخططًا ومناهج.

وسوف نستعرض أهم هذه المذاهب التربوية فى صورة مجملة على نحو يلائم طبيعة مدخل هذا الكتاب من حيث حجمه ومضمونه والله سبحانه هو المعين على ذلك.

المذهب الأول: المذهب الأخلاقى فى التربية:

يقوم هذا المذهب على الاهتمام بتربية إرادة الإنسان ومن هنا كانت لهذا المذهب صلة

قوية بالتربية الخلقية من جانب وبالتربية العقلية من جانب آخر، وبالتربية الدينية، وبالتربية الاجتماعية، وذلك لعمق الصلة بين ما هو خلقى وما هو اجتماعى.

– والتكوين الخلقى للإنسان لا يحقق أهدافه إلا بعد أن يسبقه التكوين الروحى والتكوين العقلى والتكوين الجسدى للإنسان، وهو دعم وتقوية لهذه التكوينات فى الإنسان.

– والتربية الخلقية تساعد الإنسان على الخروج من إحساسه بذاته وحدها إلى إحساسه بالجماعة، ثم إحساسه بالمجتمع فى صوره العديدة فردًا فى مدرسة ثم عضوًا فى جماعة ثم رفيقًا فى مهنة ثم شريكًا فى مواطنة، ثم معينًا فى أداء واجب، ثم منتميًا إلى أمة، أى أن التربية الخلقية تفضى بالإنسان إلى حب كل ما هو إنسانى؛ فالتربية الخلقية تعين الإنسان على توسيع أفقه عن طريق وعيه بواجباته وحرصه على أدائها، ابتداء من الأسرة إلى الرفقة إلى الجماعة إلى المجتمع كله، وهى القادرة على أن تجعل الإنسان قادرًا على الموازنة بين ما هو شخصى ذاتى، وبين ما هو اجتماعى، وتلك الموازنة هى أهم عوامل نجاح الإنسان فى حياته وتقبل الآخرين له.

– وليس لازمًا أن يستفيد كل أحد من التربية الخلقية على قدر متساوٍ مع غيره فى الأسرة أو الجماعة أو المجتمع؛ وذلك أن الناس أمام التربية الخلقيّة أنواع:

- فمنهم من لا يقبل هذه التربية الخلقية ويعاند كل ما تنادى به، ومن هؤلاء أصحاب الطباع العنيدة أو الفوضويين أو الصامتين السلبيين أو الأغبياء أو الخبثاء، وهؤلاء تختلط لديهم الأمور فيرون الاستجابة للقيم الخلقية نوعًا من تقييد حريتهم التى لا يفرطون فيها أبدًا.

- ومنهم الأطفال وأصحاب الطباع الضعيفة والنفوس المريضة فهؤلاء لا يستجيبون للقيم الخلقية.

غير أن هؤلاء المعاندين وأولئك أصحاب النفوس الضعيفة تحيط بهم كثرة من الأصحاء عقليًا ونفسيًا، الذين يقبلون التربية الخلقية فى سعادة ورضا.

– على أن هناك فرقًا بين أخلاق الأسرة وأخلاق المدرسة، ثم أخلاق المجتمع؛ فأخلاق الأسرة نابعة من الأبوين مصدرى الحب والشفقة، وأخلاق المدرسة تقوم على الواجب والنظام والعدل والمنافسة، وأخلاق المجتمع يحكمها القانون والنظام والرسميات، وقلما يلحظ فى أخلاق المجتمع أو المدرسة حب وشفقة، إلا عند من يخافون الله ويحبون الناس.

إن الأسرة تحبب أفرادها فى الطاعة، بينما المدرسة تعلمهم الطاعة وتجعلها واجبهم، أما المجتمع فيفرض عليهم الطاعة فرضًا، ومن لم يستجب وقع تحت طائلة النظم والقوانين.

مبادئ التربية الخلقية:

- والتربية الخلقية عمومًا لها حوافظ ومبادئ تقوم عليها، ومن أهم هذه المبادئ:

أ- المحبة والثقة:

حيث لا تستطيع القيم الخلقية أن تؤتى ثمارها فى نفوس الناس إلا إن كان المربى قادرًا على زرع حبه وثقة مَنْ يربيهم فيه، ولا يستطيع أن يصل إلى ذلك المستوى إلا إن كان بمنزلة الوالد لمن يربيهم اقتداء بالنبى ﷺ، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم؛ فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه**».

كما لا تكون التربية الخلقية المبنية على المحبة والثقة إلا إذا أجاب المربى على أسئلة مَنْ يربيه بأبوةٍ وحب وأمانة، دون تهويل أو تهوين من شأن السؤال.

ب- والتزويد بالفكر والثقافة الصحيحين:

وتلك مهمة المربى المؤمن برسالته، والفكر الصحيح هو النافع المستقيم مع الحق والخير والموضوعية، والثقافة الصحيحة تعنى صدق المعلومة الثقافية وصحتها وفائدتها وسلامة مصدرها.

ونحن المسلمين نتزود دائمًا بالفكر الصحيح والثقافة الصحيحة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرته ﷺ، وسير الصحابة رضوان الله عليهم، وتاريخ المصلحين المجددين من علماء الإسلام وقادتهم، ومن اغترف من المربِّين من هذا المعين فهو مع الحق ومع النبع الصافى الذى لا يبخل على أحد بزاد أو مَدَد.

جـ- والتلاؤم مع اهتمامات المتعلم:

كل متعلم له دائرة اهتمام تلائمه صغيرًا كان أو كبيرًا، والمربى الحق هو الذى يشبع حاجة المتعلم من المعلومات والثقافات والمواقف والأحداث التى تدخل فى دائرة اهتمامه، فإن فعل المعلم ذلك فهو موضع الحب والثقة والتقدير ممن يُعلِّمه، ودوائر الاهتمام عديدة، فقد تكون فى مرحلة من مراحل العمر اهتمامًا بالمثاليات، وقد تكون بالمعانى المجردة، وقد

تكون بالجنس الآخر، وقد تكون بتاريخ وطنه وتراثه، وطنه المحلى أو العربى أو الإسلامى، وفى جميع هذه الأحوال فإن المعلم مطالب بأن يعطيه المعلومة الصحيحة النافعة التى تلائم اهتماماته.

د- والتنوع فيما يقدَّم للمتعلم:

وذلك أن التنوع يكسر حدة الرتابة والملل الناتج عن النوع الواحد، وفى الوقت نفسه يخدم مختلف جوانب الشخصية للمتعلم. فلا بُدَّ إذن من تقديم معلومات ومعارف وتدريبات تعيد جوانب شخصيته كلها، الروحية والجسدية والعقلية والخلقية والدينية والاجتماعية والسياسية... فذاك هو الزاد الحقيقى الجيد الذى تتغذى عليه وتنمو به كل هذه الجوانب، فلا بُدَّ إذن من التنوع.

وما من شك فى أن الوصول إلى هذا التنوع يمثل عبئًا على المنهج والمعلم لكنه ضرورى وأصيل ويقتضى استمرار إعادة النظر فى المنهج وفى إعداد المعلم.

هـ- والاهتمام بالجانب العملى من التربية الخلقية:

لا تقتصر التربية الخلقية على الجانب النظرى الفلسفى، وإن كان ذلك ضروريًا ولازمًا؛ لكن الجانب العملى فى التربية الخلقية أكثر ضرورة ولزومًا، وهذا الجانب العملى يتمثل فى أمور:

أولها: أن يعطى المربى من نفسه القدوة، فيطبق على نفسه عمليًا كل قيمة خلقية يدعو لها ويقدمها لأبنائه وكل القيم الخلقية فى ذلك سواء، ومن اليسير علينا معشر المسلمين أن نحصى أو نحصر هذه القيم الخلقية الفاضلة بأنها كل فضيلة دعا الإسلام إلى التَّحلِّى بها فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية المطهرة، كما أن الرذائل هى كل ما نهى الإسلام عنه من قول أو عمل.

وثانيها: أن تكون القيم الأخلاقية التى يدعو إليها المربِّى معروفة بل مشهورة، يسهل الاطلاع عليها فى المصادر والمراجع مثل: القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ وسِيَر الصحابة والتابعين والقادة والمصلحين المجددين من المسلمين، وللمربى فى دعم تلك القيم وسائله التربوية الواعية، على أننا ننبه كل مُرَبٍّ - مع علمنا بأنه يعرف ما ننبه إليه وإنما هو التذكير - أن يتجنب ضرب الأمثال بالقادة والعلماء المعاصرين له حتى لا يتهم عند من يربيهم بالنفاق فيفقد مصداقيته.

وثالثها: التأكيد على أهمية التطبيق العملى للقيم، وما لهذا التطبيق من أثر إيجابى للتمسك بهذه القيم فى الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية حيث تثريها وتحسنها وتصل بها إلى أعلى الدرجات، لما فيها من رضا الله تعالى بطاعته، ورضا الناس بإحسان التعامل معهم وحبهم وحب الخير لهم.

إن تطبيق القيم الخلقية الإسلامية يشيع روح التعاون والمودة بين الناس، ويقضى على أسباب التشاحن والتعادى بينهم، ولذلك الهدف النبيل ألزم الإسلام بهذه القيم.

و- والتركيز فى التربية الخلقية على ضرورة محاسبة النفس:

وتلك قيمة تربوية توقظ عند الإنسان وازعه الذاتى أى مراقبته لنفسه بنفسه، وتذكره بأن الله تعالى يراه وسوف يحاسبه على قوله وعمله، فيتعلم أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربُّه سبحانه وتعالى، فإن وجد نفسه على خير حمد الله واستكثر من الخير، وإن وجد غير ذلك ندم وتاب وبدَّل عمله من الشر إلى الخير.

والإسلام قد علمنا كيف نحاسب أنفسنا فى الدنيا حتى نأمن حساب الآخرة، فقد روى الترمذى بسنده عن شدَّاد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نفسه[1]، وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَنْ أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله»**.

ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا ليوم العرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا.

المذهب الثانى: المذهب الفكرى[2] فى التربية:

إذا كان الجسد لا يتحقق له نمو ولا بناء قوى صحيح إلا فى بيئة تمده بأسباب هذا النمو وتباعد بينه وبين أسباب الضعف.. وكذلك شأن الذكاء لا ينمو ولا يتحسن أداؤه إلا فى بيئة اجتماعية يميزها العقل الذى يحكم السلوك الاجتماعى ويوجهه ويحكم مساره الصحيح من خلال ما يهيئ للإنسان من المعرفة..

إذا كان ذلك كذلك - وهو لابد كائن استجابة لقانون الحياة الإنسانية - فإن مزيداً من الاهتمام يجب أن يتجه لهذه المعرفة التى تغذى العقل، وتنمى الذكاء، ليتضح أثر هذه

---

(١) دان نفسه: أى حاسبها.

(٢) ويمكن أن يسمى: المذهب العقلى فى التربية.

المعرفة فى المتعلم، من أجل ذلك لابد أن يهتم بهذه المعرفة المعلمون وكل القائمين على المؤسسات التعليمية.

● والمذهب الفكرى - أو العقلى - فى التربية يقوم على تقديم المعرفة للمتربى، لكى تتحقق فيه أهداف على جانب كبير من الأهمية فى بنائه التربوى عقليًا ونفسيًا واجتماعيًا.

● وحديثنا عن المذهب الفكرى فى التربية يتناول موضوعين:

الأول منهما عن أهداف هذا المذهب، والثانى عن خصائصه التى تميزه عن غيره من المذاهب.

١- أهداف المذهب الفكرى فى التربية:

أ- تقديم المعرفة الإنسانية للإنسان:

ذلك أن تقديم هذه المعرفة الإنسانية ضرورة حيوية لكل إنسان صغيرًا كان أو كبيرًا، لأن الإنسان بهذه المعرفة ينتقل من الجهل إلى العلم، ومن الذاتية إلى الموضوعية، بل من الضلال إلى الهدى، وبخاصة إذا كانت منابع المعرفة من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصالحين المجددين فى الإسلام، وما أجمل أن يكون قصص القرآن الكريم زادًا للمنهج وللمعلم يتزود منه فى كل مرحلة من مراحل التعليم، وما بعد مراحل التعليم فيما يسمى بالتعليم المستمر.

ب- وتعليم طريقة التفكير الصحيح:

فالتفكير الصحيح له ضوابط ومسالك يمر بها ويلتزم معالمها وإلا ضل وهلك وأساء من حيث يتصور أنه يحسن.

والمعلم الجيد هو الذى يدرب أبناءه على التفكير الصحيح، ويهيئ لهم أسبابه من قدرة على التصور والتحليل والتركيب والاستنتاج، وترتيب النتائج على المقدمات.

إن هذا التفكير الصحيح هو الذى يعلم المتربى كيفية التعامل بالأسلوب العلمى الصحيح مع الأحداث والناس والأشياء، بل مع المتغيرات المستمرة فى حياة الإنسان.

جـ- وتعليمه اللغة السائدة فى المجتمع والمبادئ الأساسية فيه:

فلا تقوم حياة إنسانية فى مجتمع إلا من خلال اللغة التى يتفاهم بها الناس فى المجتمع، وكذلك سائر المبادئ الأساسية التى يحتاج إليها الإنسان فى حياته.

لذلك تقوم التربية العقلية أو المذهب الفكرى فى التربية على تزويد المتعلم باللغة قراءة وكتابة، وتعليمه ما يلزمه من حساب أو رياضيات وفيزياء وكيمياء، وطرفًا من علوم الحياة، وجانبًا من التاريخ والجغرافية، وكل ما له صلة بالحياة الاجتماعية.

ومن المؤكد أن كل ما يلزم الإنسان من معرفة يجب أن يتلقاه ويتدرب عليه فى المدرسة - بعد البيت والمسجد - على يد معلم يجيد العمل التربوى ويخلص فى أدائه.

د- وتبصير المتعلم بالعلاقة بين مفردات الكون:

المفروض فى مفردات الكون أن الله تعالى خلقها ليخدم بعضها بعضًا ولتكون جميعًا فى خدمة الإنسان، ولكن بعض الغافلين دأبوا على أن يتصوروا صراعًا بين مفردات الكون من جانب وبين هذه المفردات والإنسان من جانب آخر.

وما جاءت الأديان من عند الله تعالى إلا لتوضح العلاقة بين الإنسان ومفردات هذا الكون.

والمذهب الفكرى فى التربية عليه أن يقدم للإنسان بصرًا صحيحًا وبصيرة واعية بهذا الكون، وبالإنسان نفسه الذى خلق له الله تعالى ما فى السموات وما فى الأرض، وسخر له كل هذا فقال تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

وما لم تفعل التربية العقلية ذلك للإنسان وقع كالغافلين مع هذا الكون فى صراع قد لا تكون نتائجه فى صالحه.

٢- خصائص المذهب الفكرى فى التربية:

عند التدبر لما قدمناه من أهداف هذا المذهب، نستطيع أن نعرف خصائصه التى تميزه عن غيره، ومن هذه الخصائص:

أ- نقل المتعلم من التمحور حول الذات إلى احترام الآخر:

ينشأ الإنسان فى أسرته محاطًا بمزيد من الرعاية والاهتمام، مما يجعله متمركزًا حول ذاته، فإذا ذهب إلى المسجد ثم إلى المدرسة عرف كثيرًا عن الآخر خارج بيته، وانتقل بالتالى من الذاتية إلى الموضوعية وإلى تعرف الآخر ومحاورته وقبوله والتعاون معه، بل التكيف مع

هذا العالم الجديد فى المدرسة حيث المعلم مختلف عن الأبوين، وحيث التلاميذ مختلفون عن الإخوة والأخوات، ثم يجد نفسه مضطراً للتعامل مع هذا العالم الجديد والتكيف معه ليستطيع أن يمارس فى المدرسة حقوقه ويؤدى واجباته وإلا ضاعت حقوقه واتهم بالتقصير فى أداء واجباته، والتربية العقلية أو المذهب الفكرى فى التربية هو الذى يؤهله لمعرفة الآخر والتعاون معه، وممارسة حقوقه وأداء واجباته، واحترام القوانين والنظم السائدة فى تلك البيئة الجديدة.

ب- وإعطاء المتعلم فرصة استقلال القرار:

التربية العقلية تتيح للإنسان أن يفكر تفكيراً مستقلاً، بكامل إرادته، ويتخذ القرار الذى يراه ملائمًا له فى مجتمعه الجديد خارج أسرته، بعد أن يفكر ويستدل ويحلل ويستنتج، من أجل أن يتعامل مع بيئة المدرسة معلمًا وإدارة وعاملين وزملاء، وكل هؤلاء لهم عليه حقوق يجب أداؤها، وعليهم نحوه واجبات واجبة الأداء كذلك، وما لم يتكيف المتعلم مع تلك البيئة أَحَسَّ بالفشل، بل ربما ناله عقاب نفسى إنْ نبذه مجتمعه الجديد، وهو لا بد نابذه إن لم يتكيف معه.

إن التربية العقلية تنمى فى الإنسان صغيراً أو كبيراً إحساسه بالمجتمع وما يسوده من قيم، وما يسيطر عليه من نظم وقوانين واجبة الاحترام، حتى يحظى الإنسان المحترم لها بقبول المجتمع له ورضاه عن سلوكه وتصرفاته، وذاك نضج لا تؤهله له إلا التربية العقلية أو المذهب الفكرى فى التربية.

جـ- ومَدُّ المتعلم باحتياجاته الاجتماعية الأساسية:

لا يعيش الإنسان حياة إنسانية راشدة إلا إذا أشبع حاجاته الأساسية فى المجتمع الذى يعيش فيه.

وهذه الحاجات الأساسية كثيرة، ومع كثرتها فإن التربية العقلية من خلال المدرسة تقدمها له وتقنعه بواجباته لكى يحصل عليها، وهذه الحاجات الأساسية هى - كما أشرنا إلى ذلك آنفًا - هى اللغة والحساب والعلوم والآداب، والأدب والفن والجمال، وقوة البدن وقوة العقل ورقة الشعور، والقدرة على التعبير عن ذلك كله تعبيراً أدبيًا فى الكتابة والشعر ونحوهما، أو تعبيراً ماديًا كالرسم وبعض الصناعات، أو تعبيراً جماليًا كبعض الفنون الجميلة ونحوها.

كما أن التربية العقلية تمده بالأسس التى ينبنى عليها التعامل مع الناس والتكيف معهم الذى يصل إلى حد التعاون فالتآلف والتآخى، والاحترام والتقدير، ومن لم تمده التربية العقلية بذلك فقد خسر خسارة كبيرة.

د- والانتقال بالإنسان من البسيط إلى المركب:

كما تنتقل التربية العقلية بالإنسان من مبادئ اللغة إلى التعبير الأدبى، ومن الحساب إلى الرياضيات، ومن مبادئ العلوم إلى الفيزياء والكيمياء والأحياء وعلوم الأرض والمياه والأجواء «الفضاء» وغيرها؛ فإنها تنقله من بيئته الأسرية إلى بيئة المدرسة، بل بيئة وطنه المحلى فوطنه العربى فوطنه الإسلامى، وهى إذا تنقله هذه النقلة الواسعة، إنما تعلمه كيفية التعامل مع هذه البيئات تعاملاً صحيحًا يجعله يمارس حقوقه ويؤدى واجباته.

والبسيط هنا هو الإنسان بمفرده الذى يفكر حول ذاته، والمركب هو المدرسة والمجتمع والوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى بل الوطن العالمى، ولكل بيئة مركبة من هذه البيئات حقوق يجب أن يؤديها كل إنسان، ولا يتهرب من أدائها إلا من أراد أن يقع تحت طائلة القانون.

إن الإنسان بغير التربية العقلية سوف يجهل النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى المجتمع الذى يعيش فيه.

المذهب الثالث: المذهب الدينى فى التربية[1]:

الدين من عند الله تعالى، وهو نعمة منه على عباده منذ خلقهم وأسكنهم الأرض، وطالبهم بالمحافظة عليه واتباع ما جاء فيه، فلم يحفظوه وإنما ضيعوا كثيرًا منه وأهملوا الأخذ به، فضاعوا فلما نزل القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية على خاتم الرسل ﷺ، لم يستحفظ عليه الناس وإنما تكفل هو سبحانه بحفظه، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، وأمر باتباع ما جاء فيه إلى يوم الدين فقال تعالى: ﴿**المص ۝١ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١ - ٣].

● وإنما كان الدين الخاتم واجب الاتباع إلى يوم الدين لأنه جاء للبشرية كلها بالمنهج التام

---

(١) يسمى هذا المذهب بالتربية الدينية ولنا فيه كتاب بعنوان: التربية الدينية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الكامل، وبالنظام الذى تصلح به حياة الناس جميعًا، يشهد لذلك ويؤيده أنه حين طُبّق حقق للناس فعلاً سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة لطاعتهم لله سبحانه وتعالى.

- وقد تدعى بعض الأديان غير الإسلام وتدعى كثير من الفلسفات والنظم أنها قادرة على التصور الصحيح للكون وللحياة الإنسانية، بل تدعى أنها قادرة على حل مشكلات الإنسان فى الحياة.

- على أن الإسلام بوصفه خاتم الأديان وأتمها وأكملها وأنه واجب الاتباع بعد ظهوره بالنسبة لسائر أهل الأديان، فقد روى الدارمى بسنده عن جابر رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى رسولَ الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله هذه نسخة من التوراة، فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر رضى الله عنه: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، فقال رسول الله ﷺ: **«والذى نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه، وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًا وأدرك نبوتى لأتبعنى»**.

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفس محمد بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة، لا يهودى، ولا نصرانى، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»**.

- فالأخذ بما جاء به محمد ﷺ واجب على كل أحد من الناس مهما كان دينه أو ملته، والتربية الدينية الإسلامية أجمع أنواع التربية وأشملها وأقدرها على حل مشكلات الحياة الإنسانية.

- ولكى لا نتوسع فى الحديث عن المذهب الدينىَ فى التربية لأن لنا فى ذلك كتابًا كاملاً، نكتفى بأن نشير إلى عدد من النقاط أهمها نقطتان:

١- مكانة التربية الدينية فى الحياة الإنسانية:

الديانات السماوية الكبرى وبخاصة أديان الدعوة التى جاء بها وحى الله تعالى إلى رسله عليهم السلام، اشتملت على منهج ونظام دينى دنيوى من صنع الله تعالى واختياره، وكل هذه الأديان تشتمل على القيم الفاضلة التى تأمر بالخير وتنهى عن الشر، وتوجب ممارسة العمل الصالح، وتحرم العمل الفاسد، وتجرم المفسدين وتفرض عليهم عقوبات فى الدنيا وفى

الآخرة، من أجل ذلك كان للتربية الدينية فى الحياة الإنسانية أعلى مكانة وأسمى منزلة، بحيث لا تستطيع الحياة الإنسانية الراشدة أن تستغنى عن التربية الدينية.

وأحب أن أتحدث فى هذه النقطة الأولى عن تكامل التربية الإسلامية، وعن كمالها، وعن يُسْرِها.

أ- تكامل التربية الإسلامية(١):

وإنما تكاملت التربية الإسلامية لأنها اشتملت على جميع مفردات التربية لم تغادر منها مفردة يحتاج إليها الإنسان فى حياته الدنيا أو آخرته، وقد تحدثنا عن هذه المفردات فى عشرة كتب صدرت فى السنوات من سنة ١٤١٥ هـ إلى سنة ١٤٢٤ هـ وهى: التربية الروحية والتربية الخلقية والتربية العقلية والتربية الدينية والتربية السياسية والتربية الاجتماعية والتربية الاقتصادية والتربية الجهادية، والتربية الجمالية، والتربية الجسدية.

وهذا يؤكد التكامل فى هذه التربية الإسلامية بمعنى أن بعض هذه المفردات لا يغنى عن بعض، وأن شيئًا مما يحتاج إليه الإنسان فى دنياه أو آخرته لا يخرج عما جاءت به هذه التربية.

إن التربية الإسلامية بهذه المفردات تؤكد للإنسان فى أى زمان ومكان أن حياته الدنيا لن تكون سعيدة إلا إن تمسك بتطبيق هذه المفردات، وأن حياته الأخرى لن تخلو من محاسبة وعقاب إلا بطاعة الله تعالى وتطبيق منهجه ونظامه.

ب- كمال التربية الإسلامية:

الكمال لله وحده ولكن التربية الإسلامية بوصفها من عند الله تعالى ومسجلة فى كتابه الخاتم وسنة رسوله الخاتم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يُوحَى، أمكن وصفها بالكمال، بل جاءت متفردة بهذا الوصف بين جميع أنواع التربية التى عرفتها البشرية من يوم درجت على الأرض لتعيش فيها وتعمرها.

ونقدم على كمال التربية الإسلامية دليلين:

أحدهما: أن كل مفردة من مفرداتها نابعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكتاب الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهى بهذه النسبة ذات كمال، وأن سنة

---

(١) لم أتحدث عن التربية الدينية فى الأديان الأخرى لأن الكتب التى تنسب إليها دخلها التعديل والتبديل، بدليل أن بعض ما فيها لا يتفق مع ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، وهم يدعون أن هذه الكتب من عنده!!!.

النبي ﷺ قد عصم الله فيها نبيه الخاتم عن أن ينطق عن الهوى وإنما ينطق عن الوحي، فهي بهذه النسبة ذات كمال أيضًا.

والآخر: أن هذه المفردات العشر يوم طبقت كوَّنت خير أمة أخرجت للناس، كما رأينا في عصور الصحابة رضوان الله عليهم وعصور التابعين وتابعيهم - أهل القرون الثلاثة الأولى- وأن هذه المفردات يوم تطبق في أي عصر أو مصر سوف تجعل من مطبقيها خير أمة أخرجت للناس وحسبها بذلك كمالاً.

جـ- يُسْر التربية الإسلامية:

مفردات التربية الإسلامية حين تتضام وتتجمع فهي لب الدين وجوهره، وهي مراد الله من عباده، وهي ما طالب به رسول الله من اتبعوه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال ﴿ ... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ [الحج: ٧٨].

وروى أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق»**.

وروى البيهقي في السنن الكبرى بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»**.

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجَة»**.

فالدين نفسه يُسْر والتربية الإسلامية نابعة من الدين فلابد أن تكون يُسْرًا، لأن الله تعالى لا يأمر بشيء فيه عُسْر على فاعله لأنه سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

٢- خصائص التربية الإسلامية:

أي تلك الصفات التي تختص بها التربية الإسلامية، وهي كثيرة نكتفي منها بثلاثة هي: ملاءمتها للفطرة، ورعايتها للإنسان، وجمعها بين الدنيا والآخرة.

أ- أنها تربية ملائمة لفطرة الإنسان:

وفطرة الإنسان من عمل الله تبارك وتعالى، وقد فطر الله تعالى الإنسان على الخير وحبه

لنفسه وللناس، كما خلقهم حنفاء أى مستقيمين منيبين لقبول الهداية، ثم جاءتهم الشياطين فأضلتهم وأخرجتهم عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها، تلك مهمة الشياطين سواء كانوا من الجن الذين لانراهم أم من الإنس الذين نعيش بينهم ونتعامل معهم، فقد روى مسلم بسنده عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبة: **قال الله فى الحديث القدسى: «.. إنى خلقتُ عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتْهم الشياطين فاجتالتهم [1] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا ما لم أنزل به سلطانا...»** أى أخرجتهم عن مقتضى فطرتهم التى فطرهم الله عليها.

- والتربية الإسلامية هى الملائمة لتلك الفطرة، هى التى تدعوهم إلى الإيمان وإلى الإسلام وإلى العدل وإلى الإحسان وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ولكيلا يعبد غير الله فى هذه الأرض.

ولا توجد تربية أخرى تدعو إلى كل تلك الفضائل، وتربط بين مصلحة الدنيا ومصلحة الآخرة؛ لذلك ولغيره كانت التربية الإسلامية ملائمة لفطرة الإنسان؛ لا تعاندها ولا تحرمها من طيبات الحياة الدنيا فيما أحل الله، ولا تجارى شيطانها فى إغرائها باتباع الهوى.

ب- وقدرتها على رعاية الإنسان:

التربية الإسلامية بوصفها نابعة من الكتاب والسنة هى وحدها القادرة على أن ترعى الإنسان في مختلف أطوار حياته من يوم كان جنينًا فى بطن أمه إلى أن ولد وصار طفلا وصبيًا ويافعًا ومراهقًا وشابًا ورجلاً وشيخًا يدب دبيبًا وميتًا يغسل ويصلى عليه ويُعجَّل بأن يقبر.

وهى القادرة على أن ترعى الإنسان أشمل رعاية وأكملها وأنفعها له فى روحه وخلقه وعقله ودينه وجسده، وحقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتهيئه للقيام بأعباء الجهاد فى سبيل الله تعالى، وتنمى إحساسه بالجمال وتعطيه القدرة على التعبير عنه.

- **إن المتدبر فى سائر أنواع التربية أو الفلسفات ليجد أن أقصى ما تطمع فيه تربية من هذه أن تعنى بجانب أو جانبين أو ثلاثة من هذه الجوانب العشرة فى شخصية الإنسان، التى** ترعاها جميعًا التربية الإسلامية.

- **ومن صميم رعاية التربية الإسلامية للإنسان أنها تزيل عنه كل تناقض أو تضارب فى**

---

(١) أى أزالتهم عن دينهم.

رغباته، فلا تعارض لديها بين مطالب الروح ومطالب الجسد، ولا بين القيم الخلقية والحرية الشخصية، ولا بين الحقوق السياسية وواجباته نحو بلده وحاكمه، ولا بين حقوقه على المجتمع وواجباته نحوه، ولا بين كونه مسلمًا ووجوب تعامله بالحسنى وفق نظام عادل مع غير المسلمين.

إنها بحق الرعاية الشاملة المتكاملة.

جـ- وقدرتها على تحقيق سعادة الإنسان فى الدارين:

يخدع بعض الناس بالدنيا عن الآخرة، وتلك غفلة يترتب عليها خسران الدنيا والآخرة معًا، كما يخطئ من يغلب جانب أخراه على دنياه فيبغض إلى نفسه ما أحل الله لعباده، ويحرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وتلك غفلة أيضًا وإن كانت تعجب الزاهدين.

والصواب هو التوسط والاعتدال فى التمتع بطيبات الحياة الدنيا، وتذكر الآخرة والعمل من أجل كسبها.

- إن سعادة الدنيا والآخرة تقوم فى التربية الإسلامية على عوامل كثيرة أبرزها احترام الحقوق وممارستها، والاعتراف بالواجبات وأداؤها، بالنسبة للفرد والمجتمع، وبالنسبة للحاكم والمحكوم.

إن التربية الإسلامية تغذى فى الإنسان رغبته فى طيبات الحياة الدنيا لكن فى ظل شرعية ونظام: ﴿ ..خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا.. ﴾ [الأعراف: ٣١]، و﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

وقد يقول بعض الغافلين: أين علوم الدنيا فى الكتاب والسنة؟ والجواب أن تفصيلات هذه العلوم ليست مما يعنى بها القرآن الكريم ولا السنة النبوية لأنها مستجدات تستحدث

من عصر إلى عصر والكتاب والسنة كتب هداية وإصلاح وإرشاد وحض على طلب العلم والتعمق فيه وإعمار الأرض به.

والتربية الإسلامية تربط دائماً بين القيم الفاضلة وسلوك الإنسان ومدى ما حصله من علم يتعامل به مع هذه القيم، والتربية الإسلامية تعصم الإنسان فى دنياه وآخرته عن أن يقع فيما وقعت أمريكا فيه بعد تقدمها العلمى حين ضربت بالقنابل الذرية جزيرتين فى اليابان فقتلت بالعلم ربع مليون إنسان وأصابت ملايين آخرين بأضرار بالغة فى أنفسهم وأبنائهم وبيئتهم، فلو كان لدى أمريكا تربية دينية إسلامية لعلمت أن ذلك لا يجوز بحال، وأنه ليس له مبرر فى الدنيا ولا فى الآخرة.

وكذلك شأنها فيما فعلته وتفعله فى كثير من بلدان الأرض لا يعصمها عن جرائمها دين ولا خلق، ولا توجد قوة مماثلة تصدها عن هذا الإجرام.

المذهب الرابع: المذهب الطبيعى فى التربية:

حديثنا فى هذا المذهب يتناول موضوعات ثلاثة:

أحدها: فى معنى الطبيعة ومفهوم المذهب الطبيعى.

والثانى: فى مآخذ على المذهب الطبيعى.

والثالث: فى موقف التربية الإسلامية من المذهب الطبيعى.

١- معنى الطبيعة ومفهوم المذهب الطبيعى:

كلمة الطبيعة هنا تعنى معنيين:

أحدهما:

الطبيعة الإنسانية وهى: السمات السلوكية، والعادات الاجتماعية، والاتجاهات الثقافية، والمشاعر والقيم التى ينقلها الأفراد فى مجتمع ما عن طريق اتصالهم بالآخرين، واتصال الآخرين بهم، على أن هذا الاتصال المتبادل يعنى قبول الآخر والتأثر به والتأثير فيه وقبول التغير، وكل تلك أمور قد فطر الله الناس عليها ليتفاعلوا مع الظروف الاجتماعية والثقافية المحيطة بهم.

والمعنى الآخر للطبيعة:

هو مجموع الاستعدادات والإمكانات الفطرية التى يولد بها الإنسان ويستمر تأثره بها فى حياته، مع قبول هذه الاستعدادات والإمكانات للتغير والتطور والنمو.

● أما المذهب الطبيعى فهو: ذلك المذهب الذى يرد الأشياء إلى الطبيعة، فيفسر كل شىء فى ضوئها، ويرجع الظواهر كلها إليها، ويستبعد كل مؤثر يجاوز عالم الطبيعة.

وهذا المذهب متأثر بنظرية «دارون» التى تقرر أن الإنسان ينتمى كلية إلى عالم الطبيعة ونظامها، وليست للإنسان صلة بعالم روحانى وراء الطبيعة.

أى أن الإنسان فى نظر هذا المذهب يتأثر بعاملين اثنين فقط، هما: الوراثة، والبيئة.

● أما المذهب الطبيعى فى التربية فيرى أن التربية ما هى إلا وسيلة لمساعدة طبيعة الإنسان على أن تعبر عن نفسها، ولا تفعل التربية شيئًا فوق هذا، بل إن غاية ما تستطيعه التربية هو أن تكون موافقة لقوانين الطبيعة.

– ولمفهوم التربية الطبيعية تاريخ قديم ذو أطوار –ولكنه لا يعنينا هنا– وإنما حسبنا أن نسجل هنا أن من مقصود التربية الطبيعية موافقة الطبيعة الإنسانية والكونية، وذلك ما يبعد كثيرًا عن الاهتمامات الاجتماعية.

وأصحاب هذا الرأى يرون أن الطبيعة طيِّبة وفى صالح الإنسان بل تقوده إلى المتعة والسعادة، فى حين يرون أن الحياة الاجتماعية ونظمها تجلب للإنسان القيود والمتاعب والفساد.

– وفى القرن الثامن عشر الميلادى كان المذهب الطبيعى فى التربية قائمًا على أساس عاطفى يتخذ موقفًا معاديًا من تصنعات المجتمع المفرط فى الروح العصرية، من جانب، ومعاديًا لتأنقات الفكر وسفسطات الأخلاق من جانب آخر.

ثم أخذ هذا المذهب يعنى بالتكيف مع النمو العضوى السَّوى للإنسان، حيث ترك لعلم النفس الكشف عن طبيعة الكائن الإنسانى.

– على أن التربية وفق المذهب الطبيعى تقف من المتعلم موقفًا سلبيًا، حيث تترك كل شىء لهذه الطبيعة الإنسانية، لتفتح فى الإنسان جميع نزعاته الفكرية والاجتماعية والخلقية والجمالية، وترفض رفضًا قاطعًا كل عمل قسرى يباعد بين الإنسان والطبيعة الخاصة بنموه.

وهذا مفهوم قاصر وغير منطقى، إذ ماذا بقى للتربية إذا ترك كل شىء للطبيعة الإنسانية؟

● وبعض أنصار هذا المذهب يقولون: إن التربية الطبيعية يمكن أن تقبل الغايات التربوية

الكامنة فى طبيعة الكائن الحى، تاركة كل ما فى الحياة الاجتماعية من تعقيدات، ومن أنواع التكلف والصنعة، ومن فنون الكذب والخداع، مع تركيزها على أهمية التكوين الجسدى وقيمة المتع السليمة التى ترتبط به.

- وبعض أنصار هذا المذهب يرون أن التربية الطبيعية يجب أن تطلب من الطبيعة الإنسانية أن تقدم لها وسائل العمل والدروس والمناسبات التى يتم خلالها نموُّ نفس المتعلم، وعند ذلك يصبح التعليم عن طريق الأشياء، بل يصبح التعليم عن طريق الألفاظ والكلمات.
- على أنّ أوضح ما يكون المذهب الطبيعى فى التربية هو: عند أولئك الذين يضعون قاعدة اتّباع نمو الكائن خطوة خطوة، مع اجتناب كل ما يعارض ذلك أو يعطله.

فهؤلاء يحمد لهم أنهم لا يتركون الطبيعة وشأنها، وإنما يحاولون أن يبقوها ضمن خط نموها السَّوىّ، وداخل قانون تطوره، إن هؤلاء يتوسطون ولا يبالغون.

٢- بعض المآخذ على المذهب الطبيعى فى التربية:

إذا كان المذهب الطبيعى فى التربية يحمد له أن جعل التربية الطبيعية متساوقة مع الكائن الإنسانى نفسيًا وجسديًا، كما يحمد له الاستخدام الجيد لمعطيات العلوم الوضعية لتحقيق غاياته، فإن ذلك لا يمنع من أن يذكر العلماء بعض المآخذ على هذا المذهب فى النقاط التالية:

أ- غموض مفهوم الطبيعة فى هذا المذهب:

فإذا كانت التربية تقوم فى هذا المذهب على الطبيعة، فماذا يقصد بهذه الطبيعة؟ هل هى الجسد وحده وما له من متطلبات؟ أم الضرورة الحيوية للإنسان كى يعيش؟ أم النواحى الاجتماعية فى حياة الإنسان؟ أم النواحى النفسية؟ أم جميع ذلك؟ فتلك مآخذ على هذا المذهب لا شك فيه.

ب- والتعارض فيه بين الطبيعة والمجتمع:

ليس من اللازم أن تكون الطبيعة فى وفاق مع المجتمع إذ تكون للطبيعة مطالب ملحة وللمجتمع مطالب أكثر إلحاحًا، وكل منهما يعارض الآخر.

والمجتمع وما يسوده من علاقات هو من وضع الناس، ومن اصطلاحاتهم، أما الطبيعة فهى كامنة فى الإنسان بحكم خلقته، فماذا يكون الموقف لو اختلفا -وهما لابد مختلفان-؟ أيتمزق الإنسان بين مقتضيات النظم الاجتماعية، وبين مقتضيات طبيعته وما فطر عليه؟

جـ- والتناقض بين الطبيعة الإنسانية ذاتها:

الإنسان بحكم أنه يحيا فى مجتمع إنسانى، لابد أن يُعَلَّم وأن يدرَّب على قيم يحترمها ويسلك فى حياتها سلوكًا يوافقها، وهى فى الغالب قيم روحية وخلقية لابد منها لكى يعايش الناس، وهذه القيم قد لا تكون موافقة لطبيعته بما تفرض عليه من قيود وما تلزمه من تنازلات، فكيف يتقبل على سبيل المثال: قيم الأخلاق والتعاون والمحبة والجمال ما لم تكن هذه القيم فى طبيعته؟

ماذا يفعل الإنسان حين تتعارض قيمه مع طبيعته؟ وماذا يفعل المذهب الطبيعى فى التربية؟

د- والعجز عن تغيير الطبيعة الإنسانية:

طبيعة الإنسان هى جملة الصفات التى ورثها عن أبويه فولد بها، ولازمته فى حياته لا يستطيع أن ينفك عنها، ولا هى بمنفكة عنه فلا سبيل إلى تغييرها.

وعلى فرض أن هذه الصفات ذميمة ولا يتقبلها الناس، فكيف تهذَّب وتغيَّر وتستبدل بحميد الصفات؟

إن الإنسان عندئذ يعيش معاناة مادية روحية اجتماعية لا قِبلَ له بتحملها، ولا قبل له بتغييرها، أفهكذا تكون الحياة الإنسانية معاناةً وشقاءً!!!

٣- موقف التربية الإسلامية من المذهب الطبيعى فى التربية:

التربية الإسلامية كما أسلفنا نابعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرته، فلا يجوز عليها أن تحمل تناقضًا للإنسان يشقيه أو يجرحه فى حياته، هذا من المسلمات.

- إن التربية الإسلامية لا تسمح بالتناقض بين الروح والجسد بل تعترف لكل منهما بمطالبه، وتنسق بين هذه المطالب بحيث لا يطغى جانب الروح على جانب الجسد، ولا تكتسح رغبات الجسد أشواق الروح ومواجدها.

إن من مفردات التربية الإسلامية التربية الروحية والتربية الجسدية، ورعاية كل منهما هدف للتربية الإسلامية.

- والتربية الإسلامية لا ترى تعارضًا ولا تناقضًا بين المطالب الطبيعية للإنسان ومطالب المجتمع الذى يعيش فيه، وإنما هى تنسق بينهما من خلال تنظيم المطالب الطبيعية

للإنسان، وضبط المطالب الاجتماعية وتقنينها؛ فالمطالب الطبيعية فطرة فطر الله تعالى الناس عليها، والمطالب الاجتماعية أقرها الإسلام حين جعل التعارف بين الناس هو ما لا تتم حياة الناس إلا به.. ﴿ ..وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.. ﴾ [الحجرات:١٣]، وألزم بالتعاون بين الناس على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. ﴿ ..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ.. ﴾ [المائدة:٢].

- والتربية الإسلامية هي التي تأتي بالقيم التي تحكم سلوك الإنسان، وما دامت القيم منها وما دامت هي نابعة من القرآن الكريم، فإنها بالضرورة قيم صالحة للإنسان ولا تتعارض مع طبيعته بحال، ولا يتصور في ظل التربية الإسلامية صراع بين الإنسان في طبيعته والإنسان في قيمه الخلقية، وإنما هو الانسجام والتكامل، لأن الذي خلق طبيعة الإنسان هو الذي اختار له القيم التي يحترمها ويلتزم بها، بل لا يمكن أن يتصور إنسان بغير قيم تحكمه وتضبط سلوكه، فإن تصوره بعضهم فهو إلى الحيوان أقرب منه إلى الإنسان، لأن إنسانية الإنسان إنما تظهر وتتعزز بمقدار ما لديه من قيم كالعفة والشجاعة والصدق والأمانة والنجدة والكرم وغيرها، فإن لم تكن لديه قيم فما يفرق بينه وبين الحيوان إلا شكله وسعيه على قدمين اثنين!!!

- والتربية الإسلامية تفتح أمام الإنسان باب التغير والترقي نحو الأحسن والخروج من ذميم الصفات إلى حميدها، بل ترسم له طريق الخروج من الرذائل والمآثم إلى الفضائل والمَبَارّ، بفتح باب التوبة والاستغفار والانتقال إلى الحق والصواب وكل ما يرضى الله تبارك وتعالى ﴿ ..هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ.. ﴾ [هود: ٦١].

ومن صفات أولى الألباب صفات فاضلة عديدة منها أنهم: ﴿ ..وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ.. ﴾ [الرعد:٢٢، ٢٣]

والإنسان إما مسيء أو محسن، ويستطيع أن يمارس السيئة أو الحسنة بمحض إرادته، ومن أساء ثم أحسن فإن الله غفور رحيم: ﴿ ..إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ.. ﴾ [النمل:١٠، ١١]، ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا

﴿يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[فصلت: ٣٤- ٣٦]

فلا تناقض بين طبيعة الإنسان إذا أساء أو إذا أحسن وإنما هو نفسه القادر المختار أن يسيء أو يحسن، والإسلام يدعوه إلى الإحسان والتربية الإسلامية تزين له الإحسان.

المذهب الخامس: المذهب الاجتماعي في التربية:

أصحاب هذا المذهب يغلب عليهم أن يكونوا من علماء الاجتماع أكثر من أن يكونوا من علماء التربية، لذلك نراهم يقيمون وزنًا كبيراً وأهمية عظيمة للتربية الاجتماعية، وكثيراً ما يكون ذلك على حساب المذهب الطبيعي في التربية، بل إن بعضهم يتجاهل المذهب الطبيعي في التربية، إلى حد عدم الاعتراف بجدواه.

وحديثنا عن المذهب الاجتماعي في التربية يتناول نقطتين: أهداف المذهب الاجتماعي في التربية، وخصائص هذا المذهب، ونرجو من الله تعالى التوفيق.

١- أهداف المذهب الاجتماعي في التربية:

أهداف هذا المذهب نابعة من تصورهم للتربية الاجتماعية بل من اعتقادهم بسيادة التربية الاجتماعية على كل أنواع التربية، ونحن نذكر من هذه الأهداف ما يلي:

أ- تكوين الإنسان كما يريده المجتمع، وليس كما تملي طبيعة الإنسان، وهؤلاء الاجتماعيون على رأسهم: «إميل دوركايم» (١٨٥٨- ١٩١٧م) الذي يرى أن العقل المشترك للمجتمع هو أصل الدين والأخلاق (١).

وهم يرون أن على المؤسسات التربوية أن تكون صورة لحاجات المجتمع، وبالتالي تختلف التربية في مجتمع عنها في مجتمع آخر.

ب- ويستهدفون أن يكون لب التربية وجوهرها هو تعليم أصول المنظومة الاجتماعية، التي تتبع -دائمًا- في تنوعها البيئة الروحية لكل مجتمع، سواء ما كان من هذه المجتمعات مغلقا على عادات أسرة بعينها وتصوراتها، أو على عادات مدينة وتصوراتها، أو كانت هذه المجتمعات منفتحة نسبيًا على عادات دين بعينه وتصوراته، أو منفتحًا على قومية بذاتها، أو كان منفتحًا على معطيات سياسية وصناعية كما هو مشاهد اليوم.

---

(١) وهذا من شانه نفي أن الأديان من عند الله تبارك وتعالى، لأن المجتمع أو العقل الاجتماعي هو الذي يضع الدين!!!

أى أن التربية دائمًا يجب أن تكون تابعة للنظام الاجتماعى.

جـ- والتربية فى جوهرها عمل اجتماعى لأنها تعنى نقل منظومة الأفكار والتصورات والعواطف من جيل إلى جيل، وذلك فى حد ذاته عمل اجتماعى بالغ الأهمية، بل لا يوجد عمل اجتماعى يضاهيه، وما ينبغى لتربية اجتماعية أن تخرج عنه.

إنهم بإيجاز يقولون:

«لا تربية بلا مجتمع، ولا مجتمع بلا تربية».

د- كما أن التربية عندهم تستهدف تحقيق حاجات الصغار نحو الكبار فى كل مجتمع، لأن حاجات الصغار إلى الكبار ضرورية ومستمرة؛ لأن الكبار هم الذين يلقنون الصغار أو يدربونهم على ممارسة العادات والأعمال الاجتماعية لأنفسهم؛ أولا لكى يلحقوا بالكبار وذلك هدف مشترك، ثم لكى يساعدوا الكبار فى أعمالهم، ويعاونوهم فى كثير من متطلبات النظام الاجتماعى ليستقر المجتمع على النظم التى يريد.

٢- خصائص المذهب الاجتماعى فى التربية:

لهذا المذهب الاجتماعى فى التربية خصائص تميزه عن سواه نذكر منها:

أ- أنه مذهب محافظ فى التربية:

وذلك أن القيم الاجتماعية السائدة فى هذا المذهب قد جربت تربويًا، على مدى طويل أضفى عليها نوعًا من الثبات والاستقرار مما يجعل المحافظة عليها هدفًا، وما يجعل التغيير غير وارد إلا لأسباب قوية قاهرة كحدوث ثورة أو هزة اجتماعية عنيفة تقتضى التغيير وتجعله أمرًا لازمًا، لا معدل عنه إلا بتضحيات جسام قد تكون غير مستطاعة.

ب- وأنه يقوم على سلطة والتزام:

المذهب الاجتماعى فى التربية يعتمد على التزام بما ألفته التربية الاجتماعية من طرق، ومن أمثلة ذلك:

- اعتماد هذا المذهب والتزامه بالتلقين فى الجانب الفكرى من التربية.
- واعتماده على التأديب فى الجانب الخلقى من التربية.

● فالتربية عنده تفرض الوحدة والتشابه فى طراز الحياة الإنسانية، فلا محيص عن هذا،

كما تفرض انقياد الفرد للمجتمع دائمًا، كما يحدث ذلك فى النظم السياسية الشاملة ذات الحزب الواحد أو التعدد الحزبى الشكلى.

جـ - وأن هذا المذهب يرى التربية عمل جيل فى جيل:

وذلك يقتضى أمرين:

أحدهما:

استبعاد تأثير فرد فى فرد فى هذه التربية، لأن ذلك لو أتيح فإنه يصيب المجتمع بهزات وخلخلة وتهديد لمستقبله المرسوم الذى لا يجوز العدول عنه.

والأمر الآخر:

هو أن جيل الراشدين ينقل جملة الأفكار والقيم إلى الجيل الذى يليه مباشرة، وهكذا يستمر الضغط من جيل إلى جيل، كما تمارس الدولة الضغط على جيل الراشدين، بل إن الدولة تذهب إلى ما هو أبعد من هذا فتقيس ولاء هذه الأجيال بمقياس انقيادها لسلطتها.

د- وأنه مذهب يقوم على تربية اجتماعية منغلقة:

أى أنها منغلقة على المجتمع الذى تمارس فيه، فهى لا تتطلع إلى ما يسود المجتمعات الأخرى من طرائق وقيم تربوية، وهذا من شأنه أن يفقد هذا المذهب تبادل الخبرات والتجارب، مع أن المجتمعات البشرية شديدة الاحتياج إلى ذلك.

- كما يؤخذ على التربية وفق هذا المذهب أنها تقضى على كثير من رغبة الفرد فى الإبداع والتفوق والامتياز، لأنها تدخله فى مجال يقهر فيه المجتمعُ الفردَ ويفرض عليه ما يريد.

- ويؤخذ على التربية وفق هذا المذهب أنها بانغلاقها هذا تقف سدًا منيعًا دون تبادل الحقائق العلمية والعملية والقانونية والخلقية والسياسية والاقتصادية، بل الحضارية عمومًا، وبذلك يسرع إلى هذا المجتمع المنغلق الانهيار، كما هو مشاهد فى تاريخ الإنسانية، من أن الانهيار يأتى عقب الانغلاق.

● ولقد أصبح من المسلَّمات فى التربية عمومًا، أنّ مجتمعًا ما لا يستطيع أن يبلغ بالتربية إلى القيم الحضارية الإنسانية إلا إذا انفتح وتجاوز مجتمعه الخاص إلى المجتمع الإنسانى العام الذى يأخذ منه ما يلائمه، ويعطيه، فى تبادل إنسانى أقره الإسلام منذ جاء، حيث شرع هذا التبادل الحضارى حتى مع غير المسلمين ما دام غير متعارض مع القيم التى جاء بها الإسلام.

المذهب السادس: المذهب السياسى فى التربية:

يتناول حديثنا عن المذهب السياسى فى التربية خمس نقاط:

- أهمية التربية السياسية.
- وأهداف التربية السياسية.
- ووسائلها لتحقيق أهدافها.
- والتربية السياسية والحضارات الإنسانية.
- والإسلام والتربية السياسية.

محاولين التركيز والإيجاز قدر المستطاع الذى لا يخل بإيضاح المعنى بإذن الله تعالى.

١- أهمية التربية السياسية:

عند التأمل والتدبر فى أحوال التجمع الإنسانى نجد الناس يعيشون فى حالة تجمع سياسى شاءوا ذلك أو رفضوه، ومع تجمع الناس وارتباط ظروفهم ومصالحهم بعضها ببعض تشتد حاجتهم إلى أن تسود علاقاتهم؛ العدالة؛ لأن الحاجة إليها فطرية فى الإنسان الذى يعيش مع غيره، وإقرار هذه العدالة يحتاج إلى نظام يلتزم به كل منهم راغبًا فيه مدركًا لأهمية الالتزام به لجوهريته فى تحقيق العدالة.

ومع تجمع الناس وتحقيق العدالة فيما بينهم من خلال النظام يجدون أنفسهم فى حاجة إلى أن يتعاونوا فيما بينهم لِدَعْم المعانى الإنسانية فيما بينهم، وللتعبير عنها فى صورة ملائمة لهم ولطموحاتهم.

- وذلك الذى أشرنا إليه فى إيجاز من عدالة ونظام وتعاون هو لب السياسة وجوهرها، وعلامة صحة الحياة السياسية التى يجب أن تسود البشرية فى إقليم بعينه وزمان بعينه.
- غير أن الإنسان لا تظهر حاجته إلى أن يندمج سياسيًا فى جماعة إلا بعد أن يغادر زمن الطفولة، وتتطور مشاعره وتتحسن طموحاته، وينتقل من النزعة الطفولية الذاتية إلى النزعة الجماعية أو السياسية، وذلك سلوك طبيعى فى الإنسان لا يلام على أنه لم يولد به، أو على أنه لم يلازمه فى طفولته؛ وذلك أن النزعة القومية فى الإنسان لا تستيقظ إلا بعد فترة المراهقة.

٢- أهداف التربية السياسية:

ربما لا تبدأ التربية السياسية للإنسان إلا بعد أن ينضج، ومرحلة النضج تصادف مرحلة متقدمة من مراحل التعليم بعد الطفولة، وعند ذلك يجب على المدرسة أن تعنى بتربية المتعلم سياسيًا ليزداد نضجًا سياسيًا.

ولهذه التربية السياسية أهداف عديدة نذكر منها:

أ- إحداث توعية سياسية، تمكن المتعلم من معرفة حقوقه وواجباته نحو المجتمع المدرسى أولا ثم المجتمع عمومًا، لأن الإنسان بغير وعى سياسى لا يستطيع أن يمارس حياته الاجتماعية عمومًا.

ب- والعمل على إيجاد وعى عام نحو تكوين أخلاق تحبب فى التماسك السياسى بين الناس من خلال اجتماعهم على تحقيق مصالح مشتركة بينهم، وتعلمهم الاصرار على التمسك بحقوقهم السياسية.

جـ- والاهتمام بما هو مشترك بين الناس من قيم، وما هو مشترك بين الجماعات المدنية من وحدة التوجه لخدمة المجتمع، وهذا من شأنه أن يقلل من خطورة المشاعر الأنانية وردها إلى الأصل الأصيل الصحيح لدى الناس الأسوياء معظمهم وهو حب الخير للناس وحب التعاون معهم.

د- وحفز مشاعر الإخلاص والتضحية من أجل الآخرين بداية من سكان الإقليم المحلى فمواطنى العالم العربى، فالعالم الإسلامى، فالإنسانية كلها، ليسود السلام والوئام بين الناس وتتجنب البشرية ويلات الحروب، وأسباب المطامع وإثارة النعرات وأسباب الصراع والحروب.

هـ- ومن أبرز أهداف التربية السياسية فى المدرسة، أن تعمل على توجيه الأبناء إلى المشاركة الإيجابية فى العقلية الجماعية للأمة، أى احترام الفكر العام السائد فى الأمة والعمل على مساندته وعدم الخروج عليه، مع اتخاذ الحوار أسلوبًا أساسيًا فى تغيير أى فكر يرى الإنسان عدم صوابه؛ لأن ذلك هو الأسلوب الأمثل لإيجاد التقارب الفكرى فضلا عن وحدة الفكر بين الأجيال المتعاقبة للأمة.

٣- وسائل التربية السياسية لتحقيق أهدافها :

التربية السياسية فى المدرسة تختلف فى وسائل تحقيق أهدافها عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية والسياسية والجمعيات الأهلية المدنية، والأندية الأدبية والرياضية وغيرها إذ لكل هذه التجمعات وسائل فى تحقيق أهدافها السياسية، إن المدرسة تسعى إلى تحقيق أهدافها السياسية من خلال ما يتاح لها من إمكانات وآليّات، ومن ذلك :

أ- الاهتمام بالتاريخ القومى والعربى والإسلامى :

وذلك أن التاريخ والتدبر فى أحداثه يولد فى الناس الحس السياسى ويعلمهم كيف يستفيدون من الأحداث بل كيف يوجهون الأحداث ويقاومون آثار الضار منها، وغالبًا ما يكون البدء الأمثل لدراسة التاريخ بالتاريخ المحلى للوطن، ثم تاريخ العالم العربى، فالعالم الإسلامى دراسة فاحصة متعمقة تتبع عوامل النجاح أو الفشل فى خلق الوعى السياسى المفضى إلى النظام والانضباط، والعدل، والتعاون على البر والتقوى.

ب- وكذلك الاهتمام بالجغرافيا محليًا وعربيًا وإسلاميًا :

الجغرافيا مكملة للتاريخ أو ملازمة له، إذ لا تاريخ بغير تصور جغرافى لمكان الأحداث والرقعة التى وقعت فيها، والجغرافيا السياسية عند التأمل هى تاريخ، ومن وظائف المدرسة أن توضح العلاقة الوثيقة بين التاريخ والجغرافيا، لأن ذلك يوقظ الحس السياسى فى المتعلم.

ولست بحاجة إلى التنبيه على أن المدرسة اليوم فى ظل الهيمنة الغربية والأمريكية على العالم كله، لا تهتم بقضايا العالم العربى والعالم الإسلامى قدر اهتمامها بقضايا الغرب وقضايا الولايات المتحدة الأمريكية!! ولا نقول بمنع الاهتمام بقضايا الغرب والعالم كله ولكن ننادى بأولويات عالمنا العربى وعالمنا الإسلامى.

جـ- والاهتمام بالأدب المحلى والأدب العربى والأدب الإسلامى :

وذلك أن الأدب بجميع أجناسه سجل أمين لفكر الأمة وطموحاتها وآلامها، وصورة صادقة لحوارها مع القوى المساندة لها، وصراعها مع القوى المعادية لآمالها، والأدب أصدق من التاريخ فى كثير من الأحيان، إذا تأملنا المزالق التى قد يقع فيها المؤرخ، بينما لا يتعرض لها الأديب.

إن الأدب سجل لأعمال المصلحين والمجددين والقادة، ومن مجموع هذه الأعمال الأدبية عنهم ترى تاريخ أمة من الأمم أكثر نصوعًا وشفافية مما يسجله التاريخ والمؤرخون.

د- والعمل بجميع الوسائل المتاحة على إذكاء روح القومية المحلية والقومية العربية والقومية الإسلامية:

إن إذكاء القوميات بجميع مستوياتها على أساس عدم التعارض بينها عمل تربوى سياسى بالغ الأهمية، لا تذكيه ولا توجهه أحسن وجهة إلا التربية السياسية المدرسية.

وإن إذكاء العاطفة الوطنية المحلية تمهيد لإذكاء العاطفة العربية فالعاطفة الإسلامية، وكل ذلك يحيى القيم الإسلامية فى النفوس، وإذا استيقظت العاطفة الإسلامية فقد استيقظت العاطفة الإنسانية العامة، وسعدت البشرية بهذه الروح وجنت ثمارها سلامًا ووئامًا.

هـ- والاهتمام بتاريخ الأديان عمومًا وتاريخ الإسلام خصوصًا:

لا ينكر منكر مسلم أو غير مسلم ما للأديان من أهمية فى تربية الإنسان وتوجيهه نحو ما يصلحه ويصلح به، كما لاينكر عارف منصف ما لدين الإسلام من قدرة وتصميم على إصلاح دنيا الناس وأخراهم؛ ولذلك فإن كل اهتمام بتاريخ الأديان عمومًا وتاريخ الإسلام خصوصًا دعم للقيم الرفيعة من شجاعة وبطولة وإخلاص وتجرد وعدل وإنصاف، وإيقاظ هذه القيم ودعمها لصالح الإنسان المسلم أو غير مسلم، فإذا كان الإنسان مسلمًا فإن ذلك دعم لكل قيمة إنسانية جاء بها بها الإسلام، ليحيا الناس بها حياة إنسانية كريمة.

٤- التربية السياسية والحضارات الإنسانية:

لا تعتبر التربية السياسية صحيحة وفاعلة إلا إذا أدَّتْ إلى مفاهيم صحيحة عن الحضارات الإنسانية كلها، دون أن تقع التربية السياسية فى مازق التحامل على الأعداء أو المجاملة للأولياء، وهذه التربية السياسية الصحيحة عن الحضارات تعتمد على تأكيد عدد من الحقائق أهمها:

أ- أن الحضارات متواصلة:

وذلك أن كل حضارة خاصة بشعب أو أمة وراءها حضارة مشتركة بين جميع الشعوب أو الأمم تدعمها وتعطيها، وسر ذلك أن القيم الروحية والخلقية والعقلية والعلمية والفلسفية والفنية والجمالية مشتركة بين جميع الشعوب أو الأمم، يرفد بعضها بعضًا وإن اختلفت مظاهرها فى بعض الأحيان فإن جوهرها الإنسانى واحد أو شديد التقارب.

ومخطئ من يظن تدابر الحضارات أو تنافرها فضلا عمن يظنون أنها فى صراع بعضها مع بعض.

ب- وأن الحضارات تتبادل التأثير والتأثر :

من سنن الله فى مخلوقاته وبخاصة فى مخلوقه العاقل المكلف الذى هو الإنسان أن مَنّ عليه بالعقل والقدرة على الإبداع، وأن عطف كل إنسان على الآخر وجعل الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، وجعل من مظاهر هذا التعارف أن تأخذ كل حضارة من الأخرى وتعطيها، تتأثر بها وتؤثر فيها تأثيرًا مقصودًا حينًا وتلقائيًا أو غير مقصود أحيانًا، وحسبنا بالتنقل والسفر ورحلات التجارة والمجاورة والقراءة، حسبنا بذلك وسائل لنقل حضارة إلى أخرى وتأثيرها فيها وتأثرها بها، ولا عيب فى ذلك ولا نقيصة لأن تلك من سنن الله تعالى فى خلقه.

جـ- وأن الحضارات يستحيل أن تنعزل بعضها عن بعض :

فكل أمة مهما علا شأنها وتقدمت فى مجال العلم والفن، ومهما ملكت زمام الأمر والنهى لا تستطيع أن تنعزل عن غيرها من الحضارات لعدد من الأسباب، أهمها :

-استحالة الانعزال وإغلاق الباب دون الحضارات الأخرى، لأن ذلك عمل غير إنسانى من جانب، ومُضر أبلغ الضرر بالمنعزل عن غيره من جانب آخر.

- واستحالة أن يلتزم أهل حضارة بالامتناع عن التنقل والرحلة إلى أهل الحضارات الأخرى، لما فى ذلك من أضرار اقتصادية وسياسية من جانب ولما ينطوى عليه ذلك من الدخول فى مجال الذبول والتراجع الحضارى من جانب آخر.

د- وأن الحضارات ليست فى صراع :

وذلك أن ما قد يبدو بين حضارة وأخرى من تغاير فى مظاهر الحضارة مثل تقدم فى ميادين الحياة والعلاقات الاجتماعية، والعلوم والفنون والصناعات، والآداب والقيم، ليس فى جوهره، عداء أو صراع بين حضارة أو أخرى بقدر ما هو اختلاف فى الشكل لا فى الجوهر، وبالتالى فليس صراعًا يستهدف طرد علوم وفنون من حضارة لتحل محلها علوم وفنون من حضارة أخرى بقوة السلاح مثلا، وحتى لو قامت حرب بين أهل حضارتين فإنها تكون حربًا على أرض أو مصلحة سياسية أو اقتصادية، وما سمعنا أن حربًا قامت بين أهل حضارتين لضرب علوم أهل حضارة وفنونهم وآدابهم، وما يقول بذلك إلا الذين ملأ قلوبهم الحقد وران عليهم الشرّ، وامتلأت نفوسهم بحب الاستعلاء على أهل الحضارات الأخرى، وقليل ما هم[1].

(١) من هؤلاء بعض الغافلين الحاقدين على الإسلام من كتاب الغرب ومفكريهم، ولا داعى لذكر الأسماء فقد فضحوا أنفسهم بما قالوا!!!

٥- الإسلام والتربية السياسية

ليس كالإسلام دين أو نظام يغذى التربية السياسية فى الإنسان ويولد فيه بهذه التربية نزعة إنسانية، تتعامل مع العالم كله من منطلق حب الخير للبشرية جمعاء، وإنما كان الإسلام كذلك لأنه ينظر إلى الإنسانية كلها على أنها يجب أن توجه إليها الدعوة الإسلامية التى تشرح الدين الحق وتوضح أبعاده ويسميها فقهاؤنا: أمة الدعوة، بينما يسمون المسلمين: أمة الإجابة.

وما تُوجَّه دعوة الله ومنهجه إلا لأناس لهم فى قلوب من يدعونهم إلى الإسلام مكانة وحب وتقدير ورغبة فى أن يهديهم الله إلى الدين الحق على أيديهم، وبدليل أنهم طولبوا بأن يدعوهم إلى هذا الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

- ولقد ضرب الإسلام المثل فى التعامل مع الحضارات التى كانت معاصرة له، فأخذ منها دون حرج وأعطاها دون بُخْل أو مَنٍّ، ولم يرفض من معطياتها إلا ما كان مخالفا لثوابت الدين الحق، كالعقائد والعبادات والقيم الخلقية، أما ما وراء ذلك فيما يتصل بجميع المتغيرات فقد أخذ وأعطى، وما قال أحد من علماء الإسلام ولا قادته أو مصلحيه ومجدديه إن هذا غير جائز، ولا قال أحد منهم: إن الإسلام فى صراع مع الحضارات.

- على أنه من الجدير بأن يلحظ أنه قد أتى على المسلمين حين من الدهر كانت حضارتهم هى الأرقى والأعمق والأوسع والأقوى تأثيراً، وما سمعنا من مسلمين يتحدثون عن تميزهم وتفوقهم على الناس بهذه الحضارة التى عم نفعها العالم كله وبخاصة الغرب، ولو فعل أحد من المسلمين ذلك لكان مخطئًا ولأدانته نصوص الإسلام، وإنما ظلت الحضارة الإسلامية تأخذ وتعطى، وتلك سنة الله فى خلقه من يوم أن كان على الأرض حضارات وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

المذهب السابع: المذهب الجمالى فى التربية:

يتناول حديثنا عن المذهب الجمالى فى التربية ثلاث نقاط:

- نظرة الإسلام إلى الجمال فى الكون وفى الإنسان.
- وتعلم الجمال والتعبير عنه فى المدرسة.
- ومآخذ على مدارسنا فى العالمين العربى والإسلامى من الناحية الجمالية.

ولنوضح كل نقطة من هذه النقاط والله الموفق.

١ – نظرة الإسلام إلى الجمال فى الكون وفى الإنسان :

الجمال رمز للكمال الإلهى، وهو صفة لكل ما يُحبِّب الإنسان فى الحياة بنوعيها الدنيا والآخرة، وبالتالى فالجمال صفة محمودة يتصف بها الإنسان حينما يحاكى بها صفة من صفات الله عز وجل مما تستطيعه طاقته وفطرته، لأنه سبحانه وتعالى جميل يحب الجمال.

- والجمال صفة ما ينبغى أن تفارق المسلم فى جميع أحواله عند القول وعند الصمت، وعند العمل وعند الترك.
- والتربية الجمالية تستهدف أن تغرس فى نفس المتعلم صغيراً أو كبيراً حب الجمال والاتصاف به فى كل أمره.

– فى الشكل ملبسًا ومسكنًا وحركة وسكونًا، وروحًا وعقلاً وخلقًا وسلوكًا وتأملاً وتدبراً.

– وفى المضمون أو غير الظاهر للناس، فلابد أن يكون الإنسان جميل الروح والعقل والخلق، وجميل الإحساس والإدراك.

- وعلى المسلم أن يغرس الجمال فيمن حوله من الناس وما حوله من الأشياء والأماكن.
- على الإنسان أن يكون كذلك وأن يفعل كل ذلك انطلاقًا من الحديث النبوى الشريف الذى رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**».
- والجمال قيمة إسلامية ذات بعد إنسانى عام تشتمل على عديد من المفردات التى تستوعب كل ما يحيط الإنسان من ناس وأشياء وأحداث بعد أن تصبغ نفسه بصبغة الجمال، وتظل به هذه الصفة تفعل فعلها فيه وفيمن حوله وفيما حوله حتى يصبح جميلا، فيكون بذلك أهلا لأن يحبه الله تعالى، لأنه سبحانه جميل يحب الجمال.
- إذا نجحت التربية الإسلامية الجمالية فى أن تجعل صفة الجمال ملازمة للإنسان فقد نجحت فى تحقيق أهدافها، بل استطاعت أن تأخذ بيد المجتمع كله ناسه وأشيائه نحو الجمال، أى نحو ممارسة حياة إنسانية جميلة[١].

---

(١) انظر إن شئت التوسع كتابنا: «التربية الجمالية الإسلامية» نشر دار التوزيع والنشر بالقاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- والمدرسة عليها فى التربية الجمالية عبء كبير؛ فهى التى تقدم للمتعلم غذاءه الجمالى، وتنمى فيه قيم الجمال، مستعينة فى ذلك بالقيم الجمالية فى الإسلام -وقد تحدثنا عنها بتفصيل فى كتابنا: التربية الجمالية الإسلامية- إذ ما أكثر القيم الجمالية الإسلامية التى تملأ على المسلمين حياتهم وتدعوهم إلى التمسك بها، وحسبنا هنا أن نشير إلى مجموعتين من قيم الجمال فى الإسلام قد لا ينتبه كثير من الناس إليهما وهما:

– مجموعة شعب الإيمان السبعة والسبعين فى مجال التَّحلِّى بها.

– ومجموعة الكبائر والآثام فى مجال وجوب التَّخَلِّى عنها.

- أما المجموعة الأولى؛ شعب الإيمان؛ فإن التَّحَلِّى بها يضفى على الإنسان جمالا روحيًا وخلقيًا سلوكيًا، وجمالاً اجتماعيًا، وعقليًا وثقافيًا يجعله يغرس الخير حيثما يكون، ويقدم للناس قيمًا نافعة لهم فى دنياهم وآخرتهم.

إن أعلى قيمة جمالية فى مجموعة شعب الإيمان هى: لا إله إلا الله محمد رسول الله أى توحيد الله تعالى إلهًا وربًا وخالقًا ورازقًا، والإيمان بأن محمدًا عبده ورسوله بل خاتم رسله الذى نزَّل عليه خاتم كتبه القرآن الكريم، واتباع ما جاء به منهجًا للحياة الإنسانية الكريمة، وتستمر القيم الجمالية كما أحصاها العلماء فى سبع وسبعين قيمة[1] حتى يكون أدناها قيمة جمالية اجتماعية أخلاقية هى: «إماطة الأذى عن الطريق» فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها أو أرفعها أو فأفضلها**[2] **قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

- أما المجموعة الثانية من القيم الجمالية، فهى مجموعة الكبائر والآثام التى يجب على المؤمن أن يتخلى عن الاتصاف بها، فيصبح بهذا التخلى قد التزم بقيمة جمالية، فهى سبعون كبيرة كما عدها شمس الدين الذهبى الإمام المحدث الحافظ (٦٦٧- ٦٤٨هـ) فى كتابه المشهور: «الكبائر» [3].

---

(١) ألف فى ذلك الإمام البيهقى أحمد بن الحسين (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) كتابه شعب الإيمان -وهو مطبوع فى سبع مجلدات كبار- طبع دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م وقد شرح هذا الحديث الشريف واستعان على شرحه بأحد عشر ألفًا ومائتين وتسعة وستين حديثًا نبويًا شريفًا مرفوعًا فى الأكثر موقوفًا فى الأقل.

(٢) اختلفت فى ذلك روايات المحدثين.

(٣) كتاب الكبائر للإمام الذهبى طبع دار الغد العربى القاهرة: ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

● وإن القيم الجمالية الإسلامية كلها فى مجالى التحلى والتخلى هى قيم ثابتة مستقرة لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الزمان أو المكان. إنها مستقرة فى المجتمع، وإن المجتمع لا يصلح ولا يستقر إلا بها، وإن هذه القيم الجمالية الإسلامية هى ما أمر الله بالتحلى به من الصفات، أو أمر بالتخلى عنه من الصفات، ولهذا كانت هذه القيم من الثوابت فى الإسلام.

● والمدرسة بكل من فيها وما فيها مطالبة دائمًا بأن تجعل لدى المتعلمين فيها قدرة على إدراك الجمال وحبه وتمثُّله والتعبير عنه، ووسائل التعبير عن الجمال عديدة تتعلم كلها فى المدرسة كالأدب شعراً ونثراً فنيًّا، والرسم والزخرفة، والنقوش الجدارية وتشكيل الزجاج الملون أو تلوين الزجاج غير الملون، وصناعة الخزف ونقشه، وصناعة النسيج وغير ذلك مما يدخل فى الأنشطة المدرسية.

٢- تعلم الجمال وتعلم التعبير عنه فى المدرسة:

المدرسة -وهى تعلم أبناءها التعبير عن الجمال- لا تجد مجالا أرحب من مجال الفنون، وذلك أن تعليم الفنون فى المدرسة عمل أساسى من أعمال المدرسة لا يمكن تجاهل قيمته العلمية والفنية والتربوية.

وتعليم الفنون -فوق ذلك- عمل اجتماعى بالغ الأهمية؛ لأن الحياة الاجتماعية للإنسان فى حاجة دائمًا إلى الفنون، حاجة مادية تحقق للإنسان النفع والفائدة، وحاجة معنوية تحقق له نوعًا من الإحساس بالجمال والاستمتاع به، ونوعًا من الرفاهية التى تجعل حياة الإنسان أكثر جمالاً وأحسن تقبلا.

وليس من السائغ تربويًا ولاجماليًا أن يقال: إن ما تقوم به المدرسة من تعليم الفنون والتدريب على إنتاجها، قد تغنى عنه المصانع والمشاغل والمعامل، وبخاصة بعد تطور الصناعات وما وصلت إليه من دقة وجمال.

هذه المقولة غير مقبولة وغير صحيحة، لان المدرسة تغذى فى الإنسان متعة المحاولة والانطلاق فى التعبير، كما أنها توفر للإنسان فرصة التسلية وملء وقت الفراغ بما يمتع ويفيد، وتحقق له متعة رؤية عمله الفنى وقد حشد له كل طاقاته الإبداعية.

فضلا عن ذلك كله فإن تعليم المدرسة للفنون تعبيراً عن الجمال يتيح للمدرسة وللمجتمع فرصة الكشف عن المواهب لدى الأبناء ثم تعهد هذه المواهب وحسن توجيهها ورعايتها وتنميتها، وكل ذلك فى صالح المجتمع كله.

● وفى تعلم الفنون والتعبير بها عن الجمال داخل المدرسة وعلى أيدى مدرسين متخصصين، تحدث صلة لدى كثير من المتعلمين بين العمل الفنى والعمل الحرفى -بعد التخرج فى المدرسة- وبهذا تزداد صلة المتعلم فى المدرسة بالمجتمع ويقترب من معرفة احتياج المجتمع إلى تلك الفنون، فإذا أقبلوا على ممارسة تلك الفنون وأنتجوها جاءت جيدة ومعبرة ومفيدة للمنتج وللمجتمع نفسه.

● ومهما تحدثنا عن الصناعة وتقدمها وجودتها ووفرتها ورخص أسعارها فكان ما نقوله فيها حقًا وصدقًا، فإن ذلك ما ينبغى أن يصرفنا عن الاهتمام بالفنون فى المدرسة، وتعليمها والتدرب على إنتاجها، لأن ذلك ينمى فى المتعلم إحساسه بالجمال، وينمى قدرته على التعبير عنه إبداعًا وابتكاراً، وفى ذلك ثراء للفن ذاته وثراء لمن عَبَّر عنه وثراء للمجتمع كله.

● وقد يتصور بعض الناس أن التربية العامة للمتعلم التى تتناول جوانب شخصيته؛ لا تخسر كثيراً إذا لم توجه اهتمامها للتربية الفنية، وذاك تصور قاصر وغير صحيح لأن فيه تجاهلاً للتربية الجمالية لدى المتعلم، وهذه التربية الجمالية لا يُعبَّر عنها إلا بالفنون، وممارسة الفنون أو التربية الفنية فى المدرسة لما لذلك من أثر فى إيقاظ الإحساس بالألوان، والأشكال والمساحات، والأصوات والحركات ونحوها، وما لم يتزود الإنسان بهذا الزاد فَقَد كثيراً من جوانب شخصيته الإنسانية، وعاش بعيداً عن الإحساس بما حوله من جمال، وبعيداً عن التفاعل مع هذا الجمال، وبعيداً عن ممارسة العمل الفنى المحبَّب إليه لما يُمَكِّنه من التعبير عن الجمال.

وعندما يعيش الإنسان بعيداً عن الإحساس بما حوله من الجمال فإنه يعانى ويخسر فى مجالات عديدة منها:

- شعوره بالانعزال عن مجال الإنتاج الفنى والإبداع فى التعبير عما يحيط به من مظاهر الجمال، وهذا الشعور بالانعزال كثيراً ما يولد فى نفسه الإحساس بالفشل والسلبية.
- وشعوره بالانفصال عن المجتمع، لأن هذه الفنون التى حرم منها من الحاجات الأساسية للمجتمع، وربما فقد الثقة بالمدرسة التى لا تعلمه ما يربطه بالمجتمع.
- وحرمانه من القدرة على تذوق الجمال لأنه لم يستعمل ذكاءه ولا حواسه فى التعبير عن هذا الجمال من خلال لسانه أو يده أو بصره أو سمعه أو نحوها.

- وحرمانه من انطلاق خياله وهو يتعلم الفنون، لأن التعبير بالفنون عن الجمال يطلق الخيال، وبخاصة عندما يكون المعلم مخلصًا واعيًا يدرك أهداف التربية الفنية ويحرص على تحقيقها.

٣- بعض المآخذ على مدارس العالمين العربى والإسلامى من الناحية الجمالية:

مما يؤخذ على مدارسنا فى العالمين العربى والإسلامى، وبخاصة فى مرحلة ما بعد التعليم الأساسى أو الابتدائى أنها تتجاهل تاريخ الفنون لتصورها أن تاريخ الفنون يعنى المتخصصين فى الفن، وهذا تصور فيه قصور.

كما أن مدارسنا هذه تتجاهل التمرس العملى بالفنون، وتتجاهل التأمل فى نماذج الفنون قديمها وحديثها، ومدى ما لهذه الفنون من أثر فى إنضاج شخصية الإنسان وتكاملها وإقدارها على التفاعل مع الحياة، ويعللون هذا التجاهل كله بأن مثل هذا لا يلزم إلا من أراد أن يدرس الفن دراسة جامعية، وهو تصور قاصر كما قلنا آنفًا، ومن آثاره أنه يحول بين المدرسة وأداء وظائفها الاجتماعية والتربوية، كما يحول بين المتعلمين وفرص الكشف عن مواهبهم واستعداداتهم.

- ومن الغريب العجيب أن القائمين على التعليم فى العالمين العربى والإسلامى لا يستجيبون للمقترحات التى تحسن التعليم وتقربه من أداء وظائفه، ولعل السر فى غلق الآذان والعقول عن الاستجابة لنصائح الناصحين أن القائمين على التعليم يعتبرون أنفسهم مسئولين سياسيين لا تربويين، وأن كل مقترح لتحسين التعليم ما لم يرد من الحزب الحاكم أو الحاكم نفسه فإنه مقترح مرفوض لأنه يتضمن نقد التعليم وسياسته مع أن حكومات العالمين العربى والإسلامى فوق النقد ولا ينقصها شىء ولا يعيبها شىء لأنها من وضع الزعيم الملهم المفدى وحاشيته، ومن توجه لها بنقد فهو عدو وهو جدير بأن يلقى فى غياهب السجون أو يموت فى التعذيب!!!

فإن ادعى أحد المسئولين عن التعليم أنه يقبل المقترحات والنصائح فإنه لا يأخذ بها، وإنما يحيلها على عدد من حاشيته ليردوا عليها ويبرروا عدم الأخذ بها!!!

- والنظام الشمولى المستبد فى معظم بلدان العالمين العربى والإسلامى يدعى علم كل شىء، والقدرة على كل شىء، وأن الإلهام حليفه دائمًا، وأن السعد يمشى فى ركابه، والناس يعيشون فى بؤس وقمع وإهدار لأبسط حقوق الإنسان!!!

وإذا كانت الأنظمة الحاكمة أغلبها كذلك، فإن من رحمة هذه الأنظمة أنها لم تقدم صاحب الاقتراح إلى محاكمة عسكرية وأن تسوق ضده ادعاءات أصبحت معروفة بل محفوظة تبدأ بعمله على تعويق الدستور وتنتهي بعمله على تغيير نظام الحكم بالقوة!!!

والحديث في هذا ذو شجون وأوجاع.

المذهب الثامن: المذهب النفعي في التربية:

ويسمى أحيانًا: المذهب الغائي في التربية، ويعبَّر عنه بالمذهب «البرجماتي» ويقوم هذا المذهب على فلسفة متشابكة بعضها يقدِّر العمل اليدوي وبعضها يقدر العقل، وبعضها يقدر المغامرة، ولكنها تحترم النجاح والمنفعة، والنفعية أو البرجماتية تعبر عن الروح الأمريكية؛ فالمذهب النفعي في التربية مذهب أمريكي - أي معاصر لأن أمريكا كلها معاصرة، وتاريخها لا يتجاوز المائتي عام إلا بقليل أو كثير إلى حدٍّ ما.

ونكتفي بموجز عن ذلك المذهب النفعي في التربية نقصر الحديث فيه على ثلاث نقاط:

- أسس المذهب النفعي في التربية.
- وخصائص المذهب النفعي في التربية.
- وطرق المذهب النفعي في التربية.

١- أسس المذهب النفعي في التربية:

هذه الأسس قامت على الفلسفة النفعية، وهذه الفلسفة شارك في وضعها ثلاثة رجال هم: «تشارلس بيرس» (١٨٣٩ - ١٩١٤م) و«وليام جيمس» (١٨٤٢ - ١٩١٠م) و«جون ديوي» (١٨٥٩ - ١٩٥٢م) وعلى الرغم من اختلاف تخصصاتهم إلا أنهم اجتمعوا على الفلسفة، ثم تعمق جون ديوي في التربية أكثر منهما.

والأسس التي يقوم عليها المذهب النفعي في التربية نشير إليها في إيجاز شديد فيما يلي:

أ- أن الفكر الإنساني يجب أن يكون له غاية وهدف، فالمذهب النفعي في التربية يجب أن يكون كذلك يسعى نحو تحقيق هدف تربوي وغاية تربوية، تعود على صاحبها بالنفع المادي المحسوس في مجال التعليم وفي كل مجال.

وقد عَبَّر أحد أقطاب المذهب النفعي عن ذلك بالقيمة الفورية لكل ما يوصف بأنه صادق.

كما أن الفكرة إذا لم تؤد إلى سلوك يسلكه الإنسان فى عالم الواقع، فهى فكرة زائفة باطلة.

ويرى «البرجماتيون» أن التفكير الصادق هو الذى يؤدى إلى منفعة، لأن المنفعة عندهم هى التى تحدد صدق الفكرة أو كذبها.

ب- وأن الحقيقة هى فى جملة التجارب الإنسانية، والعلاقات كلها علاقات تجريبية تدرك إدراكًا حسيًا، حتى علاقات الزمان والمكان والوحدة والكثرة والكم والكيف، كلها عند «وليام جيمس» معان مستمدة من التجربة، وبالتالى فإنه يمكن إدراكها إدراكًا حسيًا.

والتجارب الإنسانية عنده فرصة للتمتع بما فى الواقع من حيوية وأصالة وثراء.

والصدق ما هو إلا اسم لعمليات تحقق الثروة والصحة والقوة، فليست هذه منحًا من الطبيعة ولكنها نتائج لتجارب إنسانية قام بها بعض الناس، فالناس يصنعون القوة والصحة والثروة، وبالتالى يصنعون الصدق نفسه، فالصدق عندهم سلسلة عمليات تجريبية.

جـ- وأن الحق أمر نسْبى - أى غير مطلق - وإنما يقاس إلى زمن معيَّن ومكان معين وفقًا لما يسود هذا الزمان أو ذلك المكان من تقدم علمى.

والعقل - عندهم - ما هو إلا التوجيه الذكى لمناشط الإنسان بحيث تؤدى إلى تحقيق حاجاته، أو حل ما قد يعترضه من مشكلات.

والعقل الاجتماعى هو القدرة على فهم الأشياء عن طريق استعمالها فى أوضاع مشتركة، فهو طريقة للسيطرة الاجتماعية، بعد الوقوف على معانى الأشياء ومعرفة مدى ما فيها من نفع وفائدة.

إن العبرة عند «البرجماتيين» بمجال الخبرات والتجارب، لما فى ذلك من قدرة على التغيير والسير بالعمل إلى النجاح.

د - وأن المعرفة يجب أن توظف لخدمة مطالب الحياة.

وذلك أن «جون ديوى» فيلسوف التربية «البرجماتية» يرى أن المعرفة ليست أولية -كما كان يقول الفلاسفة - ولا هى سابقة على التجربة، وإنما هى نابعة من التجربة والخبرة بل إن المعرفة ثمرة للخبرة والتجربة.

والمعرفة عنده هى ذلك الذى يغير العالم ويؤثر فيه ويوجهه، وهى معرفة حقًّا إذا

استطاعت أن تخدم مطالب الحياة الإنسانية وتوظف نفسها لها لتطورها وتحسنها، وذلك يؤكد أن التربية عندهم نفعية للإنسان فى حاضره ومستقبله، فلا بد أن تشارك المعرفة فى مجرى حياة الإنسان، ولا تكتفى بعمل من يشاهد من الخارج ولا يتدخل فى الأحداث ويؤثر فيها وفى الإنسان.

٢- خصائص المذهب النفعى فى التربية:

لهذا المذهب النفعى فى التربية خصائص تميزه عن سواه من المذاهب، وتتبع هذه الخصائص من خلال « جون ديوى » وحده وما كتب مسألة تخرج بنا عما ينبغى أن يكون عليه مدخل الكتاب من تركيز وإيجاز، لأن ما كتب فى هذا المذهب وما سطره « جون ديوى » وحده أكبر وأكثر من أن تتسع له هذه الصفحات، فما بالنا لو أضفنا إلى ذلك ما كتبه « بيرس » و« وليام جيمس »؟

لذلك سوف نكتفى بالإشارة إلى هذه الخصائص فيما يلى:

أ- تجهيز المدرسة بحيث تشارك فيما يحدث فى المجتمع:

لا تكون المدرسة موضعًا للثقة فيها، ولا قادرة على أداء وظائفها إلا إذا جهزت تجهيزًا علميًا وعمليًا بحيث تخرج عن نطاق المدرسة القديمة التى كانت معدة ليتلقى فيها التلاميذ دروسهم، وإنما يجب أن تجهز المدرسة الحديثة - عند أصحاب هذا المذهب - بكل وسائل العمل، وبالأدوات والمواد، بل بالأماكن غير التقليدية - كالفصول - لممارسة العملية التعليمية.

كما يرون ضرورة تعديل أساليب التعليم والإدارة المدرسية بحيث يتيسر للتلاميذ ممارسة دروسهم عمليًا باستخدام الأشياء والمواد استخدامًا مباشرًا - كأنهم فى مصنع « ورشة »- يمارسون عملهم بأيديهم.

وليس معنى ذلك التقليل من شأن اللغة إذ هى وسيلة التفكير الإنسانى وأداته فنحن « نفكر باللغة »، فهذه اللغة هى التى تعبر لنا عما فى المدرسة وعما يجرى فى المجتمع، ولا غنى عنها بحال وإلا انقطع التفكير وانقطع التعبير، ولم تستطع المدرسة أن تشارك ولا أن تستجيب لما يحدث فى المجتمع.

ولا يتفق هذا مع ما يطالب به أصحاب هذا المذهب من ضرورة ألا تبتعد المدرسة عما يحدث فى المجتمع، لأن اتصال التلميذ بالمجتمع مفروض عليه فرضًا لا يستطيع الفكاك منه فهو وأسرته محضنه الأول من صميم المجتمع.

والتلميذ يتعلم فى منزله ما يستخدمه فى المدرسة، كما أنه يتمكن من تطبيق ما تعلمه فى المدرسة فى منزله أو فى المجتمع، وبهذا يَنْهدم جدار العزلة الذى تقيمه المدارس التقليدية بينها وبين المجتمع.

وتلك نقطة تحسب لأصحاب هذا المذهب النفعى فى التربية لأن الربط بين المدرسة بمعناها الواسع والمجتمع وحاجاته مطلب تربوى سياسى اجتماعى اقتصادى.

ب- وأن تقوم التربية فى المدرسة على التفكير العلمى:

يرى أصحاب هذا المذهب أن التفكير العلمى الذى يجب أن تقوم عليه التربية يرفض ما كان سائداً فى المدرسة التقليدية من اعتماد العملية التعليمية التحفيظ والتلقين، والتكرار، والتقليد، وهذا بدوره يؤدى إلى إضعاف روح الابتكار عند المتعلمين، فضلاً عن أن أسلوب التلقين يُكَوِّن نوعًا سلبيًا من المواطنين لا يحاور ولا يتساءل ولا يعترض لكنه يؤمر فيطيع، ولا يكلف نفسه عناء التفكير، وفى ذلك بل فى بعضه إعاقة للرغبة فى الابتكار والتقدم على المستوى الشخصى وعلى مستوى المجتمع.

ويرى «جون ديوى» أن التفكير محاولة تنم عن وعى وقصد تستهدف الكشف عن الروابط بين الأفعال وما يترتب عليها من نتائج، بل يرى أن التفكير هو عملية تسهم فى إعادة تنظيم الأمور وتجديد الظروف الواقعية للناس حتى تكون أنسب لهم، وقادرة على تحقيق أهداف الإنسان التى من أبرزها رغبته فى السيطرة على البيئة المحيطة به، وتسخير ما فيها لكى تحقق له النفع والفائدة.

- وللعملية التعليمية عند «جون ديوى» أسس تقوم عليها.. نوجز الحديث فيها فيما يلى:

– أن يجد الطالب نفسه فى وضع خبرة حقيقى، تنبعث منه مشكلة تحفزه على التفكير والبحث عن حل لهذه المشكلة.

– وأن يكون الحل للمشكلة التى يواجهها التلميذ متخذاً من الصعاب والرغبة فى حلها فرصة للتعامل مع الواقع المحيط به.

– وأن تكون أفكار الطالب فى حلول المشكلات أفكاراً تطبيقية لأن التطبيق هو محك الاختبار، وهو الذى يؤدى فعلاً لا نظريًا إلى الحل.

ولكى يكون التفكير جيداً وضرورياً للتربية فلا بد له من صفات أهمها :

- التحرر العقلى : أىْ تخلص العقل المفكر من التعصب والانحياز ، وانفتاحه على ما يستجد من آراء ومشكلات ، بل طرد المخاوف من كل جديد .

- والبعد عن التشتت : ولا يَقْرُب التفكير من المواد التى تعرض عليه إلا إن كانت قريبة من ميوله ورغباته ، وتلك مهمة المدرسة ومعلميها .

- وأن يكون المفكر مسئولاً عما يفكر فيه : بمعنى أن يفكر فى عواقب ما فكر فيه ، ويبدى استعداداً لتحمل المسئولية عنه .

● والمدرسة مسئولة تماماً عن تحقيق أسس العملية التربوية وعن تحقيق الصفات المطلوبة فى التفكير الجيد .

جـ- والتوجيه الاجتماعى لعملية التربية :

يعتقد « البرجماتيون » بقدرة التربية على التغيير والتحويل عندما يعجز الفكر عن ملاحقة ما يحدث من تغير وتحول .

يؤكد ذلك « جون ديوى » بمقولات هامة له فى هذا المجال منها :

- التربية ظاهرة طبيعية فى الجنس البشرى ، عن طريقها يرث الإنسان ما كونته الإنسانية من تراث ثقافى على مَرّ تاريخها وكرّ أيامها .

- والتربية تتم بطريقة لا شعورية من خلال التقليد والمحاكاة بحكم معيشة الفرد فى المجتمع ، ومن خلال ذلك كله تتاح للحضارة الإنسانية فرصة الانتقال من جيل إلى جيل .

- والتربية الجيدة تتطلب معرفة ودراية بنفسية المتعلم من جانب وبحاجات المجتمع من جانب آخر .

● والجانب النفسى مع الجانب الاجتماعى يجب أن تعتمد عليهما معًا التربية الجيدة ، دون أن تُخضِع أحدهما للآخر أو تجعل أحدهما بمعزل عن الآخر ، وهذا تفسير للتوجيه الاجتماعى للتربية .

وعندما ينفصل الجانب النفسى عن الجانب الاجتماعى فى التربية يطغى أحد الجانبين على الآخر ويخمله ، وهذا من عيوب عدم التوازن بين الجانبين ، إذن فلابد من التلاؤم بينهما ومراعاة أنهما متكاملان لا يستغنى بأحدهما عن الآخر بل يكمله على الرغم من اختلاف كل منهما عن الآخر .

٣- طرق المذهب النفعى فى التربية:

للمذهب النفعى فى التربية طرق عديدة يتخذها وسائل لتحقيق أهدافه، وسوف نقصر الحديث من هذه الطرق على ثلاثة فقط نرى فيها الكفاية، وهى:

- طريقة «دالتون».
- وطريقة المشروعات.
- وطريقة «جون ديوى».

أ- طريقة «دالتون»:

تنسب هذه الطريقة فى التربية إلى مدينة صغيرة فى: «ماساشوستس» بأمريكا.

وكانت تسمى الطريقة التقدمية فى التربية[١].

وقد بدأت الطريقة التقدمية فى التربية فى أوربا على أيدى المربين:

- «فروبيل» ألمانى عاش (١٧٨٢ - ١٨٥٢م).
- و«بستالوتزى» سويسرى عاش (١٧٦٩ - ١٧٩٨م).
- و«مونتيسورى» إيطالية عاشت (١٨٧٠ - ١٩٥٢م).

كما بدأت فى أمريكا فى «ألينوى» على أيدى:

- «باركر» إنجليزى عاش (١٨٧٥ - ١٩٦٠م).
- و«جون ديوى» (١٨٥٩ - ١٩٥٢م).
- و«وينتكا» وهى ضاحية من ضواحى «شيكاغو» وضع: «كارلتون شبورن» (١٨٨٩- ١٩٦٨م) طريقة تعليم نسبت إلى «وينتكا»، ثم شاعت فى أمريكا منذ سنة ١٩١١م فى مدينة «دالتون»..

ثم فى «نيويورك» سنة ١٩٢٢م.

● وصاحبة هذه الطريقة هى: «باكهرست»..

وقد جربتها فى «دالتون» ثم فى «نيويورك» وفكرتها؛ أن التعليم يكون أفضل إذا اقترن

(١) تقابلها الطريقة القديمة فى التربية.

بالعمل، واعتمد على الاهتمام الذاتى عند الطفل، وجرى فى مواقف تشبه مواقف الحياة اليومية، وإفساح المجال للطفل ليقود بنفسه بناء الخبرات وحل المشكلات بعيداً عن السلطة المدرسية وتحكمها.

● وتقوم طريقة «دالتون» على أساسين:

الأول: أن يترك المربّى للطفل حريته الكاملة.

والآخر: أن ينمى المربّى فى الطفل ملكاته الخاصة به.

ويترتب على ذلك أن يوزع على كل طفل منهاجه الخاص به، مع الحرص على إبقاء روح الجماعة من خلال فرق العمل الخاصة، كما يترتب على هذه الطريقة أن يتحمل الطفل مسئوليته، وأن يُعطى الحرية المدرسية أى لا يقيد بالصفوف الدراسية ولا بالمقاعد التقليدية.

ب- طريقة المشروعات:

تقوم طريقة المشروعات على مبدأ أن تكون المعلومات التى يحتاج إليها المتعلم حلقة حول مشروع ما، مشروع مرتبط بالأعمال والأشغال اليدوية على الخشب أو المعدن أو الطباعة أو صناعة النسيج أو غيرها.

ومن خلال هذه الأعمال اليدوية فى تلك المشروعات يمكن استيعاب المنهج شيئًا بعد شيء.

وهذه المشروعات فردية تخص كل تلميذ على حدة، ولكن يمكن أن تكون مشروعات جماعية يكون العمل فيها من خلال فرَق تعمل بتعاون فيما بين أفرادها.

● وطريقة المشروعات تستهدف هدفين:

أولهما: تقديم محتوى عملى حىّ للتعليم، بديلاً عن المحتوى اللفظى المعتمد على الكتاب.

والآخر: اعتماد المجرى الطبيعى لاكتساب المهارات عند الطفل وهو ما يستند إلى نمو الفعاليات المعنوية عند الطفل بحيث يربط جهوده كلها بتحقيق غاية معينة، وذلك بديلاً عن التعليم التلقينى.

جـ- طريقة «جون ديوى»:

وهى طريقة تقوم على الخبرة فى التربية، وعلى الجانب العملى التجريبى، ولذلك يطالب «جون ديوى» المدرسة بأن تهيئ للتلميذ بيئة تتسم بالحيوية والواقعية.

ويرى أن المدرسة التى ترفض أن تكون مكانًا للحياة مدرسة فاشلة تحكم على نفسها بالموت، لأن المسلَّم به بين علماء التربية أمران جوهريان:

أحدهما: أن الطفل يجب أن يتعلم ما يحب أن يمارسه.

والآخر: أنه يجب أن يتعلم ما ينجح فى أدائه.

ولذلك وضع «جون ديوى» للخبرة التى تقوم عليها التربية صفات وشروطًا عديدة نذكر منها:

- أن تكون غير مفككة بل متكاملة.
- وأن تكون غير منقطعة الصلة بالماضى وإنما تجمع بينه وبين الحاضر.
- وألا يترتب عليها الفصل بين ما هو نظرى وما هو عملى تجريبى يقوم على الخبرة.
- وأن تكون مرتبطة بالبيئة ومعبرة عنها ومتنوعة بتنوع البيئات، كالقرية والمدينة والمصنع... إلخ.
- وأن تتناول الظروف الخارجية الموضوعية كأساس فى الوقت الذى لا تتجاهل فيه الجوانب الداخلية للطفل كظروفه النفسية والعقلية ونحوهما.
- وأن تكون الخبرة متواصلة غير منقطعة مؤثرة فى الخبرات التالية، أى مستمرة.

وبعد هذا الاستعراض الوجيز لطرق التربية فى المذهب النفعى فى التربية، نحب أن نوجز الأسس التى تقوم عليها هذه الطرق، وهى أسس تربوية، ومن ذلك:

- علم النفس التجريبى، وعلم النفسى التكوينى، وعلم النفس الاجتماعى.
- وفردية التعليم أى جعل المدرسة على هوى التلميذ، وليس قهر التلميذ ليواكب متطلبات المدرسة، ومع هذه النزعة الفردية فإنه يمكن الاستعانة بالنزعة الاجتماعية فى مجال ما يخدم النزعة الفردية.
- و«الديمقراطية» فى التربية، أى الحوار والتساؤل، وليست القهر والإملاء، لأن القهر يربى جبناء فاشلين.

- وثقافة التلميذ تتم من خلال قناتين:

إحداهما: التدريبات المقنَّنة.

والأخرى: الأنشطة العفوية.

الموضوع الثانى: المدرسة.. وظائفها والمؤسسات المعينة لها

هذا هو الموضوع الثانى من مدخل الكتاب، ويتناول هذا الموضوع ثلاث نقاط:

الأولى: المدرسة عند أصحاب الحضارات القديمة.

والثانية: المؤسسات المعينة للمدرسة.

والثالثة: نفاة المدرسة ومنكروها.

المدرسة فى تعريفها البسيط:

المدرسة هى: مكان الدرس والتعليم.

والمدرسة: جماعة من المفكرين أو الفلاسفة أو الباحثين يعتنقون مذهبًا معينًا، أو يقولون برأى مشترك فيما بينهم.

والمِدْراس والمدرَس: الموضع الذى يدرس فيه.

وقد وردت كلمة المدراس فى الحديث الشريف الذى رواه بعض أئمة الحديث النبوى، فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما نحن فى المسجد خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**» فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام رسول الله ﷺ فناداهم: «**يا معشر يهود، أسلموا تسلموا**، فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم، **قال**: **ذاك أريد**......» الحديث.

- وسوف نتحدث فى النقطة الخاصة بالمدرسة عن أمرين:

- تاريخ المدرسة عند أصحاب الحضارات القديمة.

- وتاريخ المدرسة فى الإسلام.

ونسأل الله التوفيق.

١- تاريخ المدرسة فى الحضارات القديمة

ونعنى بهذه الحضارات القديمة تلك التى سبقت ظهور الإسلام وهى عديدة اكتفينا منها بالحديث الموجز عن سَبْع فقط هى:

أ- المدرسة عند قدماء المصريين:

كان لقدماء المصريين شغف بالعلم واهتمام بالتعليم، حتى إنهم أطلقوا على أمكنة تلقى العلوم والمعارف: «بيوت الحياة» أو «بيت الحياة».

وأصبح هذا التعبير عندهم علمًا على كل دار لها صلة بالكتابة والقراءة والثقافة، بل الصناعات المختلفة.

وكان بيت الحياة تابعًا للمعبد، كما كان يتبع المعبد بيت «النُسَّاخ» الذين ينسخون المتون الدينية الخاصة بالشعائر، سواء ما كان من هذه الشعائر يتلى فى الصلوات أو ينشد فى الأعياد.

وكان النساخ يقومون بأعمال النسخ تحت إشراف معلمين مهرة من الكهان والعرفاء.

● وكانت المدارس أو بيوت الحياة تضم إلى جانب المتعلمين والنساخ هواة الفنون المختلفة كالنحت والتصوير والتلوين و«التمثيل» التشخيص.

كما كان يؤم المدارس أو بيوت الحياة من كانوا يقومون بكتابة الرُّقَى والتعاويذ التى يزودون بها الموتى معتقدين أنها تعينهم على اجتياز البرزخ من الحياة الدنيا إلى حياة الخلود.

وقد تطورت هذه المكتوبات على أيدى العلماء حتى أسموها: «مُتون الأهرام» أيام الدولة القديمة.

وأسموها: «متون الأكفان» أيام الدولة الوسطى.

ثم أسموها: «كتاب الموتى» على أيام الدولة الحديثة.

● وقد أخذ اليونانيون عن المصريين القدماء؛ الدروس الأولى فى العلم والفلسفة.

وعند التأمل فى مدارس المصريين القدماء أو بيوت الحياة، نجدها لا تختلف كثيراً عن مدارس اليهود ومعابدهم، ولا عن كنائس النصارى، ولا عن مساجد المسلمين.

ب- المدرسة عند الفُرس:

كان التعليم عندهم منحصرًا فى المجوس وهم طائفة من الكهنة كانوا حكماء المملكة ومشترعيها وقضاتها، ومعبرى أحلامها ومنجميها ولذلك كانوا أصحاب النفوذ فى المملكة.

ولم يكن عند الفرس نظام عام للتعليم، بل كان التعليم بسيطا بالنسبة للشعب، بينما كان دينيًا وعاليًا بالنسبة للمجوس، وكان تعليمًا عسكريًا وسياسيًا بالنسبة للمحاربين.

- وكان التعليم مقصوراً فى الغالب على أبناء الأغنياء، وكان المعلمون هم الكهنة.

وكان التلاميذ يجتمعون ويتلقون التعليم فى الهيكل أو فى بيت الكاهن.

- والمدارس لا تكون بالقرب من السوق؛ لما يسود الأسواق من صخب وسباب وغش وكذب، مما يخشى أن ينتقل إلى الصغار، ومن يرتادون المدرسة.
- وكانت المقررات الدراسية تشتمل الدين والقانون والطب، والكتب المدرسية تكاد تكون منحصرة فى شريعة الفرس التى يحتويها «الأبستاق» والشروح التى عليه(١).
- وطريقة التدريس تقوم على التلقين والتحفيظ عن ظهر قلب وتكرار الفقرات الطويلة حتى تحفظ غيبًا.
- وكان التعليم مستويَيْن:

- ما كان يتعلمه أبناء الطبقات العليا والموسرة، وذلك هو الشريعة والدين والطب والقانون.
- وما كان يتعلمه أبناء الطبقات الأخرى، وهو مقصور على ركوب الخيل والرمى بالقوس ونحو ذلك.

- أما التعليم العالى الذى يمتد بالتلميذ إلى أن يبلغ سن العشرين أو الرابعة والعشرين فكان مقصوراً على أبناء الأثرياء، وكانوا يعلمون ويدربون على القتال جميعًا، ومنهم من كان يُعد إعدادًا خاصًا لتولى المناصب أو حكم الولايات.

---

(١) الأبستاق هو شريعة الفرس التى تنظم للناس حياتهم فتحل لهم وتحرم عليهم، وتفرض عليهم العقوبات عند المخالفة.

• على أن حياة الطلاب فى هذه المدارس العليا، كانت شاقة مثل: الجرى مسافات طويلة، وركوب الخيل الجامحة، ومطاردة اللصوص، والسباحة، وصيد الحيوان، والمشى أو الجرى فى حر الشمس اللافح، أو فى برد الشتاء القارس، وكانوا يتدربون على تناول الطعام الخشن.

جـ- المدرسة عند اليهود:

أخذ اليهود من المصريين القدماء - أيام كانوا فى مصر - كثيراً من العلوم والمعارف، لكن لم يكن عندهم نظام تعليمى عام، وإنما هى تربية دينية فى أغلب ما يعلمون، وكان الدين أساساً لنظامهم السياسى، وآدابهم.

ولم تعرف عند اليهود مدارس عامة، وإنما كان المعروف عندهم هو ما كان أنبياؤهم عليهم السلام يعلمونه الناس.

وكان ما يُتعلَّم هو ناموس موسى عليه السلام وما يأمر به من طاعة للوالدين واتباع للدين.

• وكان اليهود يعلمون البنات الغناء والرقص والعزف على الآلات الموسيقية، ومن هؤلاء شهيرات فى تاريخ اليهود.

• وبعد انتهاء الأسر البابلى لليهود - الذى استمر من سقوط أورشليم فى أيدى البابليين سنة ٥٨٥ قبل الميلاد إلى أن انتهى الأسر سنة ٥١٦ قبل الميلاد أى ما يقرب من سبعين عامًا - أقام الربانيون مدارس كان يتعلم فيها الأولاد من سِنّ الخامسة أو السادسة من عمرهم، وكان التلاميذ يتعلمون فى هذه المدارس الكتب المقدسة والتفاسير، ويحفظون ذلك عن ظهر غيب.

وكان التعليم شفاهيا ولم يكن أحد من المتعلمين يقيد شيئًا مما يتعلمه على الورق، لأن الكتابة لم تكن شائعة عندهم فى ذلك الوقت وإنما شاعت بعد ذلك.

• ومن أشهر مدارس اليهود المدارس الربانية القديمة المسماة: مدارس يمينا - التى كان بولس الرسول من تلامذتها.

كما عرفت لهم مدارس فى أورشليم، وبابل، والإسكندرية، غير أن أكبر هذه المدارس كان فى بابل ومصر وفارس والأندلس.

د- المدرسة عند الهنود :

المجتمع الهندى كان قائمًا على الطبقية؛ فكان التعليم فيه متاحًا لأبناء البراهمة أولاً، ثم لغيرهم من بعد ذلك، وكانت طبقة المنبوذين محرومة من التعليم.

وكان رجال الدين هم الذين يقومون بعمل المعلمين، والتعليم كله دينى يقوم على الاستظهار، وبحفظ من النصوص الدينية «الڤيدات» وكان منهج التعليم يشتمل على القراءة والكتابة والحساب، مع تفضيل القيم الخلقية وجعلها ذات أولوية فى الدراسة.

- وللتعليم عند الهنود هدف رئيسى هو تكوين العادات السلوكية الإنسانية التى تكون بعيدة عن المآخذ والعيوب.
- ومراحل التعليم عندهم هى :

– تبدأ من سنّ الخامسة إلى الثامنة وهى المرحلة الأولى.

– ثم من سنّ التاسعة حتى سنّ العشرين، وفى تلك المرحلة يلحق التلميذ بشيخ يعتبر معلمه الخاص أو رائده. يعايشه التلميذ ويؤدى له بعض الخدمات، وشيخه يطالبه بالتحلى بصفات أخلاقية حميدة كالعفة والنظافة والتواضع، والامتناع عن أكل اللحوم.

- ومنهج التعليم فى هذه الفترة يشتمل على علوم خمسة هى :

– النحو.

– والفنون والصناعات.

– والمنطق.

– والفلسفة.

– والطب.

فإذا أتم دراسة هذه العلوم خرج ليمارس الحياة.

وكان لهم مقولة فى اكتساب التعليم تقول :

التعليم يتحصل رُبْعُه من المعلّم، وربعه من الدراسة، وربعه من الزملاء، وربعه من الحياة.

- وكان من حق الطالب إذا بلغ من العمر ستة عشر عامًا أن يترك شيخه ليلتحق بإحدى الجامعات الكبيرة التى كانت معروفة فى الهند بتخصصات علمية معينة مثل :

- جامعة: «بنارس» وهى متخصصة فى التعاليم البرهمية منذ أيام «بوذا».

- وجامعة: «تاكسيلا» وهى متخصصة للبحث العلمى، وأشهر مدارسها مدرسة الطب، وكانت قائمة على عهد غزو الإسكندر الأكبر للهند.

- وجامعة: «يوجين» وكانت متخصصة فى علم الفلك ولها فيه شهرة.

- وجامعة: «أجانتا» وهى متخصصة فى تعليم الفنون والصناعات.

- وجامعة: «نالندا» وهى متخصصة وذات شهرة واهتمام بالديانة البوذية، وقد أنشئت بعد موت «بوذا»(1).

وكان بهذه الجامعة عشرة آلاف طالب، وبها مائة قاعة للمحاضرات، ومكتبات ضخمة، وبنايات عديدة للسكنى.

● والجامعات تختار طلابها بعد امتحانات عديدة، ومن اجتاز هذه الامتحانات قبلته الجامعة، وكفلت له السكن والغذاء مجاناً.

ومدة الدراسة فى الجامعات اثنتا عشرة سنة.

هـ- المدرسة عند اليونان:

دخلت الكتابة والقراءة بلاد اليونان عن طريق «الفينيقيين» خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، بدليل التشابه الكبير بين الحروف اليونانية والحروف السامية، وبدليل كتابة اليونانية من اليمين إلى اليسار كالسامية أيضاً.

● واستعملت الكتابة فى بلاد اليونان فى الأغراض التجارية أو الدينية.

ويرى بعض الباحثين أن الرُّقَى والتعاويذ التى كان يتلوها القساوسة كانت بداية «للشِّعر»، وأن ما كان يُكتب فى أوراق شحن السفن كان بداية «للنثر».

● والكتابة عند اليونانيين قسمان:

أحدهما: دقيق منتظم يُنقش على الحجارة أو البرونز أو الرصاص.

والآخر: الكتابة الدارجة التى تستخدم فى الأغراض اليومية، وتكتب على أوراق

---

(1) ولد «بوذا» ومات فى القرن الخامس قبل الميلاد. وتقول البوذية بأن الإنسان يحصل على المعرفة إذا تخلص من شهوات جسده، والاعتقاد بأن الحياة شيء أليم، وضرورة الاستقامة الخلقية.

الأشجار أو لحائها، وألواح الطين كما كان يفعل أهل ما بين النهرين، وربما كتبوا على ألواح من الخشب مغطاة بطبقة من الشمع.

● وإذا أرادوا أن يكتبوا شيئًا يبقى طويلاً كتبوه على أوراق البردى التي كان يأتي بها «الفينيقيون» من مصر، وكانت أقلامهم من الغاب ومدادهم الحِبْر، ولم تكن الكتابة والقراءة مشتهرة عندهم، وكانت تتعلم عن طريق التلقين من جيل إلى جيل.

وإلى القرن السابع قبل الميلاد لم يكن في اليونان جمهور كبير من القراء والكتاب، ولم يكن لديهم مكتبات عامة سوى مكتبة الإسكندرية، ولا مكتبات خاصة سوى مكتبة «أرسطاطاليس».

● وفي عصر نهضة اليونان – في القرن الخامس قبل الميلاد – لم يكن في البلاد مدارس عامة أو جامعة تديرها الدولة، بل كان أول نداء بأن تنشئ الدولة مدارس على لسان «أفلاطون» (٤٢٧ – ٣٤٧) قبل الميلاد، وكانت المدارس خاصة ينشئها المحترفون للتعليم.

وكان التلاميذ يبدءون التعليم في السادسة ويستمرون إلى سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة وربما إلى ما بعد ذلك إن كانوا من أبناء الأغنياء.

وكان المدرس يدرس كل مواد الدراسة، ولهم عناية خاصة بتربية العقول وإحياء القيم الخلقية، وكانت وسيلة تأديبهم للتلاميذ هي النعال.

● أما المنهج الدراسي، فقد كان يقوم على ثلاثة أفرع:

الأول: القراءة والكتابة.

والثاني: الموسيقى.

والثالث: الألعاب الرياضية.

ثم أضيف فرع رابع أيام أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢. ق. م) هو الرسم والتصوير.

● أما البنات فكن يتعلمن في بيوتهن، وأهم ما يتعلمنه: التدبير المنزلي، وكانت أمهاتهن يعلمنهن القراءة والكتابة والحساب والغزل والنسيج والتطريز، والعزف على بعض الآلات الموسيقية، والغناء والرقص.

● أما التعليم العالي فكان يتعلم على أيدي علماء البلاغة «السوفسطائيين» حيث

يلقنونهم فن الخطابة، والعلوم الفلسفية والتاريخ والعلوم الطبيعية. وكان هذا التعليم العالي مقصوراً على الأغنياء، لأن أجور المعلمين كانت عالية.

وكان المدرسون يستأجرون قاعات للمحاضرات بالقرب من مدارس الألعاب الرياضية.

وكان لليونانيين في تعليم التلاميذ خطة مرتبطة غالبًا بحاجات المجتمع، وظروفه، على النحو التالي:

– في سِنّ السادسة عشرة: يعنون بالتربية الرياضية والبدنية عناية خاصة؛ لإعدادهم للحرب، كالتدريب على العدو والقفز والمصارعة والصيد وقذف الحراب وسَوْق المركبات.

– وفي الثامنة عشرة: يدربون على الحياة العسكرية وعلى القيام بالواجبات الوطنية، لمدة سنتين، في السنة الأولى منهما يخضعون لنظام رياضي صارم ويتلقون محاضرات في الموسيقى والأدب والبلاغة والهندسة النظرية.

وفي السنة الثانية: يرسلون لحماية الحدود، ويعهد إليهم بحماية المدينة من الاضطراب الداخلي ومن الغزو الخارجي، ويُقْسمون على ذلك قَسَمًا أمام مجلس الخمسمائة.

و- المدرسة عند الرومان:

حذا الرومان حذو اليونان في أكثر أمور التعليم، غير أنهم كانوا من أول أمرهم يهتمون بتعليم الرياضة البدنية، وبتحبيب المتعلمين في حب الوطن، وكانوا في ذلك الزمان يسمون المدرس معلم الألعاب.

وكان التعليم عند الرومان منفصلاً تمامًا عن الحكومة، واستقر ذلك إلى قرب أيام الإمبراطوريين الذين كان التعليم في عهدهم مقصوراً على أبناء الأغنياء، وكانوا يعلمونهم اللغة اللاتينية أصلاً واللغة اليونانية.

- وكان بعض المتعلمين يتعلمون حتى يتجاوزوا العشرين من العمر؛ على يد معلمين فصحاء؛ كانوا يأخذون أجراً من الحكومة.

– وكان أغلب الشباب الرومانيين يأتون إلى أثينا للتعلم في أكاديمية – أي مكان للتعليم العالي – بها عشرة معلمين مهرة فصحاء.

– وقد بنى قسطنطين مدرسة مشهورة في مدينة القسطنطينية، كان يقصدها الطلاب من أنحاء متفرقة من الدولة الرومانية، للتعلم فيها.

– وكان تعليم البنات يحظى بعناية فائقة فى أخريات الإمبراطورية الرومانية، ثم أصبح للبنات مدارس خاصة بهن يقمن فيها وينقطعن للتعلم بعيداً عن أهلهن طوال مدة الدراسة.

● على أى شيء كان يكتب الرومان؟

– قديمًا كانوا يكتبون على لوح مطلى يتخذ من الشمع، وهو سهل المحو والإزالة.

– وقد كتبوا على ورق البردى المصنوع فى مصر، ويكتبون بريشة طائر، يغمسونها فى الحبر.

– ثم كتبوا على الرَّقّ المأخوذ من جلود الحيوانات.

● وكان من يريد أن ينشر أو ينسخ أى مخطوط يستأجر من ينسخ له، وكان كثير من النساخ أرقاء، ثم يبيع ما يستنسخ أو يقتنيه.

● وكانت الدولة الرومانية بها مكتبات عامة كثيرة العدد، مع المكتبات الخاصة التى انتشرت إلى حد لا بأس به.

وتلك الظروف جميعًا قد يسَّرتْ على طلاب العلم تعلمهم، وخففت كثيراً من متاعبهم، فأخذوا ينشطون فكان منهم العلماء والأدباء والشعراء، فكثر الشعر والعلم والأدب وتعددت كتبه، بل إن بعض الكتب المدرسية، والموسوعات قد عرف فى هذه الدولة[1].

ز- المدرسة عند المسيحيين:

المسيحيون الأولون كانوا غير قادرين على إقامة مدارس مسيحية قائمة بذاتها يعلمون فيها أولادهم؛ لأسباب عديدة أغلبها سياسى فى بعض الأحيان، فكانوا يعلمونهم فى البيت، أو يرسلونهم إلى مدارس وطنية.

● وقد كان للمدرسة عند المسيحيين تاريخ نشير إليه بإيجاز فيما يلى:

– فى بداية القرن الثانى الميلادى كانت مدرسة الإسكندرية هى مقصد المتعلمين من النصارى وكانت مدرسة ذات شهرة، لكن المسيحيين وإن أرسل بعضهم أبناءهم إليها

---

(١) مثل: «ماركس ترنتيوس فارو» (١١٦ - ٢٦ . ق. م) كان له موسوعة لخص فيها فروع العلم المعروفة فى عصره.

إلا أن كثيراً منهم لم تكن لديهم رغبة فى تعليم أبنائهم فيها بسبب أنها كانت تعلم الوثنيين واليهود.

- وفى أخريات القرن الثانى الميلادى سنة ١٨١م أقيمت بجانب مدرسة الإسكندرية مدرسة مسيحية للموعوظين من المسيحيين، فكانوا يتعلمون فيها اللاهوت المسيحى بطريقة عملية منتظمة.

- ثم أخذت المدارس المسيحية - لتعليم اللاهوت - تنتشر فى الشرق فى المدن الكبيرة مثل: أنطاكية وقيسارية وغيرهما.

- أما فى الغرب فكان علماء الكنيسة المتميزون يجمعون حولهم الشبان الراغبين فى الدخول فى الكهنوت، ويعلمونهم شفاها التعاليم التى يجب أن يتعلموها.

- وفى القرن الخامس الميلادى وَجَد تعليم المسيحية ملاذًا آمنا فى الأديرة التى أنشئت فى الشرق؛ بهدف الخلوة فيها والعبادة عن طريق التأمل والتفكر، فوفد إلى هذه الأديرة الراغبون فى الانفراد والتأمل.

- وأما فى الغرب فقد أنشئت - فى القرن نفسه - أديرة كان الهدف منها السكينة والاتحاد؛ وذلك بسبب أن الغرب فى ذلك الوقت كانت تسوده الاضطرابات الاجتماعية التى سببت قلقًا للمسيحيين جعل بعضهم يتجه إلى هذه الأديرة طلبًا للسكينة والاتحاد.

- وفى القرنين السادس والسابع الميلاديين أنشئت مدارس مسيحية لتعليم اللاهوت وكانت هذه المدارس ثلاثة أقسام:

مدارس أبرشية.

ومدارس أسقفية.

ومدارس ديرية.

وكلها تعلم اللاهوت والتعاليم على هذه الدرجات المتعددة.

- وإلى القرن العاشر الميلادى، لم تكن معرفة القراءة والكتابة ذائعة فى الناس، لا فى الغرب ولا فى الشرق، وبخاصة بين عامة الناس، حتى من كان منهم فى أعلى درجة اجتماعية؛ لذلك سميت الكتابة آنذاك بصناعة «الإكليروس».

● والخلاصة أن الكنيسة احتاجت إلى إقناع الناس بالمسيحية فلم يكن أمامها سوى التعليم والتثقيف، فافتتحت المدارس لذلك، ولم يكن غريبًا أن تنشأ المدارس فى أحضان الكنائس والأديرة، فكانت هذه المدارس هى الخلية الأولى التى تفرع عنها التعليم فى أوربا، ومنها نشأت الكليات والجامعات.

● ومما ميَّز المدارس المسيحية تلك الصلة المستمرة بين الأستاذ وتلاميذه، لأن معيشتهم كانت معه داخل الدير.

وكان التلميذ يتعلم فى المدرسة الملحقة بالكنيسة أو الدَّيْر كل ما يلزم المتعلم من علوم، فلا يضطر إلى مغادرة المدرسة إلا عندما ينهى تعليمه.

● وعلى الرغم من أن المدارس المسيحية حلت محل التعليم اليونانى والرومانى، وعلى الرغم من أنها كانت ملحقة بالكنيسة أو الدير، وأن المعيشة فيها داخلية، وعلى الرغم من أن التعليم فى المدرسة المسيحية هدفه التأثير فى الشخصية وطبعها بالطابع المسيحى، على الرغم من كل ذلك فإن المدرسة المسيحية لم تسهم فى نشر التعليم لأنها كانت مقصورة على طبقة الكهنوت.

وبعد: فهذا عن التربية والتعليم عند أهل الحضارات والأديان التى سبقت ظهور الإسلام؛ فماذا عن التربية والتعليم فى الإسلام؟

ذلك ما نرجو توضيحه فى الصفحات التالية بعون من الله تعالى وتوفيق.

٢- تاريخ المدرسة فى الإسلام

المدرسة الإسلامية أهم المؤسسات التربوية على الإطلاق، ولا يساميها فى مكانتها ويساندها فى أداء وظائفها إلا المسجد فهو مساند للمدرسة - بعد أن قلّص المسلمون وظيفته فى حياتهم - أما يوم كانت وظيفته كاملة فقد كان كالمدرسة أو مسانداً لها أيما مساندة.

والمدرسة الإسلامية مؤسسة تربوية تعليمية أصيلة ملأت المجتمعات الإسلامية حديثًا، وتضطلع دائمًا بمهمة مزدوجة التربية والتعليم معًا، ففى التربية تشتمل على المفردات العشر التى حصرنا فيها التربية(١). كما تضطلع المدرسة بمهمة التعليم بادئة بالقراءة والكتابة ثم العلوم الأساسية، ثم ما يتفرع عن الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم النبات وعلوم الحيوان وعلوم طبقات الأرض واللغات والتاريخ والجغرافيا والمنطق والفلسفة والأخلاق، وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها(٢).

- وفى أثناء حديثنا عن المدرسة نتحدث عن المؤسسات المساندة لها، وهى: البيت والمسجد والنادى بأنواعه والجمعيات المدنية الأهلية، وكل التجمعات والجماعات والأحزاب السياسية.

وسوف يكون حديثنا عن ذلك كله فى موضوعين:

الأول: المدرسة الإسلامية الأولى: أنواعها ومراحلها.

والآخر: المؤسسات المعينة للمدرسة.

الموضوع الأول: المدرسة الإسلامية الأولى.. أنواعها ومراحلها:

المدرسة هى الأم فى التربية والتعليم سواء منها ما كان عامًا أو فنيًا، وأيًا ما كانت مراحلها من الابتدائية إلى الجامعية، والمدخل إلى الحديث عن المدرسة الإسلامية هو مدرسة كان البدء بها هى ما نسميه الكُتّاب أو المكتب أى المكان الذى يتعلم فيه الصغار القراءة والكتابة والعلوم الأساسية.

- والمدرسة التى سبقت إنشاء المدارس هى: الكُتّاب من جانب والمسجد من جانب آخر، ولكل منهما حديث.

---

(١) جاء فى سلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» وهى حلقات عشر صدر فى كل حلقة منها كتاب - عن دار النشر والتوزيع الإسلامية فيما بين سنتى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، و١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

(٢) وهذه الفروع كثيرة تشمل المعرفة الإنسانية كلها، وهى جميعًا تعنى بها المدرسة فى مراحلها ومستوياتها العديدة.

١- الكُتَّاب أو المكتب:

الكُتَّاب أو المكتب مصطلح يطلق على المكان الذى يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، ويحفظون فيه قدراً من القرآن الكريم، وقدراً من الحديث النبوى، ثم الحساب فى صورته الأولية.

وللكتَّاب فى حياتنا التعليمية تاريخ نرجو أن نشير إليه بإيجاز، كما أن له انتشاراً أوشك أن يساوى انتشار المدارس حديثاً.

أ- تاريخ الكتَّاب:

قبل ظهور الإسلام لم تكن الكتابة والقراءة ذائعة أو شائعة فى الجزيرة العربية التى اختار الله آخر أنبيائه منها وجعل لغة آخر كتبه السماوية «القرآن الكريم» هى لغتها العربية.

ولهذا الكتَّاب عند المسلمين تاريخ، ومراحل ومناهج نرجو أن نلقى عليها بعض الأضواء فى هذه الكلمات:

أ- الكتَّاب بُعَيْد ظهور الإسلام:

من المعروف لدى الباحثين أن الجزيرة العربية - قبل الإسلام - لم تكن الكتابة شائعة فيها، وإنما كانت قليلة وكان من يعرفون الكتابة يعدون فرداً فرداً.

فقد ذكر أكثر المؤرخين أن الإسلام قد جاء وفى قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب، عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وغيرهم. كان هذا فى مكة وحدها، أما المدينة عندما جاء الإسلام إليها فقد ذكر المؤرخون أن الأوس والخزرج كان فيهم عدة رجال يكتبون بالإضافة إلى بعض اليهود...

على أن قلة من يعرفون الكتابة فى مكة لم تمنع من أن يكون فيها كتَّابٌ تتعلم فيه القراءة والكتابة فى صغرهم أو فى شبابهم هذا أمر منطقى، وإلا فأين تعلم هؤلاء وغيرهم الكتابة والقراءة؟

وفى الغالب كان فى المدينة كُتَّاب كذلك تعلم فيه من عرفوا الكتابة والقراءة.

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن أهل مكة كان فيهم كتَّاب، لأن ذلك مشهور، حيث طلب الرسول ﷺ من بعض أسرى المشركين الذين لا يجدون ما يَفْدون به أنفسهم أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة.

● وقد انشغل المسلمون فى بداية عهدهم بالإسلام بأن ينشروا هذا الدين فى الجزيرة

العربية، وسريعًا ما انتشر الإسلام، وبنيت المساجد وجلس الناس فيها يتعلمون القرآن والإسلام، ولا بد أن يكون فى كثير من أنحاء الجزيرة من يكتبون ويقرءون وهؤلاء لابد أن يكونوا تعلموا فى كتَّاب ونحوه.

- ومن الثابت تاريخيًا أن رقعة العالم الإسلامى قد اتسعت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاشتملت على فارس والشام والعراق ومصر وما وراءها، حيث لم يبق من هذه البلدان أو الممالك الضخمة بلد إلا أنشئ فيه مسجد أو أكثر، وتعلم الناس القرآن ونسخوا المصاحف رجالاً ونساء وشبابًا، وهذا من شأنه أن يؤدى إلى انتشار الكتاتيب، وبخاصة أن أهل تلك الممالك كانت لديهم مدارس – كما ذكرنا ذلك آنفًا –.

- والإسلام قد طالب المسلمين بنشر دين الحق فى الناس، وهذا النشر يحتاج من الناشر أن يكون حافظًا لبعض القرآن والحديث النبوى، ومعرفة الحلال والحرام، وذلك لا يتيسر له إلا إن كان يقرأ ويكتب غالبًا ليحسن تفقيه الناس فى دينهم، وكذلك من ينتشر فيهم هذا الدين لا يتيسر لهم فهمه إلا إن كانوا فى الغالب يقرءون ويكتبون.

أدرك المسلمون الأوائل ذلك منذ القرن الأول الهجرى، فكانت حاجة المسلمين فى البلدان التى اشتملت عليها دولتهم إلى التعليم ضرورية، فبدأت باتخاذ الكتاتيب أمكنة تعليم للصبيان بالذات لأنهم غير قادرين فى سنهم المبكرة على رعاية آداب المسجد أثناء المكث فيه، ثم اتخذوا المدارس فى كثير من تلك البلدان والمدن، ثم اتسع شأن التعليم على نحو ما سنتحدث عنه فيما بعد بإذن الله تعالى.

ب- المنهج الذى كان التعليم على أساسه فى الكتاب:

نستطيع التعرف على منهج الكتاب من خلال ما كتب المهتمون بشئون التعليم من علماء المسلمين وفقهائهم وأدبائهم ومفكريهم، ومن أشهر هؤلاء:

١- عبد السلام بن سعيد بن سحنون المتوفى سنة ٢٤٠ هـ فى كتابه: «آداب المعلمين». وابنه محمد المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

٢- الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ فى كتابه: «البيان والتبيين».

٣- أبو عباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٦ هـ فى كتابه: «الكامل فى اللغة والأدب».

٤- الجهشيارى محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣١ هـ فى كتابه «الوزراء والكتاب».

٥- ابن عبد البر يوسف بن عبد الله المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه: «جامع بيان العلم وفضله».

٦- الإمام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ فى كتابه: «إحياء علوم الدين».

٧- القابسى على بن محمد المتوفى سنة ٥٣٩ هـ فى كتابه: «أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين».

٨- الزرنوجى النعمان بن إبراهيم المتوفى سنة ٦٤٠ هـ فى كتابه: «تعليم المتعلم طريق التعلم».

٩- ابن العديم عمر بن أحمد المتوفى سنة ٦٦٠ هـ فى كتابه: «الدرارى فى ذكر الذرارى».

١٠- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فى كتابه: «مقدمة ابن خلدون».

١١- الأنصارى زكريا بن محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٢٦ هـ فى كتابه: «اللؤلؤ النظيم فى رَوْم التعلم والتعليم».

على أن البدايات الأولى للمنهج فى هذه الكتاتيب ما ذكره الجاحظ قال: «كتب عمر ابن الخطاب إلى ساكنى الأمصار: أما بعد، فعلّموا أولادكم السباحة والفروسية ورَوُّوهم ما سار من المثل وحسن من الشعر».

ونقل الجاحظ عن ابن التوأم كلاما فى المنهج هو: «من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة».

- وللجاحظ رسالة تسمى: «رسالة المعلمين» أو كتاب المعلمين، وضع فيها منهاجًا لتعليم الصبيان يكاد يكون مفصلاً، جاء فيه: «ولا تشغل قلب الصبى بالنحو إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام فى كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده، وشىء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، كرواية الخبر الصادق والمثل الشاهد والمعنى البارع.

ويعرف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة.

ويعلم كتابة الإنشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ويحذّر التكلف.

ويحثه فى قراءة كتب البلغاء أن يستفيد المعانى لا الألفاظ»(١).

وإن من أجمع ما كتب عن منهج التعليم فى الكتاتيب والمدارس، ما قاله ابن خلدون فى مقدمته، تحت عنوان: «فى تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية» قال:

«واعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعا ر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى

(١) الجاحظ: رسالة المعلمين مخطوطة ورقة ١٣، ١٤.

جميع أمصارهم، لِمَا يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبنى عليه ما يحصل بعْدُ من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبنى عليه . . .،

واختلفت طرقهم فى تعليم القرآن . . .

أما أهل المغرب فمذهبهم . . .،

وأما أهل الأندلس فمذهبهم . . .،

وأما أهل أفريقية فيخلطون . . . فطريقهم،

وأما أهل المشرق فيخلطون فى التعليم . . . . ».

ب- انتشار الكتاتيب:

فى القرن الثانى الهجرى وما بعده من القرون ازداد عدد الكتاتيب زيادة كبيرة تتناسب مع اتساع رقعة الدولة وزيادة عدد المتعلمين، فكان الصبيان أغلبهم يذهبون إلى الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة، ولتعلم القرآن الكريم.

على أن الذى شاع بين المسلمين أن الكُتَّاب البعيد عن المسجد كان هو مقصد الصبيان، وكثيراً ما كان الكتاب يقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب، ونزر يسير من القرآن الكريم.

أما المسجد فكان يذهب إليه من تجاوزوا سن الطفولة والصبا لأن هذه السن المبكرة تحول بينهم وبين غشيان المساجد، كما هو معروف عند المسلمين.

- وقد أفاد كثير من المؤرخين والأدباء والمشغولين بالتعليم وقضاياه أن عدد الكتاتيب زاد زيادة ملحوظة، حتى قال بعضهم: كان فى كل قرية أو مدينة كتَّاب أو أكثر، وأن بعض الكتاتيب أو كثير منها كان فيه أكثر من معلم.

وقد اشتهر بعض الكتاتيب بسعته وبكثرة عدد الصبيان فيه حتى وصلوا إلى ثلاثة آلاف، فقد ذكر ياقوت الحموى فى كتابه: «معجم الأدباء» حديثًا عن كُتاب مشهور بتلك السعة فقال: كان كُتاب أبى القاسم البلخى بعيداً عن المسجد وكان واسعًا، وكان أبو القاسم البلخى يركب حماراً يمر به بين التلاميذ ليشرف عليهم»[1].

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء: ٤/ ٢٢٢.

وهذا الكتّاب لابد أن يكون فيه عدد كبير من المعلمين يكفى لتعليم هؤلاء الثلاثة الآلاف من التلاميذ.

هذا عن الكُتاب وانتشار الكتاتيب، والكُتاب مدرسة من نوع مختلف وإن كانت الوظيفة واحدة أو متقاربة.

وقد كانت المدرسة فى قرون الإسلام الأولى إلى جانب المسجد؛ كل منهما يتحمل عبء التعليم للصبيان الذين عَلَتْ سنهم وغادروا الكتّاب ولهم رغبة فى مواصلة التعليم.

وظلّتْ المدرسة إلى جوار المسجد تتقاسم معه عملية التعليم، وإن كان المسجد أكثر اهتمامًا بالعلوم الإسلامية كالقرآن الكريم والحديث النبوى والفقه الإسلامى والسيرة النبوية وتاريخ الإسلام، وعلم الكلام أى علم التوحيد.

ومع ذلك لم يخل المسجد من تدريس بعض العلوم الأخرى كالحساب الذى كانت تستدعيه دراسة علم الفرائض - المواريث - ومثل علم الميقات والفلك وغيرهما.

وكانت المدارس المنفصلة عن المسجد محدودة العدد، بل ربما كانت مقصورة على العواصم وكبريات المدن.

غير أنه لم تقم منافسة بين المسجد والمدرسة على الرغم من أن كلا منهما يقوم بمهمة التعليم؛ فقد كان المعروف أن المتجهين إلى المساجد هم أهل الرغبة فى التوسع والتعمق فى العلوم الدينية والدنيوية، إذ لم تكن مدرسة من مدارس المسلمين تخلو من معلمين يعلمون علوم الدين، كما أنه لم يكن مسجد يخلو من معلمين يعلمون علوم الدنيا.

- وكثير من المدارس فى بلاد المسلمين كانت توقف عليها الأوقاف للإنفاق عليها وعلى مدرسيها وتلاميذها فى كثير من الأحيان.

- ولقد كان من أسباب زيادة عدد المدارس التنافس التقليدى بين مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة، لأن تدريس مذهب الشيعة فى المسجد لم يكن متيسراً إلا فى بعض المساجد، ولم يكن فى الاستطاعة تعميم تدريس مذهب الشيعة فى كل المساجد، ولا فى معظمها، فلم يكن أمام الشيعة لكى يدرسوا مذهبهم إلا أن ينشئوا مدارس تعلم المذهب فقهه وأصوله، فأنشأوها ووظفوا لها معلمين، وجلبوا لها طلابًا، وأجْرَوا على هؤلاء وأولئك الأرزاق والإعاشة، والإسكان فى بعض الأحيان.

وهيأوا لهم المكتبات والكتب، فكانت معظم المدارس يدرس فيها فقه الشيعة، وكانت المكتبات زاخرة بكتب فقه الشيعة. وكان الذى أذاع فقه الشيعة وأنشأ من أجله المدارس، أسرتان معروفتان –وهما من الحكام والوزراء– هما:

– أسرة البويهيين. [1]

– وأسرة الفاطميين. [2]

ثم قامت على أثرهما دولتان سُنِّيتان هما:

– دولة السلاجقة[3].

– والدولة الأيوبية[4].

---

(١) البويهيون: دولة مسلمة (٣٢٠–٤٤٧هـ / ٩٤٥–١٠٥٥م)، ينسبون إلى أبى شجاع ابن بويه الذى علا نجمه فتحكم هو وأبناؤه فى فارس وبغداد، ثم امتد نفوذهم إلى الخلافة والخليفة، وفى عهد خامس أمرائهم عضد الدولة أبى شجاع (٣٦٧–٣٧٢هـ) اتسعت دولتهم.

ومن العلماء الذين عاشوا فى كنف الدولة ورعايتها: مسكوْيه والرازى الطبيب الفيلسوف، والمتنبى وأبوعلى الفارسى وجماعة إخوان الصفا.

ثم انهارت دولتهم وحل محلهم السلاجقة بقيادة طغرل بك.

(٢) الفاطميون: دولة مسلمة (٢٩٧ – ٥٦٧هـ/ ٩٠٩ – ١١٧١م) ينتسبون إلى آل البيت النبوى شريعة وفقهاً، علويون نسبًا إسماعيليون مذهبًا، أسسوا دولتهم فى تونس على يد المهدى أبى محمد عبيدالله (٢٩٧–٣٢٢هـ) واتخذ مدينة المهدية عاصمة، وفى عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله أبى تميم (٣٤١– ٣٦٥هـ) نجح قائده جوهر الصقلى فى فتح مصر (٣٥٨هـ–٩٦٩م) وبنى مدينة القاهرة وجعلها عاصمة الخلافة، ثم حكموا مكة واليمن وسورية والموصل، وبنوا الأزهر الذى تحول من مسجد إلى جامعة، كما بنوا دار الحكمة فى عهد الحاكم لأمر الله المتفلسف (٣٨٦–٤١١هـ) وكان آخر خلفائهم العاضد أبو محمد عبدالله (٥٥٥–٥٦٧هـ).

(٣) الدولة السلجوقية (٤٢٩–٥٨٢هـ) تنسب إلى زعيم قبيلة الغز التركمانية، وقد وفدوا من سهول قرغيز من بلاد الترك ستان إلى بخارى حيث اعتنقوا الإسلام ومذهب أهل السنة، وفى عهد أميرهم طغرل بك (٤٢٩–٤٥٥هـ) أزاحوا البويهيين من بغداد، وأصبح الخليفة فى نفوذهم، واتسعت دولتهم وتصدوا لحملات الغزو الصليبى، وفى عهد وزيرهم نظام الملك انشئت أكبر المدارس: «المدرسة النظامية».

وفى عهدهم عاش الإمام الغزالى (٤٥١–٥٠٥هـ) وناصر خسروا (٤٦٧هـ) وظلت هذه الدولة مسيطرة حتى أزالها من فارس جنكيز خان (٦١٩هـ)، ثم أزالها من آسيا الصغرى، كلها الأتراك العثمانيون (٥٨٢هـ).

(٤) الدولة الأيوبية (٥٦٧–٦٤٨هـ) تنسب إلى صلاح الدين الأيوبى الذى بدأ حياته السياسية وزيراً للخليفة الفاطمى العاضد الذى انتهت بوفاته دولة الفاطميين لتحل محلها الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين، السنية الفقه والمذهب، ثم اتسعت دولة صلاح الدين لتشمل مصر والمغرب والنوبة وغربى الجزيرة العربية وفلسطين وسوريا والموصل والعراق. =

فأنشأت هاتان الدولتان المدارس لتدريس فقه أهل السنة، بل أبطلتا ما كان يدرس فى المساجد من فقه الشيعة.

وعلى قدر ما بذل البويهيون والفاطميون من مجهود فى نشر الفقه الشيعى، وإنشاء المدارس التى تهتم به وتدرسه؛ قام السلاجقة والأيوبيون بجهود ضخمة لنشر مذهب أهل السنة، وتحويل بعض المساجد إلى تدريس فقه أهل السنة، وفى مقدمة هذه المدارس الجامع الأزهر.

ولقد بذل السلجوقيون فى ذلك الغرض أكثر من غيرهم، وخصوصاً وزيرهم الشهيد نظام الملك، الذى وزر لحاكمين منهم هما: ألب أرسلان، والملك شاه ابنه.

أنشأ نظام الملك أكبر مدرسة فى عصره عرفت باسم المدرسة النظامية وأوقف عليها الأوقاف، وأجرى على منتسبيها الأرزاق، والمدرسة منسوبة إليه.

- وقد ذكر المؤرخون أكثرهم عدداً من المدارس التى أنشأها نظام الملك وتحدثوا عن ضخامة الأوقاف التى أوقفها على تلك المدارس، ومن هؤلاء:

– عماد الدين الأصبهانى (٥١٩-٥٩٧هـ) فى كتابه: «نصرة الفترة، وعصرة الفطرة» المعروف «بتواريخ آل سلجوق» يقول عن نظام الملك: «ومَنْ وَجَد فى بلدة قد تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة، ووقف عليها وقفا، وجعل فيها دار كتب...».

– وأبوشامة شهاب الدين (٥٩٩-٦٦٥هـ) فى كتابه: «كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين الصلاحية والنورية» يقول عن نظام الملك: «ومدارس نظام الملك فى العالم مشهورة، لم تَخْلُ بلد من شىء منها حتى جزيرة ابن عمر – التى هى فى زاوية من الأرض لا يؤتى لها– بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة...».

– وتاج الدين السبكى (٧٢٧-٧٧١هـ) فى كتابه: «طبقات الشافعية الكبرى» يقول عن نظام الملك: «... وقد أنشأ نظام الملك مدرسة عظيمة فى: بغداد، وبَلْخ، ونيسابور، وهرات، وأصفهان، والبصرة، ومرْو، وآمل، والموصل..» ثم يقول: «إنّ له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة...».

= وقد أخذت الدولة الأيوبية على عاتقها تصفية المذهب الشيعى فاغلقت الأزهر خمس سنوات، ثم حولته إلى تدريس مذهب أهل السنة، وقد أقامت مدارس كثيرة وأوقفت عليها الأوقاف.

وقد حكمت الدولة الأيوبية إلى آخر سلطان أيوبى فيها: «نوران شاه» ٦٤٨هـ-١٢٥٠م الذى قتل وتولى بعده المماليك بقيادة شجرة الدر ثم تتابع المماليك من بعدها.

● ومن العلماء الذين اهتموا بالكتابة عن المدارس:

- النُّعيمي عبدالقادر بن محمد (٨٤٥-٩٢٧هـ) له كتاب جيد جمع فيه ما أُنشئ من المدارس، سمَّاه: «الدارس فيما في دمشق من المدارس»[١].

● ومن المدارس المشهورة في دمشق «المدرسة النورية الكبرى» نسبة إلى «العادل نور الدين محمود بن زنكي» (٥١١-٥٦٩هـ) وقد بناها للأحناف ثم اتسعت لغيرهم فيما بعد.

- وقد وصف أكثر من مؤرخ هذه المدرسة فقالوا: كان لها من الأوقاف التي ينفق من ريعها على: العلماء، والمتعلمين، ومرافق المدرسة: الإيوان (قاعة المحاضرات الكبرى)، والمسجد، واستراحة المدرسين، ومساكن الطلاب، ومساكن خدام المدرسة، والمراحيض.

ولأنها للأحناف فقد تولى التدريس فيها كبار علماء الأحناف.

- وقد اهتم الفاطميون بإنشاء المساجد والمدارس فأكثروا من إنشاء المدارس كثرة لافتة للنظر، وكانت تحركهم إلى ذلك رغبتهم الشديدة في نشر مذهبهم الشيعي، فكانوا يعلمونه ويفقهون به في بعض المساجد وفي كثير من المدارس.

ولقد ظلت آثار كثير من مدارسهم باقية معروفة حتى بعد زوال دولتهم بزمن طويل في: المغرب، ومصر، والشام، وبيت المقدس، واليمن، وكل بلد كانت لهم فيه حكومة تحكم باسمهم.

- وأمَّا ما أنشأه الأيوبيون من المدارس فإنه يفوق الحصر، حتى لكأن الدولة الأيوبية كانت في سباق مع الزمن في إنشاء المدارس وحبس الأوقاف عليها وعلى علمائها وطلابها.

فما أكثر المدارس التي أنشأوها في: مصر، ودمشق، وبيت المقدس، وعلى سبيل المثال فإن مدينة واحدة كالقاهرة كانت حافلة بعديد من المدارس التي أنشأها الأيوبيون.

● وممن اهتموا بالحديث عن المدارس: بطرس البستاني في دائرة المعارف المسماة باسمه، حيث يقول: «وفي القرن العاشر[٢] وهو من أعصر العلوم المسيحية المظلمة، كان للعرب[٣] مدارس زاهرة العلوم منتشرة من بغداد إلى قرطبة -أي من شرق العالم

---

(١) طبع في دمشق في مجلدين سنة ١٩٤٨م.

(٢) يقصد العاشر الميلادي- الرابع الهجري.

(٣) يقصد المسلمين بدليل حديثه عن غير العرب من المسلمين.

الإسلامى إلى غربه- ثم يواصل قائلاً: «وكان لهم سبع عشرة مدرسة كلية أشهرها مدرسة قرطبة، ويقال إنه كان فيها مكتبة تحتوى على ستمائة ألف مجلد».

وكانوا يدرسون فى هذه المدارس الكلية: الصرف والنحو والشعر، والتاريخ والجغرافية، وعلم الهيئة، وعلم النجوم، والكيمياء الصحيحة والوهمية، والرياضيات، والطب.

وقد أدخل العرب فى الرياضيات والطب أمورًا كثيرة زيادة على ما أخذوه من معلميهم اليونان.

وكان لهم مدرسة ابتدائية بجانب كل مسجد يعلمون فيها القراءة والكتابة، ويدرسون التلاميذ أشعارًا كثيرة عن ظهر قلبهم.

وأما المدارس الكلية فكانت تعلم على الأكثر الإلهيات والفقه والحكمة النظرية، وكان للعلوم الطبيعية مدارس خاصة.

وكانوا يعلمون الطب فى المستشفيات، والفلسفة المدرسية والشعر.

وإنشاء المدارس الكلية والرجوع إلى التعمق فى درس تآليف اللاتين واليونان العلمية كانت أعمالاً علمية للقرن الحادى عشر وما بعده، سبقت إحياء العلم فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر».

ثم يواصل فى: «دائرة معارفه» قائلاً:

«ولابد من مقارنة بين المدرسة المسيحية والكتاتيب الإسلامية لكى لا يُقال -كما يردد بعض المستشرقين- أن الكتاتيب الإسلامية كانت تقليدًا للمدارس المسيحية، وهذه المقارنة لا تستهدف التقليل من شأن المدارس المسيحية؛ لأنها أدّت عملاً تربويًا جيدًا فى حدود احتياجات الكنيسة، وإنما الهدف منه إيضاح الأسباب التى أدَّت إلى ظهور الكتاتيب فى العالم الإسلامى، وتلك المقارنة هى:

- أن المدارس المسيحية الكنسية كانت ملحقة بالأديرة وجزءًا منها، بينما الكتاب لم ينشأ فى المسجد لأن الصبيان الذين يتعلمون فيه لا يُؤمَن سكونهم، وتحرِّيهم النظافة وهم فى المسجد، فكان الكتاب خارج المسجد، وكان التعليم فى المسجد مرحلة بعد الكتاب أى بعد أن يكبر الصبى ويدخل فى السِّن التى تمكنه من الانضباط والسكون.

- وكان التعليم فى المدارس المسيحية الملحقة بالأديرة، يشترط فيه إقامة التلميذ وإعاشته فى الدير (مدرسة داخلية بلغتنا المعاصرة) بينما لم يكن الكتَّاب كذلك؛ فالصبى يذهب إليه

ثم يعود إلى بيته فى كل يوم، ولم يُعرف فى تاريخ الكتاتيب كُتَّابا يضمن للصبيان معيشة فى داخله، بل كان التعليم فى الكُتَّاب نظير أجر يدفعه والد الصبى.

– وكانت المدرسة المسيحية مقصورة على من يتعلمون الكهنوت ولم تكن لجميع الأفراد الراغبين فى التعلم.

بينما كان الكتاب مفتوحًا أمام الجميع يفد إليه الصبى برغبة أبيه ولا يمنع أحد فيه من التعلم»[1].

وبعد:

فهذه صورة مجملة عن المدرسة بوصفها أهم مؤسسة تعليمية فى العالم الإسلامى، أسهمت فى نشر العلم والثقافة والدين الإسلامى نفسه.

غير أن للمدرسة مؤسسات أعانتها على نشر العلم والتعليم، وعلى نشر الثقافة والمعرفة.

هذه المؤسسات المعينة للمدرسة هى:

– المسجد.

– والبيوت بمختلف أنواعها.

– والبوادى.

– وحوانيت الوراقين.

– والمكتبات العامة والخاصة، ولكل منها حديث وجيز.

الموضوع الثانى: المؤسسات المعينة للمدرسة:

نقصد بهذه المؤسسات تلك الأمكنة التى تسهم فى التعليم إلى جانب المدرسة، أيًا كان مستوى هذا التعليم، وأيًا كان نوعه، وفى مقدمة هذه المؤسسات: المسجد، ثم البيت، ثم البوادى، وهذه الثلاثة تشارك فى التعليم مشاركة مباشرة، ثم حوانيت الوراقين، والمكتبات العامة والخاصة، وهما يسهمان فى التعليم بشكل غير مباشر بإشاعة الثقافة والمعرفة، وتنوير الأذهان وتوعية القراء والمطلعين.

ولنتحدث عن هذه المؤسسات المعينة للمدرسة على نحو موجز فيما يلى:

---

(١) المعلّم بطرس البستانى (١٢٣٤-١٣٠٠هـ/١٨١٩-١٨٨٣م): «دائرة المعارف».

١ - المساجد :

المسجد فى الأصل مخصص للعبادة التى أهمها فرائض الصلاة، والاعتكاف، وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم.

ثم اتسع المسجد لعبادات أخرى مثل : مدارسة القرآن الكريم وتفسيره، ورواية الحديث النبوى وسيرة الرسول ﷺ، وسير الأنبياء والصالحين الذين وردت أخبارهم فى القرآن الكريم، وأخبار الأولين فى اتباع الأنبياء والمرسلين أو معارضتهم وعنادهم، وجزاء هؤلاء وأولئك كما جاء فى القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ.

والمسجد فى تاريخ المسلمين هو المكان الملائم لكل هذه الأنواع من العبادات لا تغلق أبوابه أمام أحد من المسلمين، ولا يحال بين مسلم وبين التعبد فى المسجد والتعلم لأمور الدين فيه.

كان ذلك شأن المسجد لم يتوقف عن أداء وظائفه تلك إلا فى حالة استبداد حاكم يحسب كل صيحة عليه، ويأمر بإغلاق المساجد إلا فى أوقات أداء الصلوات، وقد أصبحت هذه سنة الحكام المسلمين المستبدين منذ سيطر أعداء الإسلام على بلاد المسلمين وحكامهم - فى أخريات القرن التاسع عشر الميلادى وإلى يومنا هذا إلا قليلاً ممن عصم الله تعالى.

والمسجد فى الإسلام منذ بنى رسول الله ﷺ مسجد قُباء ومسجده بالمدينة المنورة هو مكان عبادة ومكان علم ومدارسة، وكان رسول الله ﷺ يجلس فى مسجده بعد الصلوات يعلم أصحابه شئون دينهم ودنياهم، واستمر المسجد كذلك فى عهد الخلفاء الراشدين -رضى الله عنهم-، وفى العهود التى تلتهم واستمر هذا شأنه إلى أن غُلب المسلمون على أمرهم وأصبح أمرهم فى أيدى أعدائهم وحكامهم المستبدين، حيث أصبح الدرس فى المسجد يحتاج إلى إذن من أجهزة الأمن الداخلى، وهذه الأجهزة لا تاذن إلا لمن يتحدث باسم الحاكم ويمدحه ويثنى عليه، هكذا أصبحت حال المساجد فى العالم الإسلامى معظمه، وهى مساجد يصل عددها إلى أكثر من مليون مسجد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أ- كثرة عدد المساجد :

● وكان الإكثار من إنشاء المساجد سنَّة الحكام المسلمين فى كل العصور، فقد روت كتب

التاريخ أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- لما فتح البلدان كتب إلى أبى موسى رضى الله عنه -وهو على البصرة- يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة.

وكتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه -وهو على الكوفة- بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه بمثل ذلك[1].

وكذلك كان شأن انتشار المساجد فى مختلف الأقطار الإسلامية لافتًا للنظر؛ حتى إن ابن جبير فى رحلته قال عن مدينة الإسكندرية بمصر: إن بها اثنى عشر ألف مسجد[2].

ويقول اليعقوبى فى كتابه «البلدان»: إن فى بغداد ثلاثين ألف مسجد منها عدد كبير من المساجد الجامعة.

وأول المساجد التى بناها النبى ﷺ: مسجد قباء، ثم مسجده ﷺ بالمدينة.

قال الإمام البخارى: «.. كما كان من عادة الرسول ﷺ أن يجلس فى مسجده بالمدينة ليعلم أصحابه دينهم ودنياهم...».

● ومن أشهر المساجد الكبرى فى عواصم العالم الإسلامى بعد الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة، المساجد الجامعة التالية:

١- مسجد البصرة بالعراق بناه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

٢- ومسجد الكوفة بالعراق بناه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

٣- ومسجد عمرو بن العاص رضى الله عنه بالفسطاط بمصر بناه سنة ٢١هـ.

٤- ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان بناه سنة ٤٩هـ.

٥- ومسجد دمشق فى مدينة دمشق ويسمى المسجد الاموى بناه الخليفة عبدالملك بن

---

(١) من كتب التاريخ التى روت ذلك: «الخطط» للمقريزى، و«حسن المحاضرة» للسيوطى، و«معجم البلدان» لليعقوبى.

(٢) ابن جبير محمد بن احمد (٥٤٠-٦١٤هـ) أندلسى رحَّالة زار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨هـ استمرت إلى سنة ٥٨١هـ وهى المرة التى ألف فيها كتابه: «رحلة ابن جبير».

مروان بعد سنة ٦٥هـ، وأتمه ابنه الوليد بن عبدالملك سنة ٩٠هـ قال عنه ابن الفقيه: من عجائب الدنيا الأربع.

٦- ومسجد الزيتونة بتونس بناه عبدالله بن الحبحاب والى تونس، سنة ١١٤ هـ.

٧- ومسجد المنصور الخليفة العباسى بناه سنة ١٤٥هـ.

٨- ومسجد قرطبة بناه عبدالرحمن الداخل سنة ١٦٩هـ.

٩- ومسجد القرويين بالمغرب أنشئ سنة ٢٤٥هـ.

١٠- ومسجد أحمد بن طولون بالقاهرة بناه سنة ٢٦٥هـ.

١١- ومسجد الأزهر بناه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة سنة ٣٦٠هـ.

١٢- ومسجد الحاكم بأمر الله فى القاهرة بناه سنة ٣٨٠هـ.

وغير ذلك من ألوف المساجد والمساجد الجامعة فى مختلف عصور الإسلام.

ب- أهم ما يُتعلم فى المساجد:

كل المساجد كان يتعلم فيها القرآن الكريم والسنة النبوية، وبعض العلوم الأخرى، لكن المساجد الجامعة ذات الشهرة فى التعليم مثل:

- الحرم المدنى.
- الحرم المكى.
- جامع الفسطاط بمصر «جامع عمرو بن العاص».
- جامع الزيتونة بتونس.
- الجامع الأموى بدمشق.
- جامع المنصور ببغداد.
- جامع القرويين بالمغرب.
- جامع الأزهر بالقاهرة.

فى هذه المساجد الجامعة وغيرها كانت بها مدارس كلية، تُعلَّم العلوم المتنوعة، العلوم

الإسلامية كالقرآن الكريم وعلومه، والسنة النبوية وعلومها والسيرة النبوية والفقه الإسلامى، والتاريخ الإسلامى، والأدب والشعر، وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، وعلوم أخرى كالفلك والطب والحساب والهندسة وغيرها.

● وفى جامع الفسطاط بالقاهرة:

كانت تعلم فيه مختلف العلوم، ويقصده العلماء وطلاب العلم للتعليم والتعلم منذ بنى سنة ٢١هـ.

وفى سنة ٣٨ هـ وما بعدها أصبح هذا المسجد مركزًا ثقافيًا هامًا، وكانت به محكمة للقضاء.

قال المقريزى: «كان بهذا الجامع فى بداية القرن الثامن الهجرى بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم لاتكاد تبرح منه»[١].

وكان بجامع عمرو زوايا عديدة:

إحداها: زاوية الشافعى ويقال إنه درَّس فيها فعرفت به، ولها أرض موقوفة عليها بناحية سندبيس بالقليوبية وقفها عليها السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى.

والثانية: الزاوية المَجْديَّة بصدر الجامع بناها أبوالأشبال مجد الدين وزير الملك الأشرف، ولها عدة أوقاف بالقاهرة ومصر.

والثالثة: الزاوية الصاحبية رتبها الصاحب محمد بن فخر الدين ولها أوقاف أيضًا[٢].

وفى جامع عمرو كانت تدرس إلى جانب علوم الدين علوم أخرى كعلم الكلام، وعلوم العربية بما فيها علم العروض والقافية.

● وفى الجامع الأموى بدمشق:

يقول ابن جبير: «وفيه حلقات للتدريس، وللمدرسين والطلبة إجراءٌ واسع –أى راتب ورزق–.

– وللمالكية زاوية للتدريس فى الجانب الذى يجتمع فيه طلبة المغاربة ولهم إجراء معلوم.

ومرافق هذا الجامع للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة.

---

(١) المقريزى: الخطط: ٢/٢٥٦.

(٢) السابق: ٢/٢٥٦.

– وعلى يمين الخارج من باب البريد مدرسة للشافعية، فى وسطها صهريج يجرى الماء فيه.

– وفى الجانب الغربى بإزالة الجدار مقصورة برسم الحنفية –الأحناف–.

– وفى الجامع عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد من زحام الناس

– وكان للخطيب البغدادى العالم المعروف فى مسجد دمشق حلقة كبيرة سنة ٤٥٦ هـ وكان الناس يجتمعون إليه بكرة كل يوم فيقرأ لهم الحديث وغيره من العلوم.

● **وجامع القرويين بالمغرب «بفاس»:**

وكان مركزًا للتعليم منذ أنشئ سنة ٢٤٥هـ إلى أن صدر مرسوم ملكى بعد استقلال المغرب عن فرنسا سنة ١٩٥٦م بجعله جامعة ذات كليات ثلاث: الشريعة، والآداب، والعلوم.

وفى عهد ازدهار جامع القرويين درست فيه إلى جانب العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية، الفلسفة والطب والصيدلة والطبيعة والفلك والهندسة وغيرها.

● **والجامع الأزهر:**

وهو من يوم أنشئ كان ملاذًا للعلم والعلماء وطلاب العلم. وهو أكبر جامع «جامعة» فى العالم الإسلامى كله بل أقدم جامعة يقصدها طلاب العلم فى العالم الإسلامى من مشرقه إلى غربه.

ولكثير من أهل الأقطار الإسلامية فى الأزهر رواق يخصهم ويرعى شئونهم.

وقد شملت الدراسة فى الأزهر فى أحيان كثيرة إلى جوار علوم الدين وعلوم اللغة العربية، علوم الفلسفة والطب والتاريخ والرياضيات، والفلك وغيرها، ذلك ما سجله من كتبوا عن الأزهر جامعًا وجامعة من المسلمين وغير المسلمين.

ويؤكد ابن أُصيبعة فى كتابه: «عيون الأنباء» نقلاً عن عبداللطيف البغدادى (٥٥٧–٦٢٩هـ) أحد فلاسفة المسلمين وعلمائهم المكثرين من التصنيف فى الحكمة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان، والأدب حيث يقول البغدادى: «إن درسًا فى الطب كان يلقى فى الأزهر منتصف النهار من كل يوم.

● وكانت العلوم والمعارف الذائعة فى كل عصر تدَّرس فى المساجد، وعلى سبيل المثال:

- فإن فكر المعتزلة ودفاعهم عن العقل، إنما نبت ونشأ فى المسجد عندما كان واصل بن عطاء يجلس فى حلقة الحسن البصرى التى تتميز بمدارسة علم الكلام - التوحيد - فقرر هو وأصحابه أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر، وإنما هو منزلة بين المنزلتين، ومن هنا قال الحسن البصرى: اعتزلنا واصل، ثم استقل واصل بحلقة تخصه درّس فيها فكر المعتزلة.

- وكذلك كانت الدراسات اللغوية تحظى بقدر كبير من اهتمام العلماء وطلاب العلم، ويكفى للتدليل على ذلك أن مدرستى البصرة والكوفة فى النحو نشأت كل منهما فى المسجد.

- وكثير من مجالس كبار العلماء فى اللغة وغيرها من العلوم كانت تعقد فى المسجد كمجلس «نفطويْه» فى مسجد الأنباريين، ومجلس الكميت ومجلس حماد الراوية فى مسجد الكوفة، ومجلس مسلم بن الوليد ليملى شعره كان فى مسجد البصرة.

- وكان علم العروض يدرس فى المسجد عمومًا، وفى مسجدى البصرة والكوفة على وجه الخصوص.

- وكان الطب والميقات يدرَّسان فى المسجد كما أكد ذلك السيوطى (٨٤٩-٩١١هـ) فى كتابه: «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة» حيث يقول: «إن دروسا مختلفة رتبت فى الجامع الطولونى، وقد شملت التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة، والقراءات، والطب، والميقات».

وبعد: فهذا عن المسجد مؤسسة معينة للمدرسة على التعليم والتعلم، وعما كان يدرس فى هذه المساجد من علوم.

فماذا عن المؤسسات الأخرى التى أشرنا إليها على أنها تعين المدرسة فى أداء وظائفها؟

ذلك ما نرجو أن نوضحه فى الصفحات التالية، والله سبحانه الموفق المعين.

٢- البيوت:

البيوت كلها ساندت المدرسة فى أداء وظائفها وأعانتها عليها سواء أكانت هذه البيوت عائلية، أم كانت بيوتًا للخلفاء والأمراء والحكام، أم كانت بيوتًا للعلماء، ولكل نوع من هذه البيوت حديث وجيز.

أ- البيت العائلي «الأسرة»:

البيت -على وجه الحقيقة هو أول مدرسة للطفل- يتعلم فيه الكلام والتفكير والتعبير عن نفسه، ويعتاد فيه العادات وأنماط السلوك الاجتماعي، ويتشرب القيم الخلقية التي تناسب عمره، ويشق طريقه في الخطوات الأولى من حياته مزوّدا بما تعلمه في بيته، يتعلم كل ذلك قبل ذهابه إلى المسجد أو إلى المدرسة.

والبيت يظل ذا تأثير إيجابي في حياة الطفل واليافع والشاب، طوال حياته، وبخاصة إذا كان أبواه من المثقفين الإيجابيين من جانب، وإذا كان بالبيت مكتبة من جانب ثان، وإذا كانت الأسرة تحبب الطفل في القراءة من جانب ثالث؛ البيت عندئذ يبني اللبنات الأولى في شخصية الطفل ولداً أو بنتًا، وتترسب فيه هذه القيم وتلك العادات بحيث لا يفارقها إلا بمؤثر أقوى من الأسرة، وأشد فعالية وتأثيراً.

ومن أجل ذلك اهتم الإسلام بالبيت المسلم، ووضع نظامًا وشروطًا لتكوينه من طرفين على خلق ودين، وأوجب على الطرفين -الأب والأم- أن يحسن كل منهما اختيار الطرف الآخر، وأن يحسن كل منهما تربية أبنائه، وجعل على ذلك أحسن جزاء.

- إن الإسلام يقيم أكبر وزن للأسرة (البيت) في بناء المجتمع المسلم، ويكفل كل أنواع الرعاية التشريعية من خلال الكتاب والسُّنَّة، والرعاية الأدبية من خلال ما يفرض على الناس من احترام للأسرة وما يفرض عليهم من آداب وقيم، والرعاية المادية من خلال ما يوجب على الحكومة المسلمة من تأمين حياة الناس وحمايتهم وتوفير العمل والأجر، وما يوجب على الأسرة من احترام قوانين المجتمع ورعاية آدابه.
- كما يقيم الإسلام للناشئ المسلم [1] وزنًا كبيراً ويوليه أقصى درجات الاهتمام، ويعني بتربية روحه وعقله وخلقه ودينه، وحسه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويطالبه بالجهاد في سبيل الله إذا وجب، وينمي فيه الحس الجمالي ويشجعه على التعبير عما يحس به من جمال، ويولي أكبر الاهتمام بتربية جسده [2].

---

(١) انظر كتاب: تربية الناشئ المسلم - نشر دار الوفاء سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م في طبعته الأولى. وهو الحلقة الأولى من ثلاث حلقات.

(٢) انظر لنا في ذلك: سلسلة مفردات التربية الإسلامية. عشر حلقات كل منها في كتاب نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية من سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م إلى سنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

● ويرعى الإسلام الإنسان فيوجب على أبويه تعليمه، ويوجب على الدولة أن تفتح المدارس وتعنى بها وبما تعلمه، مما يحتاج إليه الإنسان ويحتاج إليه المجتمع[1].

● ويرعى الإسلام الإنسان فيوجب على المجتمع أن يمده بما يصلحه فى دنياه وآخرته[2].

● كل هذه القيم والأخلاق والسلوك والعادات يسهم بها البيت مساندًا المدرسة فى وظيفتها التعليمية التربوية إسهامًا نابعًا من صميم الحب والمودة التى فطر الله عليها الأبوين فى رعاية أبنائهما والتى فرضها الله على الأبوين وعلى المدرسة وعلى المجتمع وعلى الحاكم المسلم فى حكمه للناس.

غير أن هناك بيوتًا غير العائلة تسهم فى مساندة المدرسة هى بيوت الحكام والمسئولين أو الأثرياء، وبيوت العلماء والمفكرين والمصلحين المجددين من المسلمين.

ب- بيوت الحكام والمسئولين:

ونعنى بذلك أهل القدرة والكلمة النافذة،وأهل السلطة والحكم وأهل الثراء والقدرة على تعليم أبنائهم فى غير المدارس العامة.

إن تاريخنا يحدثنا أن بعض الحكام -خلفاء وأمراء وأصحاب سلطان - دأبوا على أن يربوا أبناءهم فى بيوتهم، وأن يجعلوا من بيوتهم مدارس ذات مدرسين مخصوصين، وفى تاريخنا ما يشير إلى بَصَر بعض الخلفاء أو الحكام بما ينبغى أن يتجه إليه المعلم فى تعليم الأبناء تعليمًا يمكن الأبناء من أن يخلفوا الآباء فى مهامهم، ومما نحب أن نستشهد به فى هذا المجال ما أوصى به هارون الرشيد معلم ولده الأمين ولى عهده -وكان معلمه هو على بن الحسين الأحمر (١٩٤هـ) وهو شيخ النُّحاة فى عصره، قال له: «يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نَفْسه، وثمرة قلبه، فصيَّر يَدَكَ عليه مبسوطة،وطاعته لك واجبة، فكُن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرّفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه، ورفْع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تَمُرَّنَّ به ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها؛ من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقُرَب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة»[3].

---

(١) نناقش هذا الموضوع فى كتابنا هذا: التربية الإسلامية فى المدرسة. وهو الحلقة الثانية من تلك الحلقات الثلاث.

(٢) نناقش هذا الموضوع فى كتابنا الذى نعده الآن بعنوان: التربية الإسلامية فى المجتمع وهو الحلقة الثالثة والأخيرة من هذه الحلقات الثلاث. ونسال الله العون.

(٣) البيهقى: المحاسن والمساوئ: ٦١٧ ط ليبسك ١٣٢٠هـ.

وذكر ابن عبدربه فى كتابه : « العقد الفريد »[1] كلامًا منسوبًا إلى عمرو بن عقبة يوجهه إلى مؤدب ولده يقول له فيه : « ليَكُن أولَ إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بك؛ فالحَسَن عندهم ما صنعتَ، والقبيح عندهم ما تركت . علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة السفهاء، ولا تتكل على عذر منى لك، فقد اتكلتُ على كفاية منك » .

- وبيوت هؤلاء الكبراء كانت مدارس ذات معلم ومنهج . بل ذات معلم متميز منتقى، ومنهج يتدخل فى اختياره هؤلاء الخلفاء والكبراء والحكماء، وهم أهل بصر وبصيرة بما يحبون أن يتعلم أبناؤهم ليؤهلوهم ليخلفوهم فى مناصبهم؛ فالمعلم مختار والمنهج مختار، وربما لم تستطع المدرسة أن تختار معلميها بهذه الصفات ولا منهجها بهذا الاهتمام.

- ويذكر المقريزى فى « خططه » ما كان يلجأ إليه الخلفاء الفاطميون فى تأديب أبنائهم فى قصورهم، وتأديب الكبراء من رجال دولتهم . فيقول : « كانوا يُنْشِئون فى قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علِّية القوم، ويضعون لهم منهجًا خاصًا يستهدف بعد إكماله إلحاقهم بخدمة الخلفاء، وشغل المناصب الرئيسة فى دولة الخلافة الفاطمية » .

جـ- بيوت العلماء :

العلماء فى المجتمع المسلم موضع احترام المسلمين، ومقصدهم عند كل هام فى حياتهم أو عند كل حاجة إلى فتوى، فالإسلام أوجب على من لم يعرف أن يسأل ويستفتى ولا يظل جاهلاً، وأوجب على العالم أن يجيب وأن يفتى دون مقابل، فإن كتم علمه لمن يحتاج إليه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة .

وفى بعض الأحيان تكون بيوت بعض العلماء حلقات علم ودرس يغشاها طلاب المعرفة الذين يعرفون قدر هذا العالم أو ذلك، وأحيانًا تلجئ الضرورة بعض العلماء وبعض الطلاب الاستخفاء كما كان رسول الله ﷺ مستخفيًا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم رضى الله عنه بمكة يجتمع إليه من دخلوا فى الإسلام ليعلمهم أمور دينهم .

بل كان رسول الله ﷺ يظل بمنزله بمكة ويقصده المسلمون، ويلتفون حوله ليعلمهم أمور دينهم .

---

[1] كتاب العقد الفريد من أصول كتب الأدب، مطبوع أكثر من مرة بمصر، وهو موسوعة أدبية فاخرة .

● وفي تاريخنا عرفت بيوت بعض العلماء بأنها كانت تعقد فيها حلقات العلم، ومن هذه المنازل:

– منزل الشيخ الرئيس أبو على بن سينا (٣٧٠–٤٢٨هـ).

يقول القفطى على بن يوسف (٥٦٨–٦٤٦هـ) فى كتابه: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»: «كان يجتمع كل ليلة فى دار ابن سينا طلبة العلم، وكنت أقرأ معه: «الشِّفاء» وكان يقرئ غيرى من القانون نوبة، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار، خدمة للأمير شمس الدولة، وقضينا على ذلك زمنًا».

– ومنزل الإمام الغزالى أبى حامد (٤٥٠–٥٠٥هـ) فقد كان يستقبل فى منزله طلاب العلم، والعلماء، وبخاصة بعد أن اعتزل العمل فى المدرسة النظامية بنيسابور، بعد رحلته التى قام بها للحج. فكان منزله كالمدرسة أحيانًا.

كما أن الإمام الغزالى قد اعتكف بالجامع الأموى بدمشق، حيث ألف كتابه الموسوعى الجامع: إحياء علوم الدين.

– ومنزل الإمام السِّلَفى أحمد بن محمد الأصبهانى (٤٧٨–٥٧٦هـ) حافظ الحديث الشريف، فقد بنى له الأمير العادل –وزير الخليفة الظافر العبيدى– مدرسة فى الإسكندرية فأقام فيها إلى أن توفى.

وقد تزوج السِّلفى امرأة ذات مال، واتخذ من بيته فى الإسكندرية مكانًا للتعليم، وكان يعلِّم ويقرأ من منتخباته من أصول سماعات أبى الحسن على بن المشرف، ويقول السلفى فى تلك القراءة: بلغتُ من أوله قراءة وسماعا ومعى إسحق وحمد ابنا موسى المروزانى، وصَحَّ لنا ذلك فى منزلى بالإسكندرية»(١).

– ومنزل يعقوب بن كلس (٣١٨–٣٨٠هـ) اليهودى الذى أسلم ووزر للخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى، وكان منزله مقصد طلاب الفقه الإسماعيلى، وغيره من العلماء كثير ممن كانت تغشى منازلهم لطلب العلم على اختلاف فروعه وتخصصاته.

وكثير من هؤلاء العلماء كانوا يعدون منازلهم إعدادًا خاصًا يناسب اجتماع العلماء وطلاب العلم، بل إن كثيراً من طلاب العلم كان لهم شغف بمنازل بعض العلماء.

---

(١) هذه العبارة تعتبر توثيقًا علميًا لقراءته بشهادة الشهود.

وهكذا أسهمت بيوت العلماء فى مساندة المدرسة وإعانتها على أداء وظيفتها التعليمية، مما أسهم فى نشر العلم والثقافة ويسَّر ذلك كله لمن يرغب فيه.

والخلاصة أن بيوت الأسر (العائلات) وبيوت الخلفاء والحكام والأثرياء، وبيوت العلماء كانت فى المجتمع المسلم مدارس تعلم وتنشر العلم والمعرفة والثقافة.

ومما كان يساند المدرسة فى أداء وظيفتها: «البادية» أو البوادى الممتدة فى الجزيرة العربية، فقد كانت مدارس كما سنوضح ذلك فى الصفحات التالية.

٣- البوادى:

البوادى: جمع بادية وهى مكان متسع من الصحراء، تتوافر فيه أسباب العيش من ماء وزرع وضرع، يعيش فيه البدو. والبادية تقابلها -فى المعنى- الحاضرة وهى: القرية الكبيرة أو المدينة، والريف، والذين يعيشون فى الحواضر يعيشون نمطًا متطورًا متمدنًا، فيه من مظاهر الرقى العلمى والفنى والاجتماعى ما لا يوجد فى البادية.

ومن صفات أهل البادية: أنهم أفصح لسانًا، وأكثر حفظًا للشعر وأبلغ بيانًا فى الخطابة، وأبعد عن اللحن فى اللغة؛ لأنهم لم يخالطوا أهل الحواضر التى يفد إليها من غير أبنائها أعداد كثيرة، وقد كان ذلك عندما دخل غير العرب فى الدين الإسلامى، من فرس وروم وأحباش وغيرهم، ولهم ألسنتهم ولغاتهم، فكان من أثر هذا الاختلاط أن دخلتْ اللغة العربية الفصحى أخطاء وشوائب مما نسميه لحنًا أو هُجنة، أى بعدًا عن العربية الفصحى.

واللغة العربية عند المسلمين جميعًا هى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أى لغة الدين، لذلك يحرص المسلمون على تعلم العربية الفصحى، لأنه لا يجوز لمسلم أن يصلى إلا بالعربية الفصحى ولا يقرأ القرآن الكريم إلا بها، بل لا ينطقون الأحاديث النبوية إلا بها، والقرآن والسنة فى غاية الفصاحة والبلاغة -ولله المثل الأعلى-.

وكان اتصال العرب فى الجاهلية بغير العرب قليلاً، وبالتالى فقد كان أثر ذلك الاتصال والاختلاط محدودًا، فظل اللسان العربى فصيحًا نقيًا من شوائب العجمة ومن اللَّحْن.

واللَّحن عند العرب من أفحش عيوب الكلام، وسببه الاختلاط بغير العرب، ولذلك نجا من اللحن سكان البوادى.

غير أن اللَّحن فشا وانتشر بين العرب، لأن البلدان العربية قد وفد إليها مسلمون غير

عرب وأقاموا فيها مع إخوانهم فى الدين من العرب وبخاصة فى مدن المسلمين الكبرى مثل: المدينة ومكة وبغداد، ودمشق، والبصرة والكوفة وغيرها.

كما أن كثيراً من المسلمين العرب تزوجوا مسلمات غير عربيات، فتأثر الأبناء بلغات أمهاتهم وأخوالهم، والوافدين عليهم، مما ساعد على انتشار اللَّحن، فبدا أمر الفصحى مهدداً بهذه اللغات الأجنبية والأعجمية أى غير العربية، وأصبح اللسان العربى مهدداً بالعجمة، فكان علم النحو ملجأً وعصمة إلى حد كبير، غير أن النحو ومعلميه لم يعصم اللسان العربى فيبقيه على فصاحته مادام صاحب اللسان يخالط إخوانه المسلمين من غير العرب وخصوصاً فى الحواضر، فتأثرت اللغة العربية بألسنة غير العرب ودخلتها كلمات غير عربية، وأهمل ضبط الكلمات وعجز النحو نسبياً عن حفظ اللسان العربى الفصيح ففسد هذا اللسان.

وقد زاد خطر اللحن عندما تطرق إلى ألسنة العرب بل إلى ألسنة كبارهم وصغارهم، وأصبح تعلم النحو بل إجادته لا تعصم من اللحن ولا تمنع ضرره، ففكر الناس فى علاج، فكان هذا العلاج هو البحث عن أماكن يقل أو ينعدم فيها اختلاط العرب بغيرهم، فكان المكان الملائم لسماع اللغة العربية الفصحى نقية خالية من شوائب اللحن هو البادية.

من أجل ذلك حرص كبراء الناس وأثرياؤهم والحريصون على سلامة ألسنة أبنائهم من اللحن؛ حرصوا على دفع أبنائهم إلى البادية يعيشون فيها عدداً من السنين لا يسمعون إلا الفصحى فتحصل لهم ملكة النطق الصحيح الفصيح؛ لأن اللغة -كما هو معروف- ملكة[1]، ولا تحصل هذه الملكة إلا بالممارسة والاعتياد على سماع اللغة الصحيحة الفصيحة، أكد ذلك علماء المسلمين ومفكروهم وعلماء اللغة وأدباؤهم.

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء عبدالرحمن بن خلدون، الذى يقول فى مقدمته: «..ومن عرف تلك الملكة[1] من القوانين المسطرة فى الكتب، فليس من تحصيل الملكة فى شىء، إنما حصَّل أحكامها.. وإنما تحصل الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب، فإن عرض لك ما نسمعه من أن: سيبويه والفارسى والزمخشرى[2] وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعجاماً مع حصول هذه الملكة لهم؛ فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم إنما كانوا عجماً فى نسبهم فقط، وأما المربى والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب، ومِنْ

(١) يقصد ملكة نطق اللغة سليمة فصيحة.

(٢) هؤلاء الثلاثة من كبار علماء اللغة.

تَعَلُّمها منهم، فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها، وكأنهم فى أول نشأتهم من العرب الذين نشأوا فى أجيالهم حتى أدركوا كُنْه اللغة وصاروا من أهلها، فهم وإن كانوا عجماً فى النسب، فليسوا بأعجام فى اللغة والكلام»(١).

● وبكثرة الداخلين فى الإسلام من غير العرب ومرورهم على البلدان العربية أو سكناهم فيها واختلاطهم بالعرب، أصبح أهل البادية هم الذين تؤخذ عنهم اللغة العربية الصحيحة النقية من شوائب العجمة، فأخذ الناس الراغبون فى اللغة الصحيحة يفدون إلى البوادى يتعلمون من أهلها، كما أخذ بعض أهل البادية يفدون على الحواضر يعلمون الناس اللغة الصحيحة.

وقد ذكر ابن النديم (١٥٥-٢٣٥هـ)(٢). فى كتابه: «الفهرست» تحت عنوان: أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء، ومنهم:

- أبو البيداء الرياحى واسمه أسعد بن عصمة، أعرابى نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بأجرة، فأقام بالبصرة أيام عمره؛ يؤخذ عنه العلم، وكان شاعراً.

- وأبومالك عمرو بن كركرة، أعرابى كان يعلِّم فى البادية، ويورِّق(٣) فى الحضر، وكان راوية لأبى البيداء الرياحى، وكان أبوالبيداء زوج أم أبى مالك، وكان أبومالك يحفظ اللغة كلها، وكان بصرى المذهب.

- وأبوزياد الكلابى، واسمه: يزيد بن عبدالله بن الحُرّ، أعرابى بدوى، قال عنه دعبل: قدم بغداد أيام المهدى العباسى، حين أصاب الناس المجاعة، ونزل قطيعة(٤) العباس بن محمد، فأقام بها أربعين سنة، وبها مات.

وكان أبوزياد الكلابى شاعراً من بنى عامر بن كلاب.

وهكذا كانت البادية أو البوادى تساند المدرسة فى تعليم اللغة والشعر والأدب.

وكان للبادية معلموها الذين يمارسون التعليم لتلاميذهم فى البادية، أو الذين يفدون منهم إلى الحواضر ليعلموا الناس اللغة صحيحة فصيحة نقية من الشوائب.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة: ٤٩٧ ط المطبعة الأزهرية ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م.

(٢) ابن النديم نفسه أعجمى كان يجيد العربية أيما إجادة.

(٣) يورِّق أى يبيع الورق -الكتب- أو كان له حانوت فى بعض الحواضر يبيع فيه الكتب.

(٤) قطيعة: أى قطعة أرض أو مبنى أو نحوه.

٤- وحوانيت الوراقين:

الورَّاق هو الذى يهيئ ورق الكتابة أو يكتب عليه أو يبيعه، ولم تكن مهنة الوراقة -فى عهد الدولة العباسية- تقف عند حد عقد الصفقات التجارية وبيع الكتب، وإنما كانت تتعدى ذلك إلى مهام ثقافية أخرى فى ذلك الحين؛ إذ كان الوراقون هم الذين ينسخون الكتب الهامة، ويعرضونها للبيع لمن يرغب فيها من أهل العلم، أو كانوا ينسخون بعض الكتب بالأجر.

ووصف ابن الجوزى (٥٠٨-٥٩٧هـ) فى كتابه: «مناقب بغداد» وهو رسالة صغيرة، جاء وصف سوق الوراقين فيها بقوله: «إنها سوق كبيرة، وهى مجالس العلماء والشعراء».

ووصف المقريزى سوق الوارقين بالقاهرة فى كتابه: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بخطط المقريزى، فقال عن سوق الكتبيين بمصر: «هذا سوق فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، أُحْدِث فيما أظن سنة ٧٠٠هـ، وكان سوق الكتب قبل ذلك تجاه الجانب الشرقى من جامع عمرو بن العاص، وما برح هذا السوق مجمعًا لأهل العلم يترددون عليه..».

وقد كانت حوانيت الوراقين مقصداً لطلاب العلم، الأغنياء منهم يشترون الكتب والفقراء يطالعون فيها، منحة من صاحب الحانوت أو لقاء أجر زهيد.

● وقد ظهرت دكاكين الكتب عندنا منذ قيام الدولة العباسية فى بغداد، ثم انتشرت فى كثير من عواصم العالم الإسلامى، بل حفلتْ كل مدينة أو قرية أو محلة بعدد غير قليل من هذه الحوانيت، وكان من نتيجة ذلك أن اهتم الناس بالكتاب ورغبوا فى اقتنائه، كما سنوضح ذلك عند حديثنا عن المكتبات العامة والخاصة.

وفى كثرة عدد حوانيت الوراقين فى كل ضاحية من ضواحى بغداد، يقول أحمد بن إسحق اليعقوبى (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) فى كتابه: البلدان، فى حديثه عن رَبَض (ضاحية) من أرباض بغداد اسمه ربض وَضَّاح (مولى أمير المؤمنين): «وبه أكثر من مائة حانوت للوراقين»[١].

وكان فى مصر فى عهد الطولونيين والإخشيديين سوق ضخمة للكتب تعج بها حوانيت الوراقين، كما كانت هذه الحوانيت تدار فيها مناظرات ومناقشات عملية وأدبية، كما تحدث بذلك عدد من المؤرخين.

---

(١) اليعقوبى :البلدان: ١٧ ط النجف.

● وكان عدد من أصحاب حوانيت الوراقة من مشاهير العلماء والأدباء والمؤرخين مثل:

- ابن النديم (٢٩٧-٣٧٨هـ) صاحب كتاب الفهرست أهم كتاب يؤرخ للكتب، فهرسة الكتب «الببليوجرافيا».

- وعلى بن عيسى بن على الرمانى (٢٧٦-٢٨٤هـ) كان وراقًا، وكان أديبًا، كما ذكر عنه ذلك ياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء[١] وقال عنه: كان إمامًا فى علم العربية علامة فى الأدب.

- وياقوت الحموى (٥٧٤-٦٢٦هـ) فقد كان وراقًا وأديبًا ومؤرخًا وجغرافيًا، وهو مؤلف أشهر معجمين: معجم الأدباء ومعجم البلدان. توجه ياقوت إلى دمشق سنة ٦١٣هـ، و قصد بعض أسواق الكتب فى دمشق وناظر فيها وحاور.

- وكان الجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ) كما حدث عنه بعض المؤرخين يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر[٢].

● وقد ظلت مهنة الوراقة حرفة لبعض أهل العلم إلى وقت قريب من زمننا هذا كما حكى عن حانوت بيع الكتب فى خان الخليلى بالقاهرة حيث كان يملكه الشيخ عبدالملك الفشنى.

- وذكر ياقوت الحموى فى كتابه: معجم الأدباء، قال: كان من عادة الإمامين الشهيدين: أبى الفرج الأصفهانى وأبى نصر الزجاج أن يلتقيا فى دكان فى سوق الوراقين...»[٣].

٥- المكتبات الخاصة والعامة:

كلما اتسعت دائرة القراءة وانتشرت بين الناس، زادت ثقافة الناس ونمت معارفهم وأقبلوا على العلم، وذلك من صميم ما جاء به الإسلام الدين الخاتم، فقد كانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً على النبى الخاتم ﷺ: «اقرأ....» فكان ذلك إشارة مبكرة إلى أهمية القراءة وضرورة الثقافة ووجوب البحث العلمى، إذ كل ذلك نتيجة للقراءة.

والقراءة ذات معنى واسع فهى وإن كان معناها المباشر قراءة المكتوب، إلا أن من معانيها:

- قراءة ما يشاهد أو يحس بإحدى الحواس من بصر وسمع وذوق وشم ولمس، وإدراك ما تدل عليه هذه المادة المحسوسة.

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء: ١٤/٧٣ ط دار المأمون بالقاهرة.

(٢) السابق: ٦/٥٦.

(٣) السابق: ٥/١٥٧-١٥٨.

- وقراءة ما يعقله عقل الإنسان ويتدبره بعد تفكير وتأمل لمعرفة دلالاته وإشاراته.

● والقراءة تعنى مقروءاً مكتوباً فى الغالب وذلك هوالكتاب، ومن هنا أصبح الكتاب فى المجتمع المسلم ذخراً بل ثروة يعتز بها صاحبها.

- ومن يوم كتب القرآن الكريم فى حياة رسول الله ﷺ.

- وجمع على عهد خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

- ونسخت منه نسخ عممت على الأنصار فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

منذ هذه التواريخ فقد أصبح عند المسلمين أجَل كتاب وأنفعه وأدلَّه على الهدى ودين الحق وهو: القرآن الكريم.

● وفى حياة رسول الله ﷺ أذن لبعض الصحابة أن يكتبوا عنه بعد أن كان يمنع ذلك فى البداية، وإلى أن طلب الخليفة المنصور العباسى من الإمام مالك أن يضع للناس كتاباً يحملهم الخليفة على العمل بما فيه، فصنع كتابه: «الموطأ» أحد كتب السنَّة الثمانية[1]، بل يكاد كتاب الموطَّأ يكون أهم كتب السنة من حيث هو أولها، وأهم كتب الفقه وأكثرها دقة وتيسيراً، وأولها كذلك.

● منذ ذلك الزمان أصبح فى أيدى المسلمين مع كتاب الله تعالى كتاب جامع ميسَّر فى السنة النبوية هو «الموطأ» أى الميسَّر، ومن هنا كان الاعتزاز بالكتاب قراءة وانتفاعًا واقتناء، وبدأ البحث عنه واستنساخه والإنفاق من أجل الحصول عليه.

● ثم توالت الكتب تأليفًا ثم نَسْخًا، وتعددت العلوم والفنون التى ألفت فيها الكتب، ثم ألفت كتب لها صلة بالكتاب والسنة ككتب اللغة نحوها وصرفها وأدبها وشعرها. وكتب السيرة النبوية، ثم كتب السنة المشهورة، واندفع المسلمون فى التأليف كما اندفع النساخ فى النسخ حتى لكأن أهم ما يشغل المسلمين حينئذ كان التأليف ونسخ ما ألف.

● ثم اتجه الناس إلى اقتناء الكتب فى بيوتهم وإعداد مكان فى البيت خاص بالكتب (المكتبة) وبخاصة الكبراء والأثرياء والمثقفون.

---

(١) هى الكتب الستة المشهورة: البخارى ومسلم والترمذى وابوداود والنسائى وابن ماجة - والسابع موطا مالك والثامن مسند الدارمى.

ثم أخذ بعض الحكام وبعض الأمراء والوزراء، مع انتشار التعليم ينشئون المكتبات العامة، وكثير منها كان ملحقًا بالمساجد أو بالمدارس.

وكانت المكتبات العامة فى بدء أمرها عملاً علميًا رائعًا، كان فيما بعد نواة للجامعات الإسلامية المبكرة التى كانت بدايتها «بيت الحكمة» فى بغداد، و«دار الحكمة» فى القاهرة، وقد أودع عدد كبير من هذه الكتب أو المكتبات بالمساجد الجامعة.

- ولم تكن جهود الأفراد فى تكوين مكتبات تخصهم أقل شأنًا أو أهمية؛ لرغبتهم الدينية فى التزود بالكتب التى تمدهم بما شاءوا من معلومات عن الدين؛ شريعته ونظامه وقيمه وآدابه، وتمدهم بما شاءوا من المعارف والثقافات التى تسود المجتمع والعصر الذى يعيشون فيه.

- أما المكتبات التى كان ينشئها الخلفاء والأمراء والحكام والعلماء والأثرياء، بقصد تيسير القراءة فيها على غير القادرين على اقتنائها؛ فقد كانت كثيرة وضخمة بحيث تغطى حاجة الراغبين فى القراءة والمعرفة والعلم فى مجالات عديدة.

وتاريخ المسلمين حافل بعشرات المكتبات بل مئاتها.

- ومن باب إسناد الفضل لأهله -فى مجال الكتاب- لابد أن نذكر أن الجاحظ كان من أوائل من أشادوا بالكتاب، حيث قال فى كتابه العلمى الموسوعى: «الحيوان».

«والكتاب هو الذى يؤدى إلى الناس كتب الدِّيْن وحساب الدواوين، مع خفة نقله وصغر حجمه، صامت ما أَسْكَتَّه، وبليغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لا يبتديك فى حال شغلك، ويدعوك فى أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التحمّل له والتذمم منه؟

ومن لك بزائر إن شئتَ جعل زيارته غِبًّا، ووروده خِمْسًا، وإن شئتَ لزمك لزوم ظلك وكان منك وكان بعضك؟

والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك، والصديق الذى لا يغريك، والرفيق الذى لا يملُّك..

والكتاب هو الذى إذا نظرت إليه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجدَّد بيانك وفخم ألفاظك.

والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار.. وهو المعلم الذى إن افتقرت إليه لم يخفرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة..»[1].

وسوف نتحدث بإيجاز عن نقطتين فى المكتبات:

إحداهما عن المكتبات الخاصة، والأخرى عن المكتبات العامة. والله ولى التوفيق.

أ-المكتبات الخاصَّة:

هى المكتبات المنسوبة إلى أفراد، ولكنها على الرغم من تلك الخصوصية ذائعة الشهرة، ومن هذه المكتبات:

- دار العلم بالموصل فى العراق:

وهى مكتبة أنشأها أبوالقاسم جعفر بن محمد الموصلى، وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وجعلها وقفًا على كل طالب للعلم، لا يُمنع أحدٌ من دخولها، وإذا جاءها غريب يطلب الأدب وكان معسرًا أعطاه ورَقًا ووَرِقًا[2]......»

- ودارا العلم بمدينة «رام هرمز» اللتان أنشأهما ابن سوار، وجعل فيها إجراءً (أى تبرعًا ماليًا) على كل من قصد هذين الدارين ولزمهما للقراءة أو للنسخ.

- وخزانة الكتب بالبصرة:

وكانت يضرب بها المثل فى الاتساع وفى كثرة الكتب الموجودة فيها، وكانت لا ترى خالية لكثرة ما يتردد عليها الناس فهى عامرة أبداً. وكان فيها بصفة دائمة شيخ يعلم علم الكلام على مذهب المعتزلة.

- وخزانة كتب «سابور» ببغداد:

أنشأها «سابور بن أردشير» المتوفى ٤١٦هـ وكانت مكانًا له أهميته ومكانته يقصده العلماء وطلاب العلم، والباحثون، والقراء.

وكثيرًا ما كانت تعقد فيها المحاورات والمناظرات.

وكانت مقر إقامة لبعض العلماء والأدباء، حيث كان لهم فيها مأوى ومرتزق.

وعندما كان أبوالعلاء المعرى ببغداد كان يؤثر الإقامة فيها.

---

(١) الجاحظ: الحيوان: ١/٥٠-٥١ ط الحلبى القاهرة دون تاريخ تحقيق المرحوم عبدالسلام هارون.

(٢) الورَق معروف، والورِق: المال من الفضة.

وبعد، فلا أستطيع إحصاء المكتبات الخاصة فى عصور المسلمين العديدة، وحسبك مثلاً فى الصعوبة أن تحصى المكتبات الخاصة فى عاصمة كالقاهرة أو دمشق أو بغداد أو قرطبة أو غرناطة.

ب- المكتبات العامة:

المكتبات العامة هى التى كانت تنشئها الحكومة أو الخليفة أو الوزير، وكانت هذه المكتبات كثيرة أيضًا بحيث لا تخلو عواصم العالم الإسلامى من مكتبة أو أكثر، وكانت مقصد العلماء وطلاب العلم، والباحثين ومحبى القراءة والمعرفة. وسوف نذكر منها بعضها أو بعض ما اشتهر منها، ومن ذلك:

- بيت الحكمة:

كانت ببغداد أنشأها هارون الرشيد -على أرجح الأقوال- وجمع فيها ما كان قد ترجم إلى العربية من كتب العلم، والطب وكثيرًا من كتب العلوم الإسلامية، وما وقع لهارون الرشيد من كتب الروم فى أنقرة وغيرها، وما أضافه خالد البرمكى وجمعه من كتب الهند.

- وفى خلافة المأمون بن هارون الرشيد أنشأ مجالس للترجمة فاجتمع فى بيت الحكمة من كتب العلم فى لغاتها ما ترجم من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية.

بخلاف الكم الهائل من الكتب العربية.

وكان ببيت الحكمة نساخ، ومدرسون، ومؤلفون يطيلون البقاء فيها حتى يحققوا بغيتهم.

وكانت المطالعة فى بيت الحكمة لا تتوقف.

وكان يتردد عليها من مشاهير العلماء والأدباء:

- محمد بن موسى الخوارزمى عالم الفلك والرياضيات والتاريخ.
- ويحيى بن منصور الموصلى.
- والفضل بن نوبخت.
- وأولاد شاكر الثلاثة، وغير أولئك كثير.

وكان للمكتبة قيم يدير شئونها وكان يسمى: صاحب بيت الحكمة.

- **ومكتبة دار الحكمة بالقاهرة:**

وتسمى دار العلم وقد أنشأها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى سنة ٣٩٥هـ بجوار القصرالغربى بالقاهرة، وحمل إليها الكتب من خزائن القصور، ووقف لها الأوقاف.

وكانت مقصداً للعلماء والمؤلفين ومحبى المطالعة والدرس.

وقد أقام الحاكم بأمر الله بدار الحكمة القراءَ والمنجمين، وعلماء اللغة والنحو، والأطباء، وأجرى على هؤلاء المقيمين بدار الحكمة الأرزاق.

وكان الناس يترددون عليها للقراءة والنسخ ما شاءوا، و قد توافر فى دار الحكمة لهؤلاء الناسخين، الأقلام والحبر والورق.

وعقدت فيها المناظرات العلمية على قدم وساق بأمر الحاكم بأمر الله نفسه.

وكان لدار الحكمة قيم يدير شئونها وموظفون نُسَّاخًا وغير نساخ.

- **مكتبة قرطبة بالأندلس:**

وكانت مقامة فى قصر الحكم المستنصر بن الناصر الذى تولى الخلافة سنة ٣٥٠هـ، وجمع فيها من الكتب على عادة مسلمى الأندلس ما ينافس به بيت الحكمة ببغداد.

وقد زاد عدد الكتب فى هذه المكتبة، حتى إن بها فهارس الدواوين وحدها بلغت أربعة وأربعين فهرسًا فى كل فهرس عشرون ورقة!!! لكنها كانت مقصورة -بحكم وجودها فى قصرالخليفة- على العلماء والأدباء والشعراء.

- على أن المكتبات العامة فى الأندلس كانت كثيرة حتى ليقال: إن غرناطة وحدها كان فيها سبعون مكتبة عامة!!!

والخلاصة التى أريد أن أنتهى إليها هى أن المكتبات الخاصة والعامة فى العالم الإسلامى كله كانت مؤسسات تعليمية ساندت المدرسة فى نشر التعليم والثقافة، وانضمت إلى المؤسسات التى ساندت المدرسة الإسلامية كالمسجد والبيت والبوادى وحوانيت الوراقين.

*****

الباب الأول

المدرسة الإسلامية والمجتمع

ويتناول :

- التقديم.
- **الفصل الأول: المدرسة الإسلامية عريقة فى تاريخ المسلمين.**

١- فى النشأة ؛ أسبابها وأشهر المنشئين والمهتمين بالمدرسة .

٢- أهداف المدرسة الإسلامية القديمة .

٣- المنهج فيها ومفرداته .

- **والفصل الثانى: المدرسة الإسلامية الحديثة.**

١- شخصية المدرسة الإسلامية الحديثة .

٢- المشكلات والمعوقات أمام المدرسة .

٣- ماذا يرجى من المدرسة الإسلامية ؟

أ- التربية الإسلامية .

ب- التزكية الإسلامية .

جـ- التعليم الإسلامى .

التقديم لهذا الباب:

هذا الباب الأول الذى يحمل عنوان «المدرسة الإسلامية والمجتمع» يقوم على إيضاح حقيقتين، إحداهما: أن المدرسة الإسلامية عريقة فى تاريخ المسلمين، والأخرى أن المدرسة الإسلامية الحديثة تناط بها آمال عراض على الرغم مما فى طريقها من معوقات.

وفى التقديم لهذا الباب أود التأكيد على أن المدرسة لا توصف بأنها إسلامية إلا أن كانت تربِّى، وتُزكى، وتُعلم وَفْق قيم الإسلام ومعاييره.

والتربية والتعليم كما أوضحنا -آنفًا- إنضاج لشخصية الإنسان وتنمية لها فى كل جوانبها: الروحية والخلقية والعقلية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والجهادية والجمالية والجسدية، إذ لا يكون الإنسان مسلمًا حقًا وصدقًا، علمًا، وعملاً، عبادة ومعاملة، قلبًا وقالبًا إلا إذا حدث له النضج والنماء فى كل هذه الجوانب من شخصيته، وعندئذ يصبح مسلمًا متكاملاً -لا كاملاً لأن الكمال لله وحده- قادرًا على التعاون مع المؤمنين على البر والتقوى،والتعاون مع غير المسلمين على ما يجلب المصالح ويرد المفاسد عن الناس.

- والمدرسة لا يجوز أن تسمى إسلامية إلا أن استطاعت من خلال معطياتها، مبنى ومعنى وإدارة ومدرسًا ومنهجًا وكتاباً، ومرافق ومعامل ومناشط، أن تكوِّن الإنسان المسلم من جميع جوانب شخصيته، لكى يعيش حياته الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى له إذ فضله على كثير ممن خلق.

وعلى المدرسة الإسلامية أن تبذل أقصى ما فى وسعها لتصل بالإنسان إلى هذا المستوى، أو لا يجوز أن توصف بأنها إسلامية.

- ومن أجل الوصول إلى تربية المسلم وتزكيته وتعليمه لابد لها من العمل وفق القيم والمبادئ الإسلامية.

– فما تلك القيم والمبادئ الإسلامية التى تلزم فى تربية المسلم وتزكيته وتعليمه؟

– ومن أين يمكن الحصول على هذه القيم وتطبيقها؟

– وما أقرب الطرق وأيسرها لتحقيق هذه القيم والمبادئ وتطبيقها؟

– وما نتائج تطبيق هذه القيم والمبادئ فى الحياة الإنسانية؟

ذلك ما نحاول أن نجيب عنه فى هذه الصفحات بإيجاز فى التقديم تاركين الشرح والتفصيل لهذه القضايا لأبواب الكتاب كلها، والله المستعان.

● ما القيم والمبادئ الإسلامية التى تُلْتَزم فى تربية المسلم وتزكيته وتعليمه؟

القيم عمومًا هى: كل ما كان جديرًا بالاحترام والاهتمام والعناية، وما ينبغى للإنسان المسلم نشدانه لاعتبارات اجتماعية أو سياسية أو نفسية، والقيم دائمًا قادرة على تحديد فكر الإنسان وتوجيه عمله وسلوكه.

– وللقيم معنيان:

أحدهما: موضوعى وهو: أن تكون القيمة من صميم ما يكون جديرًا باحترام الإنسان والرغبة فيه.

والآخر: ذاتى وهو: ما يكون جديرًا باحترام شخص معين ورغبته فيه.

● والقيم أنواع منها:

– قِيَم خلقية ؛ ترسم للإنسان معايير الخير والشر.

– وقيم منطقية أو عقلية؛ تبين للإنسان الصواب والخطأ.

– وقيم جمالية؛ توضح للإنسان الجميل والقبيح، وتحدد معايير الجمال والقبح.

أما المبادئ فهى القواعد أو المعايير، وهى أنواع؛ دينية، وعلمية ومنطقية أو عقلية.

ويقال المبادئ الكلية أو العامة وهى التى يفسَّر بها؛ التفاعل الإنسانى، والثقافة، والنظريات العامة.

● والقيم الإسلامية هى كل ما أمر الإسلام به أن يفعل من خير أو يجتنب من شر.

والمبدأ العام فى ذلك هو أن كل ما أمر الإسلام به هو خير، وأن كل ما نهى عنه فهو شر.

وما من خير إلا وهو جدير بان يرغب فيه الإنسان؛ إذا كان صاحب فطرة طبيعية لم يلوثها الشيطان بوسوساته، وما من شر إلا كان الإنسان صاحب الفطرة التى فطره الله عليها، نافرًا منه كارهًا له، إلا أن تزينه الشياطين.

● وكل القيم الخلقية والعقلية والجمالية جاء بها الإسلام وحسَّن إلى الناس الخير والصواب والجمال فيها.

لأن المبدأ العام الحاكم فى ذلك هو: أن كل أنواع الخير، وكل ضروب الصواب -أى الحق- وكل أنواع الجمال من المبادئ الإسلامية. وهى فى الوقت نفسه قيم إسلامية.

● ومن أين نحصل على القيم والمبادئ الإسلامية؟

لأن هذه القيم والمبادئ ثوابت لا تتغير بتغير الزمان والمكان فإن البحث عنها إنما يكون فى المصادر الثابتة الدائمة التى لا تفارق الإسلام ولا يفارقها الإسلام؛ طالما كانت على الأرض حياة إنسانية.

وأثبت المصادر الإسلامية وأدومها وأبعدها عن التغيير أو التبديل منحصرة فى الوحى الذى أوحاه الله تعالى إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، وذاك الوحى شيئان:

- القرآن الكريم الذى تكفل الله بحفظه، بينما استحفظ بعض خلقه على كتبه التى سبقت القرآن فى النزول، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩]

- والسنة النبوية المطهرة من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته، لأنه ﷺ كما وصفه الله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ** ﴾ [النجم:٣-٥]، وسيرة النبى ﷺ جزء من سنته.

من هذه المصادر الكتاب والسُّنة والسيرة النبوية نحصل على القيم والمبادئ الإسلامية التى نلتزم بها ما حيينا لكى نوصف بأننا مسلمون.

● وما أقرب الطرق للحصول على هذه القيم والمبادئ؟

هى القراءة الواعية المتدبرة لهذه المصادر، قراءة عمل وتطبيق لا لمجرد المعرفة والاطلاع، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون، لأن العبرة فى هذه القيم والمبادئ بالتطبيق والعمل لا بالتنظير والهرطقة.

وقد روى عن أكثر من واحد من الصحابة رضى الله عنهم أنه كان يحفظ الآية فيعمل بها قبل أن ينتقل إلى سواها.

وأفضل الطرق وأيسرها فى وقتنا هذا أن يجتمع بعض المسلمين الصالحين على بعض آيات القرآن يتدارسونها مستهدين فى ذلك بأحد كتب تفسير القرآن الكريم المعتمدة، ثم يتحاورون ويتساءلون فيما بينهم عن كيفية تطبيق الآيات التى تدارسوها، ثم

يطبقونها، وكذلك يفعلون مع الحديث النبوى وسيرة النبى ﷺ، على أن يعين بعضهم بعضاً على الطاعة والتطبيق كما أمر الله به.

وما أجمل أن يحاسب كل امرئ نفسه على ما طبق من آيات كريمة وأحاديث نبوية فى ورد المحاسبة اليومى، على أن يتخذ الصالحون من المسلمين رسول الله ﷺ قدوة لهم.

● وما نتائج تطبيق القيم والمبادئ الإسلامية فى الحياة الإنسانية؟

إن هذه النتائج لاتباع قيم الإسلام ومبادئه قد أشار إليها رسول الله ﷺ فى إجمال فيما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مَثَل ما بعثنى الله عز وجل من الهدى والعلم كَمَل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها؛ طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل مَن فقه فى دين الله ونفعه بما بعثنى الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به»**.

أما النتائج التفصيلية للتمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية فى عصرنا هذا فهى كثيرة وطيبة وقادرة بفضل الله على أن تخرج المسلمين مما هم فيه اليوم من ضعف وتخاذل، مع كثرة الأعداء وتكالبهم، بل إن هذا التمسك بقيم الإسلام ومبادئه لهو أقوى الأسباب فى أن يمتلك المسلمون اليوم القوة بأنواعها العديدة، وأن يكونوا كما وصفهم الله تعالى خير أمة أخرجت للناس، لأن من تمسك بقيم الإسلام ومبادئه آمن بالله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ومن آمن بالله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر عاش دنياه عزيزاً قوياً وعاش آخرته راضياً مرضياً.

وفى هذا الباب نتحدث فى فصلين:

الأول منهما: عن أن المدرسة الإسلامية عريقة فى تاريخ المسلمين.

والآخر: عن المدرسة الإسلامية الحديثة وماذا يرجى منها اليوم للمسلمين.

الفصل الأول

المدرسة الإسلامية عريقة فى تاريخ المسلمين

وتحت هذا العنوان نتحدث عن المدرسة الإسلامية قديمًا، عن نشأتها وأسباب هذه النشأة وأشهر المنشئين لها والمهتمين بأمرها، وعن أهداف المدرسة فى ذلك الوقت ومنهجها ومفردات هذا المنهج.

- وفى بداية كلامنا هذا نحب أن ندفع وَهْمًا قد يقع فيه بعض المتحمسين، وهو قولهم: إن هناك مدرسة إسلامية هى الأنموذج والمثال الذى يحتذى، وذلك وهم لأن تلك المدرسة الإسلامية الأنموذج لم يكن لها وجود قديمًا أو حديثًا، لأن المثال خيال لا تستطيعه طبيعة البشر، وإنما يتخيل هذا المثال ليحتذى فى حدود طبيعة البشر وطاقتهم.

- كما نحب أن ندفع وهمًا آخر قد يترتب على الوهم الأول، وهو قول بعضهم: مادام الأنموذج والمثال غير مستطاع، فلماذا يحرص الإسلام على رسم حدوده وتوضيح أبعاده؟

والجواب على ذلك: أن الكمال بالنسبة للإنسان مستحيل التحقق، ولكن الإنسان مطالب دائمًا بأن يقترب من الكمال ما استطاع، وهو فى ذلك غير مخطئ ولا مقصر، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **فسددوا وقاربوا...**».

و بعد هذا الدفع لهذين الوهمين نقول:

إن المدرسة الإسلامية قديمًا لم تكن أنموذجًا ولا كانت مثالية وإنما كانت أقرب إلى قيم الإسلام ومبادئه، من مدرستنا اليوم، ولهذا التميز أسباب عديدة لا سبيل لنا إلى تفصيلها الآن.

وكل الذين يدعون أن بعض المؤسسات الإسلامية التربوية قديمًا؛ كانت أنموذجًا ومثالاً، فليست دعواهم هذه صحيحة، وإنما ساقهم إليها حُسْن ظنهم من جانب، وعدم تحرى الدقة فى معرفة ما يستطيعه الإنسان من جانب آخر.

والمدرسة الإسلامية بكل تأكيد عريقة فى تاريخ المسلمين، كما نوضح ذلك فيما يلى:

أولاً: نشأة المدرسة الإسلامية قديمًا:

أمضى المسلمون ما يقرب من ثلاثة قرون من الزمان بعد أن ظهر الإسلام وهم يعتمدون فى التربية والتعليم على الكتَّاب للصبيان، وعلى المسجد لمن تجاوز سن الصبّا، وعلى البيوت للبنات.

وهذه القرون الثلاثة الأولى فى تاريخ الإسلام هى خير القرون كما أخبر بذلك النبى ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**خير القرون الذى أنا فيه، ثم الثانى، ثم الثالث**» لذلك كان أهل هذه القرون أكثر المسلمين تمسكًا بقيم الإسلام ومبادئه.

وكان التعليم فى الكتاب عندهم أقرب ما يكون إلى التمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية، كما كان التعليم فى المسجد أكثر تمسكًا بالقيم والمبادئ الإسلامية.

- ثم توالت الأيام والأحداث واتسعت رقعة العالم الإسلامى بدخول الناس فى دين الله أفواجًا، ومع التوسع لابد أن يزيد عدد المتمسكين بقيم الإسلام ومبادئه.

ومع هذا الاتساع وتلك الكثرة، ومع تنوع الاحتياجات التعليمية لابد أن يصبح المسجد والكتَّاب والبيوت وقصور الخلفاء والبوادى وحوانيت الوراقين والمكتبات غير قادرة على استيعاب هذه الأعداد الكبيرة من المتعلمين، وهذه التنوعات فى التعليم اقتضاها الاتساع والكثرة العددية، لأن نسبة الراغبين فى التعليم قد زادت زيادة كبيرة.

ولا سبيل إلى مواجهة هذا الواقع إلا بإنشاء المدرسة المعروفة لدى بلاد أخرى غير إسلامية، فأنشئت المدارس بلاشك، ولكن متى كان البدء فى إنشائها؟

ليست هناك إجابة قاطعة بابتداء النشأة فى سنة بعينها، لكن تعددت أقوال المؤرخين فى ذلك، ومنها:

- أن أول مدرسة أنشأها المأمون العباسى قبل أن يكون خليفة أثناء كان والياً على خراسان، حيث أنشأ أول مدرسة فى نيسابور عاصمة خراسان، وكان ذلك قبل سنة ١٩٨هـ تلك السنة التى تولى فيها الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين.
- وهذه المدرسة تكون قد أنشئت قبل مدرسة نظام الملك بأكثر من مائتين وخمسين عاماً.

ثم توالى إنشاء المدارس.

- ويقول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان[1]: أنشئت مدرسة ابن فُورك محمد بن الحسن الأنصارى الأصبهانى[2] الفقيه الشافعي الذى حدَّث بنيسابور، وبنى بها مدرسة سميت باسمه ولما مات نقل ودفن قريبًا من مدرسته.

- ويقول السيوطى فى كتابه: حسن المحاضرة[3]: أنشئت المدرسة البيهقية، نسبة إلى البيهقى أحمد بن الحسين[4] بنيسابور أيضًا.

- ثم بنى نصر بن سبكتكين المتوفى سنة ٤٢١هـ وهو أصغر أبناء السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين، بنى المدرسة «السعيدية» قبل عام ٤٢١هـ عام وفاته.

- ومدرسة بناها إسماعيل الاستراباذى الصوفى المرابط.

- ومدرسة بُنيتْ للأستاذ أبى إسحق الشيرازى (٣٩٣-٤٧٦هـ) والشيرازى علاَّمة مناظر، مفتى الأمة فى عصره.

والذى بنى له المدرسة هو نظام الملك وسميت «المدرسة النظامية» على شاطئ دجلة ببغداد.

- ومدرسة سابعة بناها نظام الملك فى نيسابور قبل أن يبنى مدرسته المشهورة فى بغداد، وقبل مدارسه العديدة، ولو كنا نملك وثائق لقلنا: إنها أول مدرسة بناها نظام الملك.

- وأشهر مدارسه؛ المدرسة النظامية:

وهى منسوبة إليه، وقد بناها نظام الملك الذى وزر للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى ثم للسلطان محمود ملكشاه، وعاش نظام الملك من سنة (٤٠٨-٤٨٥هـ)، وكانت وزارته جديرة بأن تسمى وزارة العلم لكثرة ما بنى فيها من مدارس ومساجد، ورُبُط.

وكان نظام الملك أول من أنشأ المدارس، فاقتدى به الناس كما قال بذلك المؤرخون[5].

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/ ٤٨٢.

(٢) توفى ابن فورك سنة ٤٠٦هـ - ١٠١٥م، ولا تعرف سنة ميلاده

(٣) السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ٢/ ١٨٥

(٤) ولد البيهقى سنة ٣٨٤هـ وتوفى سنة ٤٥٨هـ وهو من أئمة الحديث ولد فى قريه تابعة لبيهق ونشأ فى بيهق ثم انتقل إلى بغداد، فالكوفة فمكة.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/ ٢٩٥ ط النهضة المصرية بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ١٩٤٨م.

وكانت المدرسة النظامية ببغداد أكبر المدارس وأحفلها بالعلماء والمتعلمين، وأغنى المدارس بالأوقاف والأموال والكتب، والأروقة التى كانت سكنًا وإيواء لطلاب العلم.

وكان نظام الملك ينفق على المدارس وطلاب العلم ستمائة ألف دينار سنويًا وكان مقتنعًا بذلك.

ثانيًا: أسباب إنشاء المدارس:

نحاول هنا أن نذكر بعض الأسباب التى جعلت هؤلاء الوزراء وأولئك الأمراء والسلاطين ينشئون هذه المدارس أو يكثرون منها كما يرى بعض الباحثين، وكما أتصور من خلال ما قرأت عنهم وعن مدارسهم.

كان من أبرز هذه الأسباب:

أ- تأييد المذهب الذى ينتمى إليه الحاكم سواء أكان سُنّيًا أم شيعيًا كما اتضح ذلك فى بناء نظام الملك الذى وزر لسلطان شيعى فأكثر من المدارس التى يدرس فيها فكر الشيعة وفقههم.

وكما ذكرنا ذلك عن الدولة الأيوبية التى جاءت على أنقاض الدولة الفاطمية، حيث أكثر صلاح الدين والسلاطين الأيوبيون من المدارس التى تدرس فقه أهل السُّنَّة ومذهبهم.

ب- وبعض هؤلاء الوزراء كانوا موالى أو أرقاء للسلاطين أوالخلفاء وكثيراً ما كان السلاطين أو الخلفاء يستولون على أموالهم بعد موتهم لأن العبد وما ملكت يداه لسيده، فيترتب على ذلك حرمان أبناء هؤلاء الوزراء الموالى أو الأرقاء من ميراثهم عن آبائهم؛ فمن أجل ذلك اتجه كثير من الوزراء إلى بناء المساجد والمدارس ووقفوا عليها أموالهم، وشرطوا فى الوقف أن يتولاه بعض أبنائهم ويكون لهم من هذه الأموال نصيب، فضمنوا بذلك بقاء أموالهم وانتفاع أبنائهم بها.

جـ- والرغبة فى نشر العلم والمعرفة، وبخاصة علوم الدين؛ لأن عدداً كبيراً من الخلفاء والسلاطين كانوا يحبون العلماء، وبعض هؤلاء الخلفاء والسلاطين كانوا يتصفون بصفات العلم والمعرفة والحكمة، وكثيراً ما يشاركون العلماء مجالس العلم، بل إن عدداً منهم كان يعقد مجالس العلم فى بيته أو قصره، على نحو دورى أسبوعى أو شهرى، وكل ذلك أدى إلى اهتمام هؤلاء الخلفاء أو السلاطين بإنشاء المدارس وما يلحق بها من مرافق.

د- ولعل من أبرز الأسباب فى بناء المدارس تقرب القادرين من المسلمين إلى الله تعالى بالعمل الصالح الجارى ثوابه، وهو بناء المدارس والزوايا والربط ونحوها، ووقف الأوقاف عليها، لأن كل ذلك فى سبيل الله تعالى، وكله قد أكدت نصوص الدين أن أجره عند الله تعالى عظيم، ولذلك تنافس القادرون فى بناء المدارس.

هـ- فإذا أضيف إلى ذلك سبب جوهرى يعود إلى أن الإنسان قد فطره الله تعالى على أنه يحب ويرغب فى أن يذكر بعد موته ذكرًا حسنًا، وبناء مدرسة أو مسجد أو زاوية أو رباط سبب عظيم فى حسن ذكر من بناه أو أوقف عليه ماله.

ثالثًا: أشهر مُنشئ المدارس دولاً وأفرادًا:

هناك عدد من الحقائق نريد أن نسجلها بين يدى هذا العنوان وذلك مما يزيد الأمر وضوحًا، وتلك الحقائق تَرُدُّ على كثير من التساؤلات وعلى كثير من المفتريات والمغالطات حول المدرسة الإسلامية وهذه الحقائق هى:

- أن إنشاء المدارس كان له أثر كبير فى نشر العلوم الإسلامية والمعرفة والثقافة، وكان له تأثير كبير على نشر التربية والتعليم فى أوساط الناس على مستوى العالم الإسلامى كله آنذاك.

- وأن هذه المدارس كانت من الكثرة والتنوع بحيث استجابت لمطالب التعليم والتعلم فى العالم الإسلامى الذى يزداد اتساعًا وتترامى أطرافه ويكثر عدد الداخلين فيه، بحيث نستطيع أن نقول: إنه مامن مدينة أو قرية دخلها الإسلام ودخل أهلها فى الإسلام إلا أنشئت فيها مدارس تستوعب عدد الراغبين فى التعلم، إلى جانب المساجد والرُّبُط التى كانت تؤدى مهمة تعليمية إلى جوار مهامها الأصلية.

- وأن هذه المدارس أسهمت مع المساجد فى نشر العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية، وكثير من العلوم الكونية التى كانت معروفة فى العصور التى أنشئت فيها مما يحتاج الإنسان إليها، ليعيش حياة أكثر تقدمًا وراحة ورفاهية، ومما يسهم فى بناء حضارة إنسانية جيدة تلائم طموح الإنسان وتطلعه إلى حياة أفضل.

- وإن هذه المدارس كان إنشاؤها موضع تنافس بين دول العالم الإسلامى، شرقه وغربه حتى الأندلس، وأن هذا التنافس قد انتقل من الدول -الخلفاء- إلى الوزراء، الأغنياء والعلماء، وأهل الخير والإحسان.

ومن هذه الدول التى كان لها شهرة فى بناء المدارس:

- الدولة العباسية.
- الدولة الفاطمية.
- دولة الأندلس ثم دول الأندلس؛ المرابطون والموحدون وغيرهما.
- الدولة الأيوبية.
- الدولة العثمانية فى تركيا.

ومن الحكام والوزراء الذين اشتهروا ببناء المدارس:

- نظام الملك وزير إلب أرسلان ثم ولده توران شاه.
- ونور الدين محمود بن عماد الدين زنكى.
- وصلاح الدين الأيوبى.
- وكثير من الحكام المماليك الذين تأثروا بأعمال صلاح الدين الأيوبى.

● وقدأكثر نظام الملك من إنشاء المدارس إكثاراً يلفت النظر كما فعل ذلك نور الدين محمود فى دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة، وكما فعل صلاح الدين فى القاهرة والإسكندرية وكثير من مدن مصر، والقدس وغيرها.

وقد أبلى فى بناء المدارس بلاء حسنًا الملك المظفر قطز، الذى بنى مع المدارس، دور الأيتام، ودور الأرامل، ودوراً للقطاء.

● أما فى الدولة العثمانية فقد اشتهر السلطان أورخان المتوفى سنة ٧٦١ هـ بأنه أول من توسع فى إنشاء المدارس فى الدولة.

ثم السلطان سليمان الذى ارتبط اسمه بثمانى مدارس أنشأها - كما ذكر ذلك بعض المؤرخين[١].

● وقد ذكر ابن جبير[٢] فى رحلته التى طاف فيها الشرق الإسلامى فى القرن السادس الهجرى أنه شاهد عشرين مدرسة فى دمشق وثلاثين فى بغداد.

---

(١) طاش كبرى زاده فى كتابه: الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية.

(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار - القاهرة: ١٩٥٧م.

● ونستطيع أن نعتبر الجوامع والرُّبُط والزوايا ونحوها مدارس يؤمها من رغب من المتعلمين.

وإلى جوار ذلك المدارس العامة المجانية التى يقصدها الراغبون فى التعلم، يتعلمون فيها ما شاءوا من العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم - كما أوضحنا أنواعها فيما سلف.

وعلى سبيل الذكر لهذه العلوم، كان الطب يتعلم فى المارستانات (المشافى) فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

رابعًا: أشهر من اهتموا بالتعليم من علماء المسلمين:

كان المهتمون بالتعليم من العلماء يركزون على الاهتمام بتعليم الصغار - الصبيان - فى الكتاتيب أو فى المدارس، ومن أبرز هؤلاء:

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥هـ).

له كتاب صغير الحجم اسمه: «كتاب المعلمين» وجه فيه نصائحه وإرشاداته لمن يمارسون التعليم.

كما تعرض الجاحظ للحديث عن المعلم والمتعلم فى كثير من كتبه المشهورة مثل: البيان والتبيين، والحيوان، والتاج فى أخلاق الملوك، وغيرها من كتبه العديدة.

- وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخى (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) وهو فقيه انتهت إليه رياسة العلم فى المغرب وعاش فى قيروان.

له كتاب: «آداب المتعلمين» وقد دوَّنه عنه ولده محمد.

- وابن سحنون محمد بن عبد السلام بن سعيد التنوخى (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ) وهو فقيه كأبيه مناظر له باع واسع فى العلم، نقل عن أبيه كتابه: «آداب المتعلمين».

- وابن القابسى على بن محمد بن خلف المعافرى القيروانى (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) كان حافظًا للحديث فقيهًا أصوليًا.

له فى التعليم كتاب يعد من أهم كتب التعليم فى عصره هو:

«الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين».

- ومسكويه أحمد بن محمد (المتوفى ٤٢١ هـ) فى كتابه: «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق».

– والماوردى على بن محمد بن حبيب (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ) وهو فقيه له فى مجال العلم والتعليم كتابان:

أدب الدنيا والدين.

والأحكام السلطانية.

– وابن عبد البر يوسف بن عبد الله (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ) وهو فقيه ألف فى الفقه موسوعته: «التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد».

وله فى العلم والتعليم كتابه: «جامع بيان العلم وفضله».

– والخطيب البغدادى أحمد بن على (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ) صاحب الكتاب التاريخى الشهير: «تاريخ بغداد»

وله عن المعلم والتعلم كتابه: «تقييد العلم».

– والزرنوجى برهان الدين أو برهان الإسلام (٤١٠ – ٤٩٨ هـ) وله فى التعليم أهم كتاب فى عصره، وأجمع كتاب فى موضوعه وهو كتاب: «تعليم المتعلم طريق التعلم» وهو دراسة علمية خاصة بالتعليم والتعلم ظل متصدراً كتب التعليم نحو ثلاثة قرون.

وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية فى زمن الحروب الصليبية، ثم ترجم إلى التركية والفارسية[1].

– والإمام الغزالى أبو حامد؛ محمد بن محمد (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) فى كتابيه: «إحياء علوم الدين» – وهو كتاب موسوعى.

«وأيها الولد» وهو رسالة صغيرة ركزت على المتعلم.

– والزمخشرى جار الله محمود بن عمر (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) عالم له تفسير للقرآن الكريم يعرف «بالكشاف.....».

وله فى التعليم كتاب هو: «تعليم المبتدى وإرشاد المقتدى» ترجم إلى الفارسية، ولا يزال الكتاب مخطوطاً بدار الكتب المصرية.

– وابن العديم عمر بن أحمد (٥٨٨ – ٦٦٠ هـ) وله كتاب: «الدرارى فى الذرارى».

---

(١) نشر هذا الكتاب مكتب التربية بدول الخليج بتحقيق د. سيد أحمد عثمان.

- والنصير الطوسى محمد بن محمد بن الحسين (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ) وله كتاب: «آداب المتعلمين».

- وابن جماعة أبو إسحق محمد بن إبراهيم (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ)

في كتابه: «تذكرة السامع والمتعلم فى أدب العالم والمتعلم».

جاء فى مقدمته بقلم مؤلفه: وقد رتبته على خمسة أبواب.. الباب الأول: فى فضل العلم وأهله وشرف العلم ونُبله.

والباب الثانى فى آداب العالم فى نفسه ودرسه مع طلبته.

والباب الثالث فى أدب المتعلم فى نفسه ومع شيخه ورفقته.

والباب الرابع فى أدب مصاحبة الكتب وما يتعلق بها.

والباب الخامس فى آداب سكنى المدارس وما يتعلق بها من النفائس[1].

- وابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)

فى: «مقدمته» الشهيرة. وهى مقدمة لتاريخه الجامع، حيث جاء فى هذه المقدمة فصول عديدة عن العلم والتعلم والتعليم.

- وزين الدين العاملى على بن أحمد (الشهيد الثانى) (٩١١ - ٩٦٦هـ)

فى كتابه: «منية المريد فى أدب المفيد والمستفيد».

- وزكريا بن محمد بن أحمد الأنصارى (٨٢٣ - ٩٢٦ هـ)

فى رسالته: «اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم».

وبعد: فهذه نبذة موجزة عن عدد من علماء المسلمين الذين اشتغلوا بمؤلفات عن العلم والتعلم والتعليم، وما تتضمنه كتبهم من قضايا تربوية.

وغير أولئك من علماء المسلمين الذين انشغلوا بالعلم والتعلم والتعليم كثيرون، أمسكنا عن الحديث عنهم محافظة على حجم هذا الكتاب.

وليس اهتمام علماء المسلمين بقضايا العلم والتعلم والتعليم إلا استجابة لاهتمام الإسلام نفسه بالعلم والتعلم والتعليم عند التدبر فى مئات الآيات القرآنية ومئات الأحاديث النبوية.

---

(١) طبع الكتاب فى حيدر أباد الدكن ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م وفى بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م.

خامساً : كلمة عن منهج المدرسة الإسلامية القديمة :

كان المنهج أو المنهاج فى مجال التعليم هو الخطة المرسومة بأيدى خبراء فى التعليم علماء بالإسلام، لتسير عليه العملية التعليمية .

وكلمة المنهج قديمًا وحديثًا تتناول مفردات عديدة منها :

– المواد أو المقررات الدراسية التى يتعلمها الطلاب، وعدد ساعات تدريسها كل أسبوع .

– والكتاب الذى يشتمل على هذه المقررات أو الكتب .

– والطريقة التى يتبعها المعلم فى التعامل مع المقررات ومع تلاميذه .

– والمعلم الذى يقوم بالتعليم وماذا يشترط أن يتحقق فيه من صفات .

– والإدارة المدرسية ومدير المدرسة أو شيخها أو ناظرها .

– والبناء المدرسى ومدى ملاءمته لعدد المتعلمين ولما يتعلمون .

– واليوم المدرسى عدد ساعاته وما يتخلله من فرص وراحة .

– وفترات التوقف عن التعلم للاسترواح .

– ونظم الامتحان وتوقيته .

– والأنشطة التى تمارس فى المدرسة؛ الأنشطة الرياضية والثقافية ونحوها .

– والمرافق المدرسية التى تلبى احتياجات المتعلمين والمعلمين .

– ومقاعد الدراسة وأدواتها . . إلخ

وربما كان هذا التفصيل بتلك التسميات التى ذكرنا لم يكن معروفًا فى المدرسة الإسلامية القديمة بأسمائه، ولكن كان معروفا بمحتواه، ومطلوبًا لذاته ومن أجل التعليم .

● والمدرسة الإسلامية القديمة كانت مرحلة تعليمية تلى مرحلة التعلم فى الكتاب، وكانت تستوعب المتعلمين من سن العاشرة غالبًا إلى سن الثامنة عشرة، وهى مرحلة لها متطلبات فى منهجها .

ومن أجل معرفة هذه المدرسة الإسلامية القديمة نتساءل عن أهداف هذه المدرسة فى تلك الحقبة من تاريخنا، فهذه المعرفة تيسر لنا معرفة المنهج الذي يحقق هذه الأهداف .

- وأهداف المدرسة فى تلك الحقبة من تاريخنا يمكن أن نشير إلى كثير منها فيما يلى:

– تعلم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً واستظهار قدر منه، مع ضرورة التخلق بخلقه، والامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه.

– وتعلم الأحاديث النبوية الشريفة، واتخاذ الرسول ﷺ قدوة فى القول والصمت والفعل والترك.

– وإجادة القراءة والكتابة وتحسين الخط.

– وتعلم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، وبخاصة بعد اختلاط الألسنة ودخول غير العرب فى الإسلام.

– وتعلم الحساب.

– وتعلم بعض الأحكام الفقهية.

– وتعلم مغازى رسول الله ﷺ وسيرته، وسيرة أصحابه وتاريخ الإسلام، وتقويم البلدان.

– وتعلم الفلك والميقات وما هو مطلوب من العلوم الكونية.

– وتعلم العلوم التى تحفظ صحة الإنسان كالأمراض والطب والعلاج والأدوية ونحوها.

– وتعلم الفيزياء والكيمياء ونحوهما من علوم ضرورية للحياة.

- ومن خلال معرفة هذه الأهداف والتدبر فيها، يمكن أن نعرف ما هو المنهج الذى يستطيع أن يحقق تلك الأهداف.

ولابد أن نقول عن هذا المنهج ما يقال عن أى منهج من أنه قد ينجح فى تحقيق كل الأهداف أو معظمها، وقد يعجز عن تحقيق بعضها لأنه فى النهاية عمل إنسانى ليس له الكمال بحال من الأحوال.

- وهذا المنهج كان محتواه العلمى مستجيبًا لكل مرحلة من مراحل التعليم، وبعد قراءة وتتبع للتعليم فى بلاد المسلمين الشاسعة فى كثير من الكتب المهتمة بالتعليم، وكتب التاريخ، وكتب الأدب، وما كتب فى حضارة المسلمين بأقلام المسلمين وغيرهم من المنصفين حينًا والمتحاملين على الإسلام والمسلمين، من خلال قراءة ذلك كله يتبين أن التعليم عند المسلمين كان مراحل منذ تلك القرون البعيدة التى يفصلنا عنها اليوم أكثر من ألف عام.

ولنلق ضوءاً يكشف عن تلك المراحل التى نعتبرها ثلاثًا، هى مرحلة الكتاب، ومرحلة المسجد، ومرحلة المدرسة. والله الموفق.

● **مرحلة الكُتَّاب :**

وهى أول مرحلة يتجه إليها المتعلم بعد أن يعى ويعقل ويبلغ الخامسة من عمره أو يجاوزها بقليل.

– والكتَّاب قد يكون صغيراً أو كبيراً يقوم عليه معلم أو شيخ أو أكثر ويعينه عريف أو أكثر، لكن لا تخلو قرية فضلا عن مدينة من كتَّاب أو أكثر.

– والكتَّاب لاتنشئه الحكومة ولا تنفق عليه، والتعليم فيه بأجر –غالبًا ما يكون زهيداً– والمعلمون فى الكتاب يتقاضون أجراً زهيداً أيضا من أولياء الأمور أحيانا ومن صاحب الكتّاب أحيانا. وهذا الأجر قد يكون عينيات من المحاصيل الزراعية أو الطيور أو نحو ذلك، فى مواقيت معينة قد تكون أسبوعية أو شهرية أو موسمية.

– واليوم التعليمى فى الكتَّاب ينقسم غالبًا إلى قسمين أو فترتين:

الفترة الأولى صباحية تخصص فى الغالب لحفظ القرآن الكريم، تعقبها راحة وفترة غداء للمتعلمين لكن فى بيوتهم.

والفترة الثانية مسائية تمتد من بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب.

– والراحة أسبوعية مقدارها فى الغالب يوم ونصف يوم أى بعد الفترة الصباحية يوم الخميس، ويوم الجمعة كاملا.

– ومدة البقاء فى الكتاب غالبا هى ست سنوات أو أكثر قليلا، وربما كانت أقل من ذلك، وكثيرا ما كان يعقب الانتهاء منها الانتقال إلى المسجد أو المدرسة، لمن أراد مواصلة التعلم.

● **منهج التعليم فى الكُتاب :**

– حفظ قدر من القرآن الكريم، أو حفظه كله.

– إجادة تلاوة القرآن الكريم، مع معرفة أحكام التجويد.

– وتعلم القراءة والكتابة وإجادتهما.

– وتعلم بعض علوم اللغة العربية المبسطة.

– وتعلم الحساب.

- وتعلم بعض الأحكام الفقهية الأساسية كالطهارة والصلاة والصيام ونحو ذلك.

- وتعلم سيرة النبى ﷺ، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة.

- وعند الانتهاء من مرحلة التعلم فى الكتاب يختبر المتعلم، فإذا نجح شهد له المعلم أو شيخ الكتّاب بهذا النجاح.

● ومرحلة المسجد:

وهى مرحلة تلى مرحلة الكتّاب يتوجه إليها البالغون، أو من جاوزوا سن البلوغ أو الكبار عمومًا، يجمعهم جميعًا رغبة فى الاستزادة من العلوم.

- والتعلم فى المسجد لا يتقاضى عليه أحد أجرًا، وإنما تحدوه رغبة المعلمين فى نشر العلم، وحرص المتعلمين على التزود من العلم، فالمعلم يزكى عن علمه بنشره فى الناس، والمتعلم يتقرب إلى الله بطلب العلم، وكلاهما خلق إسلامى أصيل فى المسلمين.

- ومرحلة التعلم فى المسجد قد تكون نهائية يتجه بعدها من أنهاها إلى ممارسته حياته العملية التى يتعيش منها ويكسب رزقه. وبعض الذين يتعلمون فى المسجد قد يواصلون التعلم فيه، والتزام بعض شيوخ الحلقات العلمية فيه، حتى يصبحوا بعد زمن أصحاب حلقات يقصدهم طلاب العلم لتميزهم، ولطول ما بقوا فى المسجد من زمن.

● منهج التعليم فى المسجد:

تنوع المحتوى العلمى لمنهج التعليم فى المسجد تنوعًا كبيرًا، وعَبَّرتْ عن هذا التنوع كثرة الحلقات التى كان يعقدها المشايخ، وتنوع العلوم التى تدرس فى هذه الحلقات، بل إن بعض الشيوخ كان له أكثر من حلقة يدرس فى كل منها علما يختلف عن العلم الذى يدرسه فى حلقة أخرى.

فالمنهج فى المسجد مكون من عدة حلقات منها:

- حلقة للقرآن الكريم؛ تفسيره، وعلومه.
- وحلقة فى علم القراءات القرآنية.
- وحلقة للحديث النبوى الشريف؛ روايته وإملائه وتفسيره.
- وحلقة فى السيرة النبوية المطهرة.

- وحلقة للفقه الإسلامى، عبادات ومعاملات على مذهب معين من المذاهب الأربعة، وتختلف فيها الأقاليم بعضها عن بعض حيث يشيع مذهب بعينه فى إقليم بعينه.
- وحلقة لدراسة الفقه على المذاهب الأربعة.
- وحلقات فى علوم اللغة العربية كل منها فى فرع من فروع اللغة، فالنحو والصرف لهما حلقة، وعلوم البلاغة لها حلقة، وهكذا.
- وحلقة لعلمى العروض والقافية.
- وحلقة للشعر والأدب.
- وحلقة للتاريخ الإسلامى.
- وحلقة للتاريخ العام.
- وحلقة لتقويم البلدان - الجغرافية -.

وهذه الحلقات الأثنتا عشرة تعرض فيها العلوم عرضًا مستمرًا لمن أراد من المتعلمين الذين يؤمون المسجد للتعلم.

● أما الذين يرغبون فى التعمق العلمى فلهم حلقات منها:

- حلقة فى علم الكلام «التوحيد» الإلهيات، والنبوات والسمعيات.
- وحلقة فى تاريخ الفكر «الفلسفة».
- وحلقة فى أصول تفسير القرآن الكريم.
- وحلقة فى أصول الحديث النبوى «علم الحديث دراية».
- وحلقة فى أصول الفقه.
- وحلقة فى علم الفلك والميقات.
- وحلقة فى السحر والتنجيم وحكم تعلم السحر وحكم العمل به.

وغير ذلك من الحلقات التى تقتضيها ظروف الناس واختلاطهم بأهل الحضارات الأخرى، وما يحملون من علوم وفنون.

● ولم تكن جميع المساجد فيها كل هذه الحلقات، وإنما كانت المساجد الجامعة هى المحتفلة بهذه الحلقات.

● على أن بعض المساجد الكبرى فى العالم الإسلامى قد اشتهرت بذلك فقصدها طلاب العلم ورحلوا إليها من بلادهم مهما كانت بلادهم نائية عن هذه المساجد، ومن تلك المساجد:

- الجامع الأموى بدمشق.
- وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر.
- وجامع المنصور ببغداد.

ثم تعددت المساجد الجامعة ذات الشهرة فى حلقاتها العلمية التى كانت مقصدا لطلاب العلم، ومن تلك:

- بعض المساجد فى إفريقية « تونس ».
- وبعض المساجد فى المغرب.
- وكثير من المساجد فى الأندلس فى عواصمها المعروفة: قرطبة وغرناطة وأشبيلية وغيرها من المدن ذات المساجد التى لها شهرة علمية وهى كثيرة.

● وقد تصدر الجامع الأزهر بالقاهرة سائر مساجد البلدان الإسلامية وأصبح مقصد طلاب العلم فى العالم الإسلامى، فتعددت فيه الحلقات، وتنوعت فيها الدراسات، وتعمق فيها البحث، وعرفت بعض الحلقات بكبار العلماء، حتى أصبح الجامع الأزهر -بلغتنا اليوم- جامعة، ثم حَذَا حذو الأزهر كبار المساجد الجامعة فى العواصم العربية والإسلامية.

● **ومرحلة المدرسة:**

وهى مرحلة تلى مرحلة الكتَّاب بالنسبة لبعض المتعلمين، إذ هم قد حصلوا فى الكتاب ما لابد للمسلم من تحصيله من حفظ قدر من القرآن الكريم، ومن تعلم للقراءة والكتابة وإجادة تلاوة القرآن الكريم، وتعلم مبادئ الحساب، وبعض المعارف البسيطة، وكثير من القيم الإسلامية فى مجال الأخلاق والتعامل مع الله ومع الناس.

- ومرحلة المدرسة اتجه إليها المسلمون بصغارهم ممن بلغوا الحُلُم تخفيفًا عن المسجد وتجنبًا لكثرة حلقات العلم والخوف ارتفاع أصوات المدرسين فى هذه الحلقات كلما زاد عدد المتحلقين حولها، لأن تلك الأصوات وهذا الضجيج يحول بين المتعبدين فى المساجد وبين الهدوء الذى تتطلبه العبادة، فكان لابد من إنشاء المدارس.

لهذه الأسباب الخاصة بالمسجد، ولكثرة الراغبين فى التعلم استجابة لحث المسلمين على طلب العلم، ولأن بعض العلوم يقوم فيها التدريس على الجدل والنقاش الحادّ أحيانا، كعلم الجدل، وعلم المناظرة، وعلم الخلاف وغيرها . .

هذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة جعلت المسلمين ينشئون المدارس ويكثرون منها، ويوجهون إليها أبناءهم، وبخاصة الذى أنهوا مرحلة الكتّاب ولديهم رغبة فى مواصلة التعليم.

– وكان المسلمون قد عرفوا المدارس حينما فتح الله عليهم بلاد فارس، وبلاد الروم وهى بلاد ذات حضارة قديمة وتقدم علمى، ولديهم مدارس معروفة ولها مناهج وبها مدرسون.

منذ ذلك التاريخ –وهو تاريخ مبكر فى الإسلام– أنشأ المسلمون المدارس وعُنوا بها، وأوقفوا عليها الأوقاف، وجعلوا للمدرسين والطلاب أرزاقا تجرى عليهم، بل ألحقوا بكثير من المدارس أبنية لإيواء المدرسين والطلاب، وأصبح الإنفاق على هذه المدارس وعلى العاملين فيها وعلى مرافقها مسئولية الحكومة وواجبها.

–ومن ملحقات المدرسة –وبخاصة فى المدن الكبرى– :

- مساكن للعلماء وللطلاب.
- ومكتبات عامرة بالكتب وللمكتبة خازن، ولها من يقوم على نظافتها ورعايتها.
- وفى بعض المدارس مطابخ لطهى الطعام وتقديمه فى أوانيه وأدواته؛ فى قاعات خاصة بتناول الطعام.
- وبعض المدارس تميزت بأن فيها «إيوانا» قاعة كبرى لإلقاء المحاضرات، إلى جانب حجرات الدراسة، وحجرات المدرسين.
- وكان المدرسون والعاملون فى المدرسة يعينون من قبل الحكومة أو صاحب المدرسة، ولهم رواتب ومخصصات، وقد اتسع إنشاء المدارس حتى كثرت أعدادها، بحيث أصبح فى كل مدينة أكثر من مدرسة، وفى كل قرية مدرسة.

- **منهج المدرسة**

كان المنهج فى المدرسة محتويًا على عناصر أساسية هى:

– العلوم الإسلامية؛ وأهمها لدى المسلمين:

- تفسير القرآن الكريم.

- ودراسة الأحاديث النبوية، وسيرة النبى ﷺ.
- والفقه الإسلامى.
- وعلوم اللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم والسنة النبوية.
- والتاريخ وتقويم البلدان.
- والأدب والشعر.
- والحساب والميقات.
- وبعض العلوم المرغوب فيها لفائدتها الدنيوية كالكيمياء، والفيزياء، والطب، وعلم العلاج، ونحوها.

– على أن بعض الخلفاء أولى تدريس الطب عناية خاصة وهو : المستنصر بالله، حيث أمر بأن يعين طبيب خاص بالمدرسة المستنصرية، وأن يثبت عند الطبيب عشرة طلاب يشتغلون عليه فى علم الطب وما يتصل به، على أن تجرى على هذا الطبيب وطلابه الجرايات والأجور، كما يجرى على سائر المدرسين.

– وكانت الطفرة فى إنشاء المدارس والعناية بها على يد الوزير نظام الملك[١] الذى شغل بإنشاء المدارس بل الإكثار من إنشائها بحيث نسبت كل المدارس إليه فقيل: نظامية بغداد ونظامية دمشق، وغيرهما.

– ثم كان لنور الدين محمود بن عماد الدين زنكى يَدٌ طُولى فى إنشاء المدارس والإنفاق عليها فى كثير من البلدان الإسلامية التى كانت فى حكمه مثل: سورية، وفلسطين ومصر، وكل بلد كان يتبع دولته.

– ثم كان الأيوبيون وبخاصة صلاح الدين الذين توسعوا فى إنشاء المدارس وتعددها فى كل بلد حكموه مثل: مصر وسوريا، وفلسطين، واليمن، وغيرها من البلدان.

وبعد؛ فتلك مرحلة المدرسة، وهى تعد مكملة لمرحلة الكتّاب حينًا، ولمرحلة بعض المساجد حينًا، ومستقلة بذاتها فى أحيان كثيرة، يبدأ فيها بعض التلاميذ دون أن يذهبوا إلى الكتّاب أو الجوامع.

---

(١) وزر للأمير إلب أرسلان عشرة أعوام وعلم ولده توران شاه ثم وزر له مدة عشرين سنة.

هذه صورة المدرسة الإسلامية القديمة وصورة التعلم والتعليم فيها، نرجو أن نكون قد أوضحنا أبعادها بفضل من الله ومعونة.

- ومن إتمام الصورة للمدرسة الإسلامية القديمة نتحدث عن مبدأ العقاب الذى قد يقع على بعض المتعلمين فى المدرسة إن هم استوجبوا هذا العقاب.

والعقاب جزء من العملية التعليمية فى نظر كثير من المربين قدامى ومحدثين، لا تتم العملية التعليمية إلا بإيقاعه على من قصر تقصيراً يستوجب العقاب.

بينما ترى طائفة من المشتغلين بالتربية منع هذا العقاب وخطره نهائيًا، وبخاصة إذا كان عقابًا بدنيًا.

سادساً: العقاب فى المدرسة الإسلامية القديمة:

العقاب، والعقوبة، والمعاقبة عمل يلحق الأذى بالمعاقب، سواء أكان هذا الأذى نفسيًا أم اجتماعيًا أم بدنيًا.

والعقاب من المبادئ والنظم التى شرعها الله تعالى لعقوبة المذنب، وعمم هذا المبدأ فى كل الأديان السماوية، وللعقاب مبررات عديدة كضرورة القصاص من المجرم أو ردعه، وردع من تحدثه نفسه بارتكاب جريمة ضد غيره من الناس، وقد يكون العقاب لوعظه ونصيحته حتى لا يعود لارتكاب مثل هذا العمل مرة أخرى.

وكما شرع الله تعالى العقاب لكل من خالف أمره أو نهيه، فإنه شرع الإثابة لمن أطاعه فى أمره ونهيه، والعقاب والثواب يمثلان معًا العدل الذى تتصف به جميع الشرائع السماوية وجميع أحكامها الشرعية.

والعقوبة فى الإسلام خاتم الأديان السماوية، إنما شرعها الله لصالح الفرد، وصالح المجتمع، وصالح الإنسانية كلها.

أما أنها لصالح الفرد فلأن العقاب يمنع القوىّ أن يعتدى على الضعيف ويحول بين الغنى وأن يظلم الفقير.

وأما أن العقوبة لصالح المجتمع؛ فلأن الله تعالى يقرر ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

والقصاص أن يُوَقَّع على الجانى عقوبة بمثل ما جنى، النفس بالنفس، والعبد بالعبد، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجرح بالجرح.

وعند القصاص من القاتل بقتله، فإن فى قتله حياة للمجتمع كله، لأن حياة المجتمع قد تكون وقفًا على قتل هذا القاتل والتضحية به، لأنه لو ترك دون عقاب لعاث فسادا، واستهان بحياة الناس، ولقد يستمرئ القوى قتل الضعيف، وصاحب الجاه والنفوذ قتل من لا جاه له ولا نفوذ.

– ومبدأ العقاب يشمل الرجال والنساء والصبيان، وإن كان الصبيان لا يقتلون إذا قتلوا، ولا تقطع أيديهم إذا سرقوا، وإنما يوقع عليهم العقاب المناسب لأعمارهم كما يراه القاضى من ضرب أو حبس أو نحوه مع إلزام وليه بالأرش[1] الملائم لجنايته، ومن هنا تكون عقوبة الصبيان البدنية جائزة شرعًا لكل من ارتكب جريمة تستحق عقابًا.

– ولأن الأخطاء تتدرج من الصغائر إلى الكبائر، فلذلك تتدرج العقوبة من التعزير إلى القتل.

● ولا بد أن نشير هنا إلى أن قانون العقوبات الإسلامى حين كان مطبقًا، كانت العدالة ماثلة فى كل موقف، وكانت الزواجر والروادع أفعل وأشد تأثيرا فى إبعاد من تحدثه نفسه بالخطأ عن الخطأ، وكان المجتمع فى عمومه آمنا مستقرًا بنعمة العدالة، وبكل تأكيد كانت الأخطاء أو الجرائم أقل، لأنه لا يردع المجرم شىء إذا لم يطبق قانون العقوبات.

– ومهما تكن العقوبة مشددة حتى تبلغ حد القتل أحيانًا أو حدّ قطع يد السارق –فى ظل ظروف وشروط لابد من توافرها– فإن النظر إلى الجريمة يقنع بوجوب تطبيق العقوبة ليشعر المجتمع بالأمن.

– وقد يقول بعض الغافلين، أو غير المسلمين: إن الإسلام فيه عقوبات مشددة أو مغلظة كالقطع والقتل، وهو قول جاهل أو معاند لأحكام الله تعالى ونظمه، فلابد أن تكون هذه العقوبات عادلة، ولابد أن تكون رحيمة.

ثم نقول لهؤلاء الغافلين أو المضللين: إنكم تمارسون عقوبة القتل فى قوانينكم الوضعية، فلماذا تنكرونها إذا جاء بها الإسلام؟

---

(١) الأرش: الدية أو التعويض.

بل نقول لكثير منهم: إن التعذيب الذى تعرضون له من يخالفونكم فى الرأى السياسى أقسى وأشد من كل العقوبات التى جاء بها الإسلام ليواجه الجريمة، فما لكم لا تعقلون؟

– وليس فى قانون العقوبات الإسلامية بالنسبة لجريمة دون القتل، أن تخلع أظافر المتهم، أو ينفخ بطنه من دبره، أو يضرب على خصيتيه وذكره، أو يعلق من رجليه ورأسه إلى أسفل، أو يربط رأسه بجنزير من الحديد ويزم على رأسه حتى يسمع قرقعة عظام رأسه، أو يضرب حتى يموت أثناء التحقيق معه، أو يعتدى عليه جنسيا أو على زوجه أو إحدى محارمه أمام عينيه، أو يؤمر المعذّب بأن يضرب أباه أو أخاه، أو تغمى عيناه، أو يحقن بما يفقده صوابه وتوازنه[١].

● إن العقوبة فى الإسلام شرعها الله الذى يحب الناس ويريد لهم الخير، بل أمرهم به، وهو سبحانه الذى سخر لهم ما فى السماوات والأرض جميعا، وكرمهم جميعا دون تفرقة بينهم من أجل لون أو جنس، كما يفعل هؤلاء المضللون، أو أولئك الغافلون.

● وفى مجال التعليم نجد عقاب الصبيان موكولا بمعلميهم ، وأن هؤلاء المعلمين بمنزلة الوالد من الولد، فهم مطالبون بالرفق بهم مع الحسم، وحسن التوجيه، وتأنيبهم على الخطأ والتقصير، بل عقابهم على ذلك، غير أن ذلك كله يجب أن يكون فى ضوء ما طالبت به الشريعة الإسلامية من مبادئ وقيم.

– وهناك إجماع بين فقهاء المسلمين وعلمائهم والمنشغلين بالتربية منهم، إجماع على أن العقاب بعد الخطأ أو التقصير واجب شرعى، لكنه عقاب مُقنن لا تُترك فيه الحرية للمعلم فيقسو أو يشتط أو يتسامح إلى حد الإفساد وسوء التصرف.

● وهذا التقنين للعقاب نابع من وظيفة المعلم وواجباته نحو من يعلمهم.

ووظيفة المعلم وواجباته التربوية يمكن أن نلخصها فى كلمات:

– رعاية تلاميذه تعليميًا بحيث يعطيهم من نفسه القدوة فى الإخلاص فى العمل وإجادته، مع المساواة بينهم فى كل ما من شأنهم أن يتساووا فيه دون أى تفرقة لأى سبب.

– وتاديبهم دينيًا وأخلاقيًا فى تعاملهم وأنواع سلوكهم، وأولى الخطوات فى هذا التأديب هو إعطاؤهم أنموذجًا للدين وللخلق القويم، من نفسه ومن سلوكه.

---

(١) كل هذا وأكثر منه حدث فعلا فى حكم جمال عبد الناصر، وصدام حسين، وحافظ الأسد، وفى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وفى تركيا من يوم حكمها اللادينيون بدءًا بمصطفى كمال.

- والتأديب عند الخطأ أو التقصير، له بداية هي:

- النصح والوعظ بالكلمة الطيبة والعظة الحسنة.
- ثم يتصاعد العقاب فيصل إلى درجة الزجر والتوبيخ.
- ثم التهديد بالعقاب.
- ثم العقاب المعنوى كالحرمان من فرصة الراحة يومًا أو يومين.
- ثم العقاب المادى بضربه ضربًا موجعًا غير فاحش ولا مبالغ فيه.
- وفى رأى قدامى المربين المسلمين [1] أنهم شرطوا أن يكون فى العقوبة مصلحة للمعاقب أو ردع له.
- وكلهم يرفضون عقوبة الانتقام من المخطئ أو المقصر.
- وجميعهم يشترطون الرفق من المعلم بالمتعلم.
- وعندما سمحوا بالضرب إذا كان واجبا شرطوا أن يكون على القدمين، وألا يزيد على عشر ضربات.
- وكلهم يحظرون الضرب على الوجه والرأس، وكل مكان فى الجسد يتضرر إذا وقع الضرب عليه.
- وشرطوا ألا يعاقب المدرس أو يضرب وهو غضبان، وليس للمعلم أن يوكل الضرب لزميل للتلميذ فى الدراسة.
- وكلهم حظر الشتائم والسِّباب والفحش فى القول؛ لأن هذا ليس من خلق المسلم.

وهذه الصفات الخلقية التى شرطوها فى المعلم هى صفات يجب أن تتوافر فى كل مسلم معلمًا أو غير معلم.

وتلك الصفات مما طلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يجتنبوها، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس المؤمن بطعان ولا لعّان، ولا الفاحش البذىء».**

وبعد: فهذا إجمال ما أردنا أن نذكره فى حديثنا عن المدرسة الإسلامية قديمًا، فى هذا الفصل الأول من هذا الباب.

---

(١) ومنهم: الجاحظ، وابن سحنون، والقابسى، والماوردى، وابن عبد البر، والخطيب البغدادى، والزرنوجى ومسكويه، والإمام ابو حامد الغزالى، وابن العديم، وابن جماعة، وغيرهم.

الفصل الثانى

المدرسة الإسلامية حديثا

نعنى بالمدرسة الإسلامية حديثًا هذا القرن الأخير الذى عاشه المسلمون –القرن الرابع عشر الهجرى– قرن التحدى الغربى السافر للإسلام والمسلمين حيث قامت فى بداياته الحركة الشيوعية الإلحادية فالتهمت عديداً من الدول الإسلامية فى آسيا «الجمهوريات الإسلامية الست» واحتلتها بقوة السلاح، وحرمت على المسلمين ممارسة العبادات الإسلامية، وحيث تحالف الغرب وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى على إسقاط دولة الخلافة الإسلامية فى تركيا وتقسيم البلدان التى كانت تضمها فيما بين الدول المستوطنة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا وألمانيا وبلجيكا وغيرها، وفى مقدمة ذلك كله الولايات المتحدة الأمريكية، وحيث تحالف الغرب والشرق على إنشاء دولة لليهود فى فلسطين وتعهدت أمريكا بأن تجعل إسرائيل أقوى تسلحًا من جميع الدول العربية.

والمسلمون قد تراجعوا حضاريًا قبل ذلك القرن الأخير بما يقرب من قرنين من الزمان بسبب بعدهم عن دينهم واستجابتهم لوسوسة شياطين الجن وشياطين الغرب المستوطنين الذين استغلوا تقدمهم العلمى فى احتلال بلاد المسلمين والاستيلاء على خيراتها.

ولم يكن أمام هؤلاء الأعداء سلاح يضربون به المسلمين فى صميم وجودهم أفتك من ضرب التعليم فى هذه الفترة، حتى تراجع التعليم عن وظيفته العلمية التقدمية النهضوية، وتراجعت المدرسة عن وظيفتها فى تربية الإنسان الصالح إلى الاكتفاء بأن تخرج موظفين وكتبة للعدو المستوطن المسيطر على كل مرافق البلاد.

ولقد حاول محمد على فى مصر وحاول غيره من المصلحين الطامحين فى عدد من بلدان العالم الإسلامى والعالم العربى أن ينهضوا ببلدانهم فحاربتهم الدول المستوطنة المحتلة حروبا ضارية عسكرية وسياسية واقتصادية. وجعلت من محمد على وأسرته هدفًا، حتى استطاعت أن تجعل من أبنائه ابتداء من إسماعيل إلى آخرهم فاروق دُمى يحركونها كما يشاءون لصالحهم وصالح بقائهم وسيطرتهم على الحكم.

ولقى المصلحون فى تركيا وسوريا وفلسطين والعراق ومصر وتونس والمغرب العربى من التضييق والعنف ما حال بينهم وبين برامجهم الإصلاحية.

وكذلك كان شأن الأعداء مع المصلحين المسلمين فى الشرق الأقصى، أندونيسيا وماليزيا والهند المسلمة ثم باكستان وإيران وأفغانستان.

وكذلك كان شأن الأعداء مع المصلحين المسلمين فى السودان والصومال والحبشة، وغرب إفريقية ونيجيريا ومالى وتشاد والكاميرون، وغيرها.

أولا: الغرب المستوطن للعالم الإسلامى يفسد التعليم:

لقد وضعت الدول الاستيطانية الغربية نظم تعليم فى بلدان العالم الإسلامى–التى تسيطر عليها اقتصاديا وسياسيا وتحتل معظمها عسكريا– نظم تعليم تستهدف هدفين كبيرين قامت عليهما الأدلة والبراهين:

أولهما: ألا يؤدى التعليم إلى نهضة اجتماعية عن طريق التقدم العلمى فى أى بلد إسلامى، حيث جعلت التعليم قسريا سطحيا أبعد ما يكون عن البحث العلمى والتعمق، يستحيل عليه أن يؤدى إلى اكتشاف أو اختراع، لكى تظل هذه البلدان فى حاجة إلى مصنوعات هذه الدول المستوطنة التى تأخذ مادتها الأولية من بلدان العالم الإسلامى.

والهدف الآخر: إهمال التعليم الإسلامى فى البلدان الإسلامية جميعا، وخطتهم فى ذلك ذات شعبتين:

إحداهما: التقتير فى الإنفاق على التعليم الإسلامى، إذ الأموال كلها فى أيديهم ينفقونها على ما يشاءون مما يحقق مصالحهم لا مصالح البلاد التى يحتلون.

والأخرى: تهميش المتخرجين من معاهد التعليم الإسلامى ومنعهم من تولى المناصب أو الوظائف المهمة، مع التضييق عليهم فى أرزاقهم وأوضاعهم الاجتماعية.

● ولقد اتخذ الأعداء لتحقيق خطتهم لإفساد التعليم فى العالم الإسلامى وسائل عديدة يسرها لهم سيطرتهم على الأموال والمقدرات الاقتصادية فى بلدان العالم الإسلامى.

ومن تلك الوسائل:

– سيطرتهم على التعليم؛ سياسته ونظمه ومناهجه ومؤسساته ومدارسه ومدرسيه.

– وتدخلهم فى إعداد المعلمين عن طريق ابتعاث بعض الدارسين إلى البلاد الغربية، وشحنهم بما يجعلهم أكثر ولاء لحضارة الغرب، وأكثر ازدراء لثقافتهم الأصلية ورمى الناس بالتخلف والرجعية فى بلدان العالم الإسلامى، ولقد عاد كثير من هؤلاء المبتعثين

أكثر ولاء للغرب من الغربيين أنفسهم، وتولوا كبار المناصب التعليمية وفعلوا فى التعليم كل ما يزيل عنه سماته الإسلامية وقلصوا التعليم الإسلامى وحصروه وحاصروه، ولقد انعكس ابتعاث بعض الدارسين عليهم سلوكًا غربيًا وقيمًا خلقية غربية لا تعبأ بموضوع الحلال والحرام فى القول والعمل.

– وتقليصهم للمقررات الدراسية الإسلامية فى المدارس العامة وبخاصة فيما يتصل بعدد الحصص الأسبوعية، وفيما يتصل بمقررات القرآن الكريم والحديث النبوى والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى، والإصرار على تجاهل حياة المجددين المصلحين من المسلمين.

– وتجاهلهم تمامًا لدراسة السيرة النبوية إلا فى أضيق الحدود وأكثرها سطحية، وأبعدها عن بث روح القدوة بالنبى ﷺ فى علمه وجهاده.

– وإلغاؤهم تمامًا للمقررات الدراسية التى تحمل اسم الفقه الإسلامى، والاكتفاء بدراسة بعض العبادات دراسة قشرية هامشية.

– وإنشاء مدارس أجنبية فى كل بلد مسلم يحتلونه وسريعًا ما تتحول هذه المدارس إلى مراكز للتنصير، وتحويل من استطاعوا من المسلمين إلى النصرانية، وقد لا يكون ذلك حبًا منهم فى النصرانية وإنما هو حقدهم على الإسلام.

– وفرض لغة المستعمر على التعليم فى البلد الذى يسيطر عليه، والاهتمام بمن تعلموا لغات أجنبية ودفعهم إلى تولى المناصب والقيادات، وفى هذا ما فيه من إخمال اللغة العربية لغة الكتاب والسنة!!

– وتكبيل جميع البلدان التى احتلوها بمعاهدات ثقافية قبل أن يجبروا على مغادرة البلاد، وهذه المعاهدات تضمن لهم السيطرة على التعليم؛ خططه وسياسته ومناهجه ومعلميه وإدارته.

– وتشجيعهم باسم الثقافة على نشر المذاهب الهدامة التى تناوئ الإسلام وتغرى الناس بمصطلحات جديدة جوفاء يتعلق بها الغافلون من الناس كالاشتراكية والشيوعية والفوضوية والوجودية وغيرها.

وكل تعلق بمذهب من هذه المذاهب إنما هو تَخَلٍّ عن القيم والمبادئ الإسلامية.

– وحشو المقررات الدراسية بموضوعات عن الحرية الشخصية والحريات العامة والديمقراطية والتعددية الحزبية فى الوقت الذى ينكلون فيه بالأحرار إن عملوا على

تحرير أوطانهم، وفى ذات الوقت يشجعون أنظمة الحكم المستبدة ويساندونها فى قهر الناس حتى الموت أى إما أن تكون منافقا للرئيس المستبد أو سجينًا أو معتقلاً أو شهيداً.

وعلى الرغم من دعاواهم الجوفاء فى مجال الحريات السياسية والتعددية الحزبية نجدهم يساندون نظام الحكم الذى يقوم عى الحزب الواحد وقمع الآخر، وحرمان الناس من تشكيل الأحزاب أو إصدار الصحف أو المجلات، ويصطنعون للحكومات المستبدة تبريرات لقمع الرأى الآخر وإبادة المعارض ومن يمتون إليه بصلة حتى الدرجة الثانية فى القرابة، وسجون عبد الناصر والأسد وصدام وغيرهم من المستبدين خير شاهد على ذلك.

- وعملهم على إبعاد المقررات الدراسية عن القيم الخلقية الإسلامية، ليحل محلها التحلل باسم التحرر، والانحراف باسم الحرية الشخصية، والخمور والمخدرات والدخان باسم المتعة والراحة النفسية والعصبية.

وسوف نتحدث فى هذا الفصل عن ثلاثة موضوعات هى:

- المشكلات والمعوقات أمام المدرسة الإسلامية .
- وشخصية المدرسة الإسلامية ومكانها فى البناء الاجتماعى.
- وما يرجى من المدرسة الإسلامية أن تحققه.

ونسأل الله التوفيق.

ثانيًا: المشكلات والمعوقات أمام المدرسة الإسلامية:

نعنى بتعبير «المدرسة الإسلامية»: المدرسة فى العالم الإسلامى؛ لأن ظروفها متشابهة تقريبًا، ولأن الذين تسببوا فى وضع العراقيل والمشكلات أمامها هم الأعداء التقليديون للعالم الإسلامى، وهم الدول المستوطنة المسيطرة على بلاد المسلمين، والمشكلات والمعوقات أمام المدرسة الإسلامية فى أقصى شرقى العالم الإسلامى متشابهة مع المعوقات والمشكلات فى أقصى غربيه، وأقصى شماليه مع أقصى جنوبيه.

وهذا العدو التقليدى فى هذا القرن الذى نتحدث عنه هو: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وبلجيكا وألمانيا وهولندا، والولايات المتحدة الأمريكية، وهى دول غير أخلاقية ولا

إنسانية فى عدائها للمسلمين، كما تشهد بذلك أعمالها وألغامها وأسلحة الدمار الشامل لديها، ولتتمرغ ديمقراطيتهم فى الوحل إن تعارضت مع أدنى مصلحة لهم، أو تعاطفت مع أبسط حقوق المسلمين.

فما هذه المشكلات والمعوقات أمام المدرسة الإسلامية؟ إنها كل مشكلة أو معوق يحول بين المدرسة الإسلامية وأداء وظائفها فى تكوين الإنسان المسلم الصالح القادر على نفع نفسه وغيره من خلال ما أنعم الله عليه من نعم، ومن خلال ما منحه، وما قد يمنحه من العلم والكشف والاختراع ليجعل حياته الدنيا مزرعة صالحة ناجحة لحياته الأخرى.

- ولقد كان من نصيب مصر قدر كبير من هذه المشكلات والمعوقات، بسبب كونها قلب العالم العربى ورأسه، وبوصفها أهم عواصم العالم الإسلامى لوجود الأزهر فيها حصناً حصيناً لعلوم الإسلام وعلوم لغة القرآن.

- وقبل أن يظهر النفط فى العالم العربى، وقبل أن تزرع فى قلبه الدولة اللا إنسانية إسرائيل، كان العدو لا يستهدف فى حربه للإسلام ما هو أهم من مصر، وما هو أهم من الأزهر، ودع وثائقهم تنبيك عن هذا فى غير مواربة، إنهم يعرفون أثر مصر وأثر الأزهر فى العالم الإسلامى كما يعرفون أبناءهم.

- وهذه المشكلات والمعوقات أنواع:

منها ما هو مالى.

ومنها ما هو فنى.

ومنها ما هو عام.

وسوف نوضح ذلك بعون من الله وتوفيق.

أ- المشكلات والمعوقات المالية:

الإنفاق على التعليم عند الدول التى تعرف أصول النهضة وأسبابها، يقفز إلى الدرجات العليا فى سلم النمو والترقى، لأن التعليم يوظف طاقات المجتمع ويوجهها أحسن توجيه، وبالتعليم يتقلص عمل اليد الإنسانية لتحل محلها الآليات والتقنيات، وبالتعليم تختصر المسافات وتزال العقبات، ويحترم الوقت فيصبح الجزء من الثانية لا من الساعة شيئاً خطيراً تجرى حوله البحوث العلمية والدراسات المتخصصة المتعمقة، كما تم على يد «أحمد زويل» اختراع «الفيمتوثانية» وما يحتمل أن يظهر من علم فى عالم العلم أبعد من كل تخيل.

إن الدولة التى لاتعطى الإنفاق على التعليم أولوية دولة جاهلة غافلة بعيدة عن المعطيات الحقيقية للحياة الإنسانية الراشدة.

وكثير من الدول الإسلامية لا تنفق على التعليم فيها كما يجب أن ينفق عليه، فهى بذلك جاهلة غافلة.

وكثير من الدول الإسلامية قد وضعت سُلَّم أولوياتها فى الإنفاق بأيدى خبراء أجانب عن الإسلام من أهل الغرب أو الشرق وهؤلاء عبثوا فى سُلَّم الأولويات فجعلوا كرة القدم مثلا أولى بالإنفاق عليها وعلى لاعبيها من التعليم!!!

بل إن الملاهى والمراقص ودور السينما تضمها وزارة للثقافة تنفق عليها من موازنة الدولة أكثر مما ينفق على التعليم أو على الجامعات!!

ورعاية لاعب الكرة أو الممثل فى العالم الإسلامى، وكلاهما يقدم للناس ما يرفه عنهم، أهم من رعاية عالم والإنفاق على بحوثه وتجاربه مع أنه يقدم للناس ما ينفعهم بل ما هو ضرورى لهم.

إن الإنفاق على التعليم ظل سنين طويلة فى يد المحتلين الغاصبين، وقتروا عليه خشية أن تنهض البلاد وتقاوم احتلالهم واستيطانهم، ووضعوا سياسة للإنفاق على التعليم لازالت موضع احترام وتقدير لكثير من حكام العالم الإسلامى حتى يومنا هذا!!

● لينظر المسلمون إلى ما تنفقه إسرائيل عدوهم الألَدّ على التعليم وليتدبروا وليفكروا بعمق.

ب- المشكلات والمعوقات الفنية:

لم يتوقف العدو عن بث المشكلات والمعوقات أمام التعليم فأضاف إلى المعوقات المالية معوقات فنية كبّلت التعليم وانحرفت به عن وظيفته، وجعلته فى خدمة أعداء الإسلام، وأبعد ما يكون عن خدمة المسلمين والنهوض بهم، ولم يختلف الأعداء من المستوطنين الإنجليز عن الأعداء من المستوطنين الفرنسيين فى الإصرار على ضرب التعليم فى العالم الإسلامى فى مقتل، مستعينين فى ذلك ببعض الحكام المسلمين حينًا، وبمن أعدوهم من أبناء العالم الإسلامى ليكونوا أكثر ولاء للغرب منهم إلى ثقافتهم الإسلامية، وبما فرضوه من نظم تعليمية تقضى على مستقبل التعليم أى مستقبل الأمة الإسلامية.

وسوف نذكر من ذلك نُتَفًا فيها دلالة على ما نقول، أما استيعاب ذلك فلا يتسع له هذا الحيز من هذا الكتاب.

● ومن تلك المعوقات والمشكلات الفنية:

- ما أصدره السلطان عبد المجيد الأول (١٨٢٣ - ١٨٦١م) من قوانين بإصلاحات كان قصده منها التقرب إلى الغرب الذى كان قد أحكم قبضته عليه، ومن هذه القوانين، قانون بإنشاء إدارة لتأليف الكتب المدرسية على نحو غير إسلامى يرضى الغرب عمومًا وبريطانيا خصوصًا.

- وما أصدره السلطان عبد العزيز (١٨٣٠- ١٨٧٦م) الذى خلف أخاه عبد المجيد فى السلطنة من قوانين تلغى الحريم وتطلق للمرأة الحرية فى السفور ومخالفة نظام الإسلام فى الحجاب.

- وما اتخذته فرنسا من إجراءات ضد التعليم فى الجزائر حيث أعلنت أن التعليم فى الجزائر يجب أن يكون هدفه إعداد مواطنين لخدمة المستوطنين الفرنسيين، وألا يؤهل الجزائر لما يرفع شأنها أو يعينها على التحرر والتقدم والنهوض.

- وما اتفق عليه المستوطنون المستعمرون جميعًا -فى كل بلدان العالم الإسلامى التى يحتلونها- من توجيه التعليم؛ مناهجه ونظمه لتخريج موظفين يخدمون المستوطنين فى حكمهم أو تحكمهم فى بلدان العالم الإسلامى.

- وما شنه الأعداء من حرب على العالم الإسلامى استهدفت كل مدرسة إسلامية لضرب كل أثر للتربية الإسلامية، حتى بلغ الحقد ببعض المستوطنين إلى حد هدم بعض المدارس الإسلامية وسجن من يدرسون فيها، أو نفيهم خارج بلدانهم، وبخاصة إذا كان هؤلاء الأساتذة ممن يعنون بالإصلاح والتجديد، ومثال ذلك ما حدث لجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد القادر الجزائرى وأمثالهم.

إن الهدف هو إقفار وإفقار المدرسة الإسلامية.

- وما قام به المستوطنون من إفساد مناهج المدرسة الإسلامية بإبعادها عن الإسلام باسم الإصلاح والتحديث ومواكبة الغرب، وتغيير هذه المناهج قد يكون بأيدى الأعداء أو بأيدى من لقنهم الأعداء الولاء لثقافة الغرب وكراهية ثقافة الإسلام ولغته من أبناء بعض البلدان الإسلامية، وأوضح مثال على ذلك ما جرى فى مصر والهند على أيدى بعض المصريين المسلمين وبعض الهنود المسلمين، وأسماء هؤلاء معروفة لكل من يقرأ عن تاريخ التعليم ومناهجه ونظمه فى تلك البلدان الإسلامية.

- وإصرار المستوطنين على أن يكون التعليم فى مجال الدراسات العليا فى بلاد الغرب وأن يكون المبتعثون من اختيار هؤلاء الأعداء ليكونوا أولياء نعمتهم وخدام أغراضهم.

- وفرض لغة المستوطن على المدارس فى العالم الإسلامى، وبناء المدارس الأجنبية ومنحها الامتيازات، وقد حدث ذلك فى معظم بلدان العالم الإسلامى، كما حدث أن سيطرت اللغة الإنجليزية على الهند ثم باكستان ثم بنجلاديش، والأردن والعراق ومصر والسودان ونيجيريا وكثير من بلدان إفريقية التى استوطنها الإنجليز، كما سيطرت اللغة الفرنسية على سوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وكثير من بلدان إفريقية التى استوطنها الفرنسيون.

وكل ذلك على حساب اللغة العربية لغة الكتاب والسنة بإخمالها وإهمالها.

- والمزج بين المدرسة الأجنبية فى البلدان الإسلامية وبين أعمال التنصير التى يسمونها التبشير من جانب وبين العلمانية وإهمال الدين من جانب آخر.

- ومن تلك المعوقات الفنية أمام المدرسة ما يتصل بإعداد المعلم.

إذ الأصل أن يعد المعلم أحسن إعداد ليقوم بعملية التربية وعملية التعليم على أحسن وجه تستهدفه المدرسة.

غير أن المستوطنين للبلدان الإسلامية قاموا بعملين خطيرين أديا إلى إهمال الإعداد للمعلم أو إلى إعداده بحيث يحقق مصالحهم الاستيطانية.

- أهملوا إعداد المعلم، حتى أصبح يمارس التعليم غير المؤهلين له بأكثر من إجادة القراءة والكتابة!! ففسد التعليم وضعف مسوى الطلاب وغابت القيم التربوية غيابًا يكاد يكون مطلقا وهذا هدفهم.

- أو أعدوا المعلمين إعدادًا يلائم أهدافهم فى إقصاء بلدان العالم الإسلامى عن الإسلام وقيمه التربوية والتعليمية حتى وإن تخرج هؤلاء المعلمون فى كليات التربية، إذ هم الذين وضعوا مناهج هذه الكليات بأيديهم أو بأيدى أوليائهم وأولياء ثقافتهم.

ولا تزال آثار إفساد هذا الإعداد للمعلم قائمة حتى يومنا هذا فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

- ولا نستطيع فى هذه المساحة من الكتاب أن نحصى المعوقات والمشكلات الفنية التى وضعوها فى طريق المدرسة الإسلامية ولكننا ذكرنا بعض الشواهد فقط.

ثالثًا: المعوقات والمشكلات العامة أمام المدرسة:

هدف المدرسة الإسلامية الذى لا خلاف عليه هو أن تربى وتعلم الإنسان المسلم المخلص لدينه ولوطنه ولأمته العربية وأمته الإسلامية، فى الحاضر والمستقبل.

والزاد الحقيقى الذى يتزود منه المسلم ليكون كذلك هو: القرآن الكريم، وأحاديث النبى ﷺ، وسيرته وسِيَر صحابته رضوان الله عليهم، وتاريخ المصلحين المجددين من المسلمين خلال القرون، هذه هى الأصول فى تكوين الإنسان المسلم وتتعاون مع هذه الأصول فروع علمية عديدة وثقافات إنسانية متعددة بشرط ألا تكون مناقضة لقيم الإسلام ومبادئه.

أدرك ذلك الأعداء المستوطنون للعالم الإسلامى، فعملوا على تشويه تلك الأصول ومسخ تلك الفروع وتسميم هذه الثقافات فكان لهم عمل خبيث ومُعادٍ فى مجالات؛ العقيدة، والأخلاق والثقافة، والقيم الاجتماعية عمومًا.

فماذا فعلوا لإفساد تلك الجوانب فى حياة المسلمين من خلال سيطرتهم على المدرسة والتعليم؟

● **فى جوانب العقيدة:**

عملوا على زعزعتها فى عقول المسلمين وتشويهها بأمور منها:

- أشاعوا وأشادوا بمذاهب الإلحاد وجحود الخالق سبحانه وتعالى، والزعم بأن الكون لا خالق له.

- وإذاعوا ونشروا وكتبوا عن مشاهير الملحدين، ومنكرى الأديان كلها، وأعداء الدين الإسلامى على وجه الخصوص.

- وسخروا بل أزْرَوا بمن يؤمنون بالغيب واتهموهم بالرجعية والتخلف وإهمال العقل والإيمان بغير المحسوسات، وزادت سخريتهم من مفردات عالم الغيب كالجنة والنار والحشر والنشر والحساب وسائر مفردات الغيب.

وفى سبيل وصولهم إلى هذا الإفساد والتضليل أعدوا من يرددون هذا الهذيان فى مقالات صحفية وكتب ودراسات يعدها -مع بالغ الأسف والعجب- مسلمون، يزعمون فى كتبهم ودراساتهم مناقضة الإسلام للعقل حينًا وللحرية حينًا، وللتسامح حينًا، ولحقوق المرأة حينًا وهكذا، وكل هذا هدفه زعزعة العقيدة وضرب الإيمان فى مقتل.

وهم بذلك يعوقون العمل الأساسى للمدرسة وهو تكوين العقيدة الصحيحة فى نفوس المتعلمين وعقولهم.

وكل كاتب انزلق إلى كتابة ما يزعزع العقيدة الإسلامية كوفئ بالجاه والوظيفة المرموقة والمال والنفوذ.

● وفى جانب الأخلاق:

جلبوا إلى العالم الإسلامى أسباب فساد الخلق والانحلال واستمراء ما حرم الله من زنا ولواط وشرب خمر ولعب ميسر ونحو ذلك من الموبقات، كما أشاعوا اختلاط النساء بالرجال، ومراقصة الرجال للنساء وعرى النساء وتبذلهن باسم التمدن والتحضر.

وجلبوا للعالم الإسلامى الخمور والمخدرات والمفتِّرات، وأشاعوا شرب الخمر، وجعلوا لها أماكن خاصة وسمَّوا كل ذلك حرية شخصية.

والأصل فى المدرسة أن تبنى القيم الخلقية فى نفوس المتعلمين لأن الإسلام يربط بين التعلم والعمل، لكن كيف تمارس المدرسة علمها وسط هذه الموجات من فساد الخلق وتعطيل القيم والمبادئ التى جاء بها الإسلام؟

● وفى جانب الثقافة:

اعتبروا القصص الجنسية التى تثير الغرائز ثقافة وشجعوا على كتابتها، كما أشاعوا قصص الجريمة والعنف وسطو اللصوص على المصارف، وانتشرت مسلسلات تحمل أسماء مثل: «اللص الظريف» ونحوها؛ ومن أجل أن إفسادهم للتعليم وتقتيرهم فى الإنفاق عليه جعل عدد الأميين كبيراً، فجاءوا إليهم بالسينما ليروا فيها قصص الرذيلة والجريمة والعنف وإثارة الغرائز وزعموا أن إشاعة الفاحشة فى الناس واقعية فنية، كأن الناس ليس فيهم إلا الرذائل والانحرافات لتمثل وتعرض فى دور السينما والمسارح، وكثرت الأفلام والمسرحيات التى تتندر بالقيم الإسلامية، وتهزأ بالمتمسكين بها.

ومع هذه الموجة العاتية من إشاعة الباطل والهوى أشاعوا فى العالم الإسلامى ثقافتهم المعادية للدين التى تحمل من الحقد على الدين كله وعلى الإسلام على وجه الخصوص ما ينفر من كل دين وما يبغض إلى الناس الإسلام وقيمه وينفرهم من ثقافته، وإذا أضيف إلى ذلك إشاعة ثقافة الإلحاد التى صدرها ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، أو الثقافة الغربية التى تسخر من الروح وتنادى بالمادية والعلمانية وغيرهما من تيارات الفساد.

وكل ذلك ضرب للمدرسة الإسلامية وتعجيز لها عن أداء وظيفتها بعزلها عن مصادر ثقافتها وإبعادها عن كل ما هو إسلامي.

● وفي مجال القيم الاجتماعية:

جاء المحتلون لبلدان العالم الإسلامي بما عندهم من عادات وتقاليد ونظم اجتماعية معادية لما ألفه المسلمون من عادات ونظم وقيم اجتماعية.

وجاءوا بعاداتهم وقيمهم الاجتماعية -بوصفهم محتلين مستوطنين- سيلاً جارفًا يكتسح أمامه ما تعارف عليه المسلمون من قيم وأخلاق، وكان هذا التيار المعادي للقيم الاجتماعية الإسلامية من الدهاء والخبث بحيث يصد المسلمين عن التمسك بقيمهم وتجاهلها.

ومما جاءوا به من عادات اجتماعية مخالفة لقيم الإسلام ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

- سفور المرأة بكشفها لما أمر الله بستره من جسدها، مع اعتبار ذلك من التحضر والتمدن!!

- وتزين المرأة وتعطرها خارج بيتها، في عملها أو تسوقها أو زياراتها لصديقاتها.

- واختلاطها بالرجال في التعليم الجامعي أولا، ثم في سائر مراحل التعليم بعد ذلك، وما ترتب على هذا الاختلاط من أعمال ينهى عنها الإسلام، وكثيرا ما تبدأ هذه الأعمال بالنظر وعدم غض البصر، ثم الكلام فالصداقة والإعجاب، ثم ما أطلقوا عيه زواجا عرفيا، وهو باطل لأنه بدون إذن ولي.

- وموجة تخنث الرجال بارتدائهم ملابس تشبه ملابس النساء وترجل النساء بارتدائهن ملابس تشبه ملابس الرجال، وأخذ كل من الجنسين بعض صفات الجنس الآخر.

- وموجة تمرد الأبناء بنين وبنات على سلطة الأبوين وعلى قيم الأسرة، مع الزراية بالآباء والأمهات في التمسك بالدين وقيمه، واتهامهم بالرجعية والتشدد، وقهر الأبناء وحبس البنات في بيوتهن.

مع الإشادة ببعض القوانين الغربية الشاذة التي تعاقب الأبوين إذا ضربا أو ضرب أحد منهما ابنه أو ابنته للتأديب أو نحوه.

- وموجة عاتية عالية من إشاعة وسائل اللهو من خلال «الكمبيوتر» و«الفيديو جيم» وغيرهما من الألعاب المضيعة للوقت في غير طائل، وزادوا في جرعة الترويح والترفيه

والسهر حتى أهمل العامل فى عمله بعد أن بدد السهر جهده وأصابه بالخمول والكسل والإهمال، وتبديد ثروة بلاده.

- ثم جاءت موجة شغل الناس بالتعصب للأندية الرياضية لصرف الناس عن الانتماء السياسى، وهذا يرضى العدو ويرضى الحاكم المستبد الذى يكمم الأفواه ويحكم الناس بالأحكام العرفية ويحاكمهم أمام المحاكم الاستثنائية.

ومن المسلَّم به المشاهد لكل ذى بصر فضلا عن بصيرة أن الحكام الشموليين المستبدين يلقون أشد التأييد من القوى المسيطرة المعادية للإسلام.

كل تلك الموجات وغيرها مما لا يتسع المجال لتفصيل القول فيها سهام حادة مصوبة إلى المدرسة الإسلامية، لأنها هى المسئولة عن تربية المتعلمين تربية إسلامية تلتزم بقيم الإسلام ومبادئه، فماذا تفعل المدرسة إزاء كل ذلك؟

ماذا تفعل المدرسة وهى يُقتَّر عليها فى الإنفاق، وتبث أمامها العقبات، وتشوه مناهجها، وتجرد من المرافق اللازمة لها، بل تجرد من حرية اختيار كتاب ليوضع فى مكتباتها العامة؟

ماذا تفعل المدرسة إذا فرض عليها المنهج والكتاب والمعلم وتعاونوا جميعًا على إقصاء المدرسة من كل ما هو إسلامى؟

إن تضافر الجهود والإصرار على التمسك بكل ما هو إسلامى من قيمة ومبدأ هو الإنقاذ للمدرسة مما تتردى فيه بفعل أعداء الإسلام.

رابعًا شخصية المدرسة الإسلامية ومكانها من البناء الاجتماعى:

تستطيع المدرسة الإسلامية ذات الشخصية الاجتماعية الفاعلة أن تصوغ الإنسان المسلم الفاعل المؤثر فى المجتمع الذى يعيش بكل القيم الإسلامية التى تعلمها فى المدرسة، فيسهم بذلك فى بناء المجتمع، كما تستطيع المدرسة أن تصوغ الإنسان المسلم ذا الحس الرقيق الذى يتأثر بما فى مجتمعه من قيم إسلامية يمتصها ثم يصوغها سلوكًا وأعمالا.

إن المدرسة الإسلامية تربى إنسانًا مسلمًا يعطى ويأخذ، يفعل الخير ويتفاعل مع الخير الذى فى مجتمعه، إنه بذلك يترجم ما تعلمه فى المدرسة، وعندئذ تكون المدرسة ذات تأثير وفاعلية وقدرة على الإسهام فى بناء الفرد والمجتمع، وتلك مكانتها فى البناء الاجتماعى الإنسانى.

ومن الصحيح الذى لا ينازع فيه أهل الخبرة فى التربية أن المدرسة يمكن أن تقاس نجاح شخصيتها فى بناء المجتمع بقدرتها على تربية ذلك الإنسان الملتزم بقيم الإسلام فى ذاته، الحريص على أن يراها مطبقة فى المجتمع الذى يعيش فيه، محليًا كان ذلك المجتمع أو عربيًا أو إسلاميًا.

● ماذا تستطيع المدرسة الإسلامية ذات الشخصية المؤثرة فى المجتمع؟

إنها تستطيع الكثير، وعلى سبيل المثال:

أ- تستطيع المدرسة الإسلامية أن تربى المؤمن؛ الذى يعمر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر قلبه ثم ينعكس إيمانه على جوارحه عملاً صالحًا سعيًا وراء الحق والخير والجمال حتى يثبت هذه القيم فى المجتمع. فتلك هى المدرسة ذات الشخصية وذات المكانة فى بناء المجتمع.

ب- وتستطيع المدرسة الإسلامية أن تغرس فى أبنائها حب الإسلام بوصفه الدين الحق الذى يجب أن يصل إلى البشرية كلها من خلال الشرح والتفسير وبيان أسلوب التطبيق، المسلم المحب للإسلام الذى يعرف كيف ومتى وأين يضحى من أجله بكل شىء، وفى الوقت نفسه يكره أن تنتهك حرمة من حرمه، فإن عجزت عن ذلك فليست مدرسة إسلامية.

جـ- وتستطيع المدرسة الإسلامية أن تربى أبناءها على الإخلاص لله ولكتابه ومنهجه وخاتم رسله ﷺ إخلاصًا يعمر القلب ليخرج إلى الجوارح، عبادة لله تعالى وفق ما شرع ومعاملة للناس على نحو ما جاء بها الإسلام أى معاملة تقوم على العدل والإحسان، والإخلاص مخ العبادة، وبغير الإخلاص تبوء أعمال الناس جميعًا بالخيبة والفشل وإغضاب الله تبارك وتعالى.

د- وتستطيع المدرسة الإسلامية أن تربى أبناءها على القيم الإسلامية وأخلاق القرآن الكريم، والاقتداء بالرسول الخاتم ﷺ، وما لم تفسر المدرسة تلك القيم وتشرحها وتشجع على الالتزام بها فليست مؤسسة تربوية، بل ليست مدرسة إسلامية.

هـ- وتستطيع المدرسة أن تربى أبناءها على حب العمل والجدية فى أدائه، إذ الإسلام قد قدر العمل حق قدره وجعله ترجمانًا للإيمان ودليلاً عليه، واقتران الإيمان بالعمل الصالح فى القرآن الكريم مئات المرات يؤكد اعتبار الإسلام للعمل واحترامه والجزاء عليه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

والجدية صفة ملازمة لكل عمل فى الإسلام، إذ الجدية يقظة وتنبه وإجادة للعمل وإتقان، ومن المقرر فى الإسلام أن الله تعالى يحب إذا عمل الإنسان عملا أن يتقنه، وهل يكون هناك إتقان دون جدية وحماس وتنبه؟

و- وتستطيع المدرسة الإسلامية أن تربى أبناءها على حب الخير لأنفسهم وللناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين، إذ العمل على هداية غير المسلمين إلى الدين الحق هو أكبر خير لهم وأعظم تأمين لحاضرهم ومستقبلهم، وأنفع عمل لصاحبه، وحسبه أن يهدى الله به رجلا إلى الدين الحق.

ز- وتستطيع المدرسة أن تربى أبناءها على حب التضحية بالجهد والوقت والمال فى سبيل الله تعالى، وسبيل الله هو كل واجب أوجب الله على المسلمين فعله، التضحية فى سبيل الحق وفى سبيل العرض والأهل والمال والولد، والتضحية فى سبيل الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى، وكل ذلك فى سبيل الله تعالى.

ح- وتستطيع المدرسة الإسلامية أن تربى المجاهد فى سبيل الله الذى كلما سمع هيعة طار لها، حيث تعلم أن يحتبس نفسه وماله وجهده ووقته لساعة النفير العام، لسان حاله -كما كان أسلافنا يفعلون- وعجلت إليك رب لترضى، إن المدرسة الإسلامية تجيد تربية المجاهد الذى يصر على أن ينال إحدى الحسنيين النصر على أعدائه أو الشهادة فى سبيل الله.

ط- والمدرسة الإسلامية تربى أبناءها على احترام الرأى وإحسان الاستماع إليه ومناقشته حتى يتبين الحق فَيُتَّبع أو يتبين الباطل فيُجتنب، واحترام الرأى الآخر خلق إسلامى أصيل ومناقشته خلق نبوى كريم دلت عليه عشرات المواقف فى سيرته ﷺ.

بل إن الإسلام قد شرع طلب الرأى الآخر حينما شرع الاستشارة وأوجب الأخذ بالشورى.

ى- والمدرسة الإسلامية تربى المتعلمين فيها على الإيجابية والمشاركة فى كل عمل نافع، اجتماعيًا كان ذلك العمل أو سياسيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا، مادام يعود على المجتمع بخير فى الدنيا أو فى الآخرة، أو يعود عليهم بدفع ضر فى الدنيا والآخرة، لأن الإسلام يرفض أن يعيش الإنسان سلبيًا عاجزًا، أو إمَّعةً تابعًا إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء.

خامساً: المدرسة الإسلامية والتيارات المعادية لها:

تلك هى المدرسة الإسلامية ذات الشخصية الفاعلة فى بناء المجتمع المسلم، وتلك هى مكانتها من البناء الاجتماعى، فإن عجزت عن ذلك أو قصرت، فقد وضع أعداؤها فى طريقها المعوقات والمشكلات على نحو ما أشرنا آنفاً.

ولم يكتف أعداء المدرسة الإسلامية بما وضعوا فى طريقها من عقبات ومشكلات تحدثنا عنها آنفاً، وإنما زادوا على ذلك شغل المدرسة والمعلمين والمناهج والكتب والطلاب بالحديث عن تيارات من شأن الانشغال بها فضلاً عن تبنيها أن يصرف المدرسة عن أهدافها الأساسية، ويشغلها بهذه التيارات التى فرضوها على المدرسة فرضاً، يصعب الفكاك منه إلا من عصم الله.

وتلك التيارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والضياع والضلال والحيرة والتخبط والانصراف عن الهدف، وهذه التيارات أبرزها ثلاثة:

- التيار القومى.

- والتيار الإقليمى.

- وتيار المذاهب الهدامة.

ولكل من هذه التيارات الثلاثة حديث وجيز يكشف عن أبعاده ويوضح أهدافه، والله المستعان:

أ-تيار القوميات:

النزعة القومية والعمل على إحيائها فى العالم الإسلامى، سلاح ذو حدَّين، إذ قد تكون النزعة القومية نافعة إذا أدت إلى تجميع المتفرقين وتوحيد صفهم لمواجهة خطر يهددهم، أو للتعاون فيما بينهم حول مصلحة من المصالح.

وقدتكون النزعة القومية والعمل على إحيائها لتفريق وحدة أكبر كوحدة العالم العربى أو وحدة العالم الإسلامى، عندئذ تؤدى النزعة القومية إلى إضعاف القوى والتصدع والتفتيت.

● والأصل فى المسلمين أنهم أمة واحدة من دون الأمم، يجمعها الإسلام ويجعل منها قوة موحدة متماسكة قادرة على مواجهة أى تَحَدٍّ موجه إليها.

والأمة الإسلامية بوصفها أمة موحدة أراد الله تعالى أن يجعلها خير أمة أخرجت للناس بما يتوافر فيها وما تحرص عليه من إيمان بالله تعالى وممارسة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما يترتب على ذلك من سيادة الأمن والسلام والرخاء.

وقد أشاد الله تعالى بوحدة الأمة المؤمنة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وحدة الأمة الإسلامية والعمل على تقويتها واستمراريتها واجب إسلامى، شرعه الله تعالى ورسوله الخاتم ﷺ، وعلى المسلمين فى كل زمان ومكان أن يكونوا أمة واحدة، وأن ينبذوا الفرقة والتمزق والتحزب، لأنهم لا حياة كريمة عزيزة لهم إلا بأن يكونوا أمة واحدة.

ويوم كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة كانت قوة خير وإحسان وبرّ فى كل مكان تذهب إليه، تملؤه عدلاً وخيرًا وأمانًا، وحرية واحترامًا للناس عمومًا، ولأهل الأديان الأخرى على وجه الخصوص، ويكفى للتدليل على صدق هذا التسامح مع غير المسلمين أن نتدبر قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ... ﴾ [الكهف: ٢٩].

تلك هى شخصية الأمة الإسلامية، وذلك بناؤها الإنسانى؛ لا فضل فيها لعربى على عجمى إلا بالتقوى، فلا عرقية ولا عنصرية ولا قومية تصرفها عن العدل والإحسان والوسطية.

- إن التيار القومى استعمل هذا القرن الأخير ونُفخ فيه ليحيا، من أجل أن يفرق المسلمين ويشق وحدتهم، فالقومية فى هذا القرن صدرها لنا مفكرو الغرب -ومن ورائهم اليهود- وسيلة من وسائل تمزيق وحدة المسلمين، وهى تعنى عندهم: رفع شعار قومى وطنى يتوحد الناس حوله بدل أن يتوحدوا بالإسلام.

وقد مارس «نابليون» ذلك فاستحدث القومية الإيطالية والقومية الألمانية، وهو أمر أدَّى فى نظر المفكرين إلى تفكيك الوحدة الأوروبية الموروثة من الإمبراطورية الرومانية.

وأول ما غزت هذه الفكرة القومية العالم الإسلامى فى العصر الحديث كان فى عهد «نابليون» كذلك، حيث عانى جيشه فى مصر من حرب ترفع شعار: «الله أكبر والعزة للمسلمين» فلم يجد ما يناوئ به ذلك الشعار إلا الخروج بفكرة القومية، وأشاعوا أن العثمانيين ليسوا إلا شعبًا تركيًا غير مصرى لا يربطه بمصر إلا الدين، والدين -كما قالوا-

ما ينبغى أن يتعدى الطقوس إلى النواحى السياسية، وأخذوا يذيعون أن دولة الخلافة العثمانية دولة استعمارية!!!

ويؤكد: «فيليب حتّى» اللبنانى المسيحى الموالى لحضارة الغرب المعادى فى كثير من كتاباته للإسلام وأهله، يؤكد أن القوميات وافدة علينا من الخارج حيث يقول: «كان من نتيجة الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكرى الغربى أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة، واستمدتْ وحيها بالأكثر من النظريات السياسية الأمريكية، بخلاف القومية التركية التى جاءت متأخرة عن العربية واستمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية.

ولقد كان ظهور مبادئ القومية العربية فى العقد السابع من القرن الفائت (العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجرى) على يد رجال الفكر السوريين وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تثقفوا فى المدارس الأمريكية فى بلادهم... ومما لا ريب فيه أن القومية إنما هى بضاعة غربية استوردها العالم بما فيه الشرق العربى من أوربا»(1).

ونعود فنقول: كان مولد التيار القومى على يد جمعية الاتحاد والترقى التركية، وهى جمعية وراءها يهود الدونمة الذين تنسب إليهم والدة مصطفى كمال الذى قضى على دولة الخلافة العثمانية مستجيبًا لرغبة الغرب واليهود فى ذلك.

وأول تيار قومى برز فى تركيا على يد مصطفى كمال هو تيار الطورانية فى مواجهة الإسلام ووحدة المسلمين.

وقد زحف الاتحاديون على استانبول وأجبروا السلطان عبدالحميد على إقرار دستورهم وتسليم الوزارة إليهم وإلغاء ما سموه الامتيازات الدينية، فثار الناس، فتراجع السلطان وكلف توفيق باشا بإعادة تنفيذ الشريعة الإسلامية، وعندئذ تقدم جيش الاتحاديين واحتل العاصمة وخلع السلطان عبدالحميد...

وعندئذ انتهز الطليان الفرصة فطلبوا من حزب تركيا الفتاة بقيادة مصطفى كمال بأن يسمحوا لهم بالاستيلاء على طرابلس الغرب، ثم قامت حرب بينهم تخلى فى نهايتها مصطفى كمال عن طرابلس الغرب وبنغازى للطليان.

وأصبحت الطورانية فى تركيا بديلاً عن الإسلام أو عن وحدة المسلمين.

---

(1) فيليب حتى: «العرب» تاريخ موجز: ٢٥٦-٢٥٧.

• ثم امتدت النزعات القومية فى العالم العربى لتحل محل الوحدة الإسلامية فظهر منها :

- التيار القومى العربى ضد تركيا الفتاة.

- والتيار الكردى ضد تركيا الفتاة.

- والتيار الفنينيقى فى سورية.

- والتيار الآشورى والتيار البابلى فى العراق.

- وتيار القومية الفرعونية فى مصر.

- وتيار البربر فى المغرب العربى- الجزائر والمغرب-.

وكل هذه التيارات إنما أيقظها من سباتها وبعثها من مرقدها الذين لهم مصلحة فى القضاء على الوحدة الإسلامية سواء أكانوا من الغرب أم من أوليائهم من العرب والمسلمين.

ولا شك أن الغرب واليهود كانوا وراء انتشار هذه التيارات المعادية لوحدة المسلمين، ومن الأسف الشديد أن بعض الكتاب من العرب والمسلمين الموالين للغرب وثقافته كتبوا فى التشجيع على نشر هذه التيارات، واشتط بعضهم فادعى أن الوحدة الإسلامية من الأمور الصعبة التحقيق.

ولقد انحسرت الوحدة بين المسلمين بفعل هذه التيارات وأصبح المنادون بها أعداء للحكام الذين يدورون فى فلك الغرب، فاضطهدوهم بل نفوا بعضهم من بلده.

لكن -على الرغم من ذلك كله- فإن وحدة العالم الإسلامى أمل كل مسلم يفهم دينه ويتمسك بقيمه، وهى أمل المسلمين جميعًا فى مواجهة أعدائهم.

وهذه التيارات القومية ضربة موجهة إلى التربية الإسلامية و إلى المدرسة الإسلامية، وبالتالى إلى مستقبل الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها.

ب- تيارات الإقليميات :

الإقليمية تعنى إثارة النزعات والتعصب فى أهل إقليم جغرافى ليصبحوا متعصبين لإقليمهم دون غيره.

وهذا التعصب الإقليمى يحول بين المتعصبين لأقاليمهم الصغرى وبين العمل من أجل

الوطن الكبير عربيًا كان أو إسلاميًا، لأنهم يبحثون عن مصالحهم ومصالح أقاليمهم ولو كان ذلك على حساب الوطن الكبير.

ولقد خطط الأعداء المحتلون للبلدان العربية والإسلامية، لإحياء هذه النزعة الإقليمية فى مواجهة وحدة العرب أو المسلمين، واتخذوا من التنقيب عن الآثار والحفائر فى المناطق الأثرية فى بلدان المسلمين والعالم العربى قبل أن يدخل الإسلام تلك البلاد، فعثروا على بعض الآثار، ثم أعطوا مبررًا لهذه الإقليمية لتكون بديلاً عن الإسلام.

ومن هنا نشأ الحديث عن الطورانية والفينيقية والآشورية والبابلية، والقحطانية، والفرعونية والبربرية وغيرها مما يصعب إحصاؤه ومما لا يخلو منه بلد عربى أو بلد إسلامى، فدعوا الناس إلى الانتماء لهذه الحضارات الإقليمية التى كانت قبل الإسلام، بدل انتمائهم للإسلام وحضارته.

ثم قام أولياؤهم الذين تربوا على أيديهم وفى مدارسهم بتعزيز هذه الإقليمية، بأن أشادوا بها وصاغوا فى أمجادها أناشيد يرددها الناس كبارا فى أغانيهم وصغارًا فى مدارسهم، ولايزال بعضها باقيًا حتى يومنا هذا.

وحديثنا هذا لا يقلل من شأن الإقليمية فى ذاتها، وإنما يحذر من أن تكون بديلاً عن الإسلام؛ ثقافته وحضارته.

ولقد ترتب على حرب الانتماء إلى الإسلام حرب أخرى هى حرب لغة الإسلام وهى: «العربية» لغة الكتاب والسنة.

وكانت حربهم للغة العربية ذات أشكال عديدة:

فمرة يشجعون اللهجات العامية فى الأقطار العربية، حتى اتخذوا من كبار الكتاب والمفكرين العرب الذين يوالونهم ويوالون ثقافتهم دعاةً إلى العامية، حتى نادى بعضهم بأن تؤلف الكتب العلمية والأدبية بالعامية، ومرة ينادون بأن تصبح أحرف اللغة العربية أحرفًا لاتينية، كما فعلت تركيا التى كانت أحرف لغتها هى الحروف العربية، ومرة ينادون بصعوبة العربية وصعوبة نحوها وصرفها.

ولم يفترُوا فى حرب لغة القرآن فى الأقطار العربية كلها، وحربُ العربية حرب للإسلام وتهديد للكتاب والسنة.

ولتلك الحرب قصة ليس هنا مجال الحديث عنها.

ونعود إلى النزعات الإقليمية التى شجعوها لكى يخلعوا من المسلمين انتماءهم إلى الإسلام واعتزازهم به.

ولقد تعددت الدعوات إلى الإقليميات بأكثر مما تعددت النزعات القومية، فلقد ظهر منها:

- إقليمية طورانية لعزل تركيا عن الإسلام.
- وإقليمية فينيقية لتغرق سوريا فى مياهها الآسنة.
- وإقليمية آشورية أو بابلية لتمزيق العراق وإغراقه فى خلافات شرسة.
- وإقليمية كردية لتنزع من العراق جزءاً ومن سوريا جزءاً ومن تركيا جزءاً.
- وإقليمية فرعونية لتفرغ مصر من محتواها الإسلامى وحرصها على العربية الفصحى وبراعة علمائها وأدبائها فى فنون اللغة العربية شعرها ونثرها..
- وإقليمية هاشمية فى الأردن.
- وإقليميات عائلية فى مختلف دول الخليج.
- وإقليمية نجدية أو حجازية فى المملكة العربية السعودية.
- وإقليمية قحطانية فى اليمن.
- وإقليمية بربرية فى المغرب والجزائر.
- وإقليمية جنوبية وإقليمية غربية فى السودان هدفها فصل جنوب السودان عن شماله، وغربه «دارفور» عن الوطن الأم.
- وإقليمية عائلية فى الصومال حولته فعلا إلى ثلاثة أقاليم.
- وإقليميات مجمعة لعائلات أو دويلات مثل:
- إقليمية دول الخليج.
- وإقليمية دول المغارب.
- وإقليمية جمعت مصر وسوريا دون سائر البلدان العربية، حيناً من الزمان، ثم تآمر الأعداء على فك هذه الوحدة خوفا على إسرائيل من وحدة قطرين عربيين فضلا عن أكثر من ذلك.

- وإقليمية بنغالية فصلت البنغال عن باكستان.

- وإقليمية كشميرية فى باكستان لتظل فى صراع عليها مع الهند، وتباعد بين المسلمين ووحدتهم.

● وهذه الإقليميات جميعًا تعنى أولا إخمال الانتماء إلى الإسلام، كما تعنى تفكيك العالم الإسلامى إلى أجزاء.

وكل ذلك من التحدى السافر للتربية الإسلامية عمومًا وللمدرسة الإسلامية على وجه الخصوص.

ثالثًا: تيار المذاهب الفاسدة الهدامة:

هذه المذاهب الفاسدة الهدامة جاءت إلى العالم الإسلامى من الغرب حينًا ومن الاتحاد السوفيتى السابق حينًا، وهذه المذاهب الفاسدة الهدامة حلت محل ما كان يضيق به المسيحيون من نظم الكنيسة وتحكم رجال الدين فى الناس باسم الدين، إذ رحبوا بها ليحررهم الأخذ بها من تشدد الكنيسة ورجالها، ثم أصبحت هذه المذاهب من الشيوع والانتشار بحيث أرضت غرور بعض الغربيين وحققت لهم بعض المطامح المادية.

ولما وردت إلى العالم الإسلامى هذه المذاهب كان هدفها وهدف مورديها مقاومة التمسك بالإسلام لتحل هذه المذاهب محله، والابتعاد عن القيم الإسلامية، لتحل محلها قيم هذه المذاهب الفاسدة الهدامة.

ومن أبرز هذه المذاهب الفاسدة الهدامة.

أ- الوجودية:

وهى مذهب ملىء بالتناقض والمعارضة لفطرة الإنسان، إذ الوجوديون على اختلاف مدارسهم يتفقون على مبدأ واحد، هو تقديس حرية الفرد، وحمايته من طغيان الجماعة، وبخاصة بعد ظهور الديموقراطية الحديثة، ثم ظهور الشيوعية والفاشية.

وهم يبنون مذهبهم هذا على اعتبار أن الفرد هو الموجود الحقيقى فى الخارج، وأن النوع الإنسانى لا وجود له إلا فى عالم التصور والفروض الذهنية.

«وتقديس حق الفرد هو الجانب السليم فى الوجودية.. وأما السخف والمرض فإنما يظهر

عند الانتقال من تقرير وجود الفرد إلى النتائج التى ترتبت على هذا فى اعتقادهم، ثم يبلغ السخف غايته حين يخلطون بين وجود الفرد وغاية الوجود كله.

ومنهم من يقول: إن الوجود كله عبث لا معنى له على الإطلاق ولا غاية من ورائه لمخلوق ولا لخلاق.

فاليهودى « دوركاييم » وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب.

واليهودى أو نصف اليهودى « سارتر » وراء الوجودية التى نشأت معزِّزة لكرامة الفرد؛ تجنح بها إلى إباحية حيوانية تصيب الفرد والجماعة معًا بآفات القنوط والانحلال »(١).

وبما قاله العقاد عن الوجودية نستطيع أن نؤكد أنها مذهب معاد للتربية الإسلامية التى ترعى الفرد والمجتمع. وللمدرسة الإسلامية التى تربى الفرد ليعيش منتجًا فى المجتمع متعاونًا محبًا للخير يعرف ما عليه ويأخذ ما له.

ب- والفوضوية:

وهى من المذاهب أو الفلسفات الهدامة المعادية بذاتها ومبادئها لكل نظام ولكل قانون، وبوصفها فوضوية فإنها تقف من الإسلام موقف العداء والتحدى، لأن الإسلام دين النظام والالتزام والدقة والتوقيت.

والفوضوية ترى الدولة أداةً للاستبداد بالأفراد فى أى نظام اجتماعى؛ لذلك تنادى بضرورة مقاومة الدولة ومقاومة الأنظمة التى تنبثق عنها.

ولقد يتصور بعض الناس أن الفوضوية - وهى تقوض الدولة وتلغى أنظمتها- إنما تفعل ذلك محافظة على الفرد وعلى حقوقه، غير أن هذا التصور يذهب هباء حينما نرى الفوضوية تقوض الملكية الفردية، إذ تراها مبعثًا للظلم فتنادى بإلغائها.

كما أن الفوضوية وهى تلغى الدولة وأنظمتها؛ تستبد بالفرد إذ تجعله يعيش فى غير نظام، وتطالبه بأن يثور على كل سلطة منظمة وأن يتحدى كل قانون.

ومع ذلك فإن الفوضويين ينادون بأنه لا وجود للحرية الكاملة، ويقولون: إن العدالة المطلقة لا يمكن أن تتوافر فى ظل نظام يقوم على فكرة الدولة والملكية الفردية.

---

(١) عباس محمود العقاد: بين الكتب والناس: ٢٦ ط بيروت: ١٩٦٦م.

وعند التأمل نجد أن كل ما نادت به الفوضوية هو فوضى حقيقية، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يعتبرون الفوضوية مذهبًا سياسيًا واقتصاديًا متطرفًا؛ فإنها فوضى لا يقبل بها عقل إنسان سَوِىّ.

- ومما هو قريب من الفوضوية فى جوهرها وأهدافها ما يدعو إليه بعض العابثين بالشباب وبخلقه ومستقبله من:

مذهب العرى المطلق لجسم الإنسان رجلا أو امرأة.

ومذهب المثلية الجنسية أى أن يتزوج الرجل رجلا وأن تتزوج المرأة امرأة مثلها.

ولقد أقرت بعض المجالس النيابية هذا الشذوذ الجنسى وأصدرت بجوازه قوانين.

وبعد؛ فالفوضوية وأمثالها من تلك المذاهب المنحرفة عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها هى حرب ضارية للتربية الإسلامية وللمدرسة التى تطبق عمليا مبادئ التربية الإسلامية فى أبنائها، أى أنها حرب على القيم الخلقية الفاضلة، وحرب على ممارسة الحقوق الإنسانية وحرب على أداء الإنسان لواجباته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

جـ- والشيوعية:

وهى أمٌّ لكثير من المذاهب الفاسدة الهدامة، وقد تبنت مذهبًا اقتصاديًا سياسيًا يقوم على عدد من الدعاوى التى ما صدقت يوم نودى بها ولا صدقت وهى تعيش بين المعذبين بها سبعين عاما تبطش بالناس ليعتنقوها وتلقى بمعارضيها فى مجاهل «سيبيريا» وجحيمها.

وقد شاء الله أن تنهار الشيوعية انهياراً ضخمًا مدويًا فى العقد الأخير من القرن العشرين.

– والشيوعية مذهب ينادى بحتمية الإطاحة بالنظام الرأسمالى بزعم إقامة مجتمع المساواة والعدل.

ويرى أن تملك الدولة كل وسائل الإنتاج، مع إلغاء ملكية الفرد عموما فلا يملك أحد المزرعة ولا المصنع ولا البيت الذى يسكن فيه، ولا يملك أحد الحق فى أن يبيع أو يشترى شيئًا من الطعام إلى الملابس إلى أثاث البيت إلى جميع ما يرغب الإنسان فى امتلاكه!!

– والذى نتحدث عنه هنا هو الشيوعية التى نادى بها «كارل ماركس».

– أما ما سبقها من الشيوعيات، فلا تعنينا، حيث زعموا أن الشيوعية عريقة النشأة منذ زمن بعيد، فقالوا:

● إن أفلاطون دعا إلى جمهورية شيوعية ارستقراطية - في جمهوريته - أى مدينته الفاضلة.

● وإن هناك شيوعية دينية طالب بها عدد من مفكرى بوهيميا سنة ١٤٢٠م.

● وإن هناك شيوعية الفلاحين الألمان بقيادة «توماس مونزر» عام ١٥١٣م.

● وإن هناك حركة المساواة الكاملة التى كانت ضد النظام الملكى، وضد طبقة الأشراف، وضد «الإكليروس» وقد نودى بها سنة ١٦٤٦م.

● وإن حركة اليعاقبة فى فرنسا بقيادة «بابوف» الذى نادى بمواجهة البربرية الرأسمالية، وقد حكم اليعاقبة فرنسا حكمًا دكتاتوريًا ١٧٩٠م.

● وإن «شارل فوربيه» و«لويس بلان»ناديا بالشيوعية فى القرن التاسع عشر الميلادى.

هذه الشيوعيات قمعت فى حينها ولم يكتب لها النجاح أو الاستمرار، كما حدث للشيوعية التى نادى بها اليهودى «كارل ماركس» الذى أصدر بها بيانا سنة ١٨٤٨م، وللشيوعية التى نادى بها لنين سنة ١٩٠٣م.

ثم كانت الشيوعية التى نجحت فى روسيا سنة ١٩١٧م وعانى منها المجتمع الإنسانى الذى خضع لأنظمتها وفقد ملكيته لأى شيء، وفقد حريته وفقد كل حقوقه الإنسانية، وعانى من القهر والتعذيب البدنى والنفسى الذى برع فيه الشيوعيون أيام ستالين ومن جاءوا بعده إلى أن سقطت الشيوعية ذلك السقوط المدوى.

هذه الشيوعية الأخيرة هى ألد أعداء الأديان كلها، إذ هى إلحادية تنفى وجود الخالق وتستهزئ بالأديان وبعالم الغيب، وقد وجهت لأهل الأديان - فيما عدا اليهود - ضربات قاسية وخصت المسلمين فى أواسط آسيا والشيشان وغيرها من البلدان التى يعيش فيها المسلمون.

وللشيوعية مع الإسلام عداء تقليدى دموى رهيب، أدخل المسلمين فى جحيم من الاضطهاد المعنوى والمادى، حتى حرموا عليهم الصلاة والصيام وراقبوهم خشية أن يصلوا أو يصوموا، ومنعوا تماما حجهم إلى بيت الله الحرام، وأبادوا منهم أعدادا كبيرة، ومن لم يمت منهم بالتعذيب فى التحقيقات مات فى السجن أو فى مجاهل سيبيريا.

والشيوعية بصفاتها هذه هى ألد أعداء التربية الإسلامية وأشد أعداء المدرسة الإسلامية التى تربى أبناءها على القيم الإسلامية، وهذه القيم جرائم كلها عند الشيوعيين.

● والخلاصة، أن ما رآه «هيجل» وما تابعه عليه أو خالفه فيه «كارل ماركس» ليس فيه غناء أو نفع للإنسان، فليست الجدلية عند «هيجل» ولا المادية التاريخية عند «ماركس» إلا مؤدية إلى إحدى نتيجتين كلتاهما سيئة وملحق ضرراً أى ضرر بالإنسان.

وإحدى هاتين النتيجتين هى: أن الدين والأخلاق والفضائل والعلم والفلسفة مظاهر للروح العالمية السائدة فى عصر من العصور؛ فلا إله ولا خالق ولا أنبياء ولا رسل ولا مناهج ولا كتب مع المرسلين عليهم السلام، وبالتالى فلا قيم خلقية ولا فضائل.

والنتيجة الأخرى هى: أن أى مدنية عندما تنضج وتبلغ رشدها يتولد عنها طائفة ذات ميول وأفكار جديدة، فتصارع القديم حتى تبيده وتأتى بالجديد، وبالتالى فلا ثبات ولا استقرار، ولا تلقى لمنهج عن رسول، أى لا اعتراف بخالق أو رب أو أنبياء أو مرسلين، ولا قيم ولا فضائل..

فهل هناك مذهب أشد فسادا وأكثر ضررا بالإنسان من هذه الشيوعية، أو الاشتراكية التى تلتها أو واكبتها وأصْلت البشرية من نيرانها، وغذتهم بأكاذيبها، وخدعتهم شعراء وكتابًا حتى ألفوا فيها الأغانى!!

ثم شاء الله تعالى أن يفنى الشيوعية والاشتراكية بأيدى أبنائها وحكامها «ولو شاء ربك ما فعلوه...»

د- والماسونية:

وهى جمعية يهودية قديمة النشأة خبيثة الأهداف سيئة الوسائل، تقوم على العداء للمسيحية والإسلام معًا، وإن كانت تخص الإسلام بمزيد من الحقد والعداء.

وفى تاريخ نشأتها اختلاف بين من كتبوا عنها، على نحو يثير كثيراً من التعجب والدهشة.

● فمنهم من يرجع نشأتها إلى زمن الكهانة فى عهود الفراعنة بعد موسى عليه السلام.

● ومنهم من يقول: إنها نشأت فى عهد سليمان عليه السلام وفى هيكله.

● ومنهم من يربط نشأتها بزمن الحروب الصليبية.

● ومنهم من يربطها بجمعية الصليب الوردى، ويحدد لها القرن الثامن عشر الميلادى.

● وأما أهداف الماسونية، فيقول عنها بعض الباحثين:

«وأهداف الماسونية فى الظاهر تختلف اختلافًا كبيرًا عن أهدافها فى الباطن؛ فهى فى الباطن وفى حقيقة الأمر - كما يقول الحاخام الدكتور «اسحق وايز» عنها :- «مؤسسة يهودية، وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروحها إلا أفكارا يهودية من البداية إلى النهاية.

أما فى الظاهر، ولدَى السُّذَّج فهى -كما يقول «مكاريوس شاهين»:- جمعية أدبية تخدم الإنسانية، وتنور الأذهان وتنشر الإخاء، وتوطد الحب بين الأعضاء، تحثهم على فعل الخير والإحسان إلى إخوتهم المحتاجين»[1].

وقد أدرك زعماء النصارى خطر الماسونية بوجه خاص وخطر الجمعيات السرية بوجه عام على المسيحى، فصدر مرسوم[2] بابوى يحذِّر الكاثوليك من الاشتراك فى الهيئات السرية والمشتبه فيها على الإطلاق.

ومن العجيب أن الجمعيات الماسونية المنتشرة، ظلت سرًّا على العالم العربى حتى بعد قيام إسرائيل ١٩٤٨م، ولم يصدر قرار إلغاء المحافل الماسونية فى مصر - مثلا - إلا فى شهر إبريل سنة ١٩٦٤م، أى بعد صدور المرسوم البابوى بتحريمها بأكثر من عشر سنوات!!

ولا تزال المحافل الماسونية تباشر نشاطها فى بعض البلدان العربية حتى يومنا هذا!!

والماسونية بهذا الوصف وذلك المنشأ، وتلك الأهداف عدو مباشر للأديان والإسلام على وجه الخصوص، وبالتالى فهى عدو لدود للتربية الإسلامية عموما، وللمدرسة الإسلامية على وجه الخصوص؛ لأن التربية الإسلامية تستهدف تحصين المتعلمين ضد هذه المذاهب الفاسدة الهدامة.

هـ- وأندية الروتارى:

وتلك الأندية تستكمل فى العلن ما بدأت الماسونية فى السر، إذ لم يكتف اليهود بالمحافل الماسونية السرية بل دعموها بإنشاء أندية علنية أطلقوا عليها أندية «الروتارى» لها نفس أهداف الماسونية، وجعلوها تحت ستار الإخاء الإنسانى.

وأنشأوا لهذه الأندية فروعًا عديدة فى معظم العواصم فى العالمين العربى والإسلامى، بل إن بعض العواصم الكبرى كالقاهرة - مثلا - فيها عدد كبير من هذه الأندية وبخاصة فى أحيائها التى يسكنها الأغنياء وأصحاب الجاه والنفوذ والمكانة الاجتماعية المتميزة.

---

(١) نقلا عن: عبدالحليم إلياس خورى: «الماسونية ذلك العالم المجهول» ٢٢، ٢٣.

(٢) هو المرسوم البابوى ذو الرقم ٨٦٤ لسنة ١٩٥٢م.

● وأهداف هذه الأندية كأهداف الماسونية، وإن تعمدوا أن يظهروها وأن يخدعوا بها الأعضاء، وتلك الأهداف الظاهرة المعلنة هى :

■ النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع.

■ وعقد المحاضرات فى ذلك.

■ وإلقاء الخطب حول هذه الأهداف.

■ وإقامة حفلات العشاء الفاخر.

■ والعمل على التقارب بين الأديان.

■ والعمل على التقارب بين البلدان.

● أما الهدف الحقيقى لهذه الأندية فهو أن يتغلغل اليهود فى الشعوب وأن يصلوا إلى ما يريدون من معلومات تنفعهم فى تحقيق أغراضهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى العالمين العربى والإسلامى، وفى سائر أنحاء العالم.

– وقد فطن « الفاتيكان » إلى خطر هذه الأندية، كما فطن إلى خطر الماسونية فأصدر مرسوما من المجلس الأعلى المقدس فى العشرين من ديسمبر ١٩٥٠م، قرر فيه ما يلى :

« دفاعا عن العقيدة وعن الفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى، وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها، وإن غير رجال الدين يطالبون بمراعاة المرسوم البابوى رقم ٨٦٤ الخاص بالجمعيات السرية والمشتبه فيها ».

وبكل تأكيد تعد أندية الروتارى عدوًا ظاهرًا للتربية الإسلامية وللمدرسة الإسلامية، عدوًا يتحدى رسالة المدرسة الإسلامية ويهدد أهدافها ويبث العراقيل والعقبات فى طريقها.

ومن الشر الذى يحيق بالمدرسة الإسلامية أن يكون اليهود ومؤسساتهم طرفًا فى حربها، فهم بإجماع المنصفين من اليهود أنفسهم، والمنصفين من المثقفين عموما يبذلون كل ما فى وسعهم لحرب كل ما هو إسلامى.

● ولقد ألَّف « كارل ماركس »[١] اليهودى الشيوعى كتابًا عن اليهود سماه : « المسألة اليهودية » جاء فيه :

---

(١) كارل ماركس: المسألة اليهودية: ٥٦، ٥٧.

ونحن نقرّ بأن ثمة فى اليهود عنصراً عاماً مناهضاً للمجتمع، وهو عنصرٌ دفع بالتطور التاريخى إلى نقطة الأوْج فى الزمن الحاضر، ولابد أن يأتى بعده الانحلال».

«يسعى اليهود إلى ما يسمونه تحرير اليهود، وما أحرى البشرية أن تحرر من اليهود».

«لقد تحرر اليهود فعلا ولكن على الطريقة اليهودية؛ فاليهودى مثلا الذى لا يحسب له حساب فى «فينا» هو الذى يقرر بقوته المالية مصير الدولة كلها، واليهودى الذى قد يكون فى أصغر المقاطعات الألمانية محروماً من الحقوق هو الذى يقرر مصير أوربا».

«لقد تحرر اليهود على الطريقة اليهودية، وليس فقط بأن أصبح سيد السوق المالية، وإنما لأن المال أصبح بوساطته قوة عالمية، والروح العملية فى اليهودية أصبحت الروح العملية للشعوب الأخرى».

«المال هو إله إسرائيل المطاع وأمامه لا ينبغى لأى إله أن يعيش، إنّ المال يحتضن جميع آلهة البشر ويحولها إلى سلعة، إن المال هو الجوهر الذى يسيطر على الإنسان ويستعبده، لقد أصبح إلهُ اليهود أيضاً إلهًا للناس جميعا، وهذا انتصار لليهود»(١).

«لقد انبثقت المسيحية من اليهودية، وقد انتهى الأمر إلى العودة إلى اليهودية»(٢).

«ومرة أخرى ليس اليهودى هو الذى يسعى إلى التحرر من غير اليهود وإنما المجتمع الإنسانى هو الذى ينبغى عليه أن يسعى ليتحرر من اليهود»(٣).

وبعد؛ فإن المدرسة الإسلامية بشخصيتها التى نرجوها لها، يجب أن تربى المسلم تربية تمكنه من مواجهة هذه التيارات جميعًا القومى منها والإقليمى، وأن تحصنه من المذاهب الفاسدة الهدامة.

وذلك ما نرجو أن نوضحه تحت عنوان: ماذا يُرجى من المدرسة الإسلامية حديثًا. والله ولى التوفيق والعون والتسديد.

سادسا: ماذا يرجى من المدرسة الإسلامية حديثًا؟

هذا عنوان ضخم فى دلالته حتى ليمكن أن يقال فى الإجابة عن السؤال الذى يطرحه:

---

(١) كارل ماركس: «المسألة اليهودية»: ٥٩.

(٢) ذلك ما تأكد اليوم بسيطرة اليهود على أمريكا، وتصدير ما يسمى بالمسيحية الصهيونية إليها فى مطلع القرن الحادى والعشرين الميلادى.

(٣) كارل ماركس: «المسألة اليهودية»: ٤٦.

يرجى من المدرسة الإسلامية حديثًا أن تبنى الإنسان والمجتمع بناء جيداً وفق مبادئ الإسلام وقيمه الخلقية.

ولأننا سوف نصدر بإذن الله تعالى كتابا عن: «التربية الإسلامية فى المجتمع» فإن حديثنا هنا سوف يقتصر على التربية الإسلامية فى المدرسة، وفيما يرجى من المدرسة. والذى يرجى من المدرسة الإسلامية فى يومنا هذا كثير جدا، وشامل لكل جوانب شخصية الإنسان الذى تربيه المدرسة.

وفى إجمال: يرجى من المدرسة الإسلامية أن تحقق فيمن تربيه ثلاثة أهداف:

الأول: التربية الإسلامية للإنسان.

والثانى: التزكية للإنسان وفق قيم الإسلام.

والثالث: تعليم الإنسان ما هو فى حاجة إليه.

وكل هدف من هذه الأهداف يحتاج إلى كلام مفصل نرجو أن نوفق فى توضيحه دون إطالة، ودون إخلال بهذا التوضيح باختصار والمبالغة فى إيجاز الكلام عنه.

وتحقيق هذه الأهداف الثلاثة هو الذى يجعل من المدرسة الحديثة مدرسة إسلامية تستهدى فى تحقيقها بكتاب الله تعالى وسنة النبى ﷺ وسيرته وأعمال صحابته رضى الله عنهم، واجتهادات علماء التربية الإسلامية من المسلمين فى مختلف عصورهم ومتنوع أفكارهم.

● والفرق بين هذه الثلاثة الأهداف المتكاملة فيما بينها والتى لا يغنى بعضها عن بعض هو فى إيجاز:

– أن التربية الإسلامية تُعْنَى بتكوين الإنسان المسلم من كل جوانب شخصيته عناية تؤهله لعبادة الله حق عبادته.

– وأن التزكية الإسلامية تُعنى بتكون اخلاق المسلم بحيث تكون أخلاق القرآن وأخلاق النبى ﷺ؛ عناية تمكنه أيضا من عبادة الله حق عبادته.

– وأن التعليم الإسلامى يُعنى بتعليم المسلم كل ما من شأنه أن يتعلمه ليجلب لنفسه به الخير ويدفع عنها الشر، من أجل أن يعبد الله تعالى عبادة حقة.

ولنفصل القول فى ذلك بعون الله تعالى.

أ- التربية الإسلامية:

هى تربية - كما أوضحنا -(١) تتناول كل جوانب شخصية المسلم؛ روحه وخلقه وعقله ودينه وحسه الاجتماعى وتوجهه السياسى ونظامه الاقتصادى وحسه الجمالى، وجهاده فى سبيل الله تعالى، وتكوين جسده قويًا قادراً على العمل والجهاد فى سبيل الله تعالى.

● وطريق هذه التربية الإسلامية التى لا طريق لها غيرها هى عبادة الله تعالى وفق ما شرع مما جاء به محمد ﷺ، وبيان ذلك أن عبادة الله تعالى هى الهدف الأول والأخير؛ إذ خلق الله تعالى الناس والجن ليعبدوه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعبادة الله وفق ما شرع تربية للإنسان تبصره بما يجب أن يقوم به من واجبات نحو خالقه سبحانه وتعالى. والمدرسة التى لا تتوجه فى عملها وعلمها ومناهجها وأنشطتها نحو عبادة الله تعالى لا يمكن أن توصف بأنها إسلامية.

وللعبادة معان كثيرة ودلالات عميقة تتناول كل الجوانب فى حياة الإنسان:

- فمن معانيها: توحيد الله تعالى إلهًا وربًا وخالقًا ورازقًا، توحيد ذاته وصفاته وأفعاله، والإيمان بذلك كله، والعمل الصالح الذى يقتضيه هذا الإيمان، وهذا العمل الصالح فى جوهره هو طاعة الله تعالى وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

وطاعة الله تعالى تعنى التزام الحق والخير والجمال، وتلك تربية لروح الإنسان وخلقه وعقله، ونفور الإنسان من معصية الله تربية له على النفور من الباطل والشر والقبح، لتصبح حياة الإنسان المسلم جميلة بكل معنى من معانى الجمال.

- ومن معانى عبادة الله تعالى: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ولا عبادة صحيحة لله تعالى إلا مع الإيمان بذلك كله.

إن هذا الإيمان يحرر روح الإنسان وعقله من زيف الشرك ومهاويه، ويحرره من ذل طلب ما عند الناس، لأنهم قليلا ما يعطونه ما أراد، لأن ما عند الناس من شأنه أن يتنازع فيه الناس وأن يشحوا به، ليؤثروا به أنفسهم، والإيمان يحرر الإنسان معطيًا وسائلاً من آفة الشح وذل السؤال.

---

(١) أوضحنا ذلك فى سلسلة مفردات التربية الإسلامية التى صدرت فى عشرة كتب عن دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر.

وواجب المدرسة الإسلامية أن تربى على هذا الإيمان ليعمل الإنسان ويعتمد على نفسه، وليضحى الإنسان ببعض ما فى يده لأخيه.

وهكذا الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، ليكون الإيمان بالله قد تلقاه الإنسان عن الوحى إلى الرسل عليهم السلام، مما يجعل الثقة كبيرة فى المنهج الذى جاء به الرسول ﷺ.

وأما الإيمان باليوم الآخر فيحرر الإنسان من الذنوب والمعاصى لأنه يعلم أنه محاسب ومجازى بكل ما عمل إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

وأما الإيمان بالقضاء والقدر فإنه ترجمة للعبادة الصحيحة السليمة، ليكون الإنسان على يقين من أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، مع اليقين بأن ما يصيب الإنسان من شر فمن نفسه ومما ارتكب من المعاصى، وأنَّ ما أصابه من خير فمن الله تعالى.

إن التربية الإسلامية تملأ نفس الإنسان وعقله بالإيمان بالقضاء والقدر، وتملأ قلبه طمأنينة، وتباعد بين الإنسان وبين السخط والتذمر، وبالتالى فإن الإيمان بالقضاء والقدر يحول بين المؤمن وبين الأمراض النفسية والعصبية من اكتئاب وإحباط وما يترتب عليهما من سخط وتبرم.

وتلك التربية الإسلامية هى التربية الصحيحة لنفس الإنسان وعقله وسلوكه.

- ومن معانى عبادة الله تعالى: أن كل ما يقوم به الإنسان من عمل فى حياته هو عبادة لله تعالى.

وبيان ذلك؛ أن الفرائض من نطق بالشهادتين وصلاة وزكاة وصيام وحج عبادة لله تعالى عند أدائها على وجهها الصحيح، وأن النوافل قد شرعها الله من جنس هذه الفرائض وهى:

الذكر وصلاة التطوع وصوم التطوع وصدقة التطوع والعمرة كل تلك عبادات لله تعالى يتقرب بها إليه سبحانه.

وأن العمل الذى يقوم به المسلم سعيًا على رزقه ورزق من يعول عبادة لله تعالى يؤجر فاعلها ويأثم تاركها.

وكل عمل ينتمى إلى الخير والبّر عبادة لله تعالى.

وكل توقف عن عمل أو امتناع عن عمل لا يرضى الله تعالى عبادة له سبحانه.

والدعوة إلى الله عبادة، والحركة بدين الحق فى الناس والآفاق عبادة، والأمر بالمعروف عبادة، والنهى عن المنكر عبادة، والجهاد فى سبيل الله تعالى عبادة.

وطلب العلم والتفوق فيه والاكتشاف والاختراع والإبداع فى كل ما يجلب للإنسان مصلحة أو يدفع عنه مفسدة عبادة لله تعالى.

والزواج عبادة وتربية الأبناء والإنفاق عليهم عبادة، والإحسان فى العمل والإحسان إلى الآخرين عبادة، والإنفاق فى سبيل الله عبادة، وغَوْث اللهيف عبادة لله تعالى.

وشعب الإيمان السبع والسبعون إذا مارسها المسلم فكل شعبة منها عبادة لله تعالى.

وتجنب الكبائر عبادة.

والامتناع عن الصغائر عبادة.

وما أوسع باب العبادات فى الإسلام، وما أحسن هذا الباب مدخلاً لرضا الله تبارك وتعالى.

● وممارسة أى عبادة من هذه العبادات تربية للروح والعقل والجسد، ودعم للأخلاق الفاضلة - كما سنوضح بعد ذلك - وتعويد على حب الخير وكراهية الشر، وما يربى الإنسان نظام أفضل من نظام يحببه فى الخير ويبغضه فى الشر.

إنه من المؤكد أن العبادات كلها تربية للإنسان المسلم وتبصير له بما يصلحه ويصلح به فى دنياه، وتمهيد لصلاح أخراه.

والمدرسة الإسلامية هى المؤسسة المنوط بها تربية الإنسان فى سنوات تعليمه، بعد أن يتلقى التربية الإسلامية من بيته، وفى مسجده، ولا وظيفة للمدرسة الإسلامية أهم من وظيفة التربية الإسلامية؛ التى تصوغ إنسانًا متكامل الشخصية قادراً على ممارسة الحياة الاجتماعية بفعالية وإيجابية ونجاح.

ولا أحب أن أستطرد عن التربية الإسلامية باكثر من ذلك فى هذا المجال، فقد أوسعتها وفصلت الحديث فيها فى سلسلة مفردات التربية الإسلامية فى عشرة كتب أشرت إليها آنفا.

ب- التزكية الإسلامية:

تلك هى الوظيفة الثانية للمدرسة الإسلامية، أو هى الهدف الثانى من أهداف المدرسة الإسلامية.

والتزكية للنفس الإنسانية باب واسع، يتناول تنقية النفس من الشرور والآثام، كما يتناول إلزام النفس بأنواع الخير والبر، وهى عملية جعلها الله تعالى من وظائف الرسول الخاتم ﷺ ومن وظائف الأنبياء والرسل والمصلحين الهداة فى كل زمان ومكان، أى الدعاة إلى الله إلى الدين الحق والمتحركين به فى الناس والآفاق.

والتزكية للنفس أهم ما يقوم به الإنسان عندما يحول بين نفسه والوقوع فى الشرور والآثام، وعندما يلزم بممارسة الخير والبّر.

والتزكية عمل أساسى رئيس للمدرسة تعود عليه أبناءها منذ نعومة أظفارهم، حتى يصبح اجتناب الشر وممارسة الخير خلقًا لهم وسلوكًا يمارسونه فى المجتمع.

أما أن التزكية وظيفة الرسول ﷺ، فإن ذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الجمعة: ٢-٤].

وتلك الآيات الكريمة جمعت التربية والتزكية والتعليم، أى وظائف الرسول ﷺ ووظائف المدرسة ووظائف الإنسان الذى يريد الخير لدينه ودنياه.

- وبالنسبة للرسول ﷺ، فإن تربيته للمسلمين وسيلتها أن يتلو عليهم آيات القرآن الكريم ويطالبهم بالعمل بما فيها من أمر أو نهى ومن حلال أو حرام، فتلك تربية لهذه النفس وإلزام لها بالخير، ومباعدة بينها وبين الشر.

والتزكية هى تطهير نفوس الناس من الخبائث والشرور بجميع أنواعها، ما علق منها بالفكر والعقيدة، وما علق منها بالعبادة والمعاملة، وما علق منها بالتعامل مع الناس، وذلك يؤدى إلى تطهير النفس من الذنوب وجعلها بحيث تستحق رضا الله تعالى وحسن ثوابه فى الدنيا والآخرة، وتلك وظيفة الرسول ﷺ أيضا؛ وطريقة تعليمهم الكتاب والحكمة.

- وبالنسبة للمدرسة فإنها المؤسسة التربوية المتخصصة المنشأة لهذه التربية والتزكية

والتعليم، وتستطيع المدرسة أن تمارس ذلك كله لو اتخذت الرسول ﷺ قدوة فى التربية والتزكية والتعليم.

المدرسة يجب أن تربى الناس على ما جاء فى القرآن الكريم من أمر ونهى وخير وقصة وعظة وعبرة، وأن تزكى نفوس أبنائها وفق ما جاء فى الكتاب والسنة من قيم خلقية ونظم سلوكية، وأن تعلمهم سائر العلوم والمعارف التى يحتاجون إليها فى حياتهم لتكون حياتهم أحسن وأرفق بهم وأرضى لله تعالى وأدعى إلى أن يتحقق فيها النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة.

وذلك هو موضوع كتابنا هذا كله عندما ننهى الحديث فيه.

– وبالنسبة للفرد الراشد يستطيع متأسياً بالرسول ﷺ أن يربى نفسه ويزكيها ويعلمها، على نحو ما أوضحنا من معانى التربية والتزكية والتعليم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٧-١٠]، فالإنسان قد منحه الله نفسًا قابلة للخير وعمله، وقابلة للشر، والمفلح هو الذى يزكى نفسه بتطهيرها من الذنوب، والخائب من ترك نفسه تقارف المعاصى فكان بذلك الترك غاشًا لها ومضللاً أخفى عنها طريق الطاعة.

- والتزكية مكملة للتربية وكلتاهما تحتاج إلى التعليم وهذه الثلاث الوظائف متلازمة متكاملة لا يغنى بعضها من بعض، ولا حياة سعيدة للإنسان فى دنياه وآخرته إلا إن حقق هذه الوظائف أو الأهداف.

- والتزكية تعنى مجموعة من الصفات تتصف بها نفس الإنسان، وخير ما تلتمس هذه الصفات فى القرآن الكريم كتاب الإنسانية الجامع، وفى السنة النبوية منهج الحياة الإنسانية الكريمة، وفى سير الصحابة رضى الله عنهم، وتاريخ المصلحين المجددين فى كل قرن من الزمان.

- وأود هنا أن أشير إلى عدد من آيات القرآن الكريم يمكن أن تتخذ دستوراً لتزكية النفس وتطهيرها من الشرور والآثام، وتحليتها بفاضل الصفات وأحسنها عند الله تعالى، وهى آيات تمثل معينًا لا ينضب، وكتابا جامعا لفضائل الأخلاق وأرضاها لله تعالى فى الدنيا والآخرة.

ومن هذه الآيات الكريمة:

– آيات سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٧٦].

ففي هذه الآيات الكريمة ست عشرة صفة فاضلة هي صفات عباد الرحمن من تحلى بها فقد زكى نفسه وطهرها وحال بينها وبين المعاصي والآثام.

– وآيات سورة الإسراء: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلا

تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٩].

ففي هذه الآيات إحدى وعشرون صفة فاضلة أمر الله تعالى بالتحلي بها، فمن تحلى بها فقد زكى نفسه وطهرها وحال بينها وبين المعاصي والآثام.

- وآيات سورة «المؤمنون» ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

ففي هذه الآيات الكريمة سبع صفات من تحلى بها فقد زكى نفسه وطهرها وحال بينها وبين المعاصي والآثام.

- إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي تصف المؤمنين بصفات الخير والبر، وتنفي عنهم صفات الشر والإثم.

- وأما الأحاديث النبوية الشريفة ومواقف السيرة النبوية المطهرة التي تعرف منها الصفات الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم لتتزكى نفسه وتتطهر من كل ما يشينها، فهي أكثر من أن تحصى، فقد جمع علماء الحديث منها مئات في كتب السنة والسيرة.

وأجمع كتاب لأخلاق النبي ﷺ وهديه النبوي للناس كتاب: «زاد المعاد في هدى خير العباد» لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية رحمه الله (٦٩١-٧٥١ هـ) فهو كتاب موسوعي في هذا المجال، أجده مناسبًا شافيًا وافيًا في مجال تزكية النفس وتطهيرها.

ويليه فى نظرى فى معرفة صفات الصحابة رضوان الله عليهم كتاب: «حياة الصحابة» للشيخ محمد بن يوسف الكاندهلوى رحمه الله تعالى.

وبعد: فإن المدرسة الإسلامية هى الأساس فى مجال التزكية وتربية النفوس على الفضائل، والصفات التى كان يتصف بها النبى ﷺ.

ج- والتعليم الإسلامى:

وهو ثالث وظيفة أو هدف للمدرسة الإسلامية يرجى منها أن تحققه، وإن كانت الوظائف والأهداف أكثر من هذه الثلاثة بكثير ولكننا نسدد ونقارب.

والتعليم هو عمل المدرسة الرئيس، والتعليم فى الإسلام يقوم على ركائز ودعائم لم يسبق إليها فى حضارة من الحضارات، ولم تُحَرَّر، ويدقَّق فيها على هذا النحو الذى سنشير إليه، والذى تكامل وكان شاملا، وصالحا للبشرية كلها فى كل زمان ومكان.

ومن هذه الركائز التى قام عليها التعليم فى الإسلام:

- عدم التناقض أو التعارض بين العلم والدين - كما زعمت أوربا فى عصورها الوسطى؛ لأن مصدر الحقائق الدينية والحقائق العلمية فى الإسلام واحد هو الله أو هو الدين الحق الخاتم الذى خص الله تعالى به خاتم الرسل ﷺ.

والحق واحد، وإنما التعدد يكون للأهواء والنحل التى لا تهتدى بهدى الدين ولا تستفيد من نور العلم فتستضىء به، وليس وراء الحق إلا الضلال، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾ [يونس: ٣٢].

فالدين والعلم فى الإسلام لا تناقض بينهما ولا حرب على الدين باسم العلم كما فعل الغرب، ولا استبعاد للدين عن شعب الحياة كلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأن الدين الذى جاء من عند الله هو الذى نظم هذه الشئون كلها، فكيف يستبعد؟

- وأن وظيفة الرسول الخاتم ﷺ وظيفة تعليمية بالدرجة الأولى، قال الله تعالى فى توضيح هذه الوظيفة لمن تدبَّر: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال جل وعلا: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الجمعة: ٢-٤].

وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم...**».

ووظيفة الرسول الخاتم ﷺ وهى التعليم، يجب أن تكون وظيفة كل حاكم مسلم، ولذلك شرطوا فيه العلم، ووظيفة كل مؤسسة إسلامية ووظيفة كل فرد مسلم.

والمدرسة أولى بهذا العمل لأنها أعدت لذلك وتفرغت له وتخصصت فيه.

- وأن مكانة العلم فى الإسلام عظيمة لأهمية ما يحققه العلم من فوائد دينية ودنيوية، فهو الطريق إلى معرفة الله تعالى وخشيته وعبادته وطاعته.

والتعليم وسيلة العلم وطريقه، وهو نعمة أنعم الله بها على بنى آدم من يوم أهبط أبانا آدم عليه السلام من الجنة لتكون له على الأرض حياة، فالله سبحانه خلق الكون وخلق الإنسان خليفة له فى الأرض، ثم علمه ليمكنه من العيش الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...**﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...**﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا...**﴾ [البقرة: ٣١].

فالتعليم واجب شرعى لا تستقيم حياة الإنسان إلا به، والتوقف عنه مخالفة لله تعالى وتضييع للحياة الإنسانية الكريمة التى كرم الله تعالى بها الإنسان.

والتعليم واجب الدولة عموما والمدرسة خصوصا بل واجب كل قادر عليه، يعلم الناس مما يعلم تقربًا إلى الله تعالى.

- وأن طلب العلم أى التعلُّم وتحصيل العلم فى مختلف شعبه ومجالاته إلا ما حرَّم الله تعلمه لإضرار الناس به مثل السحر ونحوه، طلب العلم فريضة إسلامية جعله علماء الإسلام من فروض الكفاية، وليس من التجمل أو التزيد فى العلم أو الترف العقلى، وفرض الكفاية يكفى فيه أن تقوم به طائفة من الناس فتحقق بقيامهم به الكفاية، فإن لم يقم به أحد أثم جميع المسلمين.

ولأن العلم متنوع وله أول وليس له آخر تعددت فى الإسلام أماكنه ومعاهده وتطورت بتطور العصور من الكتاب إلى المسجد إلى المدرسة إلى الجامعة، وتنوعت فروع العلم تنوعًا ضخمًا، وجميع هذه العلوم التى توصلت إليها الإنسانية وما يمكن أن تتوصل إليه فى الحاضر أو المستقبل تعتبر علومًا إسلامية جعل الإسلام تعلمها فرض كفاية، لأن بها تصبح حياة الناس أيسر وأكرم وأعون على طاعة الله تعالى.

- وأن إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات ودُور العِلْم والحكمة وغيرها واجب شرعى، لأن طلب العلم واجب كما أوضحنا « وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »، وكل تقصير فى إنشاء هذه المدارس حرمه الله تعالى، كما حرَّم التقصير فى أداء أى واجب، وبالتالى فإن تأمين التعليم والإنفاق عليه واجب كل مسلم قادر على ذلك، وليس واجب الدولة وحدها - على نحو ما سنوضح فيما بعد.

وعندما التزم المسلمون بوجوب التعليم وتنوع فروعه وأنواعه كانت لهم نهضة علمية أثرت البشرية كلها وأضاءت الطريق أمام الناس جميعًا، ولا تزال آثار هذه النهضة العلمية الإسلامية ماثلة فى أذهان المنصفين من العلماء حتى اليوم، وقد سجلوا ذلك بأنفسهم وفى كتبهم ودراساتهم.

- وأن الإسلام مزج بين العلم والدين بصورة لم تعهدها البشرية قبل الإسلام، وأوضح مثال على هذا المزج ما قام به أحد حكام المسلمين وهو الملك المنصور قلاوون فى القاهرة، حيث انشأ « بيمارستان » لتعليم الطب وبجواره مستشفى لتطبيق علوم الطب على المرضى، وانشأ بجوار « البيمارستان » والمستشفيات مدرسة وقُبَّة للنهوض بسائر فروع العلم.

ويقول أحد المؤرخين فى شرح سير التعليم فى تلك المؤسسة القلاوونية: « كان لرئيس الأطباء مكان خاص يلقى منه الدروس فى الطب، على حين قام فى القبة خمسون مقرئا يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهارًا، وكان هناك مدرس يلقى دروسًا فى التفسير يعاونه معيدان، ويحضره ثلاثون طالبا.

وهناك من يلقى درسًا فى الحديث النبوى.

بالإضافة إلى خزانة كتب ».

وبهذا يمكن القول: إن المؤسسة التعليمية تعد تطبيقًا عمليًا بمفهوم التعليم فى الإسلام، وهو فى اختصار شديد - كما قال أسلافنا -: « تصحيح الإيمان وتصحيح الأبدان ».

- وأن واجب المدرسة الإسلامية على كل مستوى من مستوياتها أن تحافظ على نوعين من التعليم شاعت لهما تسمية خاصة وهما:

● العلوم النقلية: أى الشرعية التى نقلت عن الوحى أى الكتاب والسنة.

• والعلوم العقلية: أى سائر العلوم والمعارف التى يتوصل إليها بالعقل والبحث العلمى الدقيق.

وهى تسمية نحب أن تشيع فى المسلمين فى زمننا هذا، لأنها تجعل علوم العقل قسيماً لعلوم النقل أى الوحى، وأى شرف أعظم لعلوم العقل من ذلك.

• وعلوم النقل عن الوحى هى علوم الدين وما يتصل بها من علوم مثل: القرآن الكريم وعلومه، والحديث النبوى وعلومه، وعلوم السيرة النبوية، وعلوم الفقه الإسلامى وأصوله، وعلم الكلام «التوحيد» وعلوم التاريخ، وعلوم اللغة العربية لغة الكتاب والسنة من نحو وصرف وبلاغة أى علوم البيان والمعانى والبديع، وعلوم الأدب وتاريخه، وغيرها مما لا يمكننى احصاؤها فى هذه الصفحات إذ فيها مؤلفات ضخمة معروفة.

• وعلوم العقل، وهى غير قابلة للإحصاء لأن فيها كل يوم جديداً مبتكراً، وكانت تسمى أحيانا العلوم الحكمية، وهى علوم تأخذ فيها الأمم بعضها عن بعض، وقد أخذ المسلمون بعضها من أمم سابقة وابتكروا بعضها، كما فعلت الأمم المتحضرة ذلك.

وحصر هذه العلوم اليوم يحتاج إلى كتب قائمة بذاتها إذ تنوعت تنوعاً كبيراً، وتفرعت تفرعات تفوق الحصر.

وبعد، فهذه بعض الدعائم والركائز التى يقوم عليها التعليم فى الإسلام، المكمل للتزكية، المكملان معا لما نعرفه بالتربية الإسلامية، والذى تحمل أعباءه كلها المدرسة الإسلامية الحديثة.

وإذا كان هذا حديثنا عن المدرسة الإسلامية الحديثة فإن لنا حديثا آخر عن المدرسة الإسلامية المعاصرة لنا يتضمنه الباب الثانى من هذا الكتاب، نسأل الله تعالى التوفيق والعون فيه.

*****

الباب الثانى

المدرسة الإسلامية المعاصرة

ويتناول :

- **التقديم.. فى التحدى الموجه للمدرسة الإسلامية.**
- **الفصل الأول: المدرسة الإسلامية تعليمًا وتربية.**

أولاً : تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات :

١- المدرسة الإسلامية.

٢- التعليم الإسلامى.

٣- التربية الإسلامية.

ثانيًا : مراحل المدرسة الإسلامية وأنواعها :

١- المدرسة الأولى الأساسية.

٢- المدرسة الوسيطة.

٣- المدرسة الحرفية أو الفنية.

٤- المدرسة المؤهلة للتعليم الجامعى.

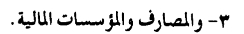
٥- المدرسة الجامعية.

- **الفصل الثانى: المدرسة الإسلامية إنشاءً وتنظيمًا.**

أولاً : على من يجب إنشاء المدرسة الإسلامية ؟

١ - الحكومات ووزارات الأوقاف فى العالم الإسلامى.

٢ - وأصحاب الشركات والمصانع وأهل اليسار.



٣- والمصارف والمؤسسات المالية.

٤- والمؤسسات الاجتماعية المدنية غير الحكومية.

٥- والنقابات والأحزاب السياسية.

٦- والمنظمات التربوية فى العالم الإسلامى.

ثانيًا: تنظيم المدرسة الإسلامية:

١- إدارة المدرسة.

أ- المدير ومعاونوه.

ب- بين الإدارة المركزية والإدارة غير المركزية.

ج- الكفاءة فى الإدارة.

٢- موارد المدرسة الإسلامية ومصارفها.

أ- موارد المدرسة.

ب- مصارف المدرسة.

تقديم ..

فى التحدى الموجه للمدرسة الإسلامية

تتعرض المدرسة الإسلامية المعاصرة لكثير من أنواع التحدى، سواء أكان هذا التحدى على مستوى الوطن الذى هى فيه، أو كان على مستوى أكبر من ذلك، إنهم يهتمون كثيرا بتحدى المدرسة الإسلامية.

- وتحدى المدرسة الإسلامية على مستوى الوطن الذى أنشئت فيه يأخذ أشكالا عديدة، ولكنها تعيق المدرسة عن أداء وظيفتها ورسالتها، ومع تعدد هذه التحديات فإن كل واحد منها على حدة معوق للمدرسة الإسلامية.

ومن هذا التحدى الوطنى:

- التقتير على المدرسة فى الإنفاق، وإعطاء الأولويات فى الإنفاق لما هو أقل شأنًا فى المجتمع من المدرسة، ومع حسن الظن نقول: إن ذلك من باب الغفلة وسوء التقدير، ولنا أن نقول: إن ذلك التقتير يلتقى مع أهداف أعداء التقدم والنهوض الإسلامى، وهؤلاء الأعداء معروفون لا يخفى كيدهم على أى مراقب لهم على مرِّ قرون عديدة.

وهذا التحدى للمدرسة يصيبها بالعجز عن ممارسة التعليم الصحيح فضلا عن التربية بمفهومها العام.

- والتقصير فى إعداد المعلم صاحب الكفاءة، ثم إثقاله بعمل شاق وكثافة طلابية فى الفصل الواحد، تجعل جهده مبدداً وقدراته وإمكاناته غير ذات جدوى، مع التضييق عليه وظيفيًّا حيث لا تتسع أمامه مجالات الترفيه كغيره من العاملين، بالإضافة إلى راتب تعلم حكومات العالم الإسلامى أنه راتب ضئيل لا يكفى لحياة كريمة لمن يعلم أجيال الأمة ويسهم فى صناعة مستقبلها.
- والتقصير فى إعداد مبانى المدرسة بحيث تتلاءم فى مساحتها ومرافقها وخدماتها مع المواصفات العالمية للمؤسسات التعليمية، ثم التقصير فى صيانة المدرسة ومرافقها، مما ينعكس على العملية التعليمية والتربوية بأسوأ النتائج.
- والقصور فى إعداد المناهج الملائمة للمتعلم المسلم، قصوراً يتناول الجانب الدينى والجانب العلمى التعليمى التربوى، بحيث يُنْهى المتعلم دراسته فى المدرسة وما عَرَف

عن دينه ما يجب أن يعرفه، ولا حصَّل من العلم ما يجعله مساويا لغيره من المتعلمين فى مدارس الغرب – مثلا – ومعنى ذلك أن من أنهى دراسته فى المدرسة أيا كان نوعها، لا يبرع فى دراسته ولا يتفوق فضلا عن أن يكتشف جديداً أو يخترع نافعاً.

– والتفريط فى اختيار مديرى المدارس بتجاهل الجوانب العلمية والتربوية فيهم – وإن زعمت كثير من وزارات التربية أنها تراعى ذلك – لأن العبرة فى ذلك الاختيار هو بحسن إدارة المدرسة والقدرة على اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب، وهذا مالا وجود له إلا فى أضيق الحدود، وهو دليل قاطع على سوء الاختيار، وتدخل المحاباة والدجل السياسى المعهود لدى حكومات الاستبداد وهى أكثر حكومات العالم الإسلامى.

– وسوء اختيار وسائل التقويم للمديرين وللمدرسين وللعاملين فى المدرسة، مع سوء المتابعة، وإدخال كثير من الشوائب على التقويم والمتابعة التى من أهمها النفاق للحكام، والرعب من نقد أى عمل تقوم به الوزارة فى شئون التعليم، مع الطنطنة الكاذبة بحرية النقد وحرية التعبير، وتكذيب الواقع لكل هذا النفاق، إذ المنقولون من أعمالهم التعليمية تعسفيًا، وبسبب الرأى أكثر من أن يتناسوا.

وحسب المدير أو المدرس أن يكون له رأى معارض لسياسة الحكومة أو الوزارة ليصنَّف عدوًا وثورة مضادة ويصطلى بنيران التعسف والاستبداد، مهما كان هذا المدير أو المدرس ذا كفاءة يشهد له بها كل من يعرفه!!

● ومن التحدى الموجه للمدرسة الإسلامية على مستوى غير محلى؛ ما يحركه أعداء الإسلام، ويضعون له الخطط والترتيبات، بل يحددون له الخطوات والمراحل، ويسخرون له أجهزة الإعلام ووسائله العديدة، ويستعينون على تحقيق ذلك بحكومات هذه البلدان الإسلامية التى يسيطرون على معظمها، فلا تملك مخالفتهم، بل ترحب بحرب الإسلام لأنها فى مجموعها حكومات نافرة من الدين لأنها تجهله، ولان ولاء معظم أفرادها للغرب لأنهم ربوا فى مدارسه وجامعاته وتوسدوا مناصبهم بدعم هؤلاء الأعداء.

وهؤلاء الأعداء –من خارج العالم الإسلامى– يعلمون علم اليقين وهم يحاربون الإسلام، أن أقسى ضرباتهم للمسلمين هى التى توجه للتعليم وللمدرسة الإسلامية، وهذه سياستهم من يوم كانوا يحتلون معظم بلدان العالم الإسلامى منذ ما يقرب من قرنين من الزمان، ولا يزالون على ذلك حتى يومنا هذا!!

- وقد يتبدد جهدنا إذا أحصينا هذه المحاولات الخارجية لضرب الإسلام وتشويه العالم وتحدى مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته، لكن لا نجد مَفَرًّا من الإشارة إلى بعضه، محيلين القارئ اللبيب على ما نشر - وهو كثير - من تلك المحاولات فى هذا المدى الزمنى الواسع.

● ونكتفى هنا بالإشارة الدالة واللمحة الخاطفة، فى بلدين من بلدان العالم الإسلامى بلغ فيهما تحدى العدو للتعليم وللمدرسة الإسلامية حدًّا بالغ الخطر، هذان البلدان هما: تركيا أم الدول الإسلامية على مدى ستة قرون أو يزيد وكانت تسمى دولة الخلافة الإسلامية العثمانية، والجزائر التى احتلتها فرنسا منذ عام ١٨٣٠م، ولم تستقل إلا بعد مائة واثنتين وثلاثين سنة فى ١٩٦٢م، وبعد أكثر من مليون شهيد فى مقاومة المحتل الفرنسى الغاصب.

- ففى تركيا:

بعد تحالف دول الغرب والشرق على إسقاط الدولة العثمانية، وتولية مصطفى كمال الحكم فيها وجَّه للإسلام وللمدرسة الإسلامية أعتى الضربات، ولم يكتف بحرب المدرسة الإسلامية وتشويهها منهجًا ومعلمًا وكتابًا ومقررات دراسية، وإنما حارب كل ما هو إسلامى على نحوٍ صارخ دال على حقده الشديد وحقد أوليائه على الإسلام، ولا يتسع المقام هنا لسرد جرائم مصطفى كمال ضد الإسلام حتى أنه منع الأذان بالعربية وأغلق عدداً كبيراً من المساجد الجامعة[١].

إن مصطفى كمال ونظام حكمه اللادينى فرغ المدرسة الإسلامية من محتواها الإسلامى بقوة القوانين التى أصدرها يتحدى بها شعبًا أكثر من تسعين من كل مائة منهم من المسلمين!!

ومنذ أن تسلمت الحكومة التركية (العلمانية) الإشراف على التعليم وضعت خطة للقضاء على الإسلام والتعليم الإسلامى فى تركيا، حيث كان فى تركيا ألوف المدارس الإسلامية فى منهجها ومقرراتها الدراسية، ومئات الألوف من طلاب العلوم الإسلامية، وقد قرر ذلك الرحالة ابن بطوطة (٧٠٢-٧٧٩هـ)[٢] فى رحلته التى ضمنها كتابه:

---

(١) مصطفى كمال: سمى نفسه أتاتورك أى أبو الأتراك وكانت أمه يهودية من يهود الدونمة، ولعل ذلك أحد أسباب حقده على الإسلام.

(٢) ابن بطوطة رحالة مؤرخ ولد ونشأ فى طنجة بالمغرب، وقد ترجمت رحلته إلى اللغات الفرنسية والبرتغالية والإنجليزية، ولقبه جمعية «كامبردج» فى كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين.

« تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » عند زيارته للأناضول أثناء حكم السلطان « أورخان بن عثمان سلطان الغزاة » (سنة ١٣٢٦ - ١٣٦٢م).

وفى عهد مصطفى كمال تقلص عدد المدارس والمعاهد الإسلامية إلى ست وعشرين مدرسة سنة ١٩٢٥م ثم ألغيت سنة ١٩٢٧م فما بقى منها إلا اثنتان، ثم ألغيتا أيضا سنة ١٩٣٠م!!

هذا هو التحدى الذى وجهه مصطفى كمال فى تركيا للمدرسة الإسلامية الذى عبَّر به عن التحدى الموجه منه ومن أوليائه للإسلام.

- وفى الجزائر:

تعرضت المدرسة الإسلامية للتحدى؛ منذ وطئت فرنسا بوصفها دولة محتلة مستوطنة زاعمة أن الجزائر جزء من فرنسا، واستمر هذا التحدى أكثر من مائة وثلاثين عاما فى عنفوانه وشدته ورغبته فى القضاء على كل ما هو إسلامى وكل ما هو عربى فى الجزائر.

وما فعلته فرنسا فى الجزائر لضرب المدرسة الإسلامية جاء فى خطوات مدروسة على النحو التالى:

- قامت فرنسا بإنشاء المدارس التى لا تعنى أدنى عناية بتدريس الإسلام وتعليمه للتلاميذ، وعَمَّمَتْ هذه المدارس واهتمت بها، وبالمتعلمين فيها، وبتوظيفهم بعد تخرجهم فى خدمة الاستيطان الفرنسى.
- وفرضت التعَلُّم باللغة الفرنسية فرضًا، ومنعت اللغة العربية من أن تكون لغة تعلم أو تعليم، بهدف فرنسة الجزائر[1].
- وأخملت المدرسة الإسلامية بتقليل شأنها وتشويه مناهجها والتقتير عليها فى الإنفاق، وتقليص أعدادها وأعداد المتعلمين فيها، وعدم توظيفهم بعد التخرج.

وما خرجت الجزائر من هذه الدائرة إلا بعد استقلالها وعودتها إلى عربيتها وإسلاميتها وإن كانت لا تزال تحارب حتى اليوم فى هذين التوجهين!!

---

(١) فعلت فرنسا ذلك فى تونس والمغرب ولبنان وسوريا من العالم العربى، وفعلته فى كل البلاد التى احتلتها فى آسيا وأفريقيا، وكذلك كانت تفعل بريطانيا فى كل بلد عربى أو إسلامى تحتله وتستوطنه، ونجحت الدول المستوطنة فى ذلك فى كثير من بلدان العالم الإسلامى شرقه وغربه إلا قليلا ممن عصم الله من هذه البلاد؛ لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا.

- وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى :

تعرضت المدرسة الإسلامية للتحدى السافر، والإصرار على إقصائها عن الإسلام عمومًا، وعن اللغة العربية فى العالم العربى والأمثلة على ذلك ترتبط بنوع الاحتلال والاستيطان الذى وقع على تلك البلدان من أقصى شرق آسيا حتى أقصى غربها، من ماليزيا وإندونيسيا والهند وباكستان وبنجلاديش وإيران وأفغانستان والجمهوريات الإسلامية الست (أذربيجان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وتركمانيا، وقازاخستان، وقرغيزيا) التى التهمها ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وحظر الإسلام فيها حظرًا مطلقًا، فضلا عن مدرسة تعلم شيئًا من الإسلام وذلك فى كل بلد مسلم فى آسيا.

كما كان الشأن فى أفريقيا سواء فى ذلك البلدان العربية الإسلامية الاثنتان والعشرون التى تضمها الجامعة العربية والتى منها عشرة دول أفريقية، واثنتا عشرة من الدول الآسيوية.

أما سائر الدول الإسلامية فى أفريقيا فهى تبلغ ست عشرة دولة، كل هذه الدول الإسلامية - ومجموعها اليوم سبع وخمسون دولة - يحارَب الإسلامُ فيها جهارا نهارا، وبموافقة من كثير من الحكام المسلمين الذين لُبِّسَ عليهم الأمر وقيل لهم إن التمسك بالإسلام يزيلكم عن كرسى الحكم ويفتح الباب للانتقام.

- من أجل ذلك وجه الأعداء ضرباتهم العنيفة للمدرسة أولا ولكل مؤسسة إسلامية من بعد ذلك، يعاونهم فى ذلك بعض الحكام وبعض أبناء البلاد ممن تحول ولاؤهم للغرب، لأن الغرب الغاصب المستوطن ما جلا - جلاء ظاهريا - عن بلد إسلامى إلا ترك فيه من أبناء البلد من يخلصون فى كراهية الإسلام، ويعملون بكل وسيلة على حرب كل ما هو إسلامى وبخاصة التعليم والمدرسة.

- ومن أعمال أعداء الإسلام فى محاربة التعليم والمدرسة:

- أنهم انشأوا فى بلاد المسلمين مدارس أجنبية عن الإسلام فى لغتها ومحتواها كله منهجا وكتابا ومعلما ونظاما.

- وأنهم انشأوا الجامعات الأجنبية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وميزوها وميزوا المتخرجين فيها.

- وأكثروا من إنشاء المدارس الطائفية لغير المسلمين فى البلدان الإسلامية، وكذلك ميزوها وميزوا المتخرجين فيها.

ولا تزال المدرسة الإسلامية تعانى من الضربات الموجهة لها، وستظل كذلك إلى أن يحدث فى شعوب العالم الإسلامى وعى بجوهر دينهم ويزدادوا تمسكًا به، ويهتموا بالمدرسة الإسلامية، وبكل مؤسسة تعليمية فى بلاد المسلمين، وما ذلك بيسير، ولكنه يحتاج إلى عمل وجد واجتهاد وجهاد، وإخلاص وصبر، وبصر وبصيرة بكل أسلوب للتغيير نحو الأحسن.

إن المدرسة الإسلامية إذا تمكنت من أداء وظائفها لهى أقرب الطرق إلى الإصلاح والتجديد والنهوض والتخلص من نفوذ العدو المباشر الذى استوطن فلسطين، والعدو المتحالف مع اليهود على حرب الإسلام والمسلمين.

*****

الفصل الأول

المدرسة الإسلامية تعليمًا وتربية

نحاول بعون من الله أن نتحدث فى هذا الفصل عن تحديد المفاهيم الخاصة بالمدرسة الإسلامية، ثم بمعنى التعليم، ثم بمفهوم التربية؛ أولاً.

كما نضمن هذا الفصل حديثًا عن مراحل المدرسة الإسلامية وأنواعها فى هذا العصر الذى نعيش فيه؛ ثانيًا

أولا: تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات:

وتحديد المفاهيم وتوضيح المصطلحات عمل منهجى لابد منه فى كل عمل علمى، حتى لا تغيم الرؤى، وتختلط الأمور.

وأهم ما نرجو أن نوضحه من هذه المفاهيم والمصطلحات ثلاثة هى:

١- المدرسة الإسلامية.

٢- والتعليم الإسلامى.

٣- والتربية الإسلامية.

١- المدرسة الإسلامية:

مصطلح يحتاج إلى تحديد لمعناه وتحرير لمفهومه، إذ اختلفت حوله الآراء وتعددت الرؤى.

- فمن الناس من يقول: إن المدرسة الإسلامية هى المدرسة التى تنشأ فى أى بلد مسلم، ولا ينظرون إلى أبعد من ذلك.

- ومنهم من يقول: إنها المدرسة التى تلقن المتعلمين فيها وتحفِّظهم القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وسيرة الرسول ﷺ.

- وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تعنى بكشف عيوب الأديان السابقة على الإسلام فى مقابل توضيح ما فى دين الإسلام من مزايا!

- وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى لا تسمح بالتعلم فيها لغير المسلمين من أهل الأديان الأخرى!

– وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تعنى بتدريس العلوم الإسلامية، حتى لو أهملت تعليم باقى العلوم!

– وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تغلق بابها أمام كل مستحدث من علم أو فن أو تقنية!

– وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تخرج فقهاء المسلمين وعلماءهم فى مختلف العلوم الإسلامية!

– وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تخرج المسلم المتشدد فى أمر دينه، والمتزمت مع نفسه ومع الناس!

– وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تقاطع كل لغة إلا العربية لغة الكتاب والسنة!

– وقد يقول بعضهم: إنها المدرسة التى تصف نفسها بأنها إسلامية، وتعلن ذلك فى لافتات!

● وكل هذه الأقوال تحمل الدليل على أن القائل بها ليس له من المعرفة والعلم بالمدرسة الإسلامية ما يمكنه من تعريفها، وقد أخطأ بأن حكم عليها بأنها إسلامية دون تصور دقيق لها ولوظيفتها فى المجتمع.

فما المدرسة الإسلامية إذن؟

المدرسة الإسلامية هى التى تتبنى كل ما جاء به الإسلام من قيم ومبادئ، فتجعل ذلك نصب عينها وموضع اهتمامها ومجال عملها فى التعليم وفى التربية، وتعطى المتعلمين فيها قدوة فى كل خلق إسلامى من خلال مديرها ومدرسيها والعاملين فيها. وبغير ذلك لا تكون مدرسة إسلامية.

– ثم هى المؤسسة التعليمية التربوية فى كل مراحلها وأنواعها أساسية أو وسيطة أو فنية مهنية أو مؤهلة للجامعة، لا تفارقها صفتا التعليم والتربية، ولا تفارقها صفتها بأنها إسلامية من خلال ما تبثه فى متعلميها من علم وقيم وعمل ونظام والتزام.

– والمدرسة الإسلامية ليست بديلا عن المدارس التى فرضها على المسلمين المحتل الغاصب المستوطن المستغل، حيث جاءنا بمدارس ومعاهد وجامعات فارغة من أى محتوى إسلامى فى العلم والعمل والتقنية، وفرض علينا هذه المدارس فرضًا؛ مستغلال فترة ضعف

المسلمين ووقوعهم فى براثن أعدائهم بعد هزائم عسكرية وسياسية واقتصادية وعلمية وتعليمية.

ولقد خدع بعض الحكام المسلمين فى هذه المدارس التى فرضها العدو فاقبلوا عليها - على حساب المدرسة الإسلامية - وخيل إليهم أنها الأنفع والأحسن فتجاهلوا خصائص المدرسة الإسلامية وأهملوها كما فعل محمد على فى مصر ومصطفى كمال فى تركيا ورضا بهلوى فى إيران، ثم أفاقوا على أنهم لم يجدوا فيها غناء فلم تخرج لهم علماء ولا مقاتلين ولا قادة على مستوى الظروف والمعارك التى خاضوها، فكانت خسارتهم فادحة سياسيًا وقوميًا وعلميًا، ولم يغنهم تركهم المدرسة الإسلامية وإقبالهم على مدارس غير إسلامية، وإنما ضيعوا الأصالة، ولم يسموا بالالتحاق بالحداثة والتقدم العلمى، فكانوا نكالا على مجتمعاتهم عشرات السنين.

ولقد اعترف بعض كبار المغتصبين المستوطنين بأنهم يشوهون التعليم لهدف خبيث، حيث يقول: «اللورد ماكولى» المغتصب البريطانى عن الهند - قبل تقسيمها إلى باكستان والهند - بعد أن سحب الدعم المالى من النظام التعليمى الإسلامى فى الهند وأحل محله مدارسهم يقول: «إن ما كان يقصد إليه لم يتعدَّ خَلْق طبقة من الناس هنود فى لونهم انجليز فى أفكارهم واتجاهاتهم» وكانت كلمته هذه سنة ١٨٣٢م.

إن المدارس التى جاء بها الأعداء فى بلدان العالم الإسلامى لتحل محل المدرسة الإسلامية، تستهدف خلق أجيال ذات فكر غربى علمانى بعيد عن الدين والتدين، يرى ضرورة أن يكون الدين بمعزل عن السياسة والحكم، والقيم الخلقية الإسلامية، وقد كان لهم ما أرادوا وعاونهم على ذلك حكام مسلمون!!

فقد كان ذلك هدف مصطفى كمال فى تركيا حينما ألغى كل ما هو إسلامى، وفرض على النساء الزىّ الغربى، وعلى الرجال القبعة وعلى الحياة التعليمية الأحرف اللاتينية.

وكانت المدرسة المستوردة البديلة عن المدرسة الإسلامية تستهدف إيجاد طبقة من المتعلمين أبناء الأعيان الأغنياء الذين يبعثون بأبنائهم إلى الغرب ليعودوا بالولاء للغرب، كان ذلك شأنهم من القرن التاسع عشر الميلادى إلى الآن على مستوى العالم الإسلامى.

● وبذلك اتسعت الفجوة بين المدرسة الإسلامية والمدرسة المستوردة، لأن المدرسة الإسلامية أصبحت لا تؤدى إلى تقلد المناصب والحصول على الجاه والنفوذ، وإنما ذلك نصيب المبتعثين بعد الدراسة فى المدارس المستوردة.

• وعلى الرغم من ذلك كله فإن بعض بلدان العالم الإسلامى بما وهبها الله من مصلحين مجددين تمسكوا بدينهم ومدارسهم وجامعاتهم حتى فى معقل العلمانية والعداوة الضارية للإسلام فى تركيا، على الرغم من ذلك فقد استمرت الروح الإسلامية فى ربوع الأناضول الريفية، كما استمرت جهود حركة النور التى أسسها المصلح المجدد الشيخ بديع الزمان النورسى (١٢٩٢ - ١٣٧٩هـ) تلك الحركة التى استهدفت مقاومة ما أحدثه الكماليون فى تركيا.

ثم حركة الاتحاد المحمدى التى أنشأها الشيخ النورسى أيضا لمواجهة جمعية الاتحاد والترقى التى كانت تلبس ثوب الدين وتخفى من ورائه الماسونية، واليهودية.

وقد سبقت هاتين الحركتين حركتان إسلاميتان لمقاومة مصطفى كمال هما: الحركة النقشبندية[1] والحركة التيجانية[2].

ومثل الحركة النورسية والحركة التيجانية والنقشبندية، حركات أخرى قاومت المحتل الغاصب المتحدى للإسلام وللمدرسة الإسلامية مثل:

الحركة الوهابية بالجزيرة العربية.

والحركة السنوسية بليبيا.

والحركة الشوكانية باليمن.

وحركة جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده بمصر.

وحركة عبدالرحمن الكواكبى بسوريا.

وحركة فدائيان إسلام بإيران.

وحركة الجماعة الإسلامية بباكستان.

---

(١) الحركة النقشبندية قادها الإخوة الدراويش ومؤسسها محمد بن محمد بن بهاء الدين البخارى (١٣١٧ - ١٣٨٩هـ) بفارس، لمقاومة طغيان مصطفى كمال وقامت هذه الحركة بثورتين إحداهما سنة ١٩٢٥م بعد إسقاط الخلافة والأخرى سنة ١٩٣٠م.

(٢) أصل هذه الحركة فى المغرب أسسها أحمد بن محمد التيجانى فى فاس سنة ١٨٧٢م ثم أخذت تتسع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى، فعبرت إلى كثير من بلدان أفريقيا مثل الكاميرون والسنغال ونيجيريا والجابون والسودان وكان لها أنصار فى تركيا ثاروا على مصطفى كمال وحملوا السلاح ضده بوصفه عدواً للإسلام، لكنهم لم يستطيعوا القضاء عليه. وهى حركة سلفية تعادى كل من يعادى الإسلام.

وحركة الإخوان المسلمين بمصر والعالم العربى وهى كبرى الحركات الإسلامية.

وحركة حزب ماشومى بإندونيسيا وغيره.

● ولقد أنشأت بلاد إسلامية وأحزاب إسلامية كثيرة عدداً من المدارس والمعاهد والجامعات مثل: «الندوة» فى الهند، والجامعة الإسلامية بإندونيسيا التى تضم مائة وإحدى وعشرين كلية، ومثل المنظمة الإسلامية الدولية، وغير ذلك كثير.

● وقد انتقلت عدوى حرب المدرسة الإسلامية وتحديها من العدو الغاصب المحتل إلى كثير من حكام العالم الإسلامى تقرباً للغرب أو كراهية للإسلام والمدارس الإسلامية، وبخاصة الحكام الذين قاموا بثورات عسكرية استولوا بها على مقاليد الحكم.

وعلى سبيل المثال فقد اقتفى بعض حكام المسلمين أثر مصطفى كمال واتخذوه قدوة فى حرب كل ما هو إسلامى، كما فعل جمال عبدالناصر فى مصر؛ حيث قام بأعمال عديدة لا تفسر إلا بعدوانه للإسلام، مثل:

- إصدار قرار بتعديل مناهج الأزهر لتذويب أصالتها الإسلامية والعربية بمزاحمتها بمواد تعليمية أخرى.

- وأصدر قرارا بإلغاء القضاء الشرعى ودمجه فى القضاء العام، وهو نفس ما فعله مصطفى كمال.

- وأصدر قرارا بإلغاء الأوقاف الإسلامية وتحولها إلى الدولة، مفتاتاً على نيات الواقفين، ومحولا أموالهم إلى خزانة الدولة لتنفق منها الدولة على الفنون ومنها الرقص، كأن الواقف لأمواله على المؤسسات الإسلامية قد أوقفها على دعم الرقص الشرقى!!

● وما فعله جمال عبدالناصر فى مصر من تحدى الإسلام والمؤسسات الإسلامية، حدثت نظائر له فى كثير من بلدان العالم الإسلامية كتونس وباكستان بعد الانقلابات العسكرية، وإندونيسيا أيام سوكارنو والمد الشيوعى، وكما حدث فى كل بلد إسلامى لوثته الاشتراكية بقوانينها الظالمة البعيدة كل البعد عن الدين!

● هذه هى المدرسة الإسلامية وتلك بعض صور التحدى لها بوصفها مؤسسة إسلامية تستهدف إعداد الإنسان المسلم القادر على أن يتفاعل تفاعلاً صحيحاً مع المجتمع الذى يعيش فيه، ويتعامل تعاملاً حسناً مع ربه ومع نفسه ومع الناس جميعا بل مع الأشياء التى تحيط به.

● ولن ننهى الحديث عن المدرسة الإسلامية قبل أن نتحدث عن الرؤية الصحيحة التى يجب أن تراها المدرسة الإسلامية للمجتمع الذى تنشأ فيه ولقضاياه، ومن هذه الرؤية الصحيحة ما نسجله فيما يلى:

- أن تكون نظرتها إلى العلوم التى تُدَرَّس فيها نظرة صحيحة شاملة تعنى أن العلوم الإسلامية هى كل علم تنفع المسلمين دراسته فى دينهم ودنياهم، وليست هى فقط علوم القرآن والسنة والفقه الإسلامى والتوحيد، إذ هى على وجه الحقيقة كل علم ينفع الإنسان فى دينه ودنياه، وبهذا الفهم الصحيح تدخل جميع العلوم ما عرف منها حتى اليوم، وما سوف يُعرف ويكتشف غدا وبعد غد.

- وأن يكون مفهوم المدرسة الإسلامية عن العلم صحيحًا شاملاً كما فهمه العلماء الذين رسخوا فى العلم، حيث قالوا: «العلم هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى سائر العلوم»، وذلك هو العلم الذى جعله الرسول ﷺ فريضة على كل مسلم والذى دعا رسول الله ﷺ إلى تعلمه وطلبه ولو كان فى الصين.

وعزز بعض العلماء هذا المفهوم الواسع للعلم بقولهم: إن العلم الذى هو فرض كفاية فروع كثيرة ربما لا تنحصر بسهولة؛ إذ هى كل علم يحتاج إليه الإنسان لتكون حياته أكرم وأحسن وأوفق لما اختاره الله لعباده من تكريم، وبهذا تدخل جميع العلوم التى عرفتها البشرية بالأمس واليوم والتى ستعرفها غدا.

● إن المدرسة الإسلامية يجب أن تضع فى حسبانها أنها مسئولة بكل أنواعها عن تيسير هذه العلوم لأبنائها، وإن لم تفعل فليست مدرسة إسلامية.

- وأن تعتبر نفسها مسئولة عن تربية أبنائها وتعليمهم وتأهيلهم لمواجهة الحياة، تأهيلاً صحيحًا نابعًا من منهج الله تعالى ونظامه الذى جاء به الدين الحق الخاتم على لسان نبيه الخاتم ﷺ.

- وأن تعتبر نفسها مؤسسة اجتماعية ذات وظيفة اجتماعية لا يؤديها غيرها من المؤسسات، وتلك الوظيفة ذات فروع عديدة نذكر منها:

أ- المحافظة على التراث الصالح ونقله إلى تربية، بحيث تجعل هذا التراث ملائمًا أساليب الحياة الإنسانية فى كل عصر من عصورها مع الأخذ فى الاعتبار أن التغيُّر مستمر فى أساليب الحياة الإنسانية خلال العصور.

ب- ومساعدة الفرد من خلال ما تقدمه له من زاد تربوى على أن يدرك ذاته؛ من هو؟ وما حقوقه؟ وما واجباته؟ وما موقفه من خالقه سبحانه وتعالى؟ وما موقفه من الآخر سواء أكان هذا الآخر على دينه أو على غير دينه؟

جـ- ومعاونة الفرد على حسن التعامل مع قدراته ومهاراته ليحافظ على حقوقه ويمارسها بحيث لا يجور على حقوق غيره وليعرف واجباته ويخلص فى أدائها سواء أكانت واجبات نحو خالقه سبحانه عبادة وطاعة، أم كانت واجبات نحو الآخر، أو نحو هذه الأرض التى سخرها الله تعالى له واستخلفه فيها، أونحو تحسين مستواه الاجتماعى والمادى، والعلمى والفنى.

د- وأن تربى أبناءها على حب الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى والدفاع عن هذه الأوطان والعمل على ترقيتها ونهوضها، وتقدمها علميًا وفنيًا.

هـ- وأن تربى أبناءها على حب الخير والتعاون على البر والتقوى وعلى احترام ملكية الآخر وعلى المحافظة على المرافق العامة.

هذا ما أردت أن أوجزه عن المدرسة الإسلامية، أرجو أن أكون قد وفقت فيه.

ولأحاول أن أوضح المقصود بالتعليم الإسلامى فى الصفحات التالية، والله ولى التوفيق.

٢- التعليم الإسلامى:

التعليم مرتبط بالتعلُّم والعلم ارتباط السبب بالمسبِّب.

وهذه الثلاثة سلسلة أحكم الإسلام وثاقها، وأحاطها بالاحترام والتقدير إذ جعلها من فروض الكفاية حينًا ومن الفروض العينية حينًا آخر، فهذه الثلاثة فرض عين عندما تتعلق بأمور الدين وبخاصة فيما يعلم عنه بالضرورة، وهى فرض كفاية فى كل ما يتصل بسائر العلوم والمعارف التى تيسِّر حياة الإنسان وتجعلها أحسن وأرقى وأليق بتكريم الله تعالى الإنسان.

وإنما ترابطت هذه الثلاثة فى المنهج الإسلامى، لأن التعلم سبب فى العلم وتحصيله، ومن حصّل علما فذلك من نعمة الله تعالى عليه، وذلك يوجب عليه أن يعلمه لغيره من الناس.

ولبيان ذلك نقول:

إن التعلم - أى طلب العلم والسعى إليه - قسمان:

– قسم يُعَدّ فرض عَيْن على كل مسلم وذلك فيما يتصل بتعلم الفرائض كالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر ما فرض الله على كل مسلم من عبادات ومعاملات، وذلك الفرض أوجبه الرسول ﷺ، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**.

– وقسم يُعَد فرض كفاية، أى يفرض على بعض المسلمين دون سائرهم، فإن قاموا به وحدث به الكفاية سقطت فرضيته عن سائر المسلمين، فإن لم يقم به أحدٌ أثم المسلمون جميعًا، وقد ضرب العلماء لذلك مثلا، بتحصين الحصون، وحماية الحدود والثغور، والفصل بين الخصوم، وتعلم كل ما شأنه أن ييسر إعمار الأرض وتسخير ما فيها من نعم لصالح الإنسان، ولا يكون ذلك إلا بعلوم عديدة تتصل بالزراعة والصناعة والتعدين وتمهيد الطرق وتسهيل المواصلات والاتصالات، وتنمية الثروات الحيوانية، والأخذ بأسباب القوة البدنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والصحية والتعليمية، وغير ذلك من العلوم التى تجلب للإنسان نفعا أو تدفع عنه ضرًا، لأن ذلك هو منهج الإسلام فى الحياة الإنسانية التى كرم الله تعالى بها الإنسان.

ولا أستطيع هنا أن أحصى ما قاله العلماء فى ذلك، ولكنى استشهد بعلم من أعلامهم هو الإمام أبو حامد الغزالى فى موسوعته الإسلامية: «إحياء علوم الدين» حيث قال: «إن تعلم علوم الصناعات وكل ما ينهض بشئون الحياة من فروض الكفايات، حتى تكفى الأمة احتياجاتها من جميع ما تحتاج إليها..»

وروى الهيتمى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما العلْم بالتعلُّم..»**[1].

وروى الطبرانى فى الأوسط والبزار والحاكم بأسانيدهم عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضْل العلم أحبُّ إلىّ من فضل العبادة..»**.

وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضْل العالم العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»**.

وروى الهيتمى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتى علَىَّ يومٌ لا أزداد فيه علما؛ فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم»**.

---

(١) بقية الحديث الشريف وهو من جوامع كلمه ﷺ: «.. وإنما الحلم بالتحلم، ومَنْ يتحرَّ الخير يُعْطَه، ومَنْ يتق الشر يُوقَه» والهيتمى من علماء الحديث والفقه توفى سنة ٨٠٧هـ.

وروى ابن عبدالبر فى كتابه: «جامع بيان العلم وفضله» بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تكن تعلم، والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه، وإنما يَزْهَد الرجل فى علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم»**(١).

وقد ربط الرسول ﷺ بين العلم وضرورة الاستزادة منه، ووجوب الانتفاع به حتى لا يزهد الإنسان فى العلم عندما لا ينتفع به.

- وتعليم الآخر واجب على مَنْ علم بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ..**﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وكتمان العلم حرام بنص الحديث الشريف، فقد روى أبو نعيم - فى الحلية - بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما آتى الله عالما علْمًا إلاَّ وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه»**.

وروى الهيثمى فى كتابه: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» بسنده عن ابن أبْزَى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرًا ثم قال: **«ما بال أقوام لا يفقِّهون جيرانهم ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون، والله ليُعَلِّمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلَّمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلنهم العقوبة...»**(٢).

- والتعليم الذى يجب أن تمارسه المدرسة الإسلامية من خلال مديرها والمدرسين والعاملين فيها، يستهدف غاية عقلية، تتمثل فى إكساب المتعلم مجموعة من العلوم والمعارف التى تتصل بمجالات الحياة الإنسانية ليمارس الحياة من خلال تطبيق ما حصل من علم ومعرفة، فالمدرسة لا تعلم العلم من أجل العلم فى ذاته ولا توفر المعرفة من أجل المعرفة، وإنما تفعل ذلك من أجل ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة، أى أن العلم والمعرفة من أجل صالح الإنسان فى دنياه وآخرته.

- ولقد فهم بعض مفكرى الغرب التعليم على أنه مجرد تزويد العقل بالمعرفة، وردَّد ذلك

---

(١) ورواه البيهقى والخطيب البغدادى، وغيرهما.

(٢) وانظر كتابنا: التربية العقلية، ص (٢٢٩) فثمة أكثر من خمسة عشر حديثًا نبويًا فى وجوب تعليم الآخر على كل من علمه الله تعالى علمًا. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

عـدد من كبار المنشغلين بالتربية منهم هذه المقولة، منذ القرن الثامن عشر الميلادى أى بعد عصر النهضة العلمية عندهم، ومنهم:

- «جون لوك» (١٦٣٢-١٧٠٤م)(١).

- و«جان جاك روسو» (١٧١٢-١٧٧٨م)(٢) الذى مَزَج بين فكرة المعرفة للمعرفة، وبين أن هدف التربية هو أن تعلم الإنسان كيف يعيش.

أما «جون لوك» فيقول: «إن وظيفة التربية ليست المساعدة للصغار على حذق أحد هذه العلوم ولكن وظيفتها الرئيسة هى تفتيح عقولهم للمَعْرفة إذا ما سنحت الفرصة لذلك».

أى أن المعرفة للمعرفة ويقول «روسو»: «هدفى تزويد العقل بالمعرفة، ولكنى آمل أن أوضح كيفية الحصول عليها إذا ما دعت الضرورة لذلك».

● أما التعليم الإسلامى فإنه يشبه أى تعليم فى استهدافه تعليم المتعلم وتثقيفه ومده بالعلم والمعرفة، وتدريبه على حرية التفكير، لكنه يزيد على ذلك أموراً تميز بها التعليم الإسلامى منها:

- أن مصادر المعرفة فى التعليم الإسلامى تعتمد أولاً على الوحى، الكتاب والسنة، وعلى السيرة النبوية، وعلى تاريخ الصحابة إذ هم الذين نقلوا الوحى إلينا بدقة وأمانة، وهم جميعًا عدول.

وبعض الصحابة رضى الله عنهم تميز بأنه ملازم للرسول ﷺ كأبى هريرة رضى الله عنه، فحفظ ما لم يحفظ سواه، وروى ما لم يرو غيره، وأخطأ بعض الناس فقالوا: أكثر أبو هريرة من الحديث عن رسول الله ﷺ.

---

(١) فيلسوف إنجليزى تعلم فى إكسفورد ورحل إلى فرنسا وهولندا، وعرف بأنه نصير الحرية، وهو يدعو إلى التسامح فى الدين، ومن آرائه السياسية أن الدولة إذا انحرفت وجبت الثورة عليها، وعن «جون لوك» أخذت الثورة الأمريكية مبادئها، وتأثر به «فولتير» و«روسو»، و«لوك» بقسم التربية إلى ثلاثة أقسام: تربية جسدية يجب أن تقوم على تعويد الجسد الشظف والتحمل.

وتربية خلقية تقوم عنده على ضبط النفس. وتربية عقلية تعتمد على تكوين عادة التفكير فى كل المسائل.

(٢) فيلسوف فرنسى ولد بجنيف ثم ارتحل إلى باريس، وكان من رأيه أن الإنسان خَيِّر بطبعه ثم أفسدته الحضارة، ومن مؤلفاته: «العقد الاجتماعى» ١٧٦٢م و«إميل» ١٧٦٢م، وقد أثر فى الأدب والسياسة والتربية، ومن آرائه:

أن القوانين شرعت لتثبيت قوة الظالم على المظلوم.

وأن التربية يجب أن تترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية دون أن تعطلها مؤثرات الحضارة الفاسدة، لأن التربية تنبع من داخل النفس ولا تأتى من قراءة الكتب، ويرى أن هدف التربية أن تعلم الإنسان كيف يعيش.

– وأن ما يمكن أن يتزود به من العلوم والفنون والمعارف غير الوحى إنما هو من تراث الإنسانية وملك لها جميعًا، وعلماء المسلمين أضافوا إلى العلم أنواعًا عديدة اكتشفوا بعضها وطوروا بعضها، وكان لهم فى ذلك باع وذراع، مما كان له أكبر الفضل على نهضة الغرب العلمية كما اعترف بذلك كتابهم، ومن أبرز هذه العلوم التى برع فيها المسلمون وأضافوا بها إلى العلم: علم الفلك، وعلم الكيمياء، وعلم الطب وعلم الجراحة وعلم التداوى، وعلم الجبر وعلم حساب المثلثات وعلم الطبيعة وعلم طبقات الأرض أو «الجولوجيا».

● وممن سجلوا للمسلمين هذا التفوق:

– الفيلسوف الفرنسى: «رينوجينو» حيث قال: «إن الأثر الواضح الذى يثبت لنا انتقال المؤثرات الثقافية من المسلمين العرب إلى أوربا هو تلك الكلمات العربية الأصل التى تستعمل فى كل اللغات الأوربية حتى الآن، وبما أن الكلمات هى التى تستعمل لنقل الأفكار والآراء الإسلامية نفسها فإن من السهل علينا أن نستنتج انتقال ذلك إلى أوربا..

ثم يواصل الحديث فى ذلك التأثر بما أبدعه المسلمون، ثم يختتم قائلا: «هذا جزء من كل من أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب، ولكن الغربيين لا يريدون أن يقولوا به، لأنهم لا يريدون الاعتراف بفضل الشرق عليهم، ولكن الزمن كفيل بإظهار الحقائق»[1].

– والدكتورة: «سيجريد هونكه» التى تقول: «ومن النادر أن نجد أوربا تعرف ذلك أو تعترف بأنها أخذته عن العرب، بل ينسبون ذلك ظلما وخطأ إلى الإنجليز والفرنسيين، لكن التاريخ يؤكد أن العرب المسلمين بمؤلفاتهم العظيمة هم أساتذة أوربا ثقافيًا..».

● ولا يمكن أن نتجاهل أو ننسى أو أن نقلل من شأن الحرب الضارية التى واجهها التعليم الإسلامى فى عديد من بلدان المسلمين، فى معارك ضارية قادها أعداء للإسلام والمسلمين من السياسيين أمثال: «كرومر» و«دانلوب» أو من المستشرقين أمثال: «أ. ج. أربرى» و«هـ. ر. جب» أو من المبشرين، أمثال: «س. م. زويمر» وغيرهم.

وقد انضم إلى هؤلاء الأجانب –وهم كثرة– عدد من المسلمين والعرب المستغربين فكانوا متحاملين على التعليم الإسلامى.

● وقد عقد العرب المستغربون مؤتمرًا للمجامع اللغوية العلمية فى دمشق سنة ١٩٥٦م حضرته وفود تمثل مجامع اللغة العربية فى مصر والعراق ودمشق، ووفد يمثل الجامعة العربية، ومندوب يمثل «اليونسكو» ومراقبون من الأردن والسعودية وليبيا ولبنان.

---

(١) المرحوم الدكتور عبدالحليم محمود: «الفيلسوف رينوجينو».

● وكان هدف المؤتمر بحث شئون اللغة العربية، غير أن هذا المؤتمر دعا المشاركون فيه إلى العامية بديلا عن الفصحى، ودعوا إلى الكتابة العربية بالأحرف اللاتينية.

– ومن كلمات بعضهم(١) وهو يدعو إلى تلك الأهداف قوله: «إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه فى أول نشأته – يقصد مجمع اللغة العربية – ثم انتهى زمانه إلى الكُتَّاب والصحفيين الذين نبهوا المجمع إلى أهمية العامية، وإلى خطورة جمود اللغة بتخلفها عن مسايرة الزمن».

هكذا يتحدث عن الفصحى حماتها، ويزعمون أن الدعوة إلى العامية قد تبناها الكُتَّاب والصحفيون متجاهلين ما دعا إليه «ويلكُكُس» الذى مثل الاستعمار الإنجليزى فى وقته –الذى شجع العامية وادعى أن سر تأخر العرب فى ذلك الوقت هو تمسكهم بالفصحى– ثم يواصل قائلا: إنه يسهل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية، وإن علينا أن نشرع فى دراسات لعاميات الأقطار العربية المختلفة، لإقرار ما هو مشترك منها سواء صح فى معاجم اللغة أم لم يصح..!!

ويتحدث عضو آخر(٢) من أعضاء مجمع اللغة العربية فى مصر عن تيسير قواعد اللغة العربية فينادى بما هو سائد فى قواعد اللغة الإنجليزية ليطبقه على اللغة العربية!!

وأقول: إن العجيب المدهش أن هذه الدعوات التى دعا إليها هؤلاء المجمعيون ليست إلا صدى لما ردده أعداء الأمة الإسلامية الذين يكيدون للغة القرآن والسنَّة من أمثال: كرومر ودانلوب وويلككس وأذنابهم وأتباعهم والمتعلمين على أيديهم أمثال: اسكندر معلوف، ورئيف أبى اللمع، وفارس عمر وغيرهم(٣)!!

وهؤلاء وأولئك وموجهوهم يشنون حملة تستهدف تغريب اللسان العربى بقتل الفصحى أولا، ثم بإحلال اللغات الأجنبية محلها ثانيًا، ثم مزاحمة العامية لها ثالثًا وهكذا..

وهؤلاء الأعداء يدركون أن اللغة هى فكر الأمة ووجدانها وأن لسانها الفصيح هو لسان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ويعلمون علم اليقين أن حرب الفصحى إقصاء للقرآن الكريم والسنة عن ألسنة المسلمين، وتصعيب لفهمهما، وفى ذلك حرب ضارية للإسلام والمسلمين.

---

(١) هو: أحمد حسن الزيات منشىء مجلة الرسالة وعضو مجمع اللغة العربية بمصر.

(٢) هو: إبراهيم مصطفى الذى رأس المجمع فترة من الزمن.

(٣) مثل: طه حسين وأنيس فريحه ومنير العجلانى وأحمد عبدالسلام.

• ومن صميم رغبة الأعداء في ضرب التعليم الإسلامي، ضربهم للأزهر وللتعليم فيه ضربات حاقدة بوصفه حصناً من حصون الشريعة الإسلامية، وللغة الكتاب والسنة[1].

ولقد نجح أعداء الإسلام في أن يفقدوا عدداً من أبناء الأمة الإسلامية ثقتهم في لغة القرآن والسنة النبوية؛ بالتقليل من شأنها وشأن طلابها وعلمائها بل والناطقين بها!!

ومن حربهم للغة القرآن وصفهم إياها بأوصاف تنفّر منها ومن تعلمها، ومن تلك الأوصاف المنفرة:

- قولهم: إنها لغة دينية - والأصل عندهم النفور من الدين بسبب ما سامتهم الكنيسة ورجالها من خسف باسم الدين - والعجيب أنهم يعلمون أن ليس للإسلام سلطة زمنية على المسلمين، وليس في الإسلام من يطلق عليهم رجال الدين!

- وقولهم: إنها لغة جامدة قليلة الاشتقاقات، مع أن أهل العلم باللغات يعلمون أنها أوسع اللغات معجماً وأكثرها اشتقاقاً، وأدقها مقاييس.

- وقولهم: إنها لغة فظة غليظة، في حين هي -باعتراف علماء اللغات- أرق اللغات وأحفلها بالكلمات والعبارات الشعرية الرقيقة الأخّاذة.

- وقولهم: إنها لغة عاجزة عن مواكبة ومسايرة المستحدثات، ولقد كذبوا في ذلك أقبح الكذب؛ لأن أبواباً في اللغة العربية تضع قواعد للتعامل مع كل كلمة مستحدثة، فتصوغها أحيانا صياغة عربية، وتسمح لها بالدخول في اللغة العربية بنفس صيغتها الأجنبية.

- وقولهم: إنها لغة صعبة التعلم، لما فيها من حروف لا يستطيع الأجانب نطقها كحروف الحلق مثلا، وقد كذبوا وضلوا عن الحقيقة والحق، فما كان الله تعالى رب العالمين، أن ينزل خاتم كتبه بلسان عربي مبين، وهي بهذه الصعوبة التي يزعمون، مع أن الله تعالى أرسل خاتم رسله لكل أحمر وأسود، أي لكل أهل الأرض مهما تعددت لغاتهم فكيف ينزل عليهم آخر كتبه بلغة صعبة النطق؟

- وقولهم: إنها لغة صعبة النحو والصرف والتعلم، وقد كذبوا لأن الداخلين في الإسلام من غير العرب أجادوها كالعرب أو أحسن منهم حتى إن من أشهر علماء اللغة من لم

---

(١) ممن كتبوا في ذلك: المرحوم محمد البهي في كتابه الرائع: «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي».

يكونوا عَرَبًا، ونحو اللغة الغربية وصرفها من الممكن استيعابه بل إجادته بأيسر سبيل حتى إن بعض أسلافنا من العلماء جمعوا نحو اللغة العربية وصرفها فى أرجوزة من ألف بيت من الرجز[1].

- وكل حرب شنها أعداء الإسلام على المدرسة الإسلامية كانت تستهدف تخريب المنهج والكتاب والمعلم والسياسة التعليمية التى يسيطرون عليها وعلى صناعها فى معظم بلدان العالم الإسلامى سيطرة منظورة وقحة تدوس استقلال البلدان وخصوصيتها حينًا، أو سيطرة غير منظورة حين يعملون على أن تكون أمور التعليم فى أيدى الذين أصبح ولاؤهم لأعداء الإسلام واضحًا لا يحتاج إلى دليل.

ولقد استطاع هؤلاء الأعداء أن يربطوا مصالح عدد غير قليل من حكام العالم الإسلامى، وعددًا غير قليل من القائمين على أمور التعليم، بمصالح هؤلاء الأعداء.

وبعد: فإنى أحب أن أؤكد أن التعليم الإسلامى والمدرسة الإسلامية هدفان هامَّان يستهدف العدو تخريبهما، أو تضليلهما عن تحقيق الوظائف الأساسية للتعليم وللمدرسة الإسلامية، ولهم فى ذلك وسائلهم التى أشرنا إلى كثير منها فى هذا الكتاب.

وقد ألقيت الضوء على مفهوم المدرسة الإسلامية، وعلى مفهوم التعليم الإسلامى، ويبقى أن أتحدث عن التربية الإسلامية حتى أفرغ من تحديد المفاهيم والمصطلحات والله ولى التوفيق.

٣- التربية الإسلامية:

هذا آخر المصطلحات التى أردت أن أوضحها قبل الدخول فى الحديث عن مراحل المدرسة الإسلامية وأنواعها.

فإذا كانت التربية فى عمومها تعنى نقل الحضارة بجميع مفرداتها من جيل إنسانى إلى جيل إنسانى آخر.

وإذا كانت مفردات الحضارة كثيرة، وتزداد كثرة كلما تقدم الإنسان فى العلم والمعرفة

---

(١) ولقد ألَّف الضعيف الفقير إلى الله تعالى كاتب هذه السطور كتابًا بسيطًا ميسرًا لبعض العرب الذين يعيشون فى الولايات المتحدة الأمريكية فى صفحات قليلة لا تتجاوز الخمسين من الصفحات، وشرحه لهم فى قريب من عشر ساعات، وكانت للكتاب خطة فى تقريب النحو لمن يحتاج إلى الحديث بالعربية أو الكتابة بها، وقد لقيت هذه الأوراق فى نحو العربية وصرفها قبولاً حسنًا عند هؤلاء الإخوة الفضلاء..

والصناعات والحِرَف والفنون، إذا كان الأمر كذلك فإن مفردات الحضارة عند نقلها من جيل إلى جيل تتطلب آليات وأدوات ومعارف ليحدث هذا النقل من خلال الكتابة والقراءة والحفظ والتسجيل والإحصاء.

وعندما نلحظ ذلك ندرك أن التربية نظام اجتماعى يوجب التعاون بين الناس ليتم هذا النقل، تعاون بين الناقل والمنقول إليه أى بين الناس جميعا فى أول الأمر، وبعد تقدم الحياة ومعرفة الكُتَّاب والمدرسة يتطلب هذا النقل تعاونًا بين المدرسة والأسرة لكى يتم بناء الإنسان من جميع النواحى التى تتصل به؛ روحه وجسده وعقله وخلقه وحسّه الاجتماعى والسياسى والاقتصادى.. إلخ(١).

● والتربية من خلال ذلك تستهدف تكوين الإنسان ليتعامل بل ليتلاءم مع البيئة التى يعيش فيها حضاريا وثقافيا.

● وإذا كانت التربية تستهدف تكوين الإنسان الإيجابى الذى يعرف حقوقه ويتمسك بها حتى لا يطمع فيه ظالم، والذى يعرف واجباته ويؤديها حتى يعطى ما عليه ويأخذ الذى له، كما تستهدف تمكين الإنسان من أن ينمى نفسه ويزكيها، ويتغلب بذلك على ما يواجهه من مشكلات..

● إذا كانت التربية فى عمومها هى ذلك كله، وإنها لكذلك حقًّا؛ لأنه ما نازع فى ذلك أحد، فإن التربية الإسلامية تأخذ ذلك كله فى اعتبارها وتجعله من أهدافها، وتتميز بإضافات ضرورية ليكون الإنسان بها على الحالة التى كرمه الله تعالى بها إذ أنعم عليه بأن حمله فى البر والبحر ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً هو أهل له إن أطاع ربه واتبع منهجه.

● ومن هذا التميز والإضافات للتربية الإسلامية ما نشير إليه فى النقاط الثلاث التالية:

١- إن للتربية الإسلامية مفردات تستوعب فى مجموعها كل الجوانب فى شخصية الإنسان،، وأن الإسلام قد أولى هذه الجوانب غاية الاهتمام والعناية.

وهذه الجوانب أو المفردات العشر فى الإنسان هى: روحه وخلقه وعقله ودينه وحسّه الاجتماعى والسياسى ووعيه الاقتصادى وحسه الجمالى وواجبه الجهادى، وجسده.

---

(١) تحت عنوان: مفردات التربية الإسلامية أصدرنا عشرة كتب، كل كتاب منها يتحدث عن إحدى المفردات العشر للتربية الإسلامية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة في السنوات من سنة ١٤١٥هـ إلى سنة ١٤٢٤هـ / ١٩٩٥ - ٢٠٠٣م.

٢- وأن التربية الإسلامية تحرص كل الحرص من خلال عنايتها بهذه المفردات العشر على أن تصوغ بها الإنسان، لا المواطن، لأن الفرق بين تربية الإنسان وتربية المواطن كبير وخطير، إذ تربية المواطن تربية ضيقة النظرة غالبا ما تؤدى إلى صراعات وحروب، لاختلاف مصالح الأوطان، أما تربية الإنسان فهى ذات نظرة أشمل وأعمق وأبعد عن إثارة الصراعات والحروب، لأن المصلحة الإنسانية واحدة لمن رُبِّى تربية إسلامية.

٣- وأن الإسلام كما يبنى شخصية الإنسان ليواجه بها متطلبات حياته الدنيا أحسن ما تكون المواجهة، فإنه كذلك يربيه ليحظى برضا الله تعالى فى حياته الأخرى، على اعتبار أن الحياة الدنيا بكل ما فيها ما هى إلا مزرعة للحياة الأخرى التى هى الحياة الأبدية الخالدة.

ومن أجل ذلك حرصت التربية الإسلامية على تحديد وتوضيح أنواع ثلاثة من العلاقات الضرورية للإنسان وهى:

- علاقته بربه وخالقه الذى أنعم عليه بنعم لا يستطيع إحصاءها، وأهمها وأرفعها نعمة إرسال خاتم الرسل ﷺ وما جاء به من منهج قادر على أن يحقق للإنسان السعادة فى الدنيا والآخرة.

- وعلاقته بنفسه، حيث رباه على معرفة المكان الذى يضع فيه نفسه فى هذا الكون، ورباه على أن يتعامل مع مفردات الكون تعاملا يصلحه ويصلح به، يعرف ويلتزم بما له وما عليه، لا يفرط فى هذا ولا يقصر فى ذاك.

- وعلاقته بغيره من الناس فى دوائرهم الاجتماعية التى تبدأ بالأسرة ثم المسجد ثم المدرسة ثم المجتمع المحلى، فالمجتمع العربى، فالمجتمع الإسلامى، فالمجتمع الإنسانى؛ فالتربية الإسلامية تحرص على أن تكون هذه العلاقات على أحسن مستوى إنسانى يحقق صالح الإنسان وصالح هذا المجتمع الكبير.

● وعند التدبر والنظر فى هذه الأهداف الأساسية للتربية للإسلامية، مع أخذنا فى الاعتبار مفرداتها العشر، ندرك يقيناً تكامل هذه التربية وقدرتها على تكون الإنسان الصالح لممارسة الحياة الدنيا مع إسهامه فى حضارتها وعمرانها، كما ندرك يقيناً أنها تحرص على أن يعمر الإنسان حياته الآخرة بما يقدمه فى دنياه من عمل صالح.

إن التربية الإسلامية الجامعة المتكاملة تشير إليها آيات قرآنية كثيرة نذكر منها قوله تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] .

● ولكى يتضح الفرق بين التربية الإسلامية والتربية الغربية لابد من مقارنة هادئة تعتمد الحقائق، وتتجنب التحامل أو الحط من شأن الآخر - كما يفعل كثير من كُتَّاب الغرب حينما يتحدثون عن الإسلام - ومن أهم مفردات هذه المقارنة : الاختلاف بين التربيتين فى النظرة إلى اليوم الآخر .

- حيث ترى التربية الإسلامية أن الإنسان يعيش حياته الدنيا على أحسن مستوى وأرقاه تقدمًا وحضارة؛ ليعد نفسه لحياة أخرى هى الحياة الأبدية ذات القيمة الحقيقية فى النعيم أو الشقاء . . ومن هنا فإن التربية الإسلامية تشمل الحياة الدنيا والحياة الآخرة .

أما التربية الغربية فإنها تحسن إعداد الإنسان لحياته الدنيا لكنها تتجاهل أن له حياة أخرى يجب أن يُعد لها .

وليس هذا كلامنا أو إدعاءنا، وإنما هو كلام منسوب إلى علماء التربية عندهم، ومن تلك الأقوال :

- « التربية جملة الأفعال والآثار التى يحدثها بإرادته كائن إنسانى فى كائن إنسانى آخر - وفى الغالب راشد فى صغير - والتى تتجه نحو غاية قوامها أن تكون لدى الكائن الصغير استعدادات متنوعة تقابل الغايات التى يُعَدّ لها حين يبلغ النضج »(١) فليس فى هذا التعريف للتربية أى إشارة إلى اليوم الآخر .

- « علم التربية، جسدية كانت أو عقلية أو خلقية، لا علاقة له بالنظرية العملية فى التربية (البيداجوجيا)، لأن الأساس الذى تقوم عليه التربية - كما يرى هذا المفكر - هو : جميع المعطيات الوضعية « للفسيولوجيا » وظائف الأعضاء، ولعلم النفس والتاريخ وما له صلة بطبيعة الأطفال »(٢) .

ولا إشارة فى هذا التعريف لليوم الآخر من قريب أو بعيد .

- « النظرية العملية فى التربية تجعل عمليات الفن التربوى العملى أكثر انطباقًا على العقل، وأكثر انسجامًا مع الذكاء »(٣) .

---

(١) رونيه أوبير : التربية العامة - بيروت، ١٩٦٧م، دار العلم للملايين .
(٢) هنرى ماريون : معجمة التربوى .
(٣) جون ديوى : الخبرة فى التربية .

- «التربية صناعة ترتبط بغيرها من صناعات العمل.. وتفترض مجموعة من المعارف الوضعية التي تتصل بظروف البيئة التي يجرى فيها العمل التربوى»[1].

وليس فى هذه التعريفات إشارة إلى اليوم الآخر.

- «الفرق بين الصناعة والعلم هو أن العلوم تهدف إلى وضع قوانين عامة علمية وعقلية..... إلخ أما الصنائع (أى التربية النظرية العملية) فتكتفى بوضع قواعد عملية وطرائق، دون أن تهتم بتنسيقها والتأليف بينها»[2].

ولا إشارة فى هذا التعريف إلى اليوم الآخر.

ومعنى ذلك أن التربية فى نظر الغرب تسعى إلى تطوير وسائل الحضارة فيها؛ بما يخدم غايتها المادية فقط، وهى تعطى الأفراد من المعرفة ما يساعدهم فى تحقيق التقدم التقنى، فى الوقت الذى تطبع فى عقولهم الشكوك والتمزق فى شخصياتهم، مما يترتب عليه اهتزاز ثقتهم فى كل ما يحيط بهم من ناس وأشياء، ومن هنا تنشأ عندهم فكرة الرفض لكل الأعراف والتقاليد، وربما لكثير من الأمور المعقولة، حيث يتجه كثير منهم إلى: العُرْى، والشذوذ، وعدم المبالاة، وربما الانتحار والتخلص من الحياة.

- ولابد أن يكون تجاهل التربية الغربية للحياة الآخرة متأثراً بفكرتهم عن الدين نفسه، حيث ينادى كثير منهم بضرورة تنحية الدين عن الحياة كلها لا عن التربية وحدها، وفكرتهم هذه عن الدين لها أسباب معروفة يطول شرحها وليس هنا مجال الحديث فيها؛ فهم يقولون: إن الديانات الكبرى وسائل مَيَسِّرة وعوائق معارضة لتحقيق الاستقلال؛ فهى وسائل ميسرة لأنها يمكن أن تعطى الوجود تعليلاً اجتماعيًا وحلاً لمشكلته، لما فيها من قيم تشغل - فى تراث كل حضارة - مكانًا راجحًا؛ لأنها جزء من عقلية الجماعة كما أنها جزء من عقلية الفرد.

وأما ما فى الأديان من عوائق؛ فلأنهم يقولون: إن تلك الحلول التى تقترحها الأديان لمشكلة الوجود، حلول مطلقة ونهائية وبعيدة عن تفحص الفكر النقدى الفردى الذى لا يستطيع - فى نظر الكاثوليكية - أن يفوق فى قيمته سلطة التقاليد الكنسية التى تحفظ

---

(١) كرشنشتانير: نقلا عن «رونيه أوبير»: التربية العامة.

(٢) «كلا باريد»: المعجم الفلسفى: ٢/ ٥٦٨ نقلا عن: «رونيه أوبير» التربية العامة.

الكلمة الإلهية، كما لا يستطيع – فى نظر البروتستانتية – أن يفوق فى قيمته سلطة الكتاب المقدس حيث يتجلى وحى الإله....»(١).

بل إن الدين عندهم أو التربية الدينية –فى نظرهم– يقترحون لهما هدفًا من عند أنفسهم، كأنهما ليسا من عند الله!!! حيث يقول أحد المشاهير التربويين فيهم : «إن التربية الدينية فى نظرنا تربية ينبغى أن يكون هدفها – ككل تربية – أن تتيح للإنسان أن يكوّن تلك النظرة الشخصية إلى الوجود التى يكمل بها تكوين فرديته، وتحديد طبعه»(٢).

ثم يواصل: «رونيه أوبير» حديثه عن التربية الدينية ويعرض مقترحاته، فيقول:

«ومما يرجى أن تستطيع الديانات أن تتحرر مما يعيق النمو الطبيعى، ولهذا فليس من شأنها – أى الديانات – أن تقدم جوابًا على مشكلات تفسير الظواهر العلمية، سواء فى ميدان علوم الإنسان أو علوم الطبيعة.

والصراع الحقيقى الذى ينهض بين أنصار التربية العقلانية الخالصة، وبين أنصار التربية الدينية مردُّه إلى أن الديانات تدعى أنها تبحث عن حلول للمشكلات العلمية متفقة مع مشاغل الفكر واتجاهاته، وهى مشاغل ليست كمشاغل الفكر واتجاهاته، إن فى مثل هذه الدعوى خلطًا بين المستويات، وفيها – خاصة – خلط بين مستوى الموضوعية ومستوى الروحانية لابد أن يحول دون بلوغ الوعى توازنه السوى... وعلم الحياة والفيزياء، وعلم الفلك لا يمكن أن تقوم على تعاليم التوراة»(٣).

– أين هذا مما سبق أن قررناه وأوضحناه من أن أهداف التربية الإسلامية، نابعة من صميم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهما ختام الوحى الإلهى، ولم يقترح هذه الأهداف أحد؟

– وأنَّى للإنسان – كائنًا من كان – أن يقترح على الخالق الذى أنزل خاتم كتبه وأكملها وأتمها على خاتم رسله ﷺ؟

إن المدرسة الإسلامية الحقة هى الكفيلة بأن تجعل من التربية الإسلامية أسلوبًا عمليًا تطبيقيًا فى أبنائها دون أن يحول بينها وبين ذلك أحد.

---

(١) «ويسنغال»: الموسوعة الفرنسية : ١٥ – ٦٤٠ نقلاً عن : «رونيه أوبير» التربية العامة.

(٢) «رونيه أوبير»: التربية العامة – مرجع سابق، ص: ٥٤١ .

(٣) السابق: ص (٥٤٥) .

ثانياً : مراحل المدرسة الإسلامية وأنواعها :

مستويات المدرسة الإسلامية عديدة، إذ الأصل فيها أن تكون على استعداد لتعليم جميع الأعمار التى تقصدها وتربيتهم وفق قيم الإسلام ومبادئه، بل إن المدرسة الإسلامية أحياناً تذهب إلى أصحاب الأعمار المختلفة لتلبى حاجتهم إلى التعليم من خلال معطيات المدرسة المتعددة المؤثرة فى طبقات المجتمع كلها.

وهذا التفاوت فى الأعمار عند من يقصدون المدرسة يقتضى تنوع هذه المدرسة، ليستجيب كل نوع منها للفئة العمرية التى تقصد المدرسة.

- إن على المدرسة الإسلامية أن يكون منها مستوى للذين يقصدونها أطفالاً بمجرد خروجهم من حضانة الأسرة، أى بعد ست سنوات تقريباً من ميلادهم، وهؤلاء لهم احتياجات تعليمية وتربوية تناسب أعمارهم، وتنميهم من مختلف النواحى التى ينبغى أن يحدث لهم فيها نمو وتقدم.

– وهذا النوع من المدارس الإسلامية هو المدرسة الأساسية التى تستغرق الدراسة فيها ست سنوات، أى أن يكونوا قد أوشكوا على الدخول فى مرحلة البلوغ.

ويوازى هذا النوع من المدارس مدارس أساسية أخرى يتقدم إليها من كانوا فى هذه الشريحة العمرية من أصحاب الإعاقات، لأن لهم احتياجات تعليمية وتربوية خاصة، ولا يجوز للمجتمع المسلم ولا للحكومة المسلمة أن تحرمهم من مدارس تخصهم وتناسب احتياجاتهم.

- ومن المدرسة الإسلامية مدرسة تستقبل من أنهوا دراستهم فى المدرسة الأساسية، ولهم رغبة فى مواصلة التعليم، وهم أوشكوا على الدخول فى مرحلة البلوغ أو دخلوها فعلاً، ولهؤلاء احتياجات تعليمية وتربوية تناسب أعمارهم وتناسب ما يطلبه المجتمع منهم.

– وهذا النوع من المدرسة الإسلامية هو المدرسة الوسيطة أو المتوسطة، التى تستغرق الدراسة فيها ثلاث سنوات تبلغ بمعظمهم سنَّ الخامسة عشرة.

ويوازى هذه المدرسة مدارس وسيطة تقبل أصحاب هذه الفئة العمرية من أصحاب الإعاقات، لتستمر بهم فى التعليم والتربية بعد المدرسة الأساسية.

- ومن المدرسة الإسلامية مدرسة تستقبل من أنهوا دراستهم المتوسطة، ولديهم رغبة فى مواصلة التعليم لكى يتأهلوا للالتحاق بالجامعة، والدراسة فيها مدتها ثلاث سنوات بعد الخامسة عشرة تقريباً، واحتياجات هؤلاء من التعليم والتربية مختلفة عما سبقها.

- وهذا النوع من المدرسة يمكن أن يسمى مدرسة ثانوية أو مدرسة تؤهل للدراسة الجامعية، وفيها يتلقى الطلاب ما يناسب أعمارهم ، وما يناسب المرحلة الجامعية من التعليم والتربية، وما يناسب ما يطلبه المجتمع منهم.

ويوازى هذه المدرسة مدرسة لأصحاب الإعاقات ممن أنهوا المرحلة السابقة، ليوجههم المجتمع حسب إمكاناتهم وما أفادوه من دراستهم السابقة، الوسيطة.

- ومن المدرسة الإسلامية: المدرسة الجامعية التى تستقبل الراغبين فى مواصلة التعليم الجامعى، ممن أنهوا الدراسة فى المدرسة المؤهلة للدراسة الجامعية، الذين بلغوا سن الثامنة عشرة أو ما هو قريب منها.

- وتتبع الدراسة الجامعية دراسات عليا فى التخصصات العلمية فى كل قسم من أقسام كل كلية من كليات الجامعة بحيث تكون الحاجة إليه وإلى التعمق فيه محققة لأهداف علمية أو اقتصادية أو من متطلبات الحياة الاجتماعية.

- والمدرسة الجامعية تضم كليات عديدة ذات تخصصات متعددة بتعدد حاجات الرغبة فى التقدم والنهوض والرقى، بحيث يأخذ المجتمع مكانه بين المجتمعات الإنسانية المتحضرة القادرة على التعامل مع الطبيعة التى تحيط بها لتأخذ منها خير ما فيها، وتعطيها من الاهتمام والعلم والبحث ما يجعلها تعطى ما أودع الله فيها.

- والمدرسة الجامعية مطالبة بالتنسيق بينها وبين الجامعات فى العالمين العربى والإسلامى، ليحدث التكامل، ويعد هذا التنسيق مطلبًا علميًا اقتصاديًا سياسيًا، يضع أعداء الأمة العربية والأمة الإسلامية أمامه كثيراً من العقبات التى تحول بين العرب وبين التوحد أو الاتحاد أو الكيان المتماسك اقتصاديًا أو سياسيًا. وعلى سبيل المثال، فإن مشروع أمريكا الذى تطرحه بعد مرور عام على عدوانها على العراق واحتلاله، وهو مشروع الشرق الأوسط الكبير، لا يستهدف بالنسبة للغرب وإسرائيل إلا تذويب العالم العربى وتعويقه عن وحدة أو اتحاد أو تضامن عسكرى أو اقتصادى حماية لإسرائيل التى اغتصبت فلسطين، ثم مضت فى تمزيق العالم العربى وتفريق صفوفه والحيلولة بينه وبين أى اتحاد أو وحدة - والحديث فى ذلك ذو شئون وشجون - والأمة العربية مع مرور الوقت واستمرار الكيد تفقد بعض عناصر تكوينها!!!

ومن علاج ذلك أن تقوم الجامعات فى العالم العربى بعمل له وزنه العلمى والتقنى والحضارى.

● ومن المدرسة الإسلامية مدرسة حرفية أو فنية ذات مستويات موازية للمدرسة الوسيطة والمدرسة الثانوية، لإعداد الفنيين والحرفيين الذين تتطلبهم حاجات المجتمع الاقتصادية والصناعية والزراعية والتجارية، وغيرها.

● والمدرسة الإسلامية فى جميع مستوياتها وأنواعها - كما سنشير إلى ذلك بعد قليل - يجب أن تحتفظ بوصفها الملازم لها وهو أنها مدرسة إسلامية، تستمد من الإسلام قيمها ومبادئها وخلفياتها المهنية، لأنها بغير هذا الوصف لن تسهم فى بناء الإنسان المسلم، ولن تقدم للأمة الإسلامية ما يرجى أن تقدمه لها مما أوضحناه آنفًا.

١ - المدرسة الأولى الأساسية:

هذه المدرسة هى أولى درجات السلم التعليمى، كثير من الناس يسمونها المدرسة الابتدائية، لأن بها ابتداء التعليم، ولهذه المدرسة - فى تصورى - وظائف ثلاث أو واجبات ثلاثة هى:

- التربية.
- والتعليم.
- ومقاومة تسرُّب المتعلمين من المدرسة.

والمدرسة بوصفها إسلامية، فإن هذه الواجبات الثلاثة يجب أن يراعى فيها أن تكون مراجعها فى أداء وظائفها أو واجباتها إسلامية، أى أن تستقى كل قيمها التربوية أو التعليمية، أو فى مقاومة التَّسَرُّب من مصادر الإسلام الأساسية وهى: الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ، ومن المراجع الإسلامية الموثقة وهى سير الصحابة رضوان الله عليهم وسير التابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون، ومن سير المصلحين المجددين لأمور الدين خلال القرون.

وهذا ما يجب أن يراعيه ويلتزم به واضعو المنهج المدرسى والقائمون على التعليم فى كل بلد إسلامى - كما سنوضح ذلك عند حديثنا عن المنهج - فى الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا الكتاب إذا أذن الله تعالى وأعان.

● أما واجب المدرسة الأول وهو: التربية، فهم أهم وأعم واجباتها، أو وظائفها.

ومع سعة مفهوم التربية، ومع تعدد مفرداتها، فإننى ألتزم بان أصفها بانها تربية إسلامية

فى كل مدخلاتها ومخرجاتها، لأنها وحدها القادرة على أن تستجيب لتحقيق حاجات الإنسان كلها الروحية والعقلية والعلمية والاجتماعية عمومًا.

● ومن المسلَّمات لدى المسلمين – بل لدى بعض العلماء من غير المسلمين – أن الإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها، أى طبيعتهم الإنسانية وما لها من حاجات، يستطيع الإسلام أن يستجيب لها فيحقق لها جميع حاجاتها فى توازن وانسجام بين مطالب الروح والجسد والعقل، عندما يتبع الإنسان منهج الإسلام وشريعته.

وقد فهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٣٠].

إن دين الإسلام عاطفة فى الروح لا تخبو ولا تتبدل، بل تظل دائمًا فى شوق إلى التدين وتعلق بالديان سبحانه وتعالى، وتلك العاطفة تستدعى بل تحرص على معتقدات وعبادات ومعاملات تتوافق مع العقل والعلم، وتبتعد كثيرًا عن الهوى والجهل، لأنها مطالب الروح التى هى أصلاً نفخة من روح الله تعالى.

ومعنى ذلك بعد التأمل والتدبر؛ أن كل هدًى وكل خير، وكل علم، وكل رُقى وتوجُّه نحو الأحسن والأفضل، لابد أن يكون نابعًا من هذه الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهى التعلق بالدين القيم.

كما أن كل ضلال وكل شر، وكل جهل، وكل تخلف وكل ركون إلى ما هو دنىء، كل ذلك مضاد لدين الفطرة لأنه الدين القيم.

هكذا أراد الله تعالى للدين الخاتم أن يكون الدين القيم دين الفطرة، فالبشرية كلها فى حاجة إليه، ولن تجد بديلاً عنه ما دامت تحيا على هذه الأرض.

● أما مفردات التربية الإسلامية التى يجب أن تتبناها المدرسة الإسلامية وتربى عليها المتعلمين فهى فى مجملها ثلاثة وفى تفصيلها ما لا يحصى من كل ما يجلب للإنسان خيرًا أو يدفع عنه شرًا.

أما مجملها فشعبها الثلاث هى:

– العقيدة الصحيحة فى الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ثم تمتد فتشمل العقيدة الصحيحة فى الإنسان وفى الكون كله وفى الشيطان على وجه الخصوص بوصفه الموسوس بالشر المزين للكفر والفسوق والعصيان.

- والعبادة الصحيحة لله تعالى وحده من خلال ما شرع من عبادات كالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر ما فرض الله على عباده من فرائض، وسائر ما شرع لهم من نوافل وقُرُبات.
- والأخلاق والقيم الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وفى مقدمتها العدل والإحسان والشورى والجهاد فى سبيل الله بوصفه خلقًا إسلاميًا ملازمًا لكل مسلم، ثم سائر شعب الإيمان البضع والسبعين. مع اجتناب الكبائر وكل ما نهى الله عنه، وكل تمسك بهذه القيم الخلقية عبادة.

● أما تفصيل هذه التربية الإسلامية وأنواعها فأكثر من أن تحصى فى هذا الكتاب؛ لأنها تتناول جميع الجوانب فى حياة المسلم وفى شخصيته، تلك الجوانب التى تجعل منه إنسانًا صالحًا قادرًا على ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة، ومن هذه المفردات:

- التربية الدينية عمومًا.
- والتربية الإسلامية خصوصًا.
- والتربية الروحية.
- والتربية الخلقية.
- والتربية العقلية.
- والتربية الجسدية.
- والتربية الرياضية.
- والتربية الاجتماعية.
- والتربية السياسية.
- والتربية الاقتصادية.
- والتربية الجمالية.
- والتربية الفنية الحرفية التى تعبر عن الجمال.
- والتربية المهنية التى تستجيب لمطالب الحياة الإنسانية.
- والتربية البيئية.

- والتربية الوطنية.

- والتربية العربية.

- والتربية السكانية.

- والتربية الأسرية العائلية.

وغير ذلك من أنواع التربية العديدة التى تشتمل عليها التربية الإسلامية بوصفها على أكبر مستوى من السعة والشمول.

● وكل واحد من هذه الأنواع من التربية هو واجب المدرسة الأساسية تربى أبناءها عليه، ولا يغادرها المتعلم إلا وقد زُوِّد بها، بأهدافها وأبعادها ووسائلها، لأن ذلك أمر بالغ الأهمية ينبغى أن تضمنه مناهج المدرسة وأن يتبناه ويعمل على تأكيده مدرسوها وإدارتها.

كل ذلك يؤكد خطورة العمل التربوى الذى تضطلع به المدرسة الإسلامية الأساسية.

● وأما واجب المدرسة الأساسية الإسلامية الثانى وهو: التعليم، فقد تحدثنا عنه آنفا، ونضيف إليه هنا:

أن المدرسة الأساسية عليها عبء ضخم يتمثل فى عدد من الأهداف التعليمية، ومن ذلك:

- تعليم القراءة والكتابة أى محو أمية المتعلمين وإجادتهم الخط العربى، وكان هذا الهدف أول الأهداف لأنه باب تتحقق من خلاله سائر الأهداف إذ هو مفتاح المعرفة الإنسانية والطريق إلى العلم.

- وتعليم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً، مع حفظ ما تيسر للمتعلم منه، ومع فهم ما يحفظ، فهماً مبسطاً.

- وتعليم السنة النبوية المطهرة، مع استظهار عدد مناسب لعمر التلميذ من هذه الأحاديث الشريفة وفهمها.

- وتعليم مبادئ العلوم - الفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان - مع تبسيطها بما يلائم أعمارهم، وبحيث تنمو هذه المبادئ معهم إلى نهاية المرحلة، وبحيث تصلح للبناء عليها فى المرحلة التالية.

- وتعليم التاريخ المبسط، تاريخ الإسلام وتاريخ الوطن المحلى وتاريخ الوطن العربى، ونبذة يسيرة عن تاريخ الوطن الإسلامى.

- وتعليم مبادئ الجغرافيا بدءاً بالوطن المحلى ثم الوطن العربى ثم الوطن الإسلامى.

- وتعليم مبادئ بعض الحرف والأعمال اليدوية البسيطة التى تلائم البنين فى مدارسهم وتناسب البنات فى مدارسهن.
- وتعليم مبادئ علم الحاسب الآلى.
- وتعليم مبادئ الزراعة.
- وتعليم النظافة عمومًا فى المآكل والمشرب والملبس، والمكان الذى يرتاده.
- وتعليم النظام والترتيب ومبادئ الأولويات.
- وتعليم آداب الطعام، وآداب الكلام والمحادثة، وآداب الاستماع والحوار.
- وتعليم آداب السلوك فى البيت وفى المدرسة وفى المسجد وفى الشارع، وفى كل مجتمع يفد إليه الإنسان.
- وتعليم آداب عيادة المريض.
- وتعليم آداب الصداقة والأخوة فى الله.
- وتعليم التعاون على فعل الخير، ورفض التعاون على فعل الشر وما يؤذى أى إنسان.
- وتعليم بر الوالدين، واحترام الكبار.
- وتعليم حب الناس والأوطان على مستوياتها التى تهم المسلم وهى الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى.
- وتعليم الصبر وعدم التسرع.
- وتعليم الإخلاص وإجادة العمل، والإقبال عليه وحبه .

وما لا أحصى الآن من أنواع التعليم المنوط بالمدرسة الأساسية الذى لا تنفك عن أدائه ولا تتساهل فيه؛ لأنها تضع بذلك هذه الأسس التعليمية فى نفوس التلاميذ منذ هذه السن الباكرة فى أعمارهم ليشبوا عليها.

● وأما واجب المدرسية الأساسية الثالث فهو: عملها الدائب بوسائل عديدة لمقاومة تسرب التلاميذ من المدرسة قبل أن ينهوا مرحلتها بنجاح، أى أن تحتفظ المدرسة بمن تربيه وتعلمه حتى ينهى تعلمه فيها ويحصل منها على كل ما ذكرنا من أنواع التربية وأنواع التعليم.

وإنما كان ذلك واجب المدرسة - بعد أن كان واجب البيت والمسجد - لأن انقطاع التلميذ عن المدرسة يضر بالمدرسة أولا وبالتربية والتعليم والأسرة والمجتمع كله، لأن المتسرب من المرحلة الأساسية غالبًا ما يتسرب وهو لا يزال أميًا لا يعرف القراءة والكتابة، وفى ذلك حرمان له من كثير من النعم التى يجنى ثمرتها المتعلمون، كما أنه عبء على الأسرة وعلى المجتمع وعلى الوطن كله.

على أن التسرب من المدرسة كثيراً ما يفضى بالمتسرب إلى الانحراف السلوكى أولا ثم مقارفة الجريمة.. حيث لا يردعه عن ذلك علم ولا معرفة.

● ويُعَد التسرب عن المدرسة الأساسية إحدى مشكلات التعليم فى أى وطن من الأوطان.

ولهذا التسرب أسباب عديدة نذكر منها:

- الفقر، واحتياج الأسرة إلى الأبناء والبنات للعمل ومساعدة الأسرة فى تكاليف المعيشة.
- والرغبة لدى كثير من الأسر فى تزويج البنات صغيرات لأسباب اجتماعية وأخرى اقتصادية.
- وتفكك الأسرة بانفصال الزوجين، وترك الأبناء دون رعاية.
- ومنها النزاع المستمر بين الزوجين والامتناع عن الإنفاق على الأسرة.
- ومنها ضيق التلميذ بالمتعلم لقصور فى قدرته على المتابعة وعلى التحصيل.

● ومنها أسباب تعود إلى المدرسة نفسها، ومن ذلك:

- بعد المدرسة عن بيوت التلاميذ وفقد المواصلات الرخيصة الآمنة.
- ومنها بناء المدرسة السيئ الخالى من المرافق المدرسية ومن الملاعب ونحوها، فقد يكون البناء متهالكًا سيئ التهوية سيئ الوضع الجغرافى عمومًا.
- ومنها كثافة عدد التلاميذ فى الفصل الواحد مما يجعل الاستفادة من المدَرس منعدمة أو ضعيفة.
- ومنها سوء الخدمات التعليمية التى تقدمها المدرسة أو فقدها نهائيًا، مع سوء المقاعد وغيرها.
- ومنها سوء الكتاب وسوء المدرس وسوء المنهج وسوء العرض.

- ومنها سوء التقويم والاختبارات.

- ومنها سوء استغلال بعض المدرسين للتلاميذ بإكراههم على أداء خدمات شخصية لهم..

إلى ما لا نهاية له من أسباب تسرّب التلاميذ من المدرسة لسوء المدرسة.

● وواجب المدرسة أن تقاوم هذا التسرب بتلافى أسبابه المتعلقة بالمدرسة أولاً، ثم بما تستطيع أن تتلافاه من أسباب أخرى.

- إن على المدرسة أن تحبب أبناءها فيها بتجميل المدرسة وتنظيفها والاهتمام بمرافقها، وحسن تعامل المدرسة والمدرسين والعاملين فيها مع التلاميذ، ورعاية التلاميذ نفسيًا واجتماعيًا، وإشراك وليّ الأمر فى معرفة أسباب تسرب التلاميذ.

- وإن على المجتمع وهيئاته المدنية أن تسهم فى تحسين ظروف المدرسة ومدها بما تحتاج إليه.

- وإن على الحكومة ووزارات التربية أن تهتم بالمدرسة التى يتسرب منها التلاميذ، وأن تدرس أسباب هذا التسرب، ثم تتلافى هذه الأسباب.

● ومن الحقائق التى كثرت الكتابة فيها والتعليق عليها أن ربع سكان العالمين العربى والإسلامى فى المتوسط من الأميين كما تقول بذلك إحصائيات هيئة «اليونسكو» فى تقاريرها السنوية تقريباً.

وبعد: فهذه المدرسة الأساسية الإسلامية يجب أن يتم التعليم فيها لكل مواطن لأن التعليم من حقوقه الأساسية، حتى تزول عنه الأمية، وتتهيأ له فرص ممارسة عمل فى الحياة وقد تحصن بالقراءة والكتابة وتلك المبادئ العامة التى تعلمها فى المدرسة الأساسية.

● وحرص بعض الحكومات على أن يتم كل مواطن تعليمه فى المدرسة الأساسية دليل يقظتها وتنبهها من جانب، ودليل حرصها على أن يجد كل مواطن فرصته فى ممارسة الحياة العملية التى تعود عليه بما يوفر له عيشه.

● ولا نمل من تكرار قولنا: إن كل إنفاق على التعليم عمومًا وعلى هذه المرحلة بخصوصها، إنفاق يحسن حالها وأداءها وظروف المدرسين والعاملين فيها، هو خير استثمار للمال وحسن سياسة فى توظيفه، ولو وضع سلم لأولويات إنفاق الحكومات لكان فى مقدمته الإنفاق على التعليم، ما يشك فى صدق ذلك أحد من أهل العقل والحكمة والفهم.

٢- المدرسة الوسيطة:

وتسمى المدرسة المتوسطة أو الإعدادية أى التى تعد الدارس فيها إلى المرحلة التى تليها، والمدرسة الوسيطة تقبل الراغبين فى مواصلة التعليم بعد أن أنهوا المرحلة الأساسية، وهذه المدرسة توازيها متوسطة حرفية، ومتوسطة لأصحاب الإعاقات.

● ومدة الدراسة فى المتوسطة العامة ثلاث سنوات أو أربع حيث تتبين المصلحة العامة لدى القائمين على التعليم، ولهذه المدرسة المتوسطة العامة أهداف كثيرة كغيرها من المراحل[١] نشير فيها إلى:

الهدف التربوى:

ولكى يتحقق هذا الهدف فإن المدرسة ومنهجها ومدرسها وكتابها وإدارتها وكل ما فيها مطالبة بإعداد الدارس فيها أنواعًا من الإعداد أهمها:

- الإعداد الدينى المناسب لعمر المتعلم فيها.

- والإعداد الإسلامى: من خلال منهج جيد ومعلم يعطى من نفسه القدوة فى الالتزام بالإسلام علمًا وخلقًا.

ويتناول الإعداد الإسلامى أساسيات هى:

■ قدر ملائم من القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم، وتاريخ بعض المصلحين المجددين من المسلمين.

■ وبرنامج مناسب من فقه العقيدة وفقه العبادات وفقة المعاملات، لغرس يقين فى نفوسهم من تلك السن بأن الإسلام دين شامل ينظم كل ما له صلة بالإنسان.

- والإعداد الجسدى: من خلال منهج يعلمه الأخذ بأسباب قوة الجسد والبعد عن أسباب ضعفه، مع ثقافة غذائية وثقافة صحية، وممارسة للرياضة البدنية.

- والإعداد الخلقى: أى توجيه سلوك التلاميذ وتهذيب أخلاقهم إذ هم فى مرحلة عمرية لها أهميتها فى تكوين أخلاق الإنسان، وكلما كانت القيم الخلقية نابعة من القرآن

---

(١) التحديد لهذه الأهداف فى كل مرحلة منوط بجمع من العلماء والخبراء والميدانيين فى كل مرحلة تعليمية، وأنا هنا أسدد وأقارب ولا أدعى أن ما أقوله هو الرأى الأخير، على الرغم من أننى أمضيت فى ممارسة التعليم الثانوى والجامعى أكثر من خمسين عامًا، ولى بالتعليم تعلق كبير واهتمام شديد.

الكريم وسنة النبى ﷺ وسيرته كانت أحسن وأكمل وأنفع لمن يتخلق بها فى دنياه وآخرته.

- والإعداد العقلى: أى تزويد التلاميذ بالعلوم والمعارف التى تُنمى عقله، وتعلمه التفكير المنطقى المستقل، وإنما يكون ذلك من خلال منهج[1] لا تخلو مفرداته من:

- التربية الإسلامية.
- واللغة العربية.
- ولغة أجنبية - وإن كنت أرى تأخير تعليم اللغة الأجنبية إلى ما بعد هذه المرحلة، حتى لا تزاحم اللغة العربية.
- وما يراه واضعو المنهج - من علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء- ملائمًا لهذه المرحلة.
- وما يراه المختصون من منهج يختص بالعلوم الرياضية الذهنية.
- وقدر مناسب من التاريخ والجغرافيا والنظم الاجتماعية.
- ومنهج خاص بالتربية الجمالية والقدرات الفنية.
- وتدريبات عملية حرفية تلائم البنين، وأخرى تلائم البنات.

- والإعداد المهنى المحدود، لاحتمال أن يغادر التلميذ هذه المدرسة المتوسطة دون إكمال لتعليمه نظريًا فى المدرسة الثانوية أو عمليًا حرفيًا فى مدرسة حرفية تلى المتوسطة، واختيار هذه المهن الملائمة لكل من البنين والبنات.

وفى هذا الإعداد المهنى المحدود فائدة مزدوجة، حيث يستفيد من انقطع عن التعليم بعد هذه المرحلة فيجد فرصة للعمل ، ويستفيد الذين اتجهوا إلى التعليم الفنى، بأن يدرسوا فى المدرسة الفنية ما هم على علم محدود به.

- والأصل فى هذه المرحلة الوسيطة بنوعيها العامة والحرفية وسابقتها الأساسية أن تدخل فى دائرة الإلزام، أى تلتزم الدولة أن توفر التعليم فى هاتين المرحلتين لكل المواطنين دون مقابل مادى، باعتبار أن ذلك هو الحد الأدنى من التعليم، لكى يمارس المواطن حياته وقد حصل من التعليم ما لابد من تحصيله.

---

(١) أى منهج لأى مرحلة لابد أن يكون من وضع العلماء، والخبراء والتربويين كما ذكرنا ذلك آنفًا.

مشكلات فى المدرسة المتوسطة العامة

● والمدرسة المتوسطة أو الوسيطة أو الإعدادية فى دول العالمين العربى والإسلامى تعانى من عدد من المشكلات التى تحتاج إلى حلول ينبغى أن تتضافر حولها جهود العلماء والخبراء والمختصين، وسوف نضرب على ذلك بعض الأمثلة:

أ- بعض الطلاب غير مستعدين:

مشكلة إقبال الطلاب على هذه المرحلة دون أن يكون لديهم استعداد عقلى يمكنهم من مواصلة التعليم فى هذه المرحلة حتى نهايتها، لأسباب عديدة كقصوره العقلى، أو عدم رغبته فى تعليم أعلى، أو عدم تطلعه إلى التعليم الجامعى.

● وحَلُّ هذه المشكلة بأيدى العلماء والخبراء، لكنى أستطيع أن أقترح وجود مكتب لتوجيه الطلاب وإرشادهم والحوار معهم لمعرفة مدى استعدادهم لهذا النوع من التعليم، مع توجيه من يراه الخبراء إلى التعليم الحرفى كالصناعة والزراعة والتعدين والتجارة والفنون، مع الأخذ فى الاعتبار حاجة المجتمع وسوق العمل، لأن سوق العمل يوفر فرصًا للكسب والنضج الاقتصادى الذى يكفل لهذا القطاع من الناس أسلوب عيش لهم ولأسرهم.

– وهذا المكتب التوجيهى الإرشادى ضرورة تربوية تعليمية فى كل مرحلة من مراحل التعليم، حتى لا تهدر من أعمار التلاميذ سنوات، وحتى لا تضيع على المجتمع فرص عمل وتنمية، وبالتالى خسائر اقتصادية ليست بالقليلة، فضلاً عن حرمان المجتمع من طاقات عاملة مؤهلة علميًا وفنيًا ومهاريًا.

ب- بعض الطلاب يتكرر رسوبهم:

ومشكلة تكرر الرسوب من بعض الطلاب، لأسباب متعددة موجودة فعلاً مثل:

– صعوبة المقررات الدراسية التى يدرسها الطالب فى هذه المرحلة لسبب غير قدرته على الاستيعاب، لما يحيط به من مشكلات أسرية كالفقر، وضيق المسكن، وأمية الأبوين، وعدم تشجيعهما للابن أو البنت على المضى فى الدراسة.

وربما تكون صعوبة هذه المقررات الدراسية راجعة إلى المدرس أو الكتاب أو الإدارة المدرسية التى قد ترهب الطالب وتعاقبه عقابًا علنيًا أو بدنيًّا أمام زملائه، مما يولد عند

الطالب كراهية أو عزوفًا عن المتابعة والانتباه لما يقوله المدرس، ورفضًا للتجاوب معه أو محاولة استيعابه.

- وحَلُّ هذه المشكلة - فى تصورى - أن يُراجع «الملفَّ» الخاص بالطالب مراجعة دقيقة عند تقدمه للمدرسة لتكون على علم بظروفه العائلية بدقة، وأن توجهه إلى التعامل مع هذه الظروف وتقبلها، أو أن تحوله إلى نوع آخر من التعليم يوائم ظروفه وإمكانياته(١).

كما أن من الحل أن تراجع المدرسة ظروف المدرسين والكتب والمقرر الدراسى، والمناهج كلها، ومرافق المدرسة، ومدى ما يمكن أى تتسبب فيه هذه الظروف من مشكلات ليس أصعبها الرسوب أو تكرّره، بل ربما تسببت هذه الظروف فيما هو أصعب.

كما يلام الأخصائى الاجتماعى، ومكتب التوجيه والإرشاد المدرسى، كما يُلام الحىّ الذى أقيمت فيه هذه المدرسة، ثم وزارة التربية والتعليم.

جـ- وبعض الطلاب يتسربون منها:

وقد أشرنا فيما سلف إلى أسباب هذا التسرّب، وأوضحنا أن التسرّب من التعليم خسارة للطالب وللمدرسة، ولأسرة الطالب وللمجتمع كله.

وقد تحدثنا آنفًا عن صورة من صور علاج التسرّب وفصلنا فيها القول، ولكنى أضيف هنا حَلاًّ آخر هو: إحكام الرابطة بين الأسرة والمدرسة من خلال زيارات متبادلة بينهما، تزيد كلاًّ منها معرفة بالطرف الآخر على الطبيعة التى تعيشها الأسرة والطبيعة التى تكون عليها المدرسة، وإحداث تعاون وثيق بين الأسرة والمدرسة إذ يستطيع كل طرف منهما أن يسهم فى حل مشكلة لدى الطرف الآخر، فكم من ولى أمر لطالب يستطيع أن يعين المدرسة ويذلل من أمامها بعض العقبات، وكَم من مدرسة تستطيع أن تحل مشكلة طالب وأسرته وتحول بينه وبين أن يتسرب من التعليم.

---

(١) أما أن تتجاهل المدرسة واجبها هذا فلابد أن يحدث الخلل للطالب ولذويه وللمجتمع، وهنا نذكر بما حدث فى مصر فى بداية العام الدراسى ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م من أن أحد الأباء وجد نفسه عاجزًا عن تأمين احتياجات ابنائه المادية لمواجهة ما تطلبه المدرسة فانتحر دون أن يفكر فى مصير أبنائه، وكتبت الصحف ذلك ووجهت اللوم إلى الناس فى التخلى عن هذا الأب. ولكنى الوم المدرسة لأنها تعرف ظروف الطالب ولديها أخصائى اجتماعى، وكان فى وسعها أن تفعل الكثير مما يخفف عن هذا الأب وأمثاله بعض أعبائهم.

أما ما هو واقع فى معظم بلدان العالمين العربى والإسلامى من قصور فى النظر إلى وظيفة المدرسة ووظيفة الأسرة، فهو أمر عزل المدرسة عن البيت وباعد بين البيت والمدرسة.

وهذا العزل بين مؤسستين حيويتين فى حياة الطالب خطر أدى إليه - فى تصورى - أن الحكومة أو الوزارة تعتبر المدرسة مسئوليتها وحدها، ولا تستسيغ أن يشاركها أحد هذه المسئولية حتى لو كان ولى أمر أحد طلابها أو طالباتها، بل إن التدخل فى شئون المدرسة واقتراح بعض الحلول لمشكلاتها أو نقد أمر من أمورها يعد - فى أنظمة الحكم الشمولية الظالمة -اعتراضًا على نظام الحكم الذى لا يخطئ ولا يقصر ولا يقبل الرأى الآخر، وإنما يدينه ويحاسبه ويضطهده فى عمله ورزقه إذ كيف يتجرأ على نقد سياسة الوزارة فى التعليم؟ حتى لو كان الناقد مدرسًا أبًا لتلميذ أو مفكرًا أو عالمًا أبًا لتلميذ!!!

ولقد غرقت كثير من بلدان العالمين العربى والإسلامى فى أنظمة حكم شمولى مستبد يعتبر نقد أى مسئول عن عمل نقدًا للوزارة وللحكام وللنظام، وليس جزاء ذلك إلا الاضطهاد والفصل من العمل ومصادرة الأملاك والاعتقال والسجن والمحاكمات العسكرية!!!

وليس فيما قلت مبالغة أو تهويل، فلا تزال سجون كثير من بلدان العالمين العربى والإسلامى مكتظة بسجناء الرأى ولا زالت فاغرة فاها، ولسان حالها يقول: هل من مزيد. والعجيب أن بعض هذه البلدان تمارس فى مواطنيها القهر والإذلال ولا تتوقف - من خلال أذنابها والمنتفعين بظلمها وكتابها الذين عينتهم كتَّابًا وسلمتهم صحفًا ومجلات وأجهزة إعلام - لا تتوقف عن ادعاء الحرية والديمقراطية والرفاهية والعدل وتعدد الأحزاب وإطلاق حرية الصحافة!!!

إن المدرسة فى ظل هذه الأنظمة الشمولية الحاكمة إحدى مؤسسات الدولة لا يجوز نقدها ولا تقديم مقترحات بعلاج مشكلاتها، وحسب هذه المدارس نجاحًا وفلاحًا وممارسة للديمقراطية أن فيها مجالس آباء ومعلمين، مسجلة على أوراق لا يدرى فيها الآباء عن المدرسة شيئًا ولا تدرى فيها المدرسة عن البيوت شيئًا، ولو درى البيت عن المدرسة شيئًا لا يجرؤ أن يتكلم فضلاً عن أن يفعل شيئًا وإلا انبرى له الوزير أو الحاكم بتصنيفه ثورة مضادة للتقدم والرقى!!! ومن المعلوم فى أنظمة الحكم الشمولية بالضرورة مصير أعضاء الثورة المضادة!!!

إن مجالس الآباء والمعلمين حبر على ورق، وكان فى الإمكان أن تكون حلا لمشكلة أو أكثر من المشكلات التى تثقل بها المدرسة فى أنظمة الحكم الشمولى الراسخ فى العالمين العربى والإسلامى.

إن المدرسة فى هذه الأنظمة تعانى من عديد من المشكلات التى لا تجد حَلاًّ، ولو أرخت تلك الحكومات قبضتها عن المدرسة وعن أن يكون كل شئ فى المجتمع «تحت السيطرة» -كما يقولون - لأسهم كثير من القادرين على حل مشكلات المدرسة، بل مشكلات كثير من المؤسسات الحكومية، ولكن هيهات مع حكام ملهمين لا يخطئون ويفديهم الناس دائمًا بالروح والدم حتى تقع أوطانهم فى احتلال أجنبى يقضى على الحكام والمحكومين على السواء.

إن المدرسة فى المجتمع لا تقل أهمية، بل تزيد أهمية عن أى مؤسسة حكومية، لأنها التى تمد سائر المؤسسات باحتياجاتها البشرية المتعلمة المدربة، ولو تركت دون أن تكون تحت السيطرة لابدع القادرون على مدها بما تحتاج إليه، وذلك أن فئات المجتمع جميعًا من شركات ومصارف وتجار وعلماء ووجهاء، ونقابات وأحزاب وجمعيات أهلية مدنية وغيرها، كل أولئك يمكن أن يقدموا يد العون والتسديد للمدرسة لأنهم جميعًا فى حاجة إلى أبناء هذه المدرسة ولأنهم جميعًا آباء لطلاب يتعلمون فى المدرسة، والمهم فى تحقيق ذلك - فى تصورى - شرطان:

أحدهما: ألا يكون نقد المدرسة أو غيرها من مؤسسات الدولة جريمة وعدوانًا على الوزير أو الحاكم الملهم.

والآخر: أن تخرج المدرسة من دائرة أن تكون: تحت السيطرة.

- وما دامت المدرسة إسلامية، فإن الإسلام قد أوجب عليها أن تسهم ما وسعها فى حل مشكلات المجتمع، ومنها المشكلات التى تتصل بالطلاب وبالمدرسة نفسها.
- وما دام المجتمع مسلمًا، فإن الإسلام أوجب على فئاته جميعًا أن تسهم ما وسعها فى حل مشكلات المجتمع أيضًا وفى مقدمتها المدرسة.

أليس الإسلام قد أوجب التعاون على البر والتقوى؟ وأليس الرسول ﷺ قد أقرّ بل أمر فى عدد من الأحاديث الشريفة بقيم خلقية عديدة كالبر والعون والإغاثة والنجدة والإيجابية والإصلاح والسعى فى إزالة حاجات الناس.

وأخيراً أقول : إن المدرسة كالمسجد فى وجوب العناية بها وإزالة المعوقات من طريقها لكى تتمكن من أداء وظيفتها التى لا تقل أهمية عن وظيفة المسجد، بل تساويها، فكل منهما يربى من يرتاده؛ المسجد بالعبادة والمدرسة بالتعليم، وواجب المسلمين نحو المسجد موازٍ لواجبهم نحو المدرسة إن فقهوا.

وإلى الحديث عن مدرسة متوسطة أو ثانوية موازية للمدرسة المتوسطة العامة، ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

٣- المدرسة الحرفية أو الفنية:

وهى مدرسة قد تكون متوسطة أو ثانوية[١]، تعنى بتعليم الحرف والمهارات والفنون، وكل ما من شأنه أن يسمى صناعة يدوية أو حرفة، يحترفها صاحبها فيمارس باحترافها عملاً يكفى مطالبه المعيشية.

والحرفة قد ينظر إليها بعض الغافلين على أنها عمل قليل الشأن، وذلك من الخطأ العام فى فهم الحياة، ومن الخطأ فى فهم الإسلام، لما ورد فى السنة النبوية من أن الأنبياء جميعًا - وهم صفوة خلق الله - كانوا أهل حرف وبخاصة أولواالعزم منهم، وكانت حرفة خاتمهم ﷺ رعى الأغنام.

والتعليم الحرفى أو المهنى فى المجتمعات العربية والإسلامية المصنفة فى دول العالم الثالث أو النامى أو الفقير، يعد ذا أهمية اقتصادية، إذ به يبلغ المتعلم درجة النضج الاقتصادى فيتحول من عالة على أهله وذويه إلى صاحب حرفة مستقل بذاته، ثم يكون أسرة فيصبح عائلاً لغيره، فهذا التعليم أو تلك المدرسة التى تعلم الحرف تسهم فى حل كثير من المشكلات الاقتصادية.

- **هذه المدرسة الحرفية يجب أن تكون موازية ومواكبة للمدرستين العامتين المتوسطة والثانوية؛ لأنها بما تعلمه تفتح أبوابًا للرزق، فهى بذلك جزء رئيس من الاقتصاد القومى** من عدة جوانب:

أولها: إعداد القوى البشرية المدربة على العمل.

---

(١) ومن الممكن المفيد أن تكون المدرسة الحرفية فى المرحلة الأساسية أو الابتدائية بحيث تجمع بين التعليم الأساسى وتعلم بعض الحرف لاحتمال أن ينقطع المتعلم عن التعليم بعد المرحلة الابتدائية، فيكون قد تعلم بعض الحرف التى يمكن أن يمارسها ليعيش.

وثانيها: الإسراع بقطاع كبير من قوى المجتمع ببلوغ مرحلة النضج الاقتصادى.

وثالثها: الاستجابة لحاجات المجتمع الحرفية والمهنية، مما يعمل على تنمية المجتمع والسير به نحو التقدم.

ورابعها: احترام الحرفة والمحترفين بتعلمها فى مدارس وبمناهج علمية، وعلى أيدى معلمين مختصين، مما يرفع من شأن الحرفة والمحترفين(١).

● وما من دولة إلا وتضع فى اعتبارها وتخطيطها أن تعتمد على المؤسسات التعليمية فى توفير الأيدى العاملة المدربة اللازمة للعمل وللتنمية .

والعالم الثالث عمومًا، والعالم الإسلامى خصوصًا، والعالم العربى على وجه أخص، يعانى من خلل فى الجانب الهيكلى من العمالة، لأن هناك نقصًا حقيقيًا فى هذه العمالة المتعلمة المدربة، وهذا النقص أو القصور يعوق تنفيذ أى خطة للتنمية وللتقدم والنهوض.

● ومن أجل أن العامل الفنى الذى يحتاجه العمل فى أى مجتمع ليس على مستوى واحد من الحرفية والمهارة، كان على المدرسة أن تلبى هذه الحاجة، فتخرج نوعين أو مستويين من العمال وأصحاب الحرف:

أحدهما: العامل الماهر فى حرفته ليتلقفه من يريد عاملاً ماهرًا، ويتخرج هذا العامل من المدرسة الحرفية المتوسطة.

والآخر: العامل الأكثر مهارة الذى يحتاجه العمل الأكثر حرفية وإتقانًا، ويتخرج هذا العامل من المدرسة الحرفية الثانوية.

● ومما تجدر ملاحظته والعمل على الاستجابة له، أن كل حرفة يتطلب السوق عمالا فيها، يجب على المدرسة الحرفية بمستوييها أن تعمل على توفيره فى سوق العمل، وبخاصة ما يستجد من حرف يقتضيها التطور المستمر فى متطلبات العلم والتقنية، وعلى سبيل المثال، فلابد من حرفة الحاسب الألى تشغيلاً وإصلاحًا وصيانة، لابد من أكثر من حرفة جديدة فى مجال الهاتف المحمول إصلاحًا وإنتاجًا، وغير ذلك مما يستجد من حرف.

---

(١) كانت تعلم الحرف قبل انتشار المدارس على يد عامل لا يشترط أن يكون متعلمًا، وهذا العامل يعلم أحد الصغار ويسميه صبيًا، ولا يشترط أن يجيد الصبى الحرفة إلا إن كان هو راغبًا فى ذلك.

● المدرسة والوزارة والحكومة مطالبة بألا تتجمد على تعليم حرف بعينها والتدريب على ممارستها، وإنما يجب أن يكون لديها من المرونة ما يجعلها تستجيب لكل هذه المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية، وإلا عزلت نفسها عن وظيفتها فى المجتمع.

والوزارة المختصة بالتعليم والحكومة كلها مطالبة بأن توفر للمدرسة من الإمكانات المادية والبشرية ما يمكنها من أداء وظيفتها فى المجتمع الذى يتطور باستمرار، فتزيد حاجاته على الدوام، ويجد المؤسسة التى تستجيب لتحقيق هذه الحاجات.

● ومن بُعد النظر فى السياسة التعليمية، والتخطيط التربوى الناجح ذى الكفاءة والفعالية؛ ألا تكتفى مرحلة من مراحل التعليم بأن تكون مرحلة نهائية، وإنما يجب أن توضع السياسة والخطة بحيث تنفتح كل مرحلة بعد الانتهاء منها إلى مرحلة تليها تلبى احتياجات الراغب فى الاستزادة من العلم أو المهارة، لأن الاحتياجات إلى المستويات الأعلى من العلم والمهارة الفنية فى ازدياء واطراد، والإنسان ذو طموح فى المكانة العلمية والمهارية والمادية؛ فلماذا نقفل فى وجهه الأبواب؟

إن تلك المرونة فى نهايات المراحل وبدايات المراحل التى تليها لها من الفوائد ما لا حصر له، إذ فيها فائدة علمية بمواصلة طلب العلم، وفائدة نفسية لإرضائها طموح الطامحين، وفائدة اجتماعية بتعدد مراحل التعليم وقدرتها على الاستجابة لكل مطالب المجتمع، وفائدة اقتصادية بتوفير العامل الماهر وتوفير فرصة العمل له، وكل ذلك يفضى إلى حياة اقتصادية جيدة.

إن هذه المرونة فى التعليم تعود على المجتمع كله بالاستقرار ووفرة الإنتاج وجودته، ونمو الحياة وتقدمها فى مجال النهضة.

المنهج فى المدرسة الحرفية الفنية:

● ولابد من كلمة عن منهج المدرسة الحرفية المهنية الفنية[1] الذى هو أصلاً عمل المختصين، ولكنى أشير هنا إلى ضرورة إيجاد نوعين من الدروس فى كل المدارس الفنية متوسطة أو ثانوية.

---

(١) سبق أن قلنا إن وضع المناهج لكل مرحلة من مراحل التعليم هو عمل الخبراء والعلماء والمختصين، ولكنى هنا أذكر ببعض الإرشادات.

النوع الأول: دروس هدفها العلم والخلق والثقافة.

النوع الثاني : دروس هدفها الحرفة والمهارة والفنّ.

– أما الدروس العلمية الخلقية الثقافية فاذكّر أهل الاختصاص بأنها يجب أن تشتمل على دراسة للدين الإسلامي تلائم أعمار هؤلاء المتعلمين، وما تطلبه حرفهم ومهنهم من علم بهذا الدين، ودراسة للغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ودراسة للتاريخ والجغرافيا إسلاميًا وعربيًا ووطنيًا، ودراسة ملائمة للحضارة الإسلامية.

والجانب الخلقي من هذه الدروس ينبغي أن يقوم على القيم الخلقية المستفادة من الكتاب والسنة وسيرة النبي ﷺ، مع الحرص الشديد على أن تعطى المدرسة؛ إدارتها والمدرسون والعاملون فيها القدوة من أنفسهم في الالتزام بخلق الإسلام وقيمه ومبادئه.

والجانب العلمي من هذه الدروس أذكّر فيه باهتمام ملائم بعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء حيوانًا ونباتًا، وقدراً ملائمًا من الرياضيات ونحوها مما ليس منه بد ولا عنه استغناء(١).

– وأما الدروس العلمية الفنية أو المهارية؛ فهي متنوعة وقابلة لأن تتنوع أكثر وأكثر، حسب تنوع الحرفي والفنون التي يقتضيها تطور الحياة الإنسانية، وللبنين ما يناسبهم من تلك العلوم والفنون، وللبنات ما يناسبهن (الصناعة والزراعة، والتجارة، والفنون)، ولكل فرع من هذه الأفرع الأربعة مزيد من الفروع لكل فرع مما يعرفه ويعرف أهميته أهل الاختصاص، ويعرفون من هذه الفروع ما يلائم كل مرحلة من مراحل المدرسة الفنية الحرفية.

● ومما تتطلبه مصلحة الأبناء أن يظل باب الالتحاق بالمدرسة الفنية الحرفية بمستوييها مفتوحًا أمام الراغبين في الالتحاق من البنين والبنات دون قيود شديدة، حتى يكثر عدد المتعلمين في هذه المدارس عن عدد المتعلمين في المدرسة الثانوية المؤهلة للجامعة، لأن حاجة المجتمع إليهم أكبر وأشد، مع الأخذ في الاعتبار عند قبولهم سد حاجات المجتمع واحتياجات السوق.

● ومما هو جدير بأن يلحظ – كذلك – أن بعض الطلاب يحجمون عن التعليم في هذا

(١) يترك اختيار ذلك للعلماء والخبراء وأهل الاختصاص.

النوع الفنى الحرفى من التعليم، ولهم فى ذلك الحق كله لكن بشرط أن يكونوا مؤهلين للتعليم الثانوى المؤهل للجامعة.

على أن اعتباراً آخر يجب أن يوضع فى الحسبان وهو أن أعداداً كبيرة من الطلاب والطالبات لا تسعفهم الظروف للالتحاق بالمرحلة الثانوية العامة المؤهلة للجامعة، وعندئذ فلابد من اهتمام مناسب للذين توجهوا إلى التعليم الفنى، يتمثل هذا الاهتمام فى مساندة الجرعة العلمية والثقافية للعلوم والفنون التى يدرسونها، حتى يقبل عليهم من المؤسسات والشركات وغيرهما ممن يبحثون عن عمالة ماهرة مثقفة متدينة، فيجدلونهم على المستوى الذى يريدون فيروجون لديهم، كما يروج ويحسن إنتاجهم، وكل ذلك فى صالح الفرد والأسرة والمؤسسة والمجتمع.

- إن فلسفة التربية تعترف بأن المجتمع طبقات، وهى فى اعترافها هذا تؤكد ما قرره الإسلام من أن الناس منهم الفقراء والأغنياء، والله تعالى جعلهم درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريًا، فيستفيد المسخِّر والمُسخَّر ويتبادل الناس المنافع الدنيوية، ثم تأتى الزكاة لتعالج من لم يجدوا عملاً من فقراء ومساكين والغارمين وغيرهم من مصارف الزكاة الثمانية، ثم تأتى صدقة التطوع لتسد بعض الثغرات التى لم تستوعبها أموال الزكاة المفروضة فى تناغم إنسانى ما عرفت له البشرية نظيراً.

- ومن المسلَّم به بل المؤكد أنه لا يصح أن يصبح أبناء الوطن جميعاً من المتخرجين فى الجامعات فإن فى ذلك أضراراً عديدة أهمها: كثرة العاطلين من المتخرجين فى الجامعة ممن لم يستوعبهم العمل، وعجز المجتمع عن أن يجد من العمال والحرفيين المهرة من يفى بسد احتياجات المجتمع.

ولو تدبر بعض الراغبين فى الالتحاق بالجامعة شأن من سبقوهم فى هذا المجال فعضتهم البطالة بأنيابها لعدم الحاجة إليهم، فقبلوا العمل فى أعمال لا تناسب مؤهلاتهم الجامعية، فكانوا عبئًا على العمل وعلى ظروفهم النفسية والاجتماعية، لو تدبروا ذلك لعلموا أن التعلق بالجامعة ليس هو الطريق الصحيح إلا لفئة قليلة من الناس، ولاهتدوا إلى ما فيه خيرهم وخير أوطانهم.

وهذه أمور إذا وضعت فى الاعتبار تجعل المدارس كلها وهى تمارس وظيفتها تستشرف المواقع التى سيعمل فيها المتخرجون، حتى تعدهم الإعداد الذى تحتاجه تلك المواقع ليؤدوا فيها أحسن أداء.

بل إن الجامعات بكل كلياتها عليها أن تنظر إلى المواقع التى سوف يعمل فيها المتخرجون فيها لتقوم من أجل ذلك بعملين جليلين:

أولهما: وضع سياسة القبول فيها، حتى لا يتخرج فيها من لا يجد مجالاً للعمل.

والآخر: النظر فى مناهجها حتى تستجيب لما تطلبه هذه المواقع من خبرات.

- ومن المقترحات الهامة فى التعليم الفنى متوسطًا كان أو ثانويًا:

– أن يعاد النظر فى المناهج فى ضوء احتياجات المجتمع، ليحدث التوافق بين ما تدرسه المدرسة وما يحتاجه المجتمع، ولا بد من الاستجابة لهذا بتعديل المناهج بالحذف والإضافة، لأن ذلك مطلب تعليمى هام مثل كونه مطلبًا اجتماعيًا واقتصاديًا، لا يجوز تجاهله لأن المدرسة بجميع مستوياتها لا بد أن تكون فى خدمة المجتمع.

– وأن تضع وزارات التعليم خطة لتحويل بعض المدارس الفنية متوسطة أو ثانوية إلى أن تكون بالإضافة إلى عملها التعليمى وحدة إنتاج لبعض السلع التى يحتاج إليها المجتمع، بمدِّ هذه المدرسة بكل ما تحتاج إليه وحدة الإنتاج من طاقات بشرية وآليات وموارد مالية وغيرها.

وفى تحويل بعض هذه المدارس أو جميعها إلى الإنتاج مع التعليم فوائد عديدة، تعود على المتعلم وعلى المدرسة وعلى المجتمع، ومن تلك الفوائد:

- إسهام المدرسة فى الإنتاج لعديد من السلع مما يؤدى إلى كثرة المعروض منها لينخفض سعرها.
- وحصول المدرسة على أرباح تحسن بها أداءها وتكافئ منها العاملين فيها.
- وإسهام المدرسة الفنية فى تحقيق الكفاية الإنتاجية لحاجيات المجتمع، مما يغنى– إذا روعيت الجودة – عن الاستيراد ومشكلاته.
- وإعطاء الطلاب ثقة فى أنفسهم وهم يرون ما ينتجون من سلع قد دخل الأسواق وراج.
- والتزود بخبرات فى معرفة احتياجات السوق نوعيًا وكميًا من السلع، حتى لا يتكدس الإنتاج دون طلب.

– إن المدرسة الفنية متوسطة أو ثانوية تستطيع أن تكون إلى جوار أنها مؤسسة تعليمية مؤسسة إنتاجية تسهم فى بناء اقتصادى يدعم سائر المؤسسات الاقتصادية فى المجتمع.

نظرة واقتراح:

أما النظرة فهى إلى واقع المدرسة الحرفية الفنية متوسطة أو ثانوية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى عمومًا والعالم العربى خصوصًا، وهو واقع يؤخذ عليه عدد من المآخذ، منها:

– النظرة إلى هذا النوع من التعليم نظرة دونية، كأن الذى التحق بهذا التعليم قد خانه الحظ ووقع فى مأزق!!! وهذه النظرة غير صحيحة، وقد أدَّتْ إليها أخطاء عديدة من المجتمع ونظمه، وسوء حكمه على الناس والأشياء كما أدى إليها سوء فهم الناس لهذه المدرسة، وسوء تقديرهم لما تقدمه المدرسة للمجتمع من خدمات.

– وانحصار هذا التعليم الحرفى أو الفنى تحت أنواع ثلاثة من المدارس هى:

- المدارس الصناعية.
- والمدارس الزراعية.
- والمدارس التجارية.

وربما كان هذا النوع كافيًا على وجه الإجمال، لاندراج فروع كثيرة تحت كل نوع منها، لكن الواقع يكذب هذا التنوع والدليل على ذلك أن عديداً من الصناعات لا تزال تعلم بعيداً عن المدرسة.

والاقتراح:

أن تستوعب مدارس الصناعات كل أنواع الصناعات اللازمة للمجتمع فى ضرورياته وكمالياته بل وترفيهاته، وأن تتنوع فى المدرسة الصناعات وتتعَدَّد فتشمل تغطية الاحتياجات فى كل المجالات، وأن يكون فيها قسم لكل صناعة مهما بدت صغيرة أو كمالية أو ترفيهية، وشعار «من المحيط إلى الصاروخ» الذى أطلقه أصحاب الدجل السياسى، يجب أن يخرج إلى مجال التنفيذ، لأن نظرة خاطفة إلى ما تصدره لنا الصين فى مطلع القرن الواحد والعشرين من تنوع ضخم للسلع بمختلف احتياجاتنا إليها ضرورة وكمالية وترفيهية، تؤكد لنا أن هذا الشعار دجل سياسى لم بر النور ولا تحقق منه إلا القليل!!!.

– إن العلماء والخبراء والمختصين عليهم أن يحصوا بدقة عدد المصنوعات التى ترد إلينا من الخارج، ليعملوا على إنشاء قسم لكل صناعة منها فى تلك المدارس الصناعية، بالغًا ما بلغ عدد هذه الأقسام.

– وإن إغفال هذا التنوع الشديد فى هذه الصناعات لهو فى الواقع تجاهل خطير ممن يضع سياسة التعليم الفنى، وتقصير شديد من الوزارة التى تشرف على التعليم إن هى بخلت على المدرسة الصناعية بالأموال التى تمكنها من استيعاب جميع الصناعات اللازمة فى المجتمع، إن هذا الإغفال، وذاك التجاهل، وذلك التقصير لهو تبديد للملايين من العملات الأجنبية التى نستورد بها هذه المصنوعات.(١)

هذا عن المدارس الصناعية، وهو قليل مما نحب أن نتحدث فيه.

● وأما المدرسة الزراعية متوسطة أو ثانوية، فيقال فيها ما قيل فى المدرسة الصناعية، من النواحى التالية:

– تنوع تخصصاتها وكثرتها بحيث تغطى كل ما يحتاج إليه العالم الإسلامى من زراعات ومنتجات زراعية.

– والاستمرار فى الإضافة والتجديد، وإدخال كل المزروعات التى نحتاج إليها، ومع الاتساع الشديد لرقعة العالم الإسلامى فإن زراعة أى مزروع سيجد تربة صالحة فى بلد إسلامى بكل تأكيد.

– ولابد أن يلحق بكل مدرسة زراعية معمل للتحويلات البسيطة لبعض المنتجات الزراعية.

– ولابد أن يوضع إنتاج الأسمدة، والمبيدات فى الحسبان، وأن تكون المدرسة الزراعية مجالاً لممارسة إنتاج الأسمدة والمبيدات.

– ولابد أن يكون الاهتمام بزراعة المحاصيل الأساسية كالقمح والقطن وقصب السكر وغيرها، على درجة عالية من الإيمان بضرورة ذلك وأهميته لتحقيق الاكتفاء الذاتى لبلدان العالم الإسلامى من هذه المزروعات وأمثالها.

– كما لابد أن تدخل المدرسة الزراعية مجال الإنتاج للسلع التى تنتج من المزروعات، ولكثير من أنواع الغذاء.

– ومن الضرورى أن تخرج الزراعة وآلياتها ومعداتها من دائرة التراث إلى دائرة العلم

---

(١) معظم ما تحتاج إليه الزراعة عن طريق الرىّ بالرش أو التنقيط يرد إلينا بأسلوب ملتو من إسرائيل عدونا التقليدى الأبدى، وكلها مصنوعات يمكن أن نصنعها فى بلادنا– وقد رأيت كثيراً منها ولمست مدى بساطة تكوينها وسهولة صنعها– ونحن نعلم لماذا لا تصنع هذه الأشياء فى مدارسنا الصناعية فى العالم الإسلامى؟

والتقنية والميكنة، حرثًا وبذراً وغرسًا ورعاية وتسميداً وريًا وحصاداً، وجمعًا وتعبئة وتسويقًا محلياً وتصديراً.

إنه لمن الغريب العجيب بل المخزى أن يكون العالم الإسلامى بكل هذا الاتساع والتنوع فى التربة ووفرة مياه الرىّ والأكثر من ألف مليون مواطن، ثم تستورد كثير من بلدانه قمحها وزبدها وكثيرا مما يلزمها من أمريكا – وهى عدو ألدُّ للعالم الإسلامى لا يقل حقداً عليه من إسرائيل!!!

● إن سياسة العالم الإسلامى الزراعية والصناعية تحتاج إلى إعادة نظر، وإلى رغبة حقيقية فى استقلال الإرادة واستقلال القرار.

– إن إنتاج الآلات الزراعية والأدوات الزراعية لا يحتاج إلى استئذان هيئة الأمم المتحدة ولا إلى وكالة الطاقة الذرية، وهى ليست من أسلحة الدمار الشامل، ولا من الإرهاب، فلا خشية من أن تحرمها هيئة الأمم بأوامر من أمريكا، ولن تحرمها أمريكا بقرار من مجالسها النيابية، لكن قد تحرمها بالهمس فى آذان بعض المسئولين، أو بالوعد بالمكافآت الشخصية مثلا!!!

– والحقيقة أن كثيراً من بلدان العالم الإسلامى تتقرب إلى أمريكا وتتودد حتى لا يصيبها مثل ما أصاب أفغانستان والعراق(1) – والعالم يرى ويسمع وشعوب الأرض تعترض وأمريكا تعصف بكل قانون وبكل عرف دولى وتنتهك كل حقوق الإنسان ولا تبالى– ولذلك فهى لا تزرع ولا تصنع ما يغنيها عن الاستيراد من أمريكا، ولا ما يجعل منتجات أمريكا تبحث عن مستهلك، وهذا شأن النفط وشأن السلاح التقليدى وشأن صيد الأسماك وشأن صيد الطيور بالصقور، الأصل ألا يجرح إحساس أمريكا ولا يدوس لها على طرف ثوب يبعد عن جسدها ألوف الأميال، ولا يمس شيئًا من طغيان إسرائيل ومداومتها على قتل النساء والأطفال واغتيال الرجال وقلع الأشجار وهدم المنازل ونشر الألغام فى أرض فلسطين!!!

– إن القيود التى تفرضها أمريكا على صناعة السلاح والصناعات الثقيلة لا تختلف كثيراً

(1) مثال هذا الذى لا يفارقنا منه العجب ما فعله حاكم ليبيا من تحوله المخزى من أقصى درجات العداء لأمريكا فيما نسمع ونرى إلى أقصى درجات الطاعة والخضوع وتقديم أكثر مما تطمع فيه أمريكا حتى إنه أهداها معدات وآليات للأسلحة لم تستعمل بعد!!!
وقد بالغت أمريكا فى ازدرائه وفضيحته إذ عرضت هذه الأسلحة على العالم.

عن القيود التى تفرضها على الزراعة والصناعة والتجارة، وإذا سألت عن السر فى ذلك العزوف عن زراعة القمح، وزراعة «الكانتالوب» بديلاً عنه، جاءك التبرير من بعض المسئولين بأن زراعة «الكانتالوب» أكثر ربحًا، وإذا سألت عن الصناعات الثقيلة غير العسكرية جاءك التبرير بأن صناعة الأدوات المنزلية أكثر ربحًا منها، وهكذا لا يعدم المبرر كلاما يتقرب به إلى أمريكا ولو كان كلامًا أدخل فى الخرافة منه فى الكلام الصحيح!!! ولو كذبت المسئول أو انتقدته فأنت ثورة مضادة وتعمل على تغيير نظام الحكم بالقوة وبإثارة الجماهير، فتتناولك قوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية بعد التعذيب وأخذ الأقوال بكل أنواع الإكراه النفسى والبدنى والاجتماعى، ولتقبع فى السجن حتى يموت الحاكم لو كنت من المحظوظين[1] أو تبقى حتى تموت!!!.

- وشأن المدرسة الفنية التجارية متوسطة أو ثانوية كشأن المدرستين الصناعية والزراعية، يجب أن تتنوع فيها الأقسام بتنوع احتياجات السوق مصارف وشركات ومصانع ومتاجر، وعليها أن تعد أبناءها للقيام بكل الأعمال التى يقتضيها ما تعلموه من أعمال كتابية أو حسابية أو إدارية أو نحوها، وتلك مسئولية الوزارة أولاً ثم مسئولية المدرسة من بعد ذلك.

- وفى منهج هذه المدرسة يقال ما قيل فى منهج المدرستين الصناعية والزراعية، أى يكون منهجا مشتملا على شقين:

– شق دينى ثقافى تحدثنا عن محتواه وعن كثير من مفرداته ونحن نتحدث عن المدرستين الصناعية والزراعية.

– وشق مهنى، يتوفر على وضعه واختيار مفرداته أهل الاختصاص فى مجالات الاقتصاد والإدارة والتجارة: محاسبة وتكاليف وتسويقًا ونحو ذلك كبعض العلوم القانونية والضرائبية، ونبذة عن علوم السياحة والفندقة.

- **ولابد أن يشتمل المنهج فى المدارس الحرفية الفنية على قدر كبير من التدريب وممارسة المهنة عمليًا سواء أكانت المدرسة صناعية أو زراعية أو تجارية، أو سياحية أو فندقية أو غيرها. ومما أحب أن أؤكده أن الإسلام وثقافته تمد المتعلمين فى هذه المدارس الفنية بكل ما يحتاجون إليه من قيم تضبط سلوكهم فى تعاملهم مع الناس بما يرضى الله تعالى.**

---

(١) من عجيب ما فعله عبد الناصر أن سجن رجلين شاعراً ومغنيًا لأنهما تجرآ على انتقاد سياسته فى القمع والظلم والتعذيب وتكميم الأفواه وحظر التفكير فى العقول، فقال: لن يخرجا من السجن طالما أنا حىّ، وفعلاً لم يخرجا إلا بعد موته – أذاعت هذا أكثر من محطة بث فضائية، وهو من المعروف فى مصر بالضرورة.

وفى كل مجال أو نوع من أنواع المدرسة الفنية متوسطة أو ثانوية فإنها مادامت مدرسة إسلامية فإنها مسئولة من خلال شريعة الإسلام عن كل عمل تدرب عليه أبناءها، وعن كل قيمة يؤمن بها هؤلاء الأبناء ويطالبون بان يثبتوا على التمسك بها وعلى نشرها فى الناس الذين يتعاملون معهم.

● ولا يفوتنى قبل أن أختم الحديث عن المدرسة الفنية الحرفية بكل أنواعها ومراحلها أن أنبه إلى ضرورة الاهتمام بالطالبات فى هذه المدارس، ومدى احتياجاتهن فى الحياة العملية كزوجات و أمهات ومسئولات عن إدارة بيوتهن، وتربية أبنائهن، فتلك ثقافة إذا لم تتلقها البنت فى المدرسة من خلال منهج مدروس قد أحسنت الإخصائيات اختياره، فلن تجد مكانًا آمنًا موثوقًا فيه يمدها بهذه الثقافة الضرورية لها.

– وإذا كان هناك نوع من التعليم الفنى الخاص بالبنات، فلابد أن يكون منهج هذه المدرسة ذا شقين أيضًا؛ أحدهما دينى ثقافى والآخر مهنى يتولى أهل الاختصاص تفصيلاته وتحديد مفرداته، لكننا نشير هنا إلى بعض ما لا يجوز للمنهج أن يخلو منه مثل:

● تزويد البنات بالمعلومات الصحيحة عن الحياة الزوجية، ما للزوجة فيها من حقوق وما عليها من واجبات لكى تحيا حياة أسرية سعيدة، سواء أكانت هذه الحقوق والواجبات نحو الزوج أو الأبناء أو الأقارب أو الجيران أو المجتمع كله.

● وتزويدهن بثقافة وتدريب عملى على إدارة البيت وتجميله وإعداده للحياة الأسرية الهادئة السعيدة.

● وتزويدهن بثقافة كافية عن اقتصاد البيت والإنفاق فيه من الوسع دون إسراف ولا تقتير.

● وتزويدهن بثقافة جيدة عن الحمل والولادة والإرضاع والحضانة ورعاية الطفل وتربيته فى مختلف مراحل نموه وإلى أن تهيئه أمه للانتقال إلى المدرسة وحبه لها وحرصه على الذهاب إليها دون تلك الوحشة التى يحس بها كثير من الأبناء عند الانفصال عن حضن الأم إلى المدرسة، ولذلك أساليب عديدة تجعل الطفل مستأنسًا بالمدرسة حين يذهب إليها، وما لم تتعلم الأم هذه الأساليب فإنها تسئ إلى طفلها وتجعله ينفر من المدرسة وبالتالى يفقد الرغبة فى التعليم فيها.

● وتعليم البنات بعض الحرف التى تنفعهن فى بيوتهن مثل: تفصيل الملابس، وحياكتها، والتطريز، وبعض أشغال الأبرة ونحوها.

ومنهج هذه المدرسة التى تعنى بتدبير المنزل أيضًا يتكون من شقين، أحدهما ثقافى دينى، والآخر مهنى يتكفل بوضعه أهل الاختصاص.

وهذا النوع من التعليم يناسب البنات اللاتى لا يرغبن فى مواصلة التعليم النظرى المؤهل للجامعة؛ لأسباب عديدة كالزواج المبكر نسبيًا، أو لبعض الظروف الاجتماعية الأخرى، وذلك يعنى ألا تحرم بنت من أن تنال قسطًا من التعليم يؤهلها لممارسة حياتها العملية المستقلة.

- على أن من أرادت من البنات أن تلتحق بمدرسة فنية حرفية متوسطة أو ثانوية فهذا حقها كالولد تمامًا.

وبعد، فتلك كلمات عن المدرسة الوسيطة أو المتوسطة أو الثانوية الحرفية الفنية التى لابد منها بين أنواع المدارس حرصًا على صالح الأفراد والأسر والمجتمع كله، وهى فى جميع مستوياتها وأنواعها لابد أن تكون مدرسة إسلامية يتعلم أبناؤها فيها الإسلام ثم يخرجون إلى حياتهم العملية ليطبقوا الإسلام كما تعلموه من خلال الكتاب والسنة والسيرة وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم، وتاريخ المصلحين المجددين من المسلمين.

٤- المدرسة المؤهلة للتعليم الجامعى:

وتسمى فى معظم بلدان العالم الإسلامى: المدرسة الثانوية، وهى التى يتعلم فيها الطلاب- ممن أتموا مرحلة التعليم المتوسط النظرى - تعليمًا نظريًا علميًا يؤهلهم للالتحاق بالجامعة.

والمدرسة الثانوية غالبًا ما تلقى من العناية والاهتمام فى وضع مناهجها، وإعادة النظر فى هذه المناهج لتعديلها ما لا تلقاه مدرسة أخرى من المدارس الفنية، ولهذا الاهتمام مبرره لأنها الباب إلى المدرسة الجامعية، والجامعة أصلاً هى ملتقى الطلاب المستعدين استعدادًا جيدًا لتحصيل التعلُّم فيها والوصول إلى العلم، والتزود بأدوات البحث العلمى.

● وأهمية المدرسة الثانوية فى المجتمع نابعة من المكانة التعليمية والتربوية والعلمية التى توصل إليها، إذ؛

- هى باب التعليم الجامعى أو العالى، وكل مواطن يطمح إلى أن يصل إلى هذا المستوى من التعليم ويحصله، لما يترتب عليه من حصول من حصله على مكانة اجتماعية متميزة أدبيًا وماديًا، إذا قورن بغيره ممن لم يحصلوا على التعليم الجامعى.

- وهى - من حيث مناهجها - تؤهل الطالب فيها لكى يأخذ من العلم والثقافة، ما يحتاج إلى تعميقه وتنميته فى أى كلية من كليات الجامعة - عملية كانت هذه الكلية أم نظرية- إذ هو يدرس فيها ما عرف بداياته فى المدرسة الثانوية.

- وهى مدرسة قادرة- من حيث مناهجها أيضًا- على استبعاد بعض الطلاب الذين التحقوا بها ولم يكن لديهم الاستعداد للاستمرار فيها، حيث لا ينهى الدراسة فيها إلا الصفوة من أهل القدرات العقلية الجيدة.

- وهى مدرسة يختار لها المدرسون من بين أحسن من يقومون بهذه المهنة على مستوى جيد من حيث مؤهلاتهم وقدراتهم وخبراتهم فى التعليم وتمكنهم من الإحاطة الجيدة بما يدرسون.[1]

المنهج القادر على تحقيق الأهداف:

● ويمكن اختصار أهداف المدرسة الثانوية العديدة فى هدف واحد كبير هو: إعداد الطالب للدراسة فى الجامعة.

● ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فلابد لهذه المدرسة من منهج قادر على تحقيق هذا الهدف، منهج يجب أن يأخذ من القائمين على التعليم اهتمامًا كبيرًا، وتنوعًا فى مفرداته يغطى احتياجات الطالب فى المرحلة الجامعية. وقد قلت أكثر من مرة: إن هذه المناهج جميعها يجب أن يعدها العلماء والخبراء المختصون وأضيف هنا، ضرورة أن يشارك فى وضع مناهج المدرسة الثانوية عدد من أساتذة الجامعة، وكلمتهم فى ذلك هى الكلمة الفصل، غير أنى أقترح تصورًا تكوَّن لدى من خلال خبرة فى مجال التعليم استمرت ما يقرب من خمسين عامًا فى التعليم الجامعى وما قبله، والخطوط العريضة التى أتصورها لمنهج المدرسة الثانوية يتمثل فى عدد من الجوانب؛ أهمها ثلاثة:

- الجانب التربوى.
- والجانب التعليمى.
- والجانب الميدانى.

---

(١) هذا هو الأصل، فلما تحول كثير من بلدان العالم الإسلامى إلى أنظمة حكم شمولى أغلبها عسكرى، دخلت السياسة فى التعليم ففسد، وأصبح المنافقون الجهلة يتولون التدريس فى أهم أنواع المدارس، فانخفض مستوى التعليم وصغرت مكانة المعلم- المهرج السياسى - فى نظر أبنائه، فانصرفوا عنه ولم يعودوا واثقين مما يقول ويُعلم، ورأوه أسوأ قدوة فى الخلق والعلم...

أولا : الجانب التربوى من المنهج :

يتمثل هذا الجانب فى عدد من المفردات أهمها أربع :

أ - الجانب الدينى :

ويتطلب من المنهج دراسة ملائمة تشتمل على :

- قدر من القرآن الكريم حفظًا وتفسيراً .
- وقدر من الأحاديث النبوية حفظًا وشرحًا .
- ودراسة لسيرة النبى ﷺ .
- ودراسة فى فقه المعاملات .
- ودراسة فى فقه الجهاد فى سبيل الله تعالى .

ب- والجانب الخلقى :

ويجب أن يشتمل على دراسة ملائمة للموضوعات التالية :

- التعريف بالقيم الخلقية الإسلامية كما جاءت فى الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة .
- والتوضيح للثوابت الإسلامية التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهى العقيدة والعبادة والقيم الخلقية .
- والتعريف بموضوعى الولاء لله ولرسوله وللدين الحق، والبراء من كل ما يخالف ذلك ويعارضه .

جـ- والجانب الجسدى :

ويجب أن يشتمل هذا الجانب على دراسة توضح للمتعلم :

- ما هى أسباب قوة الجسد ووجوب الأخذ بها .
- ووجوب أن يبتعد المسلم عن كل سبب يؤدى إلى ضعف جسده، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وإن كان فى كل خير .

د- والجانب الدعوى الحركى من أجل الإسلام :

ويشتمل المنهج فى هذا الجانب على أمور أهمها :

- التفقيه بأن الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن واجب كل مسلم مادام يملك البصيرة بما يدعو إليه .

- والتنبيه على وجوب الحركة بدين الله فى الناس وفى كل مكان يستطيع أن يصل المسلم إليه.

- والتأكيد على أن المسلمين ما تخلفوا وتراجعوا إلا بعد أن تركوا الدعوة إلى الله والحركة بدينه إلى عدد قليل من المسلمين أطلقوا عليهم الدعاة، والأصل أن المسلمين جميعًا دعاة إلى الله.

ثانيًا: الجانب التعليمى من المنهج:

يجب أن يشتمل على العلوم والمعارف والثقافة التى تؤهل الطالب للالتحاق بالجامعة، وهذا المنهج يضعه الخبراء والمختصون بحيث يكون ملائمًا لاحتياجات الطلاب فى هذه المرحلة، وقادرًا على ملء الفراغ فى ثلاث سنوات دراسية، مع ضرورة الاهتمام فيه بالنواحى العملية والتدريبية فى المعامل ونحوها.

ولابد من التوصية بتجنب الحشو والتكرار في أى مفردة من مفردات هذا المنهج، لتعدد الشكوى من ذلك من الطلاب ومن أولياء الأمور ومن المدرسين.

ثالثًا: الجانب الميدانى فى المنهج:

ويمكن أن يسمى الجانب العملى، وهو جانب يتناول إعداد الطلاب فى جوانب ثلاثة من شخصياتهم، الجانب الجسدى، والجانب الاجتماعى، والجانب السياسى، وفى كل جانب يضع المنهج فيه خبراء ومختصون.

- ففى الجانب الجسدى:

لابد أن يعتنى المنهج بالتربية الرياضية لتنمية القدرات الجسدية، وإشباع الميول والرغبات فى ألعاب رياضية بعينها عند الطلاب أو الطالبات.

- وفى الجانب الاجتماعى:

يبصر الطلاب والطالبات بما يحيط بهم من قضايا اجتماعية مثل: قضية الأمية والجهل، وقضية الصحة والوقاية من الأمراض، وقضية الفقر وأسبابه، وقضية الأيتام ومن فقدوا عائلهم من الأطفال، وقضية التدخين وسائر المكيفات، والمفترات ، وقضية النظافة وقضية الجمال والتشجير والمحافظة على المرافق العامة، ثم يحاورون فى حل هذه المشكلات.

– وفى الجانب السياسى:

يُوَعَّى الطلاب والطالبات بأهم القضايا السياسية على مستوى الوطن المحلى، وعلى مستوى الوطن العربى والوطن الإسلامى، ويناقشون حلولا مقترحة لبعض هذه القضايا . . .

– فعلى مستوى الوطن المحلى تناقش قضايا التمثيل النيابى، والأحزاب ونظام الحكم، والحريات وحقوق الإنسان.

– وعلى مستوى الوطن العربى تناقش قضايا فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى، والوحدة والاتحاد بين الدول العربية، وقضية الجامعة العربية، وقضية النفط وقضية المياه وغيرها.

– وعلى مستوى العالم الإسلامى يناقش الطلاب والطالبات قضية العداء الأمريكى للعالم الإسلامى، وقضية العدوان على أفغانستان والعراق، واحتلالهما بقوات أجنبية، وقضية هيئة الأمم المتحدة، والمنظمات التابعة لها، ثم تناقش قضية تبعية هيئة الأمم المتحدة لأمريكا من جانب وللدول التى لها حق النقض من جانب، وقضية حقوق الإنسان، وقضية الديموقراطية المزعومة، وقضية تصنيع السلاح إلى غير ذلك من القضايا التى تلائم المرحلة التعليمية التى يعايشها الطلاب والطالبات.

وبعد، فهذا تصور مبدئى محدود لجوانب المنهج فى المدرسة الثانوية لا أدعى أنها صالحة لأن يقوم عليها وحدها المنهج، ولكنها ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لواضعى المنهج، والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

٥ – المدرسة الجامعية:

وتسمى المرحلة الجامعية فى مقابل المراحل التى تسبق التعليم الجامعى، كما تسمى مرحلة التعليم العالى فى مقابل مرحلة الدراسات العليا، وهى آخر مراحل التعليم المدرسى.

أهداف التعليم الجامعى:

● وللجامعة أهداف ليست محل خلاف بين الناس، وإنما يزيد بعضهم عليها ما يرونه ملائمًا لبيئتهم وظروفهم، ولكن الحد الأدنى لأهداف التعليم الجامعى هو:

أ – إعداد المتعلم فى الجامعة لكى يواصل تعلمه العملى من الحياة وقد زودته الجامعة بقدرات التعامل مع الحياة والأحياء، فقد هيأته الجامعة لذلك دينيًا وخلقيًا وعمليًا وثقافيًا ونفسيًا واجتماعيًا، لأن هذا التزويد من صميم أهدافها.

ب- وإعداد المتعلم ليصبح على درجة من الكفاءة تمكنه من تحمل المسئولية فى أى مجال عمل يناسب مؤهله، فيؤدى عمله بمهارة واقتدار، وإخلاص، وهذه الصفات من شأنها أن تصل به إلى مناصب أعلى وأعمال أكثر أهمية، مما يعود عليه وعلى أسرته وعلى المجتمع بأحسن الفوائد.

جـ- وإعداد العالم أو الباحث الذى يعرف من خلال المنهج العلمى الذى تعلمه وعرف صفاته وخلفياته، يعرف كيف يشق طريقه فى مجال الدراسات العليا فى تخصصه، عسى أن يصبح أحد العلماء المشار إليهم فى تخصصهم أو أحد المخترعين الذين يثرون أوطانهم وعالمهم العربى وعالمهم الإسلامى بهذه المكتشفات التى تقفز فى كل يوم قفزة إلى الأمام فى عديد من المجالات العلمية.

● والأصل فى الجامعات فى العالم الإسلامى أنها جامعات إسلامية، وبالتالى فلا يمكن أن نتجاهل ما يترتب على وصفها بإسلامية من تبعات وواجبات لا محيد عنها فى بلاد المسلمين، ومع أبناء المسلمين.

ويترتب على ذلك أن تكون مناهج الجامعة فى العالم الإسلامى فى كل كلية من كليات أى جامعة - مهما كان تخصص هذه الكلية - متضمنة برنامجًا ثقافيًا إسلاميًا يستهدف أهدافًا إسلامية بعينها، ومن أهم هذه الأهداف:

أ- تزويد الطالب الجامعى بقدر ملائم من العلم والمعرفة بأسس هذا الدين وركائزه وثوابته (العقيدة والشريعة والخلق)، بحيث يدرَّس فى كل سنة من سنوات الدراسة فى الكلية، وأن يكون هذا المنهج أو البرنامج مختاراً بعناية ودقة، وأن يكون إلزاميًا ومقرراً دراسيًا يشترط فيمن ينجح أن يجتازه، على أن يعفى من ذلك غير المسلمين من الطلاب.

ب- وتزويد الطالب على مدى سنوات الدراسة فى كليته بتصور دقيق وشامل عن العالم الإسلامى: دوله وسكانه ومقدراته الاقتصادية، بدءًا بالوطن المحلى ثم بالوطن العربى ثم بالوطن الإسلامى، ثم بالأقليات المسلمة فى العالم كله، وليس من الصعب توزيع هذه المقررات على سنوات الدراسة.

جـ- وتزويد الطالب بمعلومات ومعارف عن مشكلات العالم الإسلامى والتحدى الموجه إليه، وأتصور أن المشكلات الاقتصادية تدرس فى إحدى سنوات الكلية، والمشكلات

الاجتماعية فى أخرى، والمشكلات الثقافية فى ثالثة، والمشكلات السياسية فى سنة رابعة، وهكذا . . .

● على أن تكون هذه البرامج شاغلة لعُشْر عدد الساعات التى يدرسها الطالب فى كل سنة من سنوات الدراسة فى الكلية، وذلك اقتراح قابل للزيادة فى كمه لكنه غير قابل لأن ينتقص منه شىء، إذا أريد للطالب أن يعرف عن دين الإسلام ما لا بد أن يعرفه.

● والتهوين من شأن هذا البرنامج وجعله محاضرة واحدة فى الأسبوع أى ساعة واحدة يسمونها: ثقافية إسلامية مهما كان عدد الساعات التى تستغرقها المقررات الدراسية إهدار لتكوين الطالب إسلامياً، وافتيات على حقه فى معرفة دينه.

● والمبررات التى لدى لفرض هذا البرنامج مبررات كثيرة وضرورية يأتى فى مقدمتها:

- أن يكون كل من أنهى الدراسة فى إحدى كليات الجامعة على صلة بدينه علماً ومعرفة وثقافة وخلقًا وسلوكًا، وإحساسًا بأن له مسئولية تخصه عن هذا الدين وهؤلاء المسلمين؛ لأنه طالب مسلم قبل أن يدخل الكلية وبعد أن يتخرج فيها.

- وأن يتجه هذا البرنامج إلى إيقاظ روح الطالب وتنوير عقله وتوجيه أخلاقه، مما سوف ينعكس على الطالب إخلاصاً فى عمله، وإجادة له، وحرصاً على تنميته وتطويره نحو الأحسن، لأن هذه الصفات هى من أخلاق الإسلام ومن ثوابته، وهى ثوابت لا يجوز أن يفارقها المسلم بحال من الأحوال.

- وأن يعمد هذا البرنامج إلى ربط المسلم رباطًا وثيقًا قائمًا على العلم والمعرفة بعالمه الإسلامى، وتعريفه بأهم قضاياه، حتى يشعر بالانتماء إليه والاعتزاز بهذا الانتماء، فيفكر فى قضاياه ويتدبر فى أمره وأمر عالمه الإسلامى فيعرف ما له وما عليه، بل يعرف واجبه حق المعرفة.

● ولقد أعلم أن كثيراً من المسلمين - جريًا منهم وراء ما يقول من يضمرون الشر للإسلام والمسلمين- قد يقولون: إن الجامعات فى العالم الإسلامى تصبح جامعات إسلامية!!. وهذا عندهم معيب وغير مقبول، وقد يقول بعض الغافلين منهم: إنه إقحام للدين فى الجامعات، وهى مقولات نادى بها الغرب فى عصوره الوسطى حين كانت الكنيسة لديهم تتحكم فى كل شىء ويتحكم رجالها فى كل أمر، حتى عانت أوربا من تسلط الكنيسة على الملوك والأمراء ومن يسمونهم النبلاء، حتى كان كل أمر يحتاج إلى إذن من الكنيسة

أو مباركة منها ليمارس الأمير إمارته، على أن الكنيسة وكثيراً من رجالها- شأن أى بشر- لم يكونوا معصومين ولا فوق مستوى الشبهات، فكان ما كان منهم من ثورة على الكنيسة وعلى الدين وإصرار على عزل الدين عن حياتهم كلها.

وإذا كانت أوربا قد عانت من ذلك فعزلت الدين عن حياة الناس، فما لهؤلاء المسلمين يفعلون مثل الأوربيين مع أنهم لم يتعرضوا لاضطهاد ولا تحكم باسم الدين وليس عندهم من يسمون: «رجال الدين»، بل إن من أطلق على نفسه تلك التسمية فهو مضلل مقلد، ومن قال بإخلاء الجامعات من الدراسات عن الإسلام وقضاياه فهو أيضًا مقلد غافل ومضلل إن كان متعمداً.

● ولا نبرئ من هذه الغفلة وذلك التضليل عدداً من أبناء العالم الإسلامى الذين تلقوا تعليمهم فى بلدان الغرب ومازجوا ثقافة الغرب وأغراهم تقدم الغرب اقتصاديًا وعسكريًّا، وسيطرته على العالم الإسلامى فى غفلة من أبنائه وجهل منهم بدينهم، كما لا نبرئ عدداً من المسلمين الذين تلوث تفكيرهم بالشيوعية والاشتراكية والمذاهب الملحدة الهدامة، أيام مَدّ هذه المذاهب وسيطرتها على السذّج الغافلين من أبناء العالم الإسلامى.

من أجل هذا وغيره مما نمسك عن الحديث فيه تعففًا وتأففًا حتى لا نتهم أحداً من المسلمين بعدائه لدينه، وتقربه بهذا العداء من أوليائه طمعًا فيما لديهم من مناصب وأموال، أو خوفًا من بطشهم وسلطانهم وما يملكون من وسائل الإنعام أو الانتقام.

● غير أن من المؤكد أن كل تلك المقولات المعادية للتوجهات الإسلامية، وكل هذه الإدانة لكل ما هو إسلامى، وكل هذه التهم الموجهة إلى الإسلام والمسلمين زَبَد سوف يذهب بحول الله جُفاءً ويبقى الإسلام بمبادئه وقيمه ماكثًا ثابتًا فى الأرض لأنه ينفع الناس.

● والحق أحق أن يُتّبع، والجامعات فى العالم الإسلامى عليها أن توقن أن المتعلمين فيها من المسلمين يجب أن يكونوا على قدر عال من فهم الإسلام والتمسك به والعمل على أن يسود الناس فى نظمهم الثقافية والاجتماعية والسياسية والعلمية والأدبية، وهم بهذا الإصرار وذاك الهدوء وذلك الاستمرار جديرون بأن يبلغوا ما يريدون إن لم يكن اليوم فغداً، وإن غدا لناظره قريب.

● ومما أؤكده - بوصفى مسلمًا مَنَّ الله عليه بفهم دينه وأتاح له فرصة التنقل والتجول فى

كثير من بلدان العالم أوربا وأمريكا وكندا، وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى - أن هذا التصور الذى أطرحه لأهداف الجامعة فى العالم الإسلامى ليس رأيى وحدى ولا رأى عدد قليل من علماء المسلمين ومصلحيهم وإنما هو رأى معظم علماء المسلمين على تنوع اختصاصهم فى العلم، عبروا عنه فى كثير من كتبهم ومقالاتهم ومحاضراتهم ومحاوراتهم - وقد كان لى شرف المشاركة فى ذلك كله - وهمهم جميعًا منحصر فى البحث والتفكير عما يمكن أن يمكِّن المسلمين من أخذ زمام المبادرة فى مجال العلم والتقنية، وفى المضى فى طريق النهضة، حتى ينكشف غطاء الزيف والتضليل الذى تغلفت به التيارات المعادية للإسلام، فيبدو الحق أبلج واضحًا، وما يسع العقلاء إلا اتباعه.

- ومما أحب أن أقوله أو أبشر به، أن علماء المسلمين على مستوى العالم كله كثيرون فى عديد من التخصصات العلمية الدقيقة، وأنهم على درجة عالية من الإخلاص لدينهم ولأوطانهم، أقول هذا ولا أزكى على الله أحداً، فالله تعالى حسيبهم وهو أعلم بهم، وإنما قلت ما شعرت به فى كثير من جولاتى فى بلدان العالم داعيًا إلى الله تعالى، أيام كانت الظروف متاحة بفضل من الله.

وأؤكد أنهم فى معظمهم على قلب رجل واحد إن دعتهم إلى ذلك إحدى دول العالم الإسلامى ليرسموا طريقا واضحا فى العلم والتقنية، فهل تستطيع إحدى دول العالم الإسلامى أن تفعل؟.

- إننا فى عصر التغول الأمريكى، والبطش بكل من يفكر فى الخروج عن دائرة النفوذ الأمريكى بطشًا يتجاهل هيئة الأمم المتحدة، والأعراف الدولية وحقوق الإنسان، ويتجاهل ملايين المتظاهرين ضد هذا البطش وهذا الإرهاب الدولى الذى يمارسه القوى الفاجر الذى فقد القيم الأخلاقية وجرى وراء أصوات الناخبين اليهود ليصل إلى الحكم، فيبرر لإسرائيل مذابحها للآمنين وهدم منازلهم عليهم ليلاً وقلع أشجارهم واعتقال الفلسطينيين وتعذيبهم وتكسير عظامهم، والعالم الغربى يرى ويسمع ويدعى أنه يرعى حقوق الإنسان.

- ومع هذا كله ومع احتلال أقوى دول الأرض أمريكا لأفغانستان والعراق بقواتها المسلحة يعاونها من عاونها من أشرار الأرض وأعداء الإنسان استجابة لرغبة الصهيونية العالمية الشيطانية الضارية المجردة من السمات الإنسانية، مع هذا كله ومع ما حدث لبعض المسلمين فى «جوانتانامو» وما يحدث فى أفغانستان والعراق وفلسطين، فإن الأمل فى

زوال هذا الطاغوت الشرير أمل عظيم، لا يغيب لحظة عن أمانى سكان العالم كله من بنى الإنسان؛ لأن العالم كله أصبح من ضحايا الديناصور الأمريكى الشرير، والحيوان الضارى المفترس لكل قيمة وفضيلة إسرائيل، إن الأمميين جميعًا حتى الأمريكيين منهم الذين يحتفظون بإنسانيتهم سوف يرفضون بإصرار أن يكونوا حميراً يركبها اليهود ليبلغوا على ظهورها إلى مآربهم الشريرة الشيطانية، فقد ضاق الإنسان فى أوربا وأمريكا باستمرارهم حميرا يركبهم اليهود ، بعد أن ركبوا حمير الشرق أكثر من خمسين عامًا، وبعد أن داس الغرب كل قيمة فى العالم الإسلامى ما يقرب من قرنين من الزمان، وها هى أمريكا الصهيومسيحية تركب حمير العالم لتبلغ على ظهورهم مآرب الأشرار الذين تجردوا من الإنسانية إذ يتتلون الأبرياء أطفالا ونساءً ومدنيين بدم بارد، وأعصاب متفرج على مهزلة. اكتفى بهذا - والحديث ذو شجون- .

وأعود إلى التعنيم وما يتصل به من تيارات مؤثرة فاعلة تفرض عليه ما تريد، وتنحرف به عن سواء السبيل، وتحول بينه وبين التوجه الصحيح عربيًا أو إسلاميًا أو محليًا، لأننا نعيش عصر قهر أمريكا لدول العالم الإسلامى واتهامه بالأباطيل، وفى طليعتها الإرهاب!!!

- إن التعليم بكل ما يتصل به مسئولية العالمين العربى والإسلامى، والواجب المستمر الذى لا يتوقف وجوبه مادام على الأرض العربية والأرض الإسلامية عرب ومسلمون.

وتخليص التعليم نظمه ومؤسساته ومناهجه وكل آلياته من سيطرة أعداء الإسلام المعلنة بوقاحة أو المستترة خلف أوجه عربية وإسلامية، واجب لا يفارق العرب ولا المسلمين، وهم قادرون على مواجهة ذلك بفضل الله إذا صدقت النوايا وصحت العزائم ورأى الله تعالى منهم صفات المؤمنين فنصرهم على عدوهم كما وعد.

*****

الفصل الثانى

المدرسة الإسلامية إنشاءً وتنظيمًا

إنشاء المدرسة الإسلامية وتنظيمها أمل يراود علماء المسلمين فى كل عصر، ويشغل التربويين منهم فى كل حين، وهؤلاء وأولئك يرسمون للمدرسة الإسلامية صورة وردية جميلة فاعلة فى المجتمع ومؤثرة فيه وضرورية له.

والمدرسة الإسلامية ليست صعبة التحقيق فى الواقع إذا لقيت من اهتمام المسئولين ما هى جديرة به، وأعطيت الأولوية التى تتناسب مع ضخامة وظيفتها وأهمية إسهامها فى بناء المجتمع الإنسانى السليم المعافى من جميع المشكلات التى تعوق تقدمه ونموه، إنها البداية الحقيقية الصحيحة لبناء المجتمع بناءً علميًا وفكريًا واقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا على أحسن مستوى.

إن المدرسة الإسلامية- بكل مستوياتها ومتعدد أنواعها - هى التى تتخذ من الإسلام منهجه ونظامه برنامجًا وخطة، وعلمًا وتقنية وعملا وإنتاجًا، وتتخذ من قيم الإسلام أهدافًا عامة مستمرة.

- إن المدرسة الإسلامية تمثل على وجه الحقيقة طوق نجاة للمجتمعات الإسلامية فى بحر الظلمات الذى يدفع الأعداء إليه العالم الإسلامى اليوم لكى يغوص فيه فلا يخرج منه إلا بعد أن يفقد طاقته وقدرته، ليصبح جثة طافية على وجه هذا البحر لا تستطيع حراكًا.

وإن هؤلاء الأعداء يوجهون إلى المدرسة الإسلامية - بوصفها طوق النجاة - أعتى الضربات، وأخبث السياسات التى يهمس بها مستشاروهم فى آذان القائمين على التعليم فى العالم الإسلامى فيستجيبون لهذا الهمس خوفًا على مناصبهم، فيصبحون أدوات وطنية تنفذ سياسة أعداء الوطن!!!

متى توصف المدرسة بأنها إسلامية؟

توصف المدرسة بانها إسلامية إذا هى عملت ما وسعها على إنقاذ المجتمع مما يعانيه من مشكلات ومتاعب تعوقه عن التقدم والنهوض والوصول إلى أعلى مستوى علمى وتقنى.

- وعلى الذين ينشئون هذه المدرسة من حكومات وهيئات حكومية أو غير حكومية أن

يأخذوا فى اعتبارهم أن المدرسة لا تسمى مدرسة إسلامية إلا إذا توافرت فيها صفات المبنى المدرسى الصالح، وهى فى إجمال:

١- أن يتسع بناء المدرسة؛ ليقدم الخدمات التعليمية للطلاب والمعلمين والإدارة المدرسية، والخدمات التعليمية كثيرة تحتاج إلى رقعة أرض ذات مساحة ملائمة كما تحتاج إلى مكان ملائم.

٢- وأن يكون عدد المتعلمين فى المدرسة ملائمًا لمساحتها ومرافقها بحيث لا يحدث تكدس للتلاميذ فى مكان الدراسة أو مكان التدريب العملى أو مكان المكتبة العامة فيها، أو مكان الطعام، أو مكان مزاولة النشاط الرياضى أو النشاط الثقافى، أو إقامة الصلاة، وأن يجد كل معلم فى المدرسة مكانًا يجلس فيه عندما لا يكون قائمًا بالتدريس، ومكانًا لاجتماع مجلس الآباء والمعلمين، ومكانًا لقاعة محاضرات عامة أو مسرح.

٣- وأن تكون المدرسة نظيفة منسقة جميلة فيها متسع لزراعة الزهور والشجيرات ونحوها مما يضفى على بناء المدرسة جمالاً وحسن تقبل عند التلاميذ، وذلك أن الإسلام دين النظافة والجمال، فالله تعالى جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة، والإسلام يحارب القبح فى جميع مظاهره وأشكاله، وإن المدرسة غير النظيفة أو غير الجميلة سبب فى تنفير التلاميذ وتسربهم منها وبخاصة فى المراحل الأساسية، وفى هذا التسرب من المدرسة أنواع من الخسائر تحدثنا عنها آنفاً.

● وعلى الذين يقومون على أمر المدرسة علميًا وإداريًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وخلقيًا، أن يأخذوا فى اعتبارهم أن المدرسة لا تسمى مدرسة إسلامية إلا إذا توافرت فيها شروط وصفات من أهمها :

- أن يكون من يدير المدرسة من رجال التربية الميدانيين المخلصين المشهود لهم، وأن يكون فيه من صفات الأبوة والحنوّ على قدر ما فيه من صفات الحزم، وحسن الإدارة وحسن التعامل مع الناس، المدرسين والطلاب والعاملين فى المدرسة وأولياء أمور الطلاب، ومع قيادته فى مجال التعليم، لأن جميع هذه الصفات نابعة من القيم الخلقية الإسلامية، والأصل فى المعلم مديراً أو مدرساً أن يكون للتلميذ بمنزلة الوالد من الولد، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

- وأن يكون المدرسون فى المدرسة مؤمنين بجدوى العملية التعليمية، وبأن إنقاذ الوطن الذى يعيشون فيه مرهونًا بأن يكون التعليم على المستوى الجيد علميًا وفنيًا، لإيمانه بأن ذلك إسهام فى إصلاح الوطن المحلى والعربى والإسلامى، إذ بالتعليم الجيد الصحيح تستطيع المدرسة أن تكون الإنسان القادر على العمل والإجادة، والإبداع، وأن يكون المدرس مخلصاً فى عمله مجيداً، محبباً إلى تلاميذه قادراً على التأثير فيهم ورعايتهم، لأن تلك صفات المعلم المسلم لا ينبغى أن تفارقه أبداً.

- وأن تكون القيم الخلقية التى تسود المدرسة قيماً إسلامية، وأن يتمسك بها كل من فى المدرسة جميعًا، لأن قيم الإسلام وأخلاقه صالحة لأن يتمسك بها كل الناس مسلمين وغير مسلمين لما فى التمسك بها من جلب للخير ودفع للشر وتشبث بالحق والعدل والإحسان.

والإسلام يجعل التمسك بهذه القيم الخلقية فرضاً عينيًا على كل مسلم، وصفة فاضلة يجب أن يتحلى بها كل مسلم مادام على قيد الحياة.

- وأن تكون المدرسة بمناهجها ومعلميها ونظامها قادرة على أن تعطى للتلميذ فرصة التعبير عن نفسه ومواهبه دون خوف أو توجس، إذ المدرسة مطالبة بأن ترعى هذه المواهب وتنميها وتوجهها التوجه الصحيح النافع بعد أن تكتشفها عند صاحبها. والمدرسة تمارس الكشف عن المواهب ورعايتها من خلال المنهج الذى أحسن اختياره ومن خلال المدرس الجيد المخلص المحب لأبنائه، والإسلام يدعو إلى ذلك كله ويشجع عليه ضمن ما يدعو إليه من الإحسان والإتقان فى كل عمل يمارسه المسلم فى حياته كلها.

- وأن تتيح المدرسة وإدارتها ومعلموها للتلاميذ ظروف الإبداع وتشجعهم عليه، وأولى خطوات الإبداع الحرية فى التعبير عن إحساسه بما فى الكون والمدرسة والنفس الإنسانية من قيم جمالية، المدرسة تشجع على ذلك الإبداع فى العلم والفن، وسائر أنواع التعبير.

والمدرسة الإسلامية ترعى الإبداع كما ترعى الدين، وتطالب المسلم بإجادة علوم الدنيا جميعا، لأن علوم الدنيا بمختلف تخصصاتها جزء من علوم الدين، والإسلام دين الاستزادة من العلم إلى ما لا نهاية له، لأن الإنسان مهما علم فلن يؤتى من العلم إلا قليلاً، وليس لمسلم الحق فى أن يتوقف عن طلب العلم النافع فى دينه ودنياه ما عاش.

- وأن تكون المدرسة الإسلامية مهتمة بالبيئة التى أنشئت فيها، تمارس فيها من خلال مدرسيها وطلابها أنشطة تنفع هذه البيئة كتجميل بعض الأماكن وتنسيقها وتنظيفها، ومدها بالأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية، فمادامت مدرسة إسلامية فهى مطالبة بالتعاون على البر والتقوى عموما وكل تلك المناشط من صميم البر والخير، وجلب النفع للناس أو دفع الشر عنهم.

- وأن يكون من أهداف المدرسة الإسلامية تعزيز انتماء الطالب لوطنه المحلى والعربى والإسلامى، انتماء يعبر عن حبه لأوطانه الثلاثة، وإنما تفعل المدرسة ذلك من خلال المنهج والمدرس والكتاب والأنشطة المدرسية كلها، وبخاصة من خلال دراسة تاريخ هذه الأوطان وجغرافيتها، ومعرفة قضاياها ومشكلاتها والتدرب على اقتراح الحلول لها.

وأبرز مشكلات العالم العربى «إسرائيل» التى غرسها الأعداء شوكة فى قلبه، وعجز العالم العربى عن التوحد، وسوء أنظمة الحكم فيه.

وأبرز مشكلات العالم الإسلامى تمزيقه وتمزيق صفه، الأمر الذى يحرص عليه أعداء الإسلام ما وسعتهم الحيلة أو واتتهم القوة العسكرية الغاشمة التى تحتل البلاد بجيوشها ضاربة عرض الحائط بالقوانين والأعراف الدولية.

هذه هى المدرسة الإسلامية الجديرة بهذه التسمية، وهى ضرورة فى المجتمعات الإسلامية على مستوى العالم كله.

فعلى مَنْ يجب إنشاء هذه المدرسة؟

ذلك ما نجيب عنه فى الصفحات التالية بعون من الله تعالى وتوفيق.

*****

أولاً: إنشاء المدرسة الإسلامية واجب المجتمع المسلم كله

يقول بعض الناس: إن إنشاء المدرسة وتأثيثها وإعدادها لأن يتلقى التعليم فيها هو واجب الحكومة وحدها، وهذا كلام غير دقيق وغير صحيح، وإنما الصحيح والدقيق هو أن تسهم مع الحكومة فى إنشاء المدرسة جهات عديدة، لا ينبغى أن يقل اهتمامها بالمدرسة عن اهتمام الحكومة بها، أى المجتمع كله.

ونحاول فى هذه النقطة من هذا الفصل أن نوضح أمرين هامين يتصلان بالمدرسة أوثق اتصال.

أحدهما: مفردات البناء المدرسى ومكوناته.

والآخر: من الذين يسهمون فى بناء المدرسة؟

مفردات المبنى المدرسى ومكوناته:

المبنى المدرسى هو المدخل الطبيعى للعملية التعليمية والتربوية، ومن أجل ذلك لم يكن أى مكان أو مبنى صالحا لأن يكون مدرسة، وإنما للمبنى المدرسى مفردات ومكونات نذكر منها:

- قطعة الأرض الكافية لأن تنشأ عليها مدرسة كاملة الإعداد تامة المرافق.
- والواقع الملائم من المدينة أو الحىّ أو القرية يختار بعناية لتنشأ فيه المدرسة.
- والمواد التى تبنى بها المدرسة ومدى موافقتها للمواصفات العلمية والفنية التى تضمن لها القوة والأمان.
- وأن يكون بناء المدرسة قد تم على يد مختص فى المنشآت العامة، ومختص فى بناء المنشآت التعليمية.
- والاهتمام الهندسى بالأماكن التى يتم فيها التعليم والفصول المدرسية من حيث الاتساع والتهوية والإضاءة والبعد عن الصخب والضجيج والأثاث المدرسى المناسب لأعمار التلاميذ.
- والعناية الهندسية بالأماكن التى يتلقى فيها التدريب والتجريب من معامل ونحوها، اتساعًا وإضاءة وتهوية وتجهيزاً بالآلات والمعدات والأجهزة والمواد التى يُجْرَى عليها التدريب والتجريب.

- وتوفير الأماكن الملائمة التى يمارس فيها الطلاب هواياتهم وأنشطتهم، حجرات، وقاعات تتسع للطلاب ولما يمارسونه من نشاط فيها، مع الإضاءة والتهوية .... إلخ.
- وتوفير المكان الملائم للمكتبة العامة فى المدرسة، وفق المواصفات الفنية للمكتبات وتجهيزها تجهيزاً علمياً وفنياً بحيث يتمكن الطلاب من التعامل معها فى يسر وسهولة.
- والأماكن التى يجتمع فيها المدرسون قبل توجههم للفصول المدرسية وبعده، وتجهيز هذه الأماكن بكل ما يلزمها.
- والمكان أو الأمكنة المخصصة لإدارة المدرسة، مديراً ووكلاء وأميناً للسر وأميناً للمخازن، والمخازن نفسها.
- وإعداد الأماكن المخصصة لممارسة الألعاب الرياضية وتصميمها وفق مواصفات الملاعب الرياضية.
- وملاءمة المطعم أو المقصف لأعمار التلاميذ ولما يقدم فيها للتلاميذ من مأكولات ومشروبات.
- والأفنية التى يتحرك فيها الطلاب فى الفرص المتاحة لهم بين الدروس.
- والحدائق المزروعة بالزهور والشجيرات وفق مواصفاتها العلمية والفنية.
- والمسرح المدرسى الذى يجب أن يعد إعداداً جيداً وفق مواصفاته المعروفة وأن يجهز بكل ما يحتاج إليه من أثاث وأدوات وآليات.
- وقاعة محاضرات عامة، لعقد الندوات والمحاضرات والمناظرات عند الحاجة إلى ذلك، وتجهيزات هذه القاعة بما يناسبها ويعينها على أداء وظائفها.
- وقاعة مغطاة «جمانيزيوم» لممارسة الألعاب الرياضية.
- وغرفة كبيرة أو غرف عديدة للتدريب فى المعمل على أجهزة الحاسب الآلى «الكمبيوتر» مع تجهيزها بلوازمها.
- وغرفة أو أكثر فى مكان مناسب للتدريب على بعض آلات الموسيقى، وتجهيزها بلوازمها.
- والعناية الملائمة بمرافق المدرسة، مع نظافتها والاستمرار فى تنظيفها وصيانتها بشكل يومى.

تلك عشرون مفردة من مفردات المبنى المدرسى تمثل الحد الأدنى من مكونات المدرسة القادرة على أداء وظيفتها بنجاح، والخبراء يستطيعون أن يضيفوا إليها ما يرون ضرورته للمدرسة بوصفها منشأة تعليمية اجتماعية لا يستغنى عنها المجتمع، بل لا يستطيع مجتمع إنسانى أن يمارس حياته بدونها.

وكل تساهل أو تقصير فى هذه الأساسيات ينعكس على المدرسة بالفشل، وعلى الفرد والمجتمع بالخسارة التى يترتب عليها التخلف التعليمى والتربوى والاجتماعى.

- ومن المؤكد أن تصميم بناء المدرسة تقوم به شركات وبيوت خبرة هندسية على مستوى عالٍ فى إنشاء المدارس.

- وما أحب أن أؤكده أن وفاء المبنى المدرسى بمتطلباته، وجماله وحسن تنظيمه وتحسين مرافقه وتشجير أفنيته وغير ذلك من أسباب الجمال؛ يحبب التلميذ صغيراً أو كبيراً أو جامعيًا فى هذه المدرسة ويجعلها بالنسبة له مكانًا يبعث فى نفسه السرور والانشراح.

والمدرسة – على جميع مستوياتها – إذا كانت جيدة وجميلة فإنها عنوان على تحضر المجتمع الذى أنشئت فيه، ودليل على أن هذا المجتمع لا يهدر أمواله وطاقة أفراده فى غير طائل حينما لا تكون المدرسة غير مستوفية لشروطها التى ذكرنا بعضها والتى يفصلها الخبراء والمختصون.

- ومن المؤكد الذى لا ينازع فيه العقلاء فضلا عن الخبراء وعلماء التربية أن تقدم المجتمع ورقيه وحسن توظيفه لطاقات أبنائه؛ إنما يقوم على التعليم والعلم والبحث والاكتشاف، وكل ذلك مكانه هو المدرسة، فلو قلنا: إن المدرسة المعدة إعدادا جيدا هى باب نهضة الأمة وطريق تقدمها العلمى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى والأدبى والابداعى، إذا قلنا ذلك فما تجاوزنا الصواب فى شىء.

وبعد، فإذا كانت المدرسة على هذا القدر من الأهمية فى أى مجتمع إنسانى، وعلى هذا القدر من الاستجابة لحاجات المجتمع التعليمية والتربوية والاجتماعية – وهى كذلك بالفعل – فلا بد أن نتساءل قائلين: من الذى يقع عليه عبء إنشاء المدرسة؟

وعن هذا التساؤل نقول: إنها جهات عديدة يجمعها المجتمع كله، ويوجبها على هذه الجهات أو المؤسسات إحساسها بواجبها فى الإسهام فى بناء المجتمع، وهذه الجهات أو المؤسسات هى:

١- إنشاء المدرسة واجب الحكومة ووزارة التربية:

الحكومة فى هذا المجال تمثلها وزارة التربية والتعليم، وإذا كانت الحكومة وظيفتها الأساسية هى إدارة المجتمع وحكمه من خلال القوانين والنظم والمؤسسات بحيث تحقق للناس فيه الأمن والاستقرار، والعمل والأمل، فإن وزارة التربية هى أداة الحكومة فى مجال التعليم والتربية، والتعليم والتربية هما القادران على تحقيق الأمن والاستقرار والعمل والنهوض بالمجتمع، والأمل فى غد مشرق.

- وزارة التربية - بالنيابة عن الحكومة - مسئولة عن توفير فرص العمل وأسباب الرزق للمواطنين لتأمين حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والدينية والخلقية ، كما أنها مسئولة - نيابة عن الحكومة - عن توفير حقوق الإنسان وحرياته وعن إقناع المواطن بأداء واجباته.

- ووسيلة وزارة التربية فى تحقيق ذلك كله هى: نشر التعليم والتربية وإتاحة ذلك لكل مواطن وبخاصة فى المرحلة الأساسية من التعليم حيث لا يجوز أن يتحمل المتعلم شيئًا من نفقات التعليم، سواء أكانت المرحلة الأساسية ست سنوات أو تسعًا، وسواء أكانت عامة أو فنية تعلم حرفًا، لأن ذلك حق لكل مواطن على الحكومة التى تمثلها وزارة التربية فى هذا المجال.

- ولن تستطيع وزارة التربية تحقيق ذلك إلا بان تاخذ على عاتقها إنشاء المدارس على جميع مستوياتها وأنواعها، إنشاء يقوم على العلم والتقنية وعلى أعلى المستويات المتاحة، وعلى النسق العالمى لمبانى المدارس ومرافقها وملحقاتها؛ دون تقتير أو تقصير أو تراخ.

- كما أن على وزارة التربية والتعليم أن تتولى صيانة المبانى المدرسية وتجديدها وتطويرها كلما دعت إلى ذلك ضرورة؛ لأنه من المسلَّم به أن المدرسة المنشأة إنشاء جيداً هى التى تؤدى وظيفتها فى المجتمع بكفاءة، وأن أى إهمال فيها أو فى مرافقها لابد أن ينعكس بآثار سيئة على المتعلم والمعلم والمجتمع كله.

● والحكومة وهى تطبق القانون على المواطنين وتلزمهم إلزامًا بأداء ما عليهم نحوها ونحو المجتمع، وتأخذ من أموالهم وجهودهم وأوقاتهم ما تفرضه عليهم القوانين، فإنها فى مقابل ذلك عليها واجبات عديدة، نشير إلى بعضها لنوضح فيه عمل وزارة التربية التى

تنوب عنها – كما تنوب عنها كل وزارة فى مجال اختصاصها– ومن هذه الواجبات على وجه الإجمال :

– تأمين تعليم المواطن .

– وتأمين صحته العامة، وقائيًا وعلاجيًا .

– وتأمين فرص العمل أمامه .

– وتأمين احتياجاته الضرورية ليعيش عيشًا كريمًا .

– وتأمين العدالة والمساواة بين المواطنين جميعًا .

– وتأمين الأخذ على أيدى العابثين بالمجتمع .

– وتأمين حدود المجتمع أرضه وسمائه ومياهه ضد أى عدو، بالوسائل المعروفة من آليات حربية قتالية .

– وتأمين نهضة علمية تقنية في المجتمع تجعله غير مسبوق فى هذا المجال، فضلا عن أن يكون متخلفًا متراجعًا علميًا وحضاريًا .

● وتأمين كل ذلك إنما يبدأ فى المدرسة ويستمر بالمدرسة، ووزارة التربية والتعليم مسئولة أمام الحكومة والمجتمع، ومسئولة قبل ذلك وبعده أمام الله عن إنشاء المدارس القادرة على تأمين ذلك كله .

● لكن الإنصاف والنظر الموضوعى للموقف يجعلنا نقول : إن وزارات التعليم فى العالم الإسلامى ليست وحدها المسئولة عن ذلك، وإنما يشاركها ويساندها جهات وهيئات فى إنشاء هذا المدارس تطوعًا وحبًا فى تطوير الوطن نحو الأحسن والأفضل، أو إنشائها بسن القوانين الملزمة لهذه الجهات والهيئات، بأن يكون من بين نشاطها إنشاء المدارس .

ومن هذه الجهات والهيئات :

٢- إنشاء المدارس واجب وزارات الأوقاف :

وزارات الأوقاف فى العالم الإسلامى تحمل أسماء عديدة، ولكنها جميعًا تنهض بأعباء ما أوقفه صالحو المسلمين على المساجد والمدارس وأنواع البر بالمسلمين، فتدير هذه الأعيان والأموال، وتنفق فيها على الجهات التى أوقفت عليها، والأوقاف بفضل الله تعالى وبكثرة عدد الأخيار الصالحين من المسلمين فى جميع العصور، كثيرة تحتاج فى الإشراف عليها وتدبير أمورها إلى وزارة قائمة بذاتها، لتؤدى هذه الوظائف .

- والوقف فى الإسلام عمل صالح يتقرب به المسلم إلى ربه، يسمى صدقة جارية، وهو مما يأمل كل مسلم أن يسهم فيه إن كان من أصحاب اليسار.

والوقف أنواع عديدة نذكر منها :

– الوقف على الفقراء والمحتاجين عموما.

– والوقف على طلاب العلم المنقطعين لطلبه.

– والوقف على الأرقاء من المسلمين لكى تشترى حريتهم من مستعبديهم.

– والوقف على القروض بدون ربا «القرض الحسن» أى وقف أموال يقترض منها المحتاجون دون ربا.

– والوقف على سائر القربات وأعمال البر.

– والوقف على الذرية والأقارب.

– والوقف على الجهاد فى سبيل الله والمجاهدين بتأمين حاجاتهم من سلاح وعدة ومعاش.

- والأصل فى مشروعية الوقف هو الأحاديث النبوية، ومنها:

– ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن الوقف من الصدقة الجارية.

– وما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن عمر رضى الله عنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : إنى أصبت أرضا بخيبر، لم أحب مالاً قط أنفس عندى منه، فما تأمرنى به؟ قال : «**إن شئت حبسْتَ أصلها وتصدقت بها**». فتصدق بها عمر رضى الله عنه، أنها لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها فى الفقراء، وفى الرقاب، وفى سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول».

- وشرط فقهاء المسلمين فى الوقف أن لا يجور به الواقف على حق ورثته أو حق ذى حق، أو وقفه فى غير ما يرضى الله تبارك وتعالى.

وكان كثير من الصحابة رضوان الله عليهم يوقفون بعض أموالهم فى وجوه البر.

● والموقوف من عين أو مال يظل موقوفا أبداً، ولا يجوز لأحد من وارث أو حاكم أن يلغى هذا الوقف أو يحله أو يعتدى عليه، إذ يعد ذلك من الظلم والافتيات على نية الواقف والتصرف فى ماله بغير إذنه.

● وأشهر ما وقفه المسلمون أو حبسوه من أموالهم وأملاكهم كان وقفا على المساجد بيوت الله عموما والحرمين الشريفين، وجهات البر والمدارس وطلاب العلم والعلماء والمعلمين.

– ولقد طمع الظالمون من الحكام فى الاستيلاء على الأوقاف أو تحويلها عما أوقفت عليه إلى ما يرغبون، غير مبالين بأن ذلك من الحرام، ومما يستجلب غضب الله وعذابه.

– ويذكر الإمام السيوطى رحمه الله[1] حواراً بين السلطان برقوق والشيخ سراج الدين البلقينى حول الوقف، فيقول: عقد برقوق أتابك (القائد أو الحاكم) مجلساً من القضاة والعلماء، وذكر أنّ أراضى بيت المال أُخذت منه بالحيلة وجُعلَتْ أوقافاً، من بعد «الناصر قلاوون» وضاق بيت المال بسبب ذلك؛ فقال الشيخ سراج الدين البلقينى: «أما ما وقف على خديجة وعويشة وفطيمة فنعم[2]، وأما ما وقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا سبيل إلى نقضه، لأن لهم فى الخمس أكثر من ذلك. فانفصل الأمر (المجلس) على مقالة البلقينى».

– ولقد استمرت محاولات الحكام الظالمين فى الاستيلاء على الأوقاف وتوجيهها حيث يريدون غير خائفين من الله، ومن هؤلاء:

● مصطفى كمال بتركيا.

● وجمال عبد الناصر بمصر.

● وكثير من حكام المسلمين الذين لا يخافون الله تعالى.

ووزارات الأوقاف فى العالم الإسلامى حديثة النشأة نسبيًا لتحمى الأوقاف وتحرص على تحقيق نيَّات الواقفين، ثم عصفوا بهذه الأوقاف واستباحوها، مما كان له أسوأ الأثر على صالحى المسلمين وأثريائهم فى زماننا هذا؛ فامتنعوا من أن يوقفوا أموالا أو أعيانا على جهات البر، لعلمهم بأن مصيرها إلى هؤلاء الحكام الظالمين.

---

(١) جاء ذلك فى كتابه: «حسن المحاضرة...» ٢/١٦٢.

(٢) خلاصة فتوى البلقينى أن الواقف على أفراد من الناس كخديجة وغيرها فيجوز للحاكم أن يستعيدها لبيت المال كما كانت، وأما ما وقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا سبيل إلى الاستيلاء عليه أو إلغائه وتحويله لبيت المال.

● إن وزارات الأوقاف بعضها نائبة عن الحكومة المطالبة بإنشاء المدارس، أن تسهم فى إنشاء المدارس، كما تسهم فى إنشاء المساجد، لأنها لا تقل أهمية عن المساجد فى خدمة المجتمع وتوفير العلم والمعرفة التى هى أهم العناصر فى بناء الإنسان. وفى ذلك عون لوزارات التعليم على أداء وظائفها.

٣- إنشاء المدارس واجب أهل القدرة واليسار:

الذين وسع الله عليهم فى الرزق من الأمة الإسلامية كثيرون، وكثير منهم بفضل الله وبحمده أهل بذل وعطاء، وأهل حب لأعمال البر والخير، ولهم فى بناء المساجد والمدارس باع طويل، والتاريخ يشهد بذلك قديمًا ووسيطًا وحديثًا.

● والمدرسة الإسلامية فى العالم الإسلامى اليوم- بل وفى كل حين - تعد من أهم المؤسسات وأعظمها فائدة للمجتمع، وهى- فى تصورى- لا تقل أهمية فى تربية أبناء المسلمين عن المسجد، ومع تلك الأهمية للمدرسة، فإنها تعانى إهمالاً وتقصيراً فى مفرداتها ومكوناتها التى تحدثنا عنها آنفا، بل تعانى فى قلة عددها وبالتالى عجزها عن استيعاب عدد المتعلمين، ومن الأمثلة الصارخة ذات الدلالة على إهمال المدرسة، أن بعض المدارس فى عدد من بلدان العالم الإسلامى فى هذه الأيام لا تعدو أن تكون بناء متواضعا جدا غير مستوفٍ لكثير من أساسيات المدرسة، ولا هو صالح لأن يتلقى فيه تعليم فضلا عن تربية!!

وعلى فرض أن المدارس لها أثر إيجابى بمبانيها ومرافقها وأثاثها فى نفوس المتعلمين والمعلمين، والعملية التعليمية نفسها، وهو صحيح لا يختلف عليه إلا الذين يجهلون عمق مكانة المدرسة فى المجتمع، أو أولئك الغافلون من المسئولين الذين لا يعطون إنشاء المدارس أولوية على جميع المنشآت الاجتماعية، وهو أمر أدى إلى كثير من السلبيات والتقصير والقصور فى المدارس، وعلى سبيل المثال:

- فهناك مدارس سيئة البناء بصورة يلحظها كل من يراها.
- وأخرى ضيقة المساحة فى فصولها المدرسية وأفنيتها.
- وثالثة قليلة المرافق فقيرة فى الخدمات.
- ورابعة لا تهتم بالمعامل والمكتبة العامة وغيرها.
- وخامسة سيئة الأثاث للطلاب والمعلمين.

- وسادسة تحتاج إلى ترميم وتنذر بالأخطار.

- وسابعة مقفرة كئيبة لا زرع فيها ولا زهور، وتفقد عنصر الجمال فى أغلب ما فيها.

● وكل هذا القصور لا تستطيع أن تعالجه وتتلافاه وزارات التعليم ومعها وزارات الأوقاف وحدها، لأن تلافيه أكبر من هذه الوزارات إن هى قامت بواجباتها.

ومن أجل هذا كان إنشاء المدرسة والإسهام فى بنائها واجب كل مسلم من أهل اليسار والسعة فى الرزق، تعبيراً منهم عن أداء واجبهم واستجابتهم لله تعالى الذى أمر بالتعاون على البر والتقوى.

● وأؤكد لهؤلاء المشاركين فى إنشاء المدارس، أن مشاركتهم هذه لا يقل ثوابهم فيها عن ثوابهم فى بناء مسجد أو مستشفى أو دار لإيواء الأيتام أو نحوها من المؤسسات الجالبة للنفع للمجتمع الدافعة للضر عنه؛ لأن الله تعالى هو الذى أمر بكل هذا وحبَّب فيه ووعد بحسن الثواب على فعله.

● ومما أراه صحيحًا ونافعًا ومفيداً وجالبًا لخير الدنيا والآخرة، أن إنفاق الأموال فى بناء المدارس أجدى على الموسرين- فى زماننا هذا- من إنفاقها فى تكرار فريضة الحج، وتكرار العمرة، فهو بإذن الله مأجور فى تعلم كل طالب فى هذه المدرسة؛ لأنها صدقة جارية وخدمة للمجتمعات الإسلامية بأحسن ما تكون الخدمات وأجداها عليهم فى دينهم ودنياهم، وحجتى فى ذلك أن الإسلام أمر بطلب العلم بل جعله فريضة على كل مسلم، وأن علماء المسلمين فى كل العصور يرون أن تيسير العلم على من يطلبه من أقرب القربات إلى الله تعالى.

كما أن تيسير العلم لطلابه إحياء لسنة الرسول ﷺ الذى آثر أن يجلس فى المسجد فى حلقة الذين يتدارسون العلم، قائلا: «**إنما بعثت معلماً**».

● ومما لا يشك فى صحته مسلم أن من يبنى مدرسة أو يعين على بنائها إنما يسهم فى إشاعة العلم والهدى والتمسك بالحق، وقد وعد الرسول ﷺ على ذلك بالأجر العظيم، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...**»

وروى ابن ماجه بسنده عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سن سنة حسنة فعُمل بها بعده، كان له أجره، ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا**».

● وإن كانت الزكاة فريضة على كل من ملك نصابها وحال عليه الحول، وإن كل من زكى فأدى الفريضة وكان من الموسرين فإن لإخوانه من السائلين والمحرومين حقًا غير الزكاة، ومعنى ذلك أن فى أموال الموسرين حقوقًا أخرى يتقربون إلى الله تعالى بأدائها هى بناء المدارس الإسلامية والمعاونة فى بنائها. وإذا كان تعليم المسلم وإزالة الجهل عنه واجبًا على كل قادر من المسلمين، فإن هذا التعليم له أماكن بعينها هى أولى به وهو أولى بها وهى المساجد والمدارس.

● من بنى مسجدا كمن بنى مدرسة إسلامية فيها يتعلم المسلم من أمور دينه ودنياه ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر. وكل إسهام فى بناء مسجد أو مدرسة عمل له وزنه وقيمته الإسلامية فى كل زمان ومكان، لأنه ما من زمان ولا مكان إلا والمسلمون فيه فى حاجة إلى العلم بأمور دينهم ودنياهم، وفى حاجة إلى أن يواكبوا ركب البشرية فى العلم والتقنية والكشف والاختراع والإبداع، والمدارس هى المكان الملائم لهذا كله.

ومعنى ذلك أن بناء مدرسة إسلامية إسهام له وزنه فى بناء الحضارة، والتقدم والنهوض بكل نواحى الحياة الدنيا لتحقيق الأمن والسلام وتحقيق العدل والمساواة، والاستفادة العلمية الواعية بكل ما سخر الله تعالى للإنسان مما فى السماوات والأرض.

٤ - إنشاء المدارس واجب المؤسسات الاجتماعية غير الحكومية:

المؤسسات الاجتماعية غير الحكومية كثيرة متعددة الأهداف فى المجتمع المدنى، وهى من الكثرة بحيث لا تحصى فى هذا المجال من الكتاب.

ومن هذه المؤسسات الاجتماعية الأهلية المدنية:

أ- **المؤسسة الاجتماعية**، وهى أعمها وهى جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة، تتألف من أشخاص طبيعيين أو اعتياديين، وتتخصص هذه الجميعات أساسًا فى تقديم نوع معين من الخدمة الاجتماعية، دون أن تهدف إلى ربح مادى.

وأعمال هذه المؤسسة ذات صفة إنسانية عمومًا، وقد تكون هذه المؤسسة دينية أو ثقافية أو رياضية أو فنية. المهم أن تكون أعمال هذه المؤسسة منتمية إلى أعمال البر والخدمة والرعاية الاجتماعية.

ويندرج تحت هذه المؤسسة الاجتماعية عشرات الجمعيات ذات الأهداف العديدة، مثل:

- جمعيات التعاون بمختلف أنواعها، سواء أكانت :

- جمعية إنتاج تعاونى.
- أو جمعية استهلاك تعاونى.
- أو جمعية ائتمان تعاونى.
- أو جمعية بناء مساكن تعاونية.
- أو جمعية منافع متبادلة.
- أو جمعية علمية.
- أو جمعية أدبية.
- أو جمعية ثقافية.
- أو جمعية فنية.
- أو جمعية رياضية.
- أو جمعية كشفية (كشافة وجوالة).
- أو جمعية لتيسير الحج والعمرة، أو غيرها من الجمعيات.

ب- أبرز الجمعيات الأهلية (المدنية) :

- جمعية رعاية الأيتام ومن فى حكمهم.
- وجمعية رعاية الأرامل.
- وجمعية رعاية العاجزين عن العمل.
- وجمعية رعاية المعوقين.
- وجمعية رعاية كبار السن.
- وجمعية مساعدة الموتى المعوزين بإعداد الأكفان والقبور.

جـ - والجمعيات التربوية التعليمية، ومنها :

- جمعيات لبناء المدارس.
- وجمعيات لبناء دور لتحفيظ القرآن الكريم.

■ وجمعيات للبحوث العلمية فى مجال التعليم والتربية.

■ وجمعيات تنشئ مدارس تجريبية نموذجية.

■ وجمعيات لفتح فصول لمحو أمية الكبار ومن فاتهم سن التعلُّم.

● هذه الجميعات والمؤسسات الاجتماعية المدنية بمختلف أنواعها لابد أن يكون عدد غير قليل منها يجعل من أهدافها بناء مدارس إسلامية.(١)

ومها تكن بعض هذه الجمعيات تخدم فئات بعينها من الناس، أو تخدم أهل إقليم بذاته فى أى بلد إسلامى، فإن وسيلتها لخدمة هذه الفئة أو الإقليم لا تكون بأسلوب أحسن من بناء مدرسة أو الإسهام فى بنائها، فالمدرسة– فى تصورى– هى أحسن وأرقى خدمة اجتماعية، والمعنى والهدف الذى أقصده أن كل جمعية اجتماعية أيا كان نوع نشاطها مطالبة بأن تنشئ مدرسة أو مدارس أو تسهم فى إنشائها.

– فالجمعيات الخيرية التى تقدم العون لكل فقير أو مسكين أو عاجز والجمعيات التى ترعى الأيتام والأرامل لو أسهمت فى بناء مدرسة أو مدارس لكانت أقدر على تحقيق أهدافها وأداء رسالتها على أحسن صورة.

– والجمعيات التى تقصر نشاطها الاجتماعى على تكفين الموتى من الفقراء، وتجهيزهم للدفن، وتؤمن مدافن لهم، لو اتجهت إلى الإسهام فى بناء مدرسة أو مدارس لأدت لمجتمع الأحياء خدمة لا تقل أهمية عن الخدمة التى تقدمها للأموات.

– والجمعيات التى تقصر خدماتها الاجتماعية على علاج المرضى وتقديم العلاج والدواء إليهم، وربما بناء المستشفيات، لو اتجهت إلى بناء مدرسة أو أكثر أو الإسهام فى بنائها

---

(١) هى جمعيات كثيرة العدد أنشأت مدارس عديدة فى بلدان إسلامية كثيرة فى تركيا وفى مصر وفى بلدان عربية وإسلامية كثيرة، ومما اشتهر من هذه المدارس فى مصر على سبيل المثال:

مدارس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، ومدارس الجيل التى أنشأت عدداً منها جماعة الإخوان المسلمين وكانت الجماعة قد أنشأت منذ نشأتها فى الإسماعيلية: معهد حراء لتعليم البنين، ومدرسة أمهات المؤمنين لتعليم البنات، وقام الإخوان بشبراخيت وأبو صوير ومنشاة جويد والمحمودية والمنزلة ببناء مدارس ابتدائية أو إنشائها فى أماكن مناسبة.

كما أسهمت الجماعة فى فتح مدارس ليلية فى معظم شعبها لمحو الأمية وللتعليم، كما أنشأت مدارس لتعليم الكبار، ومدارس جمعيات إسلامية عديدة فى محافظات مصر كالإسكندرية والغربية وبنى سويف وأسيوط.

لكانت تلك خدمة اجتماعية جليلة القدر تقدم للأصحاء لا للمرضى، فالتعليم يحصن صاحبه من كثير من الأمراض.

ولا نمل من تكرار قولنا: إن المدرسة إذا كانت على المستوى الرفيع من الإنشاء ومن توافر الإمكانات والمواصفات التى تمكنها من أداء وظيفتها هى خير استثمار تقوم به وزارة أو هيئة أو قادرون من أهل اليسر والثراء.

ولا نمل من القول بأن تضافر الجهود ممن يشاركون فى إنشاء المدارس، يزيد من عددها، ويمكنها من أداء وظائفها، فتستطيع المدرسة أن تسهم إسهامًا حقيقيًا فى حل عديد من المشكلات التى تعوق تنمية المجتمع وتطوره وتقدمه، ومن أبرز هذه المشكلات ما يتصل بالصناعة والزراعة وما يتصل بالعلم والتقنية والاختراع والإبداع.

٥- إنشاء المدارس واجب أصحاب الشركات والمصانع والمؤسسات المالية:

أصحاب الشركات أيا كان نوع إنتاجها، وأصحاب المصانع أيا كانت السلع والأدوات والآلات والأجهزة التى يصنعونها، وأصحاب المؤسسات المالية أيا كان نشاطها.. كل أولئك هم القوة المحركة للمجتمع، والطاقات الاقتصادية الفاعلة، هؤلاء بحاجة ماسة إلى المدرسة، لأن القوى البشرية التى يستخدمونها ويتعاملون معها لا تستطيع أن تمارس عملها فى هذه الشركات والمؤسسات بكفاءة إلا إن كانت قد نالت من التعليم حظا يمكنها من الأداء الجيد فى مجالات العمل المتنوعة.

إن إسهام هؤلاء فى بناء المدارس أو استقلالهم بها هو أفضل عمل يقومون به ليعود عليهم بجدوى اقتصادية، تنمى أعمالهم وتطورها نحو الأحسن والأفضل.

إن المدرسة تؤهل المتعلمين فيها نظريًا وثقافيًا وعلميًا وخلقيًا وحرفيًا بحيث تصل بهم إلى درجة الإتقان، وإلى درجة الإخلاص فى أداء أعمالهم.

وإن المدرسة الإسلامية على نحو ما تحدثنا ونتحدث عنها فى هذا الكتاب أقدر من غيرها على مَدِّ المجتمع كله بهذه العناصر الجيدة المدربة المثقفة التى تدرك أن كل إجادة للعمل وكل إخلاص فيه دعم لتطوير المجتمع نحو الأحسن.

إن أصحاب الشركات والمصانع والمؤسسات المالية والتجارية، أحوج إلى المدرسة من حاجاتهم إلى غيرها مما يتصورونه يحقق لهم الربح والنجاح، لأن العناصر البشرية فى العمل جزء أصيل فى نجاحه، والعنصر البشرى لا يستفيد كفاءته وثقافته وحسن تعامله مع عمله

إلا بالمدرسة، هذه مسلمات لا يختلف عليها أهل العلم والخبرة، ومعنى ذلك أن يسهم هؤلاء فى إنشاء المدارس تحقيقا لأهدافهم من جودة الإنتاج وزيادته وتحقيق الأرباح.

ولقد حدث من الوعى والإدراك بتقدم العلم والمعرفة ما يؤكد أن المدرسة لا يمكن أن تكون بمعزل عن رجال المال والأعمال، إذ هى التى تمدهم بأسباب النجاح، بل إن ذلك واجب المدرسة والقائمين عليها بوصفها جزءاً من المجتمع وبوصفها مدرسة إسلامية.

● وإذا كان العالم الإسلامى اليوم يعانى من العجز عن الوفاء باحتياجاته الأساسية الأولية، فضلا عن الكماليات.. كما يعجز عن منافسة السلع والخدمات الواردة عليه من خارج بلاده فضلا عن أن يصدر سلعة لكل من يحتاج إليها، مما ينعكس على العالم الإسلامى بأسوأ النتائج الاقتصادية والسياسية.

ولست أرى حلا للمشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، صناعية وزراعية وتجارية إلا بالتوسع فى إنشاء المدارس عموما، والمدارس الفنية خصوصا.

وهناك حقائق يجب أن يعيها العالم الإسلامى فى هذا المجال، ومن أهم هذه الحقائق:

- أن المدرسة الفنية متوسطة أو ثانوية أو عالية هى أولى المدارس بالرعاية والاهتمام، وينبغى أن تكون لها الأولوية فى إنشاء المدارس، وأن يكون لها من الإنفاق ما يستطيع أن يطور التعليم فيها بحيث يواكب التقدم العالمى فى هذا المجال، إذ الهدف هو أن يصبح المتعلمون فيها على أحسن المستويات فى إنتاج السلع والخدمات على مستوى العالم الإسلامى، وعلى مستوى العالم كله، لأن ذلك واجب رجال المال والأعمال، وهو واجب وطنى وعربى وإسلامى.

- وأن المدارس الفنية بجميع مستوياتها تستطيع أن تصبح -مع ما تقدمه من تعليم- وحدات إنتاج للسلع والخدمات المناسبة لنوعها؛ صناعية أو زراعية أو تجارية أو غيرها؛ إذا وضع ذلك فى حسبان القائمين على التعليم على مدار العالم الدراسى كله، وبخاصة فى فصل الصيف لمن أراد من الطلاب والطالبات الراغبين فى شغل أوقات فراغهم بما يعود عليهم وعلى ذويهم بالنفع والخير.

- وفى تحويل كل المدارس الفنية أو بعضها إلى وحدات إنتاج تتحقق فوائد عديدة للطلاب وللمدارس وللمجتمع كله، يمكن أن نذكر ببعضها فيما يلى:

أ - على مستوى الطالب :

■ يستفيد الطالب أن يحس بأنه منتج وأن تعليمه له ثمرة ينتظرها المجتمع، وفى ذلك ربط بين التعليم والمجتمع.

■ وأن يكون للطالب دخل يعينه على مطالب الحياة، حتى لو كانت أسرته بغير حاجة إلى معونة منه.

ب- وعلى مستوى المدرسة :

■ أن تحقق المدرسة أرباحًا تمكنها من تحسين التعليم والتدريب فيها ليكون إنتاجها قادراً على التنافس وعلى التسويق.

■ وأن توفر لمعلميها دخلا إضافيا بإشراكهم فيما تحققه من أرباح، وتحسين المستوى الاجتماعى للمعلم هدف مستمر فى ظل أى سياسة تعليمية.

■ وأن تحقق لأبنائها دخولا تعينهم على الحياة.

جـ- وعلى مستوى المجتمع :

■ تتحقق وفرة الإنتاج للسلع والخدمات وجودته مما يسهم فى رخص الأسعار، ورفع معاناة الغلاء عن الناس.

■ ويتولد لدى الناس اعتزاز بما ينتجه أبناؤهم من سلع وخدمات تغنيهم عن الاستيراد لهذه السلع والخدمات.

■ ويستطيع المجتمع أو الدولة أن توفر الأموال التى تستورد بها هذه السلع والخدمات لأنها جميعًا تستورد بعملات أجنبية.

■ وتصبح المدارس الفنية بكل مستوياتها ثروة قومية، ودرعًا حصينة تقى المجتمع شر الوقوع فى مصيدة الاستيراد لهذه السلع والخدمات التى يمكن أن تنتج محلياً.

● وربما يتصور بعض الناس أن الوصول إلى ذلك صعب بل ربما دخل فى دائرة المستحيل!!! وهو تصور خاطئ، إذا ما وضعت الحكومة ذلك فى اعتبارها، ولا تحتاج الحكومات فى العالم الإسلامى التى تبتكر القوانين التى تبقيها فى السلطة وتمنع وصول الآخر بل تحرمه

من حق طبيعى له هو تداول السلطة[1]، تستطيع هذه الحكومات أن تسن قانونًا يحول جزءاً من أرباحها إلى إنشاء المدارس، وتعاقب من أخل بهذا القانون.

- ومع هذا القانون الضرورى.. يكون من الفرض على وزارات التربية فى العالم الإسلامى أن تشرك رجال المال والأعمال فى وضع برنامج المدرسة الفنية كل فيما يخصه ويحتاج إليه، لأن أصحاب المصانع والشركات يرغبون فى صفات بعينها فيمن يعملون فيها من أجل كم الإنتاج ونوعه، وكذلك أصحاب المزارع والمنتجات الزراعية، وكذلك أصحاب المؤسسات المالية والتجارية.

- وأخيراً أقول: إن إلقاء العبء فى إنشاء المدارس على الحكومة وحدها إجحاف بأى حكومة وتكليفها بما لا تطيق، وإن الوعى السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعلمى والفنى يستوجب على رجال المال والأعمال أن يسهموا فى إنشاء المدارس، ليكون ذلك فى ميزان حسناتهم بإذن الله تعالى.

٦- إنشاء المدارس الإسلامية واجب الأحزاب السياسية والنقابات:

- الأحزاب السياسية جماعات منظمة تشترك فى تبنى اتجاهات معينة فى النشاط السياسى المؤدى إلى الإصلاح.

ولإنشاء الأحزاب السياسية أسباب عديدة، وإن كانت جميعها تشترك فى عموميات هى: المعارضة السياسية للحزب الحاكم، والرغبة فى تداول السلطة، والتنافس فى الإصلاح لإقناع الناخبين بجودة البرنامج الذى يضعه كل حزب، والحكومة فى الغالب يتولاها الحزب الذى يحصل على أغلبية الأصوات، فإن لم يحصل حزب على الأغلبية شكلت الحكومة من عدد من الأحزاب.

ونظام الحكم الذى يحترم حريات المواطنين وحقوقهم ينبغى أن يقوم النظام فيه على تعدد الأحزاب، ويتيح لكل حزب فرصة المنافسة وتداول الحكم.

أما نظام الحزب الواحد أو نظام الحكم الشمولى، أو نظام استمرار الحاكم فى الحكم حتى يموت أو يحدث ضده انقلاب عسكرى، فذلك ما لا يمت إلى حقوق المواطنين وحرياتهم بصلة.[2]

---

(١) الدليل على ذلك يقوم عليه أكثر من شاهد وأكثر من دليل عند تأمل أن بعض الحكام المسلمين يظلون فى كراسى الحكم عشرات السنين!!!.

(٢) الحديث عن أنظمة الحكم فى العالم الإسلامى ذو شجون يحتاج كتابًا كاملاً أو كتبًا.

● والنقابات جماعات تتكون من أعضاء كل مهنة أو حرفة لتحقيق أهداف معينة منها:

■ النهوض بأحوال أهل هذه المهنة والعمل على حل مشكلاتهم.

■ والدفاع عنهم أمام أصحاب الأعمال وملاك الشركات والمؤسسات التى يعملون فيها.

■ والعمل على تطوير المهنة والنهوض بمستواها.

■ وتقوية التضامن بين أعضاء المهنة أو الحرفة الواحدة.

● وبعض البلدان تقسم النقابات إلى نوعين:

– نقابة مهنية تضم أصحاب المهن من أطباء ومهندسين ومدرسين وتجاريين وزراعيين ومحامين وغيرهم، ولكل طائفة من هؤلاء نقابة تخصهم ومجموع نقاباتهم يسمى: النقابات المهنية.

– ونقابة عمالية تضم جميع العمال على مختلف حرفهم وصنائعهم وأغلب أعضاء هذه النقابة من العمال الذين يعملون فى الصناعة أو الزراعة، أو الخدمات التى تتعلق بأى قطاع فى المجتمع.(1)

● وهذه النقابات جميعًا حكومية (2) أو أهلية (3) فى العالم الإسلامى تسيطر عليها الحكومات ذات الأنظمة الشمولية سيطرة كاملة بحيث تعين رؤساءها، وتوجهها كما تريد، وتعاقبها بالحل إن هى خرجت عن الخطة التى ترسمها الحكومة فى أى مجال!!! يحدث هذا فى معظم بلدان العالم الإسلامى على حين ينبغى أن تأخذ النقابات لأعضائها حقوقهم من الحكومات التى تملك فى العالم الإسلامى كل شىء فى المجتمع، وتوزع من هذه الأملاك على أعضائها وحزبها الحاكم، مقارً وصحفًا وخدمات وأموالاً، لكى ينتخبها الحزب ويرشح لها الرئيس المراد!!!(4)

● أقول: هذه الأحزاب والنقابات عليها واجب اجتماعى هو إنشاء المدارس أو الإسهام فى إنشائها، والإنفاق عليها لتطويرها وتحسينها، بوصفها مؤسسات حكومية أو أهلية لأن الجميع ينتمون إلى الوطن المحلى فالوطن العربى فالعالم الإسلامى.

---

(1) من الملحوظ أن الحكومات الشمولية لا تعنى بعمال المهن الحرة.

(2) أى أن أعضاءها من العاملين فى هيئات حكومية.

(3) أى أن أعضاءها يعملون فى أعمال حرة لا تملكها الحكومة.

(4) لهذه الأحزاب الشمولية أحاديث أعجب من الخرافات فى التعامل مع أعضائها وجعل كثير منهم فوق القانون.

– وتستطيع الحكومة شمولية أو غير شمولية أن تسن من القوانين ما يلزم هذه الأحزاب وتلك النقابات بأن تنشئ المدارس عامة أو فنية على كل مستوى من مستوياتها، ولكن هذه الحكومات – في حدود علمي – لا تصدر مثل هذه القوانين، لأننا نستطيع القول غير مبالغين: بأن كثيراً من هذه الحكومات لا تعنى بالمدارس والتعليم؛ ربما لخوفها من أن يتعلم الشعب ويتثقف فيطالبها بحقوقه وحرياته، فيكون الصدام الذى لا تقبله أى حكومة شمولية فى العالم الإسلامى.

بل إن كثيراً من الحكومات فى العالم الإسلامى– وقد أنعم الله عليها بنعمة النفط الذى أودعه أرضها ومياهها – لا تعطى للتعليم أهمية ما تعطيه لوسائل الترفيه عن المكدودين الذين لا يجدون قوت يومهم والذين تجمعهم البطالة والفقر والمرض، حتى إن بعض الحكومات تقصر فى إنشاء المدارس إلى الحد الذى يجعل كثافة عدد التلاميذ فى الفصل يصل أحيانا إلى مائة وعشرين تلميذا وتلميذة فى المرحلة الأساسية من التعليم!!![1]

ثم نتباكى على سوء أحوال العالم الإسلامى،وعدم اكتفائه الذاتى فى أى منتج حتى ذلك الذى يخرج من أرضه ومياهه !!!

ثم تتبجح بعض الحكومات فى العالم الإسلامى فتدعى أنها لا تنتهك حقوق الإنسان، ولا تحرمه من شيء منها، وتتفاخر بعضها بأن التعليم عندها بالمجان بما فى ذلك المرحلة الجامعية، وعند التدقيق تجده لا يمكن أن يسمى تعليماً مع هذا التكدس ومع المستوى الهابط علميًا وثقافيًا لكثير ممن أنهوا جميع مراحل التعليم، ولم يعد مجانيًا لمن أراد أن يعلم أبناءه حقًا؛ إذ عليه أن يتجه بهم إلى المدارس الخاصة أو المدارس التى تعلم باللغات الأجنبية ثم تستنزفه الدروس الخصوصية لأن التزاحم على الجامعات أكبر من طاقة هذه الجامعات، ثم تستنزفه الجامعات الخاصة، فأين هى المجانية التى يزعمون؟[2]

---

(١) أذاعت ذلك هيئة الإذاعة البريطانية فى حوار أجرته مذيعتها مع إحدى المدرسات فى مدرسة نائية عن المدينة أو العاصمة– أذيع هذا بعد ظهر يوم الجمعة ٥ من صفر ١٤٢٥ الموافق: ٢٦/٣/٢٠٠٤، وكثير من الإحصاءات التعليمية تؤكد أن كثافة أعداد التلاميذ فى الفصول تزيد على ستين أو سبعين تلميذا وتلميذة!

(٢) اقترح كاتب هذه السطور عام ١٩٦٢م، فى مؤتمر حضره وزير التعليم المصرى السيد يوسف وكنت فى ذلك الوقت مدرسا فى دار المعلمات ببنى سويف– أن يكون التعليم مجانيا فى المرحلة الأساسية، ثم تعلم الدولة المتفوقين بالمجان، وغيرهم بالمصروفات، وتأخذ مما يدفعون ما تحسن به الوزارة من المدارس ومن التعليم، وهكذا حتى الجامعة، وأذكر أن أعجب الحاضرون بالاقتراح، ولكن المباحث العامة حققت معى واتهمتنى بأننى ثورة مضادة، حين أطالب بإلغاء مجانية التعليم، وأنا لم اقترح الإلغاء ولكن اقترحت الخروج من الدجل السياسى وإطلاق الشعارات الجوفاء.

إن إصلاح التعليم وتلافى أنواع الخلل فيه فى العالم الإسلامى – وهى كثيرة – طريقه أن تسهم كل الجهات والمؤسسات الحكومية والمدنية فى إنشاء المدارس وتحديثها والإنفاق عليها.

٧ – إنشاء المدارس واجب المنظمات التربوية:

المنظمة التربوية، أو الجمعية التربوية بصورتها الراهنة فى العالمين العربى والإسلامى، هى إحدى مؤسسات المجتمع المدنى التى تعنى بالتعليم والتربية، فتجعله هدفها أو أهم أهدافها.

– ومن الطبيعى أن تكون مؤسسات المجتمع المدنى آخذة على عاتقها استكمال ما تقوم به المؤسسات الحكومية، أو تلافى ما فى المؤسسات الحكومية من خلل.

والمؤسسات التربوية أو المنظمات التربوية تحاول أن تعالج ما فى المؤسسات والمنظمات التربوية الحكومية من قصور، وهى بذلك تقدم للمجتمع بعض الحلول لبعض المشكلات التعليمية.

– وربما انتقلت إلينا تسمية: «منظمة تربوية» من منظمة «اليونسكو» التابعة لهيئة الأمم المتحدة وهى الحروف الأولى للكلمات التى يتألف منها: اسم «منظمة التربية والعلوم والثقافة» وقد تكونت هذه المنظمة فى شهر نوفمبر من سنة ١٩٤٦م، وهدفها– كما أعلن– هو: «الإسهام فى تدعيم السلام والأمن فى العالم بتشجيع التعاون بين الأمم فى مجالات التربية والعلوم والثقافة».

وقد أنشأت هذه المنظمة فروعا ثلاثة هى:

- المؤتمر العام ويتألف من مندوبين عن جميع الدول الأعضاء.
- المجلس التنفيذى ويتكون من أربعة وعشرين عضواً وينتخبه المؤتمر العام.
- والأمانة ويرأسها مدير عام يعينه المؤتمر العام.

ولهذه المنظمة أوجه نشاط عديدة على مستوى العالم كله ومن أبرز هذا النشاط: القضاء على الأمية وتشجيع التعليم الأساسى ورفع مستويات التربية...

ثم وجدت لدينا فى العالمين العربى والإسلامى منظمتان أو أكثر تحمل هذا الاسم مثل: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وغيرها، وأهدافها قريبة من أهداف منظمة «اليونسكو» ولكن ليس لها بالضرورة إمكانات منظمة تتبع هيئة الأمم المتحدة.

والذى نطمح إليه أن تضع هذه المنظمات التربوية فى أهدافها إنشاء المدارس أو الإسهام فى إنشائها، لان ذلك - فى تصورى - واجبها، لعلمها بأن عدد المدارس فى العالمين العربى والإسلامى لا يستوعب أعداد من هم فى سن الإلزام، ولا أعداد من يريدون مواصلة التعليم بعد التعليم الأساسى سواء أكان تعليما عامًا أم فنيًا.

- مما أعتبره من المنظمات التربوية حتى وإن لم يطلق عليه أصحابه هذه التسمية؛ تلك المدارس والمعاهد والجامعات الخاصة التى تعلم مقابل أجور عالية أو باهظة، وتحقق أرباحا طائلة، هذه المنظمات التربوية لابد من إلزامها بإنشاء مدارس تهديها إلى الحكومة التى مكنتها من أموال الناس، ولا يتم ذلك إلا من خلال قانون يسن ورقابة مالية دقيقة.

ولا ننكر ما تؤديه بعض هذه المدارس والمعاهد والجامعات من خدمات تعليمية فى مواجهة عدم قدرة المدارس الحكومية على استيعاب أعداد المتعلمين، لكن نظرة إلى ما تفرضه هذه المدارس والجامعات على أولياء الأمور من أعباء مالية باهظة، ونظرة أخرى إلى التوسعات الهائلة التى تقوم بها تؤكد أن أرباح هذه المؤسسات هى الهدف، فلا أقل من أن تلزم هذه المؤسسات بإنشاء المدارس وتجهيزها بما يلزمها وفق نسبة محددة من أرباحها يُسَنُّ بها قانون.

*****

ثانياً: تنظيم المدرسة الإسلامية وإدارتها

نتناول فى هذه النقطة أمرين أساسيين فى المدرسة، لا تتمكن أى مدرسة من أداء وظيفتها إلا بهما معا، إذ هما لب العمل المدرسى وجوهره، وهما:

التنظيم.

والإدارة.

ويمكن جمعهما فى كلمة التنظيم الإدارى للمدرسة.

- فالتنظيم هو العملية التى تفرق بين جزء وآخر من وظائف المدرسة، ويعمل فى الوقت نفسه على تكوين مركب متكامل من العلاقات الوظيفية داخل المدرسة.
- والإدارة هى : تنسيق جهود الأفراد والجامعات والإشراف عليهم وتوجيههم لتحقيق هدف معين، مع توفير أسباب أداء العمل على وجهه وتوفير التعاون بين العاملين مع التمويل والرقابة.
- والتنظيم الإدارى يعنى: تحديد الواجبات والاختصاصات وتجميعها فى وظائف ثم فى أقسام وإدارات.

والمدرسة بحاجة إلى التنظيم والإدارة كحاجتها إلى المنهج والعلم والكتاب والبناء المدرسى نفسه.

ويتناول حديثنا عن تنظيم المدرسة: أقسامها وتحديد واجبات العاملين فيها، وتقويمهم.

أما حديثنا عن إدارة المدرسة فيتناول: مفهوم إدارة المدرسة ومديرها وأنواع المسئولية الإدارية، وتمويلها.

والله الموفق الهادى إلى سواء السبيل.

١- تنظيم المدرسة:

تنظيم المدرسة على النحو الذى أشرنا إليه إجمالاً، ضرورى لسير العملية التعليمية التربوية، وهذا التنظيم يتناول:

التركيب الهيكلى للأقسام والأفراد.

والوظائف التى تقوم بها هذه الأقسام وأولئك الأفراد، والتعاون بين كل ذلك على أداء هذه الواجبات للوصول إلى تحقيق الأهداف فى مدى زمنى مناسب.

ولابد أن أنبه إلى أن التنظيم المدرسى متداخل مع الإدارة المدرسية إذ كل إدارة ناجحة قائمة على التخطيط والتنسيق والتوجيه فهى تنظيم، ولا تهمنا المصطلحات بقدر ما يعنينا أن تستطيع المدرسة أداء وظائفها بكفاءة وإدارة شئونها باقتدار.

● ولكى يتم التنظيم المدرسى على وجهه الأمثل فلابد لنا من حديث موجز عن أقسام المدرسة ومدى احتياج كل منها إلى تنظيم.

أ- أقسام المدرسة:

تنقسم المدرسة بحسب ما يجب أن تؤديه من وظائف إلى أقسام عديدة هى:

- قسم التعليم والتربية:

ووظيفته تيسير عملية التعليم، وبث القيم التربوية فى نفوس الطلاب وعقولهم وأنماط سلوكهم.

ويتمثل هذا القسم فى: مدير المدرسة ووكيلها أو وكلائها وقدامى المعلمين فيها، وسائر المعلمين، وكل من هؤلاء يؤدى عملا جليلا فى تيسير التعليم وبث القيم التربوية فى الطلاب أو الطالبات، وعمل هذا القسم مرهون بجودة المنهج والكتاب.

- وقسم الإدارة وشئون الطلاب:

ووظيفته إعداد ملفات للطلاب، وضبط الوارد والمنصرف فى المدرسة، والإشراف على احتياجات المعامل وغيرها من مرافق المدرسة ومدها بها، وضبط جميع الأعمال الإدارية والكتابية، وخدمة مجلس الآباء، والاستجابة لكل متطلبات المدرسة إدارياً وكتابياً.

ويتكون هذا القسم من أمين سر المدرسة (السكرتير) وأمين المخازن وأمناء المعامل والمشرفين على مرافق المدرسة.

- وقسم الخدمات المدرسية:

وهى خدمات مكملة للعملية التعليمية التربوية فى مقدمتها مكتبة المدرسة وأمينها، والأخصائى الاجتماعى؛ والموجه التربوى للتلاميذ (المرشد) وجميع من يعاونون فى مد المدرسة بهذه الخدمات.

ويلحق بهذه الخدمات معمل تعلم اللغة الأجنبية، وأجهزة الحاسب الآلى، والإذاعة المدرسية، وما يحتاجه مسرح المدرسة وقاعة محاضراتها من أجهزة وأدوات ومدربين عليها.

- وقسم الامتحانات والإعداد لها:

ويتولى إعداد كل ما يلزم الامتحانات حسب نوعية المدرسة ومستواها التعليمى، والذى يلزم الامتحانات فى المدرسة أشياء كثيرة منه:

- أوراق إجابات التلاميذ.
- وأوراق لطباعة الأسئلة وأحبار.
- وآلة كاتبة أو أكثر أو حاسب آلى.
- وأماكن لحفظ أوراق الإجابة.
- وكشوف بها أسماء الطلاب وأرقام جلوسهم.
- وكشوف لرصد الدرجات بعد تقدير درجات الإجابة.
- وسجلات لتسجيل الناجحين وأخرى لتسجيل الراسبين وأسماء المقررات الدراسية التى رسبوا فيها.
- وإحصائيات للمقررات الدراسية التى يرسب فيها عدد كبير من الطلاب، وأخرى للمقررات التى ينجح فيها كل الطلاب أو أغلبهم، ليحدث من ذلك متابعة فتقويم فعلاج.
- وسجل لأسماء الذين غشوا فى الامتحان أو شاغبوا فيه والعقوبات التى وقعت عليهم.
- وسجل للذين أتموا الدراسة فى المدرسة.

وغير ذلك مما هو ضرورى للامتحانات.

ويرأس هذا القسم وكيل المدرسة أو أحد قدامى المدرسين ويشارك فيه كل من يتولى مسئولية فيه.

- فإذا كانت المدرسة فنية، زادت فيها الأقسام بحيث يكون لكل حرفة أو مهنة قسم خاص بها يفرض احتياجات القسم ويتولى الإشراف على إنتاج السلع والخدمات، ويساعد فى تقدير تكلفتها وتحديد سعرها، وتحديد قدر الربح فيها.

ومدير المدرسة يجب أن يشرف على ذلك كله.

ب- تحديد واجبات العاملين وتكوين العلاقات الإنسانية بينهم:

تحديد واجبات المعلم فى كل مدرسة من المرحلة الأساسية حتى المرحلة الجامعية، واجب وزارات التعليم، ووزارات التعليم العالى، فهى الأقدر على تحديد هذه الواجبات لأنها التى تضع خطة التعليم وأهدافه ووسائله.

- وما أعلم - على كثرة تجولى فى العالم الإسلامى، وتعدد عملى فى التعليم - أن وزارة معينة فعلت ذلك، ولا منطقة تعليمية تلافت تقصير الوزارة، ولا مدرسة تلافت تقصير من يعلوها من القيادات التعليمية فكتبت فى هذه الواجبات ورقة سلمتها لمن يقوم بالتعليم فيها!! أو بأى عمل فيها!!

وهذا من أعجب العجب، كأن المعلم يعلم ذلك بفطرته!! وكأن هذا الأمر ثانوى فى أولويات القيادات التعليمية!!

- وأتصور فى تحديد هذه الواجبات أموراً هى:

- تحديد واجبه المهنى فى التعليم نوعًا وكمًا.
- وتحديد واجبه فى الإدارة إن وجد.
- وتحدد واجبه فى الأنشطة المدرسية والخدمات.
- وتحديد واجبه فى التعامل مع أبنائه المتعلمين.
- وتحديد واجبه فى التعاون مع أقسام المدرسة والعاملين فيها.
- وتحديد واجبه مع رؤسائه فى المدرسة.
- وتحديد واجبه نحو من يقومون بتقويم عمله وتسديده.

- ولأن قيادات التعليم لا تفعل ذلك فإن حساب المعلم على التقصير فى بعض هذه الواجبات اعتساف لامبرر له، وإيقاع عقوبة عليه لتقصيره تحكم وظلم لا مبرر له.

- وترك هذه الواجبات دون تحديد تضييع للتعليم وللجهود فيه، وفرصة لكى يستبد مدير بمعلم فى إضافة واجبات أخرى، وفرصة لمدير آخر يجامل على حساب العملية التعليمية هذا عن تحديد الواجبات.

- أما العمل على تكوين العلاقات الإنسانية بين العاملين فى المدرسة: فإن المدرسة مادامت إسلامية فلابد أن تسود العلاقات بين العاملين قيم الإسلام وأخلاقه.

وأبرز القيم الإسلامية فى مجال المدرسة:

- الرفق فى التعامل وطلب المشورة:

قال الله تعالى يثنى على نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ينبغى أن يكون ذلك هو المبدأ السائد فى المدرسة ابتداء من مديرها وبغير انتهاء أى مع أى فرد فى المدرسة.

- والأخوة الحانية المعينة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

- والإخلاص لله فى القول والعمل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٥، ١٤٦].

- والعدل والإحسان:

حيث يجب أن يسود العدل وهو واجب كل رئيس ومرءوس، ثم يسود الإحسان وهو ندب بين جميع العاملين فى المدرسة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠]

وقال جل شانه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

- والمودة والرحمة مع الآخر:

قال الله تعالى يمتدح الرحماء والمتوادين ويعدهم بحسن الجزاء: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:١٧، ١٨]

- والوفاق والإصلاح بين الناس:

قال الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

- والتعاون على البر والتقوى:

بحيث يصبح التعاون على أعمال الخير وجلب المنافع ودفع المضار هو المبدأ السائد فى المدرسة، قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢]

- ولا يمكن أن تتصور مدرسة إسلامية -على نحو ما أوضحنا من تبعات ووصف هذه المدرسة بأنها إسلامية- دون أن تسود العاملين فيها علاقة إنسانية تقوم على القيم والمبادئ الإسلامية، والمسئولية فى سيادة هذه القيم والمبادئ تقع تبعاتها على المدير أولاً، وعلى كل من يعمل فى المدرسة بعد ذلك.

- إن هذه القيم والمبادئ الإسلامية عندما تسود المدرسة ومن فيها لابد أن تشع على البيئة التى فيها المدرسة نوراً وعلماً ورقياً وتقدماً وخدمات وأنشطة فى إطار من الأخلاق الحميدة التى تجعل المدرسة منارة خير ونفع لكل مكان تنشأ فيه مدرسة.

جـ- تقويم العاملين فى المدرسة:

لا تتم عملية التعليم والتربية على وجهها الصحيح إلا إذا حدث تقويم دقيق للعاملين فيها جميعاً؛ إذ التقويم جزء من أى عمل لا يتم هذا العمل على وجهه إلا به.

- والتقويم يعنى: تقدير قيمة العمل أو الشىء أو العامل بالنسبة لما يجب أن يكون عليه العمل أو العامل؛ فالتقويم حكم موضوعى على العمل والعامل بالقياس إلى تحقيق الأهداف، والنجاح أو الفشل فى ذلك.

وللتقويم عناصر أساسية لابد منها، من أهمها:

- الموضوعية والحيادية فى التقويم أى إبعاد الأهواء والميول الشخصية فيمن يقوِّم.
- والقياس الدقيق للنجاح أو الفشل فى العمل.
- وتتبع أسباب النجاح أو الفشل للاستفادة منها فيما بعد.
- ووضع خطة لتلافى السلبيات.
- وقياس الوقت الذى استغرقه تنفيذ العمل، لمعرفة ملاءمته أو زيادته أو قصوره.
- وتقويم الوسائل التى استعملها العامل فى أداء العمل لمعرفة ملاءمتها وكفاءتها فى تحقيق الأهداف.

- وتقويم إخلاص العامل فى عمله وتفرغه له وتفوقه فيه.

- وتعرف علاقة العامل بزملائه والعاملين فى المدرسة.

- وتقويم تعامل المعلم مع طلابه، ومدى حبهم له واحترامهم وتقديرهم.

- وما يتمتع به العامل من تمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية فى عمله وتعامله مع المدرسة بكل من فيها وما فيها.

● ومعرفة هذه العناصر واجب كل من يقوم بالتقويم، مديراً كان للمدرسة أو مسئولا فيها عن عمل أو عاملين.

وعلى المدير الجيد أن يفصل فى تقويمه للعاملين بين التقويم الذى يقتضى متابعة وتسديدا وتوجيها ومساندة، وبين المراقبة للعاملين والتجسس عليهم، والبحث عن أخطائهم وتصيدها لمحاسبتهم عليها ومعاقبتهم.

إن المدير الذى لا يفرق بين التقويم والمراقبة لا يمكن أن يتم العمل تحت إدارته بنجاح بل يستحيل على العاملين معه أن يحققوا أهداف العمل الهامة أو المرحلية.

● وفى مجال العمل المدرسى فإن تقويم المسئول مديراً أو رئيساً لمن يزاول مهنة التدريس لابد أن تشتمل على نقاط هى:

- تقويم قدرته العلمية والفنية وما لديه من قدرة على الإبداع.

- وقدرته على تحبيب التلاميذ فى المقرر الدراسى الذى يدرسه لهم، وتحبيبهم فى شخصه.

- ومظهره وانضباطه فى مواعيده وحرصه على المشاركة فى الأنشطة المدرسية.

- وحرصه على أن تكون المدرسة فى أحسن صورة وأكمل نظام وأروع جمال ونظافة.

- وثقافته العامة ومدى معرفته بالقضايا التى تحيط بالمدرسة وبيئتها وبالوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى.

● والأصل أن تكون مفردات التقويم قد أعدتها لجنة مختصة فى وزارات التعليم، لكننا نشير هنا مجرد إشارة، ولا ندعى الإحاطة بأبعاد التقويم وجميع عناصره.

٢- إدارة المدرسة:

إدارة المدرسة متممة لتنظيمها الذى تحدثنا عنه آنفًا، ولأن المدرسة وحدة تعليمية تربوية من وحدات المجتمع، والمجتمع لا يستطيع أن يمارس أعماله أو يحقق أهدافه إلا من خلال إدارة جيدة لكل وحداته، كان لإدارة المدرسة أهمية قصوى؛ إذ هى التى تبنى المجتمع وتعلم أبناءه وتمد المجتمع بهم ليحقق من خلالهم وبسبب ما يقومون به كل أعماله وأهدافه.

- ومن المقرر بين المشغولين بقضايا التعليم والتربية الربط الوثيق بين نجاح المدرسة فى تحقيق أهدافها وحسن إدارتها، لذلك كانت الإدارة المدرسية الجيدة فى مقدمة أسباب النجاح لأى مدرسة، وكان مدير المدرسة ذو الكفاءة فى إدارتها عنصرا جوهريا فيها.

وإذا كانت الإدارة فى معظم مجالاتها تعنى: تنسيق جهود الأفراد والجماعات فى عمل ما لتحقيق أهداف هذا العمل - كما يقول علماء الاجتماع - فإن مفردات هذه الإدارة كثيرة تشتمل على خطوات أساسية هى:

التخطيط، والتنظيم، والتوظيف، والتوجيه، والتمويل، والمتابعة والتقويم.

- ولأن المدرسة يقوم الجهد الأكبر فيها على من يمارسون التعليم والتربية للأبناء كانت - فى تصورى - أهم وحدة فى المجتمع، وكانت إدارتها تعنى تنسيق جهود العاملين فيها لضمان تأديتهم لعملهم بكفاءة فى ظل علاقات طيبة تربط بينهم وتعاون وثيق فى أداء أعمالهم.

ولا أدعى أنى سأقول فى الإدارة المدرسية كل ما ينبغى أن يقال، لأن هذا الكتاب لا يتسع لذلك، ولكنى سوف أقصر حديثى فى ذلك على ثلاث نقاط هى:

- مفهوم إدارة المدرسة:
- ومدير المدرسة وأنواع مسئوليته الإدارية.
- وتمويل المدرسة أى مواردها ومصارفها.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

أ- مفهوم إدارة المدرسة:

يتحدد هذا المفهوم وتتضح أبعاده بتصور ما تشتمل عليه المدرسة من أعمال يجب أن تؤدى على وجهها الصحيح.

وأبرز ما فى المدرسة من أعمال هو التعليم والتربية، وكل من فى المدرسة وما فيها إنما هو عنصر مساعد للعملية التعليمية التربوية؛ فإدارة المدرسة تعنى تسديد هذه العناصر وتوجيهها ومعاونتها على أن تؤدى وظائفها وتحقق أهدافها.

● ومفردات إدارة المدرسة عديدة:

نذكر منها ما لابد من ذكره لكى تدار المدرسة وفق الأهداف العامة للمجتمع والأهداف المرحلية لوحداته ومؤسساته:

– الوعى بفلسفة التعليم والتربية فى المجتمع المسلم، وهى العمل على صيانة القيم الثابتة فى المجتمع وهى العقيدة والعبادة والأخلاق، مع تعديل القيم المتغيرة لتوافق منهج الإسلام ونظامه.

– واتخاذ كل وسيلة مشروعة لتنمية شخصيات المتعلمين فى كل جوانبها الروحية، والعقلية، والخلقية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والجهادية، والجمالية، والجسدية.

– ومقاومة التيارات المعادية الوافدة التى تتعارض مع العقيدة والعبادة والقيم الخلقية، كالمادية والالحادية والعلمانية.

– والتعاون مع المؤسسات التربوية الأخرى التى تساند المدرسة فى أداء وظائفها التربوية، وهى: البيت والمسجد والإعلام وأجهزته ووسائله لتستعين بكل ذلك على أداء وظائفها.

– واستهداف الجودة فى العمل المدرسى كله، وبخاصة التعليم والتربية إذ التعليم ذو الجودة العالية هو مفتاح التقدم الاجتماعى، والاقتصادى بزيادة معدلات الإنتاج، والسياسى بمعرفة الحقوق والواجبات، والعلمى بتشجيع الابتكار والإبداع، والتقنى بتقدم الصناعات، وتطوير الزراعة، وحسن توجيه الاستثمارات.

كما أن جودة التعليم إكساب المتعلمين أهم المهارات التى تجعلهم قادرين على تحقيق النجاح فيما يقومون به من أعمال وأهم المهارات فى العلاقات الإنسانية.

– وقيادة كل الأعمال فى المدرسة سواء منها ما كان بشريًا أو ماديًا أو له علاقة بالبيئة التى تحيط بالمدرسة، وقيادة ذلك بمهارة وعلم واقتدار.

ففى الجانب البشرى لابد أن يكون الأفراد فى المدرسة فاهمين ومستوعبين لأحدث الوسائل التى يحققون بها أهدافهم، وأن يكونوا واعين بأبعاد العملية التعليمية وتكاليفها المادية والمعنوية، بحيث يحققون أهدافهم بتكلفة معقولة وفى زمن معقول مع جودة ما يقومون به من أعمال، وملاءمته للطالب وللبيئة وللمجتمع وللسوق إن كانت المدرسة فنية حرفية.

– والقدرة على مواجهة المشكلات والمعوقات والتغلب عليها وإزالتها من طريق العملية التعليمية التربوية.

ولا يقدر على علاج المشكلات وإزالة المعوقات مثل قرار حازم من مدير كفء يعايش الأزمة أو المشكلة ويعرف أبعادها وأسبابها ونتائجها، وكل مدرسة فى العالم الإسلامى كله تواجهها مشكلات عديدة نذكر منها:

- مشكلة تسرب التلاميذ وانصرافهم من المدرسة.
- مشكلة تكرار رسوب بعضهم.
- مشكلة الكتب المدرسية.
- مشكلة المبانى المدرسية وقصورها.
- مشكلة صيانة المبانى والمرافق بالمدرسة.
- مشكلة حاجة المدرسة إلى خدمات أحسن.
- مشكلة عجز بعض التلاميذ عن الوفاء بالأساسى من أسباب الحياة.

يستطيع المدير الجيد أن يواجه هذه المشكلات ويتغلب عليها دون انتظار لما سوف تسهم به الوزارة أو المنطقة التعليمية.

هذا هو تركيز وإيجاز لمفهوم إدارة المدرسة، يمكن أن يضاف إليه كثير فوق هذه المفردات التى ذكرنا لإدارة المدرسة ولا ندعى أننا استوعبنا كل المفردات ولا أكثرها، وإنما استوعبنا أهمها من وجهة نظرنا، وحسبنا أننا نسدد ونقارب، تاركين الاستيعاب والتدقيق لمن هم أكثر منا علماً فى هذا المجال، والله حسبنا ونعم الوكيل.

ولابد من كلمة عن مدير المدرسة وعن أنواع مسئوليته الإدارية.

ب- مدير المدرسة وأنواع مسئوليته الإدارية:

هو المسئول الأول والأهم فى المدرسة وعن المدرسة، وإن كان ليس الوحيد فى هذه المدرسة، وإنما الآخرون معاونون له؛ من أجل ذلك كانت صفاته التى يجب أن تتوافر فيه، أو أن يتحلى بها موضع اهتمام المشغولين بالتعليم والمدارس دائمًا.

وعند التدبر فى صفات المدير لأى مدرسة؛ تلك التى حددها العلماء والخبراء وجدتها نوعين من الصفات:

– صفات ذاتية راسخة ثابتة تعود إلى فطرته.

– وصفات يمكن أن يكتسبها إن لم تكن فيه.

● أما صفاته الذاتية الفطرية فهى:

– أن يكون متمسكًا فى بدنه، حريصًا على تطبيق منهجه ونظامه داعيًا إليه بلسانه وسلوكه.

– وأن يكون ذا خلق كريم ملتزمًا بالقيم الخلقية الإسلامية داعيًا إليها محبًا لكل من تمسك بها.

– وأن يكون قويًا فى بدنه، أمينًا فى أداء عمله، مخلصًا لربه فى كل ما يقوم به من عمل.

– وأن يكون محبًا للناس يألف الناس ويألفونه، حليمًا بطئ الغضب حكيمًا هادئًا لا يستثار بسهولة.

– وأن يكون زميلاً لمرءوسيه حريصًا عليهم لا يكلفهم ما لا يطيقون من الأعمال.

– وأن يكون عطوفًا على أبنائه فى المدرسة، قادراً على احتوائهم واحتواء مشكلاتهم راغبًا فى حلها.

– وأن يكون مقدراً لأولياء أمور الطلاب متعاونًا معهم، حريصًا على الاستعانة بهم وبآرائهم فى كثير من قضايا المدرسة.

● وأما صفاته التى يمكن أن يكتسبها، فكثيرة منها:

– قدرته على بناء علاقات إنسانية مع كل العاملين فى المدرسة، علاقات قوامها الخلق الإسلامى.

– وقدرته على التعمق فى بحث الموقف أو المشكلة لمعرفة أسبابها ونتائجها، وكيفية علاجها.

- وقدرته على التخطيط، أى له أسلوب فى التنظيم بهدف استخدام الموارد على أفضل وجه ممكن، أى وضع خطة تسير عليها المدرسة، حتى تحقق أهدافها.

- وقدرته على تكوين فرق عمل عند الحاجة إليها فى أى عمل مدرسى، فرق تقدم على العمل اقتناعاً به واستجابة لهذا المدير المحبوب لديهم.

- وقدرته على تصنيف الناس حسب إمكاناتهم واستعداداتهم ولا تتأتى له هذه القدرة إلا إذا كان يعرف من يصنفهم ويألفهم فيعلم إمكاناتهم.

- وقدرته على التقويم لكل من فى المدرسة، تقويماً موضوعياً يراقب فيه ربه ويخاف أن يظلم أحداً بالانتقاص من قدره أو يجامل أحداً على حساب الحق.

- وقدرته على المتابعة لن يقوّمهم متابعة الأب الحانى والزميل المخلص، والرئيس العادل المنصف، والمتابعة فى جوهرها عون وتسديد، وليست تصيداً لنقاط الضعف وتتبعاً للسلبيات والعيوب.

وكل صفة من هذه الصفات المكتسبة، يستطيع المدير مهما علت سنّه أن يتعلمها ويتحلى بها، ليكون مديراً ناجحاً قادراً على إنجاح المؤسسة التى يديرها.

- فما أنواع المسئولية التى تقع على عاتق هذا المدير؟

- **مسئولية إدارية:**

وتتناول هذه المسئولية:

- الإشراف على العملية التعليمية والتربوية فى المدرسة بالتأكد من أن القائمين عليها يطبقون المناهج والطرق المثلى للتدريس، والالتزام بالتوقيت الذى تحدده إدارة المدرسة.
- والإشراف على أقسام المدرسة، بالتنسيق مع وكيل أو وكلاء المدرسة وإسناد عمل أو أعمال محددة لكل منهم.
- والإشراف على المعاونين فى المدرسة الذين يناط بهم توفير احتياجات المدرسة المادية، واحتياجاتها الفنية والمالية والإدارية.
- والإشراف على الأنشطة والخدمات المدرسية.
- والإشراف على مجلس الآباء والمعلمين.

- **ومسئولية فنية:**

وتتناول:

- الرغبة الحقيقية فى تطوير العمل بتغيير ما يستحق التغيير من مفرداته نحو الأحسن والأوفق لوظيفة المدرسة، ووظائف العاملين فيها، مستغلا فى ذلك خبراته التراكمية فى العمل المدرسى، ومرونة تفكيره وسعة أفقه.
- وتركيزه على عنصر الجودة فى العمل وأدائه، بعمله على توفير الإمكانات والوسائل والمواد التى تعين كل عامل فى المدرسة على إجادة عمله وإتقانه.
- وإصراره على توزيع المسئوليات على الأكفاء من العاملين فى المدرسة حتى لا تتركز جميع المسئوليات والسلطات فى يده وحده، لما فى هذا التركيز من كثرة احتمال الوقوع فى التقصير أو فى الخطأ.
- وعمله الدائب على الاستعانة ببرامج التدريب المستمر لكل العاملين فى المدرسة، لما فى التدريب من إحداث المهارة أو تطويرها لأن التدريب مرتبط بكل جديد، وهو الأسلوب الأمثل فى التطبيق العملى لكل ما هو نظرى.
- وتوفير المناخ الملائم العلمى والنفسى الذى يشجع على الابتكار والإبداع فى مجالات العمل المدرسى كله ومن الوسائل النافعة فى ذلك الحوار الحر والتعبير عن الرأى بالوسائل المشروعة.
- وتقويم العمل المدرسى كله بالنتائج التى تحققها المدرسة كل عام فى مجال التعليم والإدارة والنشاط والعلاقة بالبيئة والقدرة على تقديم الخدمات، مع الاهتمام بتقويم الأفراد والأقسام بالمدرسة.
- وتقويم علاقة المدرسة بالمجتمع، وبخاصة أهل العلم وأهل الخبرة وأصحاب الوجاهة الاجتماعية، ومدى قدرة المدرسة على استضافة بعضهم للإسهام فى أنشطة أو خدمات مدرسية، أو على زيارتهم فى مقار أعمالهم بوفد من العاملين فى المدرسة.

- **ومسئولية نحو الطلاب:**

مسئولية مدير المدرسة نحو الطلاب بشكل مباشر أدعى لحل كل مشكلة تمس الطلاب، وأوفق لإنضاج شخصياتهم وتدريبهم على ممارسة التعامل مع المسئولين.

وهذه المسئولية تتناول:

- عقد لقاء مع ممثلى اتحاد الطلاب ومناقشة ما لديهم من أفكار وتطلعات والاستجابة لكل ما هو مقبول من هذه التطلعات، فذلك مما يجعل لاتحاد الطلاب وزنه ومكانته، ومما ينعكس على أعضائه بمزيد من الثقة بالنفس، ومن أهمية القرب من المدير المسئول والتحاور معه، وتلك بداية للنضج السياسى لدى الطلاب.
- وعقد لقاء بالطلاب على مستوى الصف أو الفصل أو نوع النشاط الذى يمارسه الطلاب فى مناسبات بعينها للحوار والتداول فى شئون الطلاب، وفى صلتهم بالمدرسة، ليشعروا بأنهم يشاركون فى أعمال المدرسة.
- وتدريب بعض الطلاب على تولى بعض المسئوليات فى المدرسة ثم تقويم عملهم، ومكافأتهم عند الإجادة وتبصيرهم عند التقصير، فهذا الأسلوب فى التدريب هو الذى يُعرَف من خلاله العمل القيادى وتعرف تبعاته ومسئولياته.
- وعقد لقاء مع بعض الطلاب لمناقشة بعض القضايا الوطنية أو العربية أو الإسلامية، سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، لتكوين رؤية صحيحة لديهم لقضايا أوطانهم وعالميهم العربى والإسلامى.

- **ومسئولية اجتماعية:**

وهذه المسئولية تتناول:

- توثيق الصلة بمجلس الآباء والمعلمين، وطرح المشكلات التى تعترض سير العملية التعليمية أمامهم والاستماع الجيد لما يقترحون من حلول لها.
- وتوثيق الصلة بوجهاء الحى الذى أنشئت فيه المدرسة وبمن فيها من العلماء وكبار المسئولين، ومديرى المصالح الحكومية وغيرهم، وترتيب زيارات لهم فى مكاتبهم وفى المدرسة فى الأوقات التى تناسبهم، فرب كثير من مشكلات المدرسة تحل من خلال هؤلاء.
- والتعاون بين أولياء الأمور والمدرسة على حسن توجيه الطلاب وإزالة المعوقات التى تحول بينهم وبين النجاح أو التفوق، وتزداد حلقة توجيه الطلاب إحكامًا إذا دعت المدرسة إمام المسجد أو أئمة المساجد فى الحى ليشاركوا فى توجيه الطلاب.

- وتحديد العمل والجهد الذى تستطيع المدرسة أن تقدمه لخدمة الحى المنشأة فيه، وإخطار مسئول الحىّ بذلك وإشراك العاملين فى المدرسة والطلاب فى هذه الخدمات كل فيما يستطيعه، وجعل ذلك عملاً أساسيًا من أعمال المدرسة، وإعطاء الطلاب درجات فى هذه الأنشطة تشجيعًا لهم على بذل المجهود.
- وإعداد قائمة بالأماكن التى يجب أن تزورها المدرسة على مدى العام الدراسى كله، مع إخطار الجهات التى ستزار بمواعيد الزيارة وعدد الزائرين.
- والعمل الدائب على أن تسود المدرسة روح الأخوة والتعاون، فقد علمنا الإسلام أن المؤمنين جميعًا إخوة فى الدين، وعلمنا أن لهذه الأخوة حقوقًا وواجبات.

والمدرسة ميدان هام لممارسة الأخوة بين العاملين فيحب بعضهم بعضًا ويتبارى بعضهم فى خدمة بعض، ويتعاونون فيما بينهم على إنجاح المهمة التعليمية التربوية، والأنشطة والخدمات المدرسية.

ولو استطاع المدير أن يجعل كل عامل فى المدرسة مسئولاً عن المدرسة كلها يحافظ عليها ويرعى مرافقها، ويتفقد أنواع الخلل فيتلافاها قبل أن تتفاقم، فذلك هو المدير الذى يحسن أداء عمله الاجتماعى فى المدرسة.

- ومن صميم عمله الاجتماعى فى المدرسة أن يتحسس ظروف الطلاب فى المدرسة ليمد إليهم يد العون والمساعدة من خلال ما لدى المدرسة من أموال، وقدرات على تقديم هذه الخدمات، وتلك عملية تبدأ بعمل الأخصائى الاجتماعى فى المدرسة، بملف الطالب فى شئون الطلاب، ورب طالب تعينه المدرسة فتصله بطلب العلم فيصبح عالمًا من العلماء الذين يشار إليهم!!!
- ومن صميم العمل الاجتماعى للمدير إحياء ذكرى الأمجاد الوطنية والعربية والإسلامية بعقد الاحتفالات وعمل التمثيليات والمسرحيات فى المدرسة، فإن لذلك العمل أثره الإيجابى فى إنضاج الوعى الوطنى والعربى والإسلامى، وما يترتب على هذا التعزيز للانتماء من حب لهذه الأوطان وتضحية فى سبيلها، وذلك واجب المدرسة دائمًا.

جـ- تمويل المدرسة:

أى ما يقدمه المجتمع لها من مال تَسُدّ به احتياجاتها.

وتمويل المدرسة مرتبط بتمويل التعليم فى المجتمع، وكلما زادت نسبة الإنفاق على التعليم فى مجتمع ما دل ذلك على تقدم هذا المجتمع ورقيه الحضارى، وتقدمه فى العلم والتقنية.

- وهناك شبه اتفاق بين خبراء التعليم وخبراء الاقتصاد على أن النسبة المئوية التى يجب أن توجه للتعليم من الناتج القومى لأى أمة حوالى عشرة فى المائة، وكلما زادت هذه النسبة كان ذلك أحسن.

وفى العالمين العربى والإسلامى -بل وفى معظم دول العالم- تتولى الإنفاق على التعليم وتمويله الدولة، ولأن الدولة تنفق على المرافق كلها الصحة والتعليم والأمن وتوفير فرص العمل والمواصلات والاتصالات وما لا حصر له من المرافق فلابد أن يكون نصيب التعليم قليلاً نسبيًا، وبالتالى فإن نصيب المدرسة من تمويل الدولة لها لا يمكن أن يفى بمتطلباتها واحتياجاتها، ومن هنا تبدو المدارس فى العالمين العربى والإسلامى فى صورة فقيرة تحتاج إلى الأساسيات وعاجزة عن تحقيق أهدافها، للتقتير عليها من جانب ولتأخيرها فى سلم الأولويات من جانب آخر.

- المدرسة الإسلامية أهم مؤسسة تعليمية تربوية، مع البيت والمسجد، لكنها تنفرد عنهما بأن لها من الإمكانات والآليات التى تشارك بها فى التعليم والتربية ما لا يتاح مثله للبيت أو للمسجد.

وهذا التميز للمدرسة، ومعرفة ظروف التقتير عليها من الدولة تجعلنا نفكر فى تمويلها بأسلوب غير تقليدى لا يكلف الدولة من أمرها عنتًا بل يرفع عنها بعض الأعباء المالية.

- ومن الإنصاف أن نقرر أن وزارات التربية والتعليم فى العالمين العربى والإسلامى تنفق على التعليم ما تسمح لها به الدولة ولا تستطيع تجاوزه، وهو فى الوقت نفسه لا يكفى المدارس المنتشرة فى كل قرية ومدينة، والتى هى فى تزايد وانتشار، مما يجعل كثيراً من وزارات التربية عاجزة عن الوفاء باحتياجات المدارس.

- ومن أجل هذه الحقائق نتصور للمدرسة تمويلاً يعينها على أداء وظائفها، وهذا التمويل إذا حددنا مصادره وموارده، فإن خوفنا على المدرسة يجعلنا نتحدث عن مصارف هذا التمويل حتى لا يتبدد فى غير ما وجه إليه، فحديثنا عن تمويل المدرسة يتناول نقطتين:

- الموارد المالية للمدرسة.

- والمصارف التى تنفق فيها المدرسة.

- **الموارد المالية للمدرسة:**

النظرة البالية الخاطئة التى كان ينظر بها بعض الناس إلى التعليم على أنه خدمة لا عائد من ورائها للمجتمع من الناحية الاقتصادية، أصبحت اليوم -بعد تقدم علم الاقتصاد- واضحة الخطأ، إذ استقر الأمر على أن الإنفاق على التعليم لا يقل فائدة وأثراً عن الإنفاق على إنشاء المصانع والمزارع والمتاجر، وتطوير كل ذلك أحسن تطوير، فهو استثمار جيد.

على أن التأنى والتدبر فى العواقب والنتائج يؤكد أن الإنفاق على التعليم يفوق فى عائده الإنفاق على أى شىء، لأنه عند التحليل الدقيق إنفاق على الطاقة البشرية التى هى أهم الطاقات فى إنتاج السلع والخدمات فى المجتمع.

- لذلك نرجو أن تتعدد موارد المدرسة المالية على النحو الذى نقترحه هنا، وأن تلتزم به الجهات التى نرجو أن تدعم الموارد المالية للتعليم، إمَّا بسنّ القوانين أو بالوازع الذاتى من القوى الوطنية والعربية والإسلامية؛ لأن كل تلك القوى مستفيدة بشكل مباشر من الإنفاق على التعليم.

- ونرشّح جهات بعينها أن تسهم فى مَدّ المدرسة بمواردها المالية، وهى بالإضافة إلى وزارات التربية والتعليم:

- وزارات الأوقاف فى العالم الإسلامى كله، أو الوزارات التى ترعى الأوقاف وإن لم تُسمَّ وزارات أوقاف، لأنها حافلة بأموال وأعيان وقفت على العلم والتعليم والعلماء والطلاب.
- مؤسسات الزكاة -ويا حبذا لو أنشئت وزارات الزكاة فى العالم الإسلامى-؛ فإن من مصارف الزكاة ما يسمح بالإنفاق على التعليم بكل تأكيد.
- والجمعيات الخيرية، وسائر مؤسسات المجتمع المدنى.
- والأندية الاجتماعية والرياضية باستثناء الأندية التى تحيط بها الشبهات.
- والنقابات المهنية.
- والنقابات العمالية.
- والأحزاب السياسية.
- والمصارف حكومية وغير حكومية التى تمارس عملها فى بلد إسلامى.
- وسائر المؤسسات المالية الأخرى.

– والشركات التجارية المحلية والأجنبية ما دامت تمارس نشاطها فى بلد إسلامى.

– والمصانع والمعامل، وكل مؤسسات الإنتاج لأى سلعة أو خدمة فى المجتمع.

– وما يقدمه المتبرعون من أهل الخير واليسار.

– وما يقفه صالحو المسلمين على التعليم وطلاب العلم بعد أن تكف الدولة يدها عن الأوقاف.

– وغير ذلك من المؤسسات والهيئات التى تعمل فى المجتمع.

– والمدارس الخاصة التى تتقاضى أجراً على التعليم.

تجمع هذه الأموال وتنظم، وتوضع تحت تصرف وزارات التعليم تحت رقابة شديدة مخلصة.

ثم ينفق منها على التعليم وفق خطة يضعها الخبراء، على نحو ما سنتحدث عنه الآن.

– **المصارف التى تنفق فيها أموال المدرسة:**

قلنا آنفاً: إن المدرسة مؤسسة تحتاج دائماً إلى أموال تنفق عليها وعلى مرافقها تعليماً وتربية وتثقيفاً وأنشطة وخدمات، وما لم يستمر الإنفاق عليها فسوف تنهار إن لم يكن اليوم فغداً.

وقد أصبح للتعليم والتربية اقتصاديات، حتى عرف علم باسم: «اقتصاديات التعليم» يناقش القضايا التى تتصل بالتعليم بوصفه استثماراً لا مجرد استهلاك، ويناقش أثر التعليم فى النمو الاقتصادى العام، وأثره فى التنمية الشاملة.

● بل إن مصطلح: «رأس المال البشرى» أخذ فى الانتشار منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجرى –منتصف القرن العشرين الميلادى– مما يؤكد أن علماء الاقتصاد الذين لهم اهتمام بالتربية والتعليم أخذوا فى الاهتمام برأس المال البشرى و قرروا أن العامل الذى يحصل على قدر من التعليم يجئ إنتاجه أحسن وأكثر.

وبعد هذه المقدمة نقول:

إن موارد المدرسة المالية تنفق على المدرسة فى مجالات خدماتها الثلاثة: التعليمية، والاجتماعية، والأنشطة المدرسية.

– **خدمات المدرسة التعليمية:**

● وهى أهم خدمة تؤديها المدرسة الإسلامية، إذ هى خدمة تعين على خدمة جودة الإنتاج لأن المنتج متعلم، كما تعين على تنوع الإنتاج وعلى وفرته وتيسير تسويقه.

• والمتعلم نفسه يمكن اعتباره سلعة بل أهم سلعة يمكن أن تصدر إلى بلدان فى حاجة إليها.

وهذه السلعة أو العمالة المصدرة لخارج الوطن إلى الأوطان العربية والإسلامية ترفع من قدر الاستثمار وتزيد من حجم الادخار، وتنوع الخدمات الاقتصادية، وتتسبب فى إيجاد فرص عمل للذين يحتاجون إليه.

• وكما اعتبرنا المتعلم سلعة، نعتبر التعليم خدمة تسهم فى ترشيد الاستهلاك، وتحسين توظيف الأموال، ومقاومة الإسراف، ومقاومة الاحتكار، وبالتالى مقاومة السوق السوداء، وذلك أن التعليم يربى المواطن على الوعى الاقتصادى والنضج الاجتماعى، والخلق القويم.

• والتعليم خدمة للمتعلم يحقق عديداً من الفوائد على المستوى الشخصى، منها:

– زيادة قدرته على العمل دون عناء لمهارته فى عمله، وبالتالى زيادة دخله، لأنه إنسان متعلم.

– وتحقيق مكانة اجتماعية، إذ هو بالتعليم يستطيع الزواج بمتعلمة مثله، وبالتالى تكوين أسرة متنورة سيكون أبناؤها متعلمين أيضاً.

– وقدرته على المشاركة فى قضايا الحى الذى يسكن فيه بل المجتمع كله، فقد سلح بالتعليم الذى يمكنه من هذه المشاركة.

– وخدمات المدرسة الاجتماعية:

تعد المدرسة الملتزمة بأداء وظيفتها مظلة تأمينية لعدد ربما لم يكن قليلاً من طلاب المدرسة الذين يحتاجون إلى عون اجتماعى، فهى تقدم هذه الخدمة لهذا الطالب حتى لا ينقطع عن التعليم، وهذه أولى خطوات الخدمة الاجتماعية للمدرسة. غير أن للمدرسة بعد ذلك محاور ثلاثة تقدم فيها خدمات اجتماعية ذات أهمية هى:

• خدمة المجتمع المدرسى.

• وخدمة البيئة المحيطة بالمدرسة.

• وخدمة المجتمع كله.

أما خدمة المجتمع المدرسى؛ فهى تنظم وتدعم العلاقات الاجتماعية بينها وبين الطلاب من جانب، وبينها وبين العاملين فيها من جانب آخر، فهى تعمل على تكوين علاقات

يسودها الحب والاحترام والتعاون وتبادل الخدمات داخل المدرسة، وذلك من شأنه أن يهيئ النمو الجيد لجوانب الشخصية فى الطلاب روحيًا، وعقليًا، واجتماعيًا، من خلال إشراكهم فى جماعات النشاط المدرسى، وجماعات التعاون، وجماعات الإنتاج لبعض السلع والخدمات فى المدرسة الفنية أساسًا، وفى غيرها من المدارس.

وأما خدمة البيئة المحيطة بالمدرسة؛ فإنها تقوم بأعمال هامة تعتبرها من صميم رسالتها، لمحافظتها على المرافق العامة فيها وفيما حولها، وإسهامًا فى تجميل البيئة بالنظام والنظافة ما وسعها، وقيام بعض طلاب المدرسة بزيارة المؤسسات والشركات والمصالح الحكومية التى تحيط بالمدرسة والاستفادة الثقافية من هذه الزيارات بمحاورة بعض المسئولين والاقتراب منهم ومن مواقع عملهم، مما يكون له أحسن الأثر فى نمو شخصيات الطلاب، وفى ترحيبهم وإقبالهم على كثير من الأعمال التى تخدم البيئة، وإقبال بعض المسئولين على زيارة المدرسة، ومد يد العون لها فيما تحتاج إليه.

وأما الخدمة الاجتماعية التى تؤديها المدرسة للمجتمع فى عمومه؛ فهى تأهيل أبناء المدرسة لأداء أعمالهم فى المستقبل بكفاءة ومهارة وإقبال على العمل وحب له وتجويد فيه.

وهنا أيضًا نجد زيارة المدرسة للشركات والمصانع والمؤسسات والمصالح الحكومية فى المجتمع الكبير تحدث إنضاجًا فى شخصيات الطلاب وتخلق لديهم إحساسًا بأن هذه المؤسسات والمصالح هى لهم ولسائر أبناء المجتمع، كما تكسب هذه المؤسسات والشركات والمصالح الحكومية دعاية لها فى المجتمع وإعلامًا بها وبما تقوم به من غير تكلفة مادية، وهذه المنافع المتبادلة بين المدرسة وبين هذه المصالح خدمة اجتماعية للطرفين تؤديها المدرسة، وتأخذ فيها بزمام المبادرة.

وبعد، فإن كل ما تنفقه المدرسة من مواردها على الخدمات التعليمية، والخدمات الاجتماعية هو إنفاق فى محله، له مردود على العملية التعليمية كلها.

كما أن الإنفاق من موارد المدرسة على أنشطتها من العمل ذى المردود الجيد على المدرسة.

فما هى الأنشطة المدرسية التى تنفق فيها موارد المدرسة؟

- أنشطة المدرسة:

هى أنشطة عديدة ثقافية ودينية وفنية ورياضية، وربما كانت أنشطة اقتصادية فى المدارس التى تنتج سلعًا أو خدمات، كل هذه الأنشطة ونحوها تحتاج إلى أموال تنفق عليها.

وكل نوع من أنواع هذا النشاط يحتاج إلى رعاية وحسن إدارة له وللعاملين فيه، كما يحتاج إلى تحبيب التلاميذ فيه، وتشويق الناس إلى رؤية أبنائهم يمارسونه وينتجون فيه نافعًا ومفيدًا.

والنشاط المدرسى فى عمومه يسهم فى تنمية شخصيات التلاميذ ويتجاوز بهم الجوانب النظرية فى التعليم إلى الجوانب العملية والتطبيقية، وينقلهم من الأسلوب التلقينى فى التعليم إلى أسلوب المشاركة العملية التدريبية فيه، مما يستثير دوافع التلاميذ للتعلم ويضاعف رغبتهم فيه، وينمى مهاراتهم وقدراتهم فيسهم فى إنضاج الجوانب العلمية الإيجابية فى شخصياتهم، وينفى عنهم السلبية والانعزال وقلة الاهتمام.

ويخطئ من يظن أن النشاط المدرسى غير مؤثر فى شخصيات التلاميذ، حيث أجمع التربويون على أن للنشاط المدرسى وظائف هامة تعادل إن لم تزد على ما ينفق عليه من موارد المدرسة المالية.

وأهم وظائف الأنشطة المدرسية:

وظيفة علمية معرفية.

ووظيفة فكرية عقلية.

ووظيفة نفسية اجتماعية.

ووظيفة ترويحية.

ووظيفة تربوية عامة.

- أما الوظيفة العلمية المعرفية؛ فهى إسهام النشاط المدرسى فى إضافة العلوم والمعارف الجديدة الناتجة عن ممارسة النشاط فى المدرسة أيًا كان نوع النشاط، مما ينعكس عليه بالفائدة عندما يترك المدرسة ويمارس عمله فى الحياة إذ يمارسه عن علم ومعرفة.
- وأما الوظيفة الفكرية العقلية؛ فهى نتيجة لمشاركته فى النشاط، مما ينعكس عليه بحب التفكير فيما يعمل ويمارس وتعامله العقلانى الناضج مع ما يمارس من نشاط وما ينتج فيه من سلعة أو خدمة، يشترط فيها الجودة والقدرة على المنافسة والوصول إلى أيدى من يحتاجون إليها.
- وأما الوظيفة النفسية الاجتماعية؛ فإن مشاركته فى النشاط تعوده المشاركة فى إنتاج ما هو مفيد، فيقبل على العمل بسعادة، ويبتعد ما أمكنه عن العزلة والانطواء، مما يعزز

ثقته فى نفسه بثقته فى عمله ومجتمعه الذى يقدر هذا العمل، فيصبح اجتماعيًا آلفًا للناس مألوفًا لديهم.

- وأما الوظيفة الترويحية؛ فإن النشاط المدرسى عندما يكون رياضيًا أو فنيًا أو ثقافيًا، فإن ممارسته تجدد عند الطلاب رغبتهم وتعلقهم بالمدرسة وما تقدمه لهم عمومًا، فربما كان هذا مدعاة للتفوق الدراسى الذى هو أهم هدف تستهدفه المدرسة أيًا كان نوعها أو مستواها.

- وأما الوظيفة التربوية العامة للنشاط المدرسى؛ فإن ممارسة الأنشطة المدرسية تساعد على نمو شخصية المشارك فى النشاط من جميع جوانبها التى أوضحنا بعضها فيما ذكرنا من وظائف والتى تنضجه فى مجال التنظيم والإدارة فيعرف قيمة الوقت وقيمة العمل الذى بذل فيه، وقيمة المشاركة والتعاون بين المشاركين، ويعرف أهمية قيادة العمل الذى يمارس فى النشاط، ومدى ما يجب أن يكون عليه القائد من انضباط وحسن توزيع للعمل وحرص على التجويد.

وبعد: فهذه الأنشطة المدرسية وتلك الخدمات المدرسية التى أشرنا إليها آنفًا، يكون الإنفاق عليها من الموارد المالية للمدرسة التى اقترحنا من يقومون به.

وبما أن المدرسة التى نتحدث عنها إسلامية فإنها فى سائر أعمالها وأمورها الهامة ينبغى ألا ينفرد المدير فيها برأيه بل لابد من التشاور وعرض الأمور على مجلس الآباء والمعلمين وعلى أهل الاختصاص من العاملين فى المدرسة.

وبهذا التشاور أو الشورى يمكن تداول الآراء وإنضاجها، ووضع الإطار السليم للإنفاق على أنشطة المدرسة وخدماتها، بل فى هذه الشورى ما يمكن المدرسة من اتخاذ قرارات لا تنتظر فيها رأى الوزارة أو الدائرة التعليمية، لأن هذه قد تتأخر فى الرد، فتضيع الفرصة، ولن تلام المدرسة على قرار اتخذته بعد التشاور، وسيادة روح التعاون والإخلاص فى أعمالها.

وبعد الانتهاء من الحديث عن الباب الثانى بفصليه، الأول فى المدرسة الإسلامية تعليمًا وتربية، والثانى فى المدرسة الإسلامية إنشاءً وتنظيمًا، ننطلق إلى الحديث عن الباب الثالث عن:

المدرسة الإسلامية أهدافًا ووسائل، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

*****

الباب الثالث

المدرسة الإسلامية أهدافا ووسائل

ويتناول :

- **التقديم.. فى الأهداف والوسائل**
- **الفصل الأول: الأهداف:**

أولاً : الأهداف العامة :

١- تكوين العقيدة السليمة لدى المتعلمين .

٢- وتكوين العبادات الصحيحة .

٣- وتكوين الأخلاق الإسلامية .

٤- وتكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة .

ثانيًا :الأهداف الخاصة :

١- تزويد المتعلمين بالعلم والمعرفة .

٢- وتزويدهم بالثقافة .

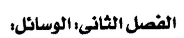
٣- وتزويدهم بالمهارات والفنون :

أ- المهارات .

ب- الفنون .

٤- وتزويد المتعلمين بسيرة النبى ﷺ .

٥- وتزويدهم بتاريخ أوطانهم وتاريخ الوطن العربى والوطن الإسلامى .



الفصل الثانى: الوسائل:

أولاً: الوسائل العامة:

١- إعداد البناء المدرسى الصالح.

٢- وإعداد المعلم الصالح.

٣- وإعداد المنهج المدرسى الصالح.

٤-وإعداد الكتاب المدرسى الصالح.

٥- وإعداد المكتبة المدرسية الصالحة.

٦- وإعداد المرافق المدرسية الصالحة.

ثانيًا: الوسائل الخاصة:

١- طرق التدريس.

٢- والمعينات على التدريس.

٣- والأنشطة.

٤- والخدمات.

التقديم.. فى الأهداف والوسائل

الهدف فى اللغة: كل مرتفع.

والغَرَض الذى توجه إليه السهام.

وكل ما يريد الإنسان أن يصل إليه من غرض.

واستهدف الشىء: انتصب، ومن ذلك: أخذ الهدف لانتصابه لمن يرميه، وكل غَرَض يسمى هدفًا.

والهدف فى علم الاجتماع: الهدف: الحالة أو الشىء الذى يرى الفرد أنه يشبع حاجته، فيحرك سلوكه.

وما من أحد أو جماعة من الناس إلا لهم هدف يرغبون فى تحقيقه ويتخذون له من الوسائل ما يرون أنها تحققه.

- وأعمال الإنسان لها نوعان من الأهداف:

  - نوع دنيوى هو الحصول على البقاء والمنفعة، من مال أو متعة مادية أو معنوية.
  - ونوع أخروى هو: الحصول على رضا الله تعالى ومثوبته، ويكون ذلك بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

- وما من مؤسسة إلا لها أهداف ترغب فى تحقيقها، وتتخذ لها من الوسائل ما تستعين بها على ذلك، والمدرسة إحدى هذه المؤسسات، بل أهمها باعتبار أنها مؤسسة اجتماعية تعليمية تربوية، لا غنى للحياة الإنسانية عنها، لتصبح بها حياة إنسانية كريمة.

- المدرسة لا تتصور إذن بغير أهداف، وأهدافها لا تحقق إلا بوسائل تنجح فى تحقيقها.

فما هى أهداف المدرسة؟

للمدرسة أهداف عديدة متنوعة، نتحدث عن بعضها وأهمها فيما نرى وهى -فى تصورنا أربعة-:

- الهدف التربوى.
- الهدف التعليمى.

- الهدف الاجتماعى.

- الهدف المهنى الحرفى.

● أما الهدف التربوى؛ فهو الوصول بالإنسان المتعلم فى المدرسة إلى تمسكه بدينه وقيمه الخلقية وإعداد روحه وشعوره وعقله ليصل إلى مستوى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه، والقضاء والقدر، بحيث تتلاءم هذه التربية مع ما يجب أن يكون عليه الإنسان من حسن خُلق وحسن تعامل مع الناس وسائر مفردات الكون من حيوان ونبات وجماد، وهواء وماء، أى سائر ما يحيط به؛ لأنه إذا لم يربَّ تربية إسلامية ربما أساء التعامل مع الناس والأشياء فخسر دنياه وآخرته.

● وأما الهدف التعليمى؛ فهو تعليم التلميذ تعليمًا يزيل عنه الأمية أولاً فيحسن القراءة والكتابة والفهم لما يقرأ والتدبر فيه، ثم تزويده بالعلم والمعرفة والثقافة، وبالمهنة التى سوف يمارسها فى حياته، ليستطيع بهذا التعليم أن يسهم فى بناء نفسه وأسرته ومجتمعه وحضارته إسهامًا يحقق له الحياة الإنسانية الكريمة التى تليق بتكريم الله تعالى إياه وتفضيله على كثير مما خلق.

● وأما الهدف الاجتماعى؛ فهو أن تُقْدِر المدرسة الإنسان على التفاعل الإيجابى الجيد مع المجتمع الإنسانى عمومًا والمجتمع المسلم على وجه الخصوص يأخذ منه ويعطيه، ويفيد ويستفيد فى إطار دينه وقيم هذا الدين ومبادئه، بحيث يتعاون الإنسان مع غيره على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

وتزويد الإنسان بالقيم الاجتماعية الصحيحة التى يرقى المجتمع عند الأخذ بها، ويرقى الفرد عندما يتعامل بها مع المجتمعات الإنسانية كلها دون تفرقة بين لون وآخر، ولا وطن وآخر، ولا ملة وأخرى، لأن الإسلام يعلم المسلم التعامل الحسن المنصف مع سائر الناس ما لم يعتدوا أو يظلموا.

إن الهدف الاجتماعى للمدرسة الإسلامية يدخل فيه أن يدعو المسلم غير المسلمين إلى الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن وأقوم وأنفع للإنسان فى دينه ودنياه، لذلك ختم الله تعالى الأديان بالإسلام وأكمله وأتمه ورضيه دينًا للناس جميعًا، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ... ﴾ [المائدة: ٣]، وقضى أن لا يقبل من أحد دينًا سواه؛ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن

يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وختم كتبه بالقرآن وحكم بأنه يهدى للتى هى أقوم: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾** [الإسراء: ٩].

إن العلاقات الاجتماعية بالإسلام هى أنبل العلاقات وأفضلها للناس جميعًا، تجلب لهم الخير وتدفع عنهم الشر، حتى يعيش الناس فى أمان وسلام، ولا يقع ظلم من أحد على أحد.

● وأما الهدف المهنى الحرفى؛ فهو من صميم أهداف المدرسة الإسلامية، لأنها تعلم أبناءها كيف يكسبون عيشهم من خلال الحرفة التى تعلموها فى المدرسة، انطلاقًا من أن الله تعالى يحب عبده المؤمن المحترف أى صاحب الحرفة، لذلك كان الأنبياء عليهم السلام وهم صفوة عباد الله تعالى أهل حرف جميعًا، فقد روى الطبرانى – فى الكبير بسنده – عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله : «**إن الله يحب المؤمن المحترف**»(١) تعلمهم ذلك إلى جانب ما تعلمهم إياه من علوم ومعارف.

إن المدرسة الإسلامية تهيئ المتعلم فيها ليكسب عيشه ويبنى بيتًا وأسرة، فلابد أن تعلمه حرفة.

وإلى الحديث المفصل عن أهداف المدرسة الإسلامية.

*****

(١) فى الحرفة ومكانها ومكانتها بين المسلمين: انظر لنا: التربية الجمالية الإسلامية، ص (٢٠٠) نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

الفصل الأول

الأهداف

عند التدبر فى أهداف المدرسة الإسلامية التى ترغب أن تحققها فيمن تعلمه وتربيه، نجدها نوعين من الأهداف:

أهداف عامة.

وأهداف خاصة.

- فالأهداف العامة -أو فى عمومها- للمدرسة الإسلامية، هى التى تحدث فى حياة الإنسان تغييراً عميقاً عندما تحقق، أو تبنى شخصيته بناء متكاملاً لا يترك جانباً من جوانبها إلا بدله وعدله إلى الصورة التى يرسمها الإسلام؛ منهجه ونظامه للإنسان المسلم.

والمدرسة الإسلامية تقوم بأكبر العبء فى هذا البناء، بل إنها المؤسسة الوحيدة بين مؤسسات التربية -البيت والمسجد والجامع- التى تمتلك من الإمكانات والآليات ما يمكنها من تحقيق هذه الأهداف.

المدرسة الإسلامية بكل أنواعها وجميع مستوياتها تسعى وراء تحقيق هذه الأهداف ولأنها أهداف عامة أو مشتركة بين جميع المتعلمين المسلمين، حيث تقوم على: بناء العقيدة الصحيحة فى الخالق سبحانه وفى أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، وسائر مخلوقات الله تعالى، وبناء وتكوين العبادة السليمة لله تعالى سواء أكانت عبادة قول أم عبادة عمل، وتكوين القيم الخلقية النابعة من الكتاب والسنة، وصولاً بذلك كله إلى بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، من خلال منهج وكتاب ومعلم وإدارة مدرسية.

- إن تلك الأهداف العامة أهداف تربوية شاملة متكاملة، أما الأهداف التعليمية فسوف أسميها أهدافاً خاصة وأوضحها ليستبين الفرق بين العام والخاص من الأهداف، وإن كانت جميعها متعلقة بالمدرسة الإسلامية فى عمومها.

أولاً: الأهداف العامة للمدرسة الإسلامية:

وأستطيع أن أذكر من هذه الأهداف -فى إيجاز أرجو ألا يكون مخلاً- أربعة أهداف هى:

- تكوين العقيدة الصحيحة.

- تكوين العبادة السليمة.

- تكوين الخلق الإسلامى.

- تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة.

ولنلق ضــوءاً على كل هدف من هذه الأهداف العــامــة والله الموفق المســدد إلى الحق والصواب.

١- تكوين العقيدة الصحيحة لدى المتعلمين:

معنى صحة العقيدة أن تكون حقًّا قادراً على أن ينفى الضلال ويستبعد الشبهات والمفتريات لصدقه وصدق مصادره.

والذى يجب أن يعتقد المسلم أنه الحق والصواب هو فروع كثيرة أهمها:

أ- العقيدة الصحيحة فى الخالق سبحانه وتعالى، ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، تربية المدرسة على تكوين هذه العقيدة دون التعرض لمماحكات علماء الكلام أو جدليات الفلاسفة لأن لذلك دراسات متخصصة فى بعض الكليات.

ب- والعقيدة الصحيحة فى ملائكة الله تعالى، بمعرفة وظائفهم التى حددتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومعرفة أسماء بعضهم وصلتهم بالرسل، وحملهم للكتب السماوية وإبلاغها للرسل عليهم الصلاة والسلام، ليبلغوها بدورهم للناس.

جـ- والعقيدة الصحيحة فى الرسل عليهم الصلاة والسلام وتصديقهم فيما جاءوا به، ووجوب اتباعهم فيما دعوا إليه، وبخاصة خاتمهم محمد ﷺ، ومعرفة سيرهم كما جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والإيمان بهم جميعًا أنبياء ورسلا كما وردت أسماؤهم وقصصهم فى الكتاب والسنة.

د- والعقيدة الصحيحة فى الكتب السماوية إجمالا وفى آخرها وخاتمها وهو القرآن الكريم تفصيلاً، والإيمان بأنها كتب من عند الله أوحى بها إلى رسله، وطالبهم بدعوة الناس إلى الإيمان بها والعمل بمناهجها ونظمها الاجتماعية، مع وجوب اتباع آخرها وهو القرآن الكريم، لأن الله تعالى قضى بأن يكون القرآن ناسخًا لما قبله من الكتب، قال الله تعالى:

﴿ ... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ... ﴾ [الأنعام:١٩]، أى ومن بلغه هذا القرآن من الناس عمومًا.

هـ- والعقيدة الصحيحة فى اليوم الآخر وما سوف يجرى فيه من بعث وحشر ونشر وحساب وميزان وصراط وجنة ونار، وثواب وعقاب، وسائر السمعيات والأمور الغيبية التى وردت فيها نصوص الكتاب والسنة.

و- والعقيدة الصحيحة فى الإنسان، ومكانته عند الله، وتكليفه إياه، وتكريمه وتفضيله على كثير ممن خلق، وأنه مهيأ للطاعة إن أراد، وللمعصية إن أغواه الشيطان وزين له الكفر أو الفسوق أو العصيان، وأن الله تعالى قد أخبر عن الإنسان وعن نفسه بقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠].

ز- والعقيدة الصحيحة فى الشيطان، وأنه عدو مضل مبين للإنسان، وأنه تعهد أمام الله أن يضل الإنسان إلا من هداه الله فلم يستجب له، وأنه يأمر بالفحشاء والمنكر، ويعد بالفقر ويشجع على معصية الله تعالى.

● وتكوين العقيدة الصحيحة فى كل ذلك لابد أن تكون مصادره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة النبى الخاتم ﷺ.

ولا بأس أن تكون مراجعه من الشروح والتفسيرات المعتمدة لهذه المصادر الثلاثة.

وتفصيل ذلك وتحديد مفرداته يتكفل به المنهج فى المدرسة الإسلامية بحيث يكون مناسبًا لكل من يتلقاه وملائمًا لعقله وقدراته، وبحيث يكون له كتاب خاص معد بعناية ودقة، وعلى أيدى علماء وخبراء مسلمين مخلصين.

● وعلامة صحة العقيدة وصحة المنهج التعليمى الخاص بهما أن يكون المتعلم بمنجى من نوعى الشرك المعروفين للعلماء وهما: الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

- والشرك الأكبر أو العظيم هو أن يجعل الإنسان لله شريكًا وهو الضلال البعيد كما وصفه القرآن: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦]. أو كما قضى الله على من وقع فيه فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [المائدة: ٧٢].

- والشرك الأصغر وهو «مراعاة غير الله تعالى معه» فى بعض الأمور، وذلك من الرياء والنفاق، وقد توعد الله هؤلاء المنافقين بالعذاب الأليم ووصفهم بأنهم قرناء الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [البقرة:٨-١٠]، وقال جل شانه: ﴿ **وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا** ﴾ [النساء:٣٨].

هكذا ينبغى أن يتضمن المنهج المدرسى كل ما من شأنه أن يصحح العقيدة وينقيها من الضلال والمفتريات والشبهات.

٢- وتكوين العبادات السليمة لديهم:

العبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا الله تبارك وتعالى لأنه وحده الذى له غاية الإفضال على الناس، فالعبادة لله وحده؛ والعبادات التى فرضها الله تعالى على الناس أنواع عديدة:

- عبادة لله بالقلب وهى الإيمان به سبحانه وتعالى.

- وعبادة باللسان وهى النطق بشهادتى التوحيد، وذكر الله، أى تسبيحه وتحميده وتمجيده وتكبيره وتعظيمه.

- وعبادة بالجوارح وهى الأعمال التى أمر الله بها، وامتثال الإنسان لأمر الله تعالى فيها بالجوارح كالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمل والجهاد فى سبيل الله تعالى.

● ومن ناحية التكليف، فإن العبادة لله تعالى تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: فرضه الله تعالى فرضًا، وجعل فيه العقاب على الترك، والإثابة على الفعل، كالنطق بالشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج، والجهاد فى سبيل الله عند النفير العام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى والعدل وحقن الدماء والمحافظة على المال والحقوق... إلخ.

والآخر: ما ندب الله تعالى إليه وحبب فيه ويثيب على فعله ولا يعاقب على تركه، وأغلب ذلك هى النوافل، وهى من جنس الفرائض كالذكر والدعاء وصلاة التطوع وصومه، والصدقة والعمرة، وما إلى ذلك من فضائل الأعمال التى حبب الله تعالى فيها ولم يفرضها.

● ومن عبادة الله تعالى:

عبادته باجتناب ما نهى عنه أو كرِّه فيه.

وعبادته بالتفكر والتدبر فى خلق الله وعديد مخلوقاته.

وعبادته بنشر دينه والدعوة إليه والعمل من أجل أن يسود.

وعبادته بالتعاطف بين الناس والتكافل بينهم.

وعبادته بفعل جميع أنواع الخير، وترك جميع أنواع الشر.

● وإنما شرع الله هذه العبادات وأمر بها أو ندب إليها؛ من أجل أن تسود المجتمعات الإنسانية كلها روح التعاون والحب والعدل والإحسان، ليتحقق للناس الأمن، وتكون بينهم الأخوة فى الله والتراحم.

والمدرسة الإسلامية مطالبة بان تكوِّن لدى المتعلمين فيها فكرة صحيحة عن عبادة الله، وتيسر لهم ممارستها، وتعلمهم فوائد هذه الممارسة فى أنفسهم وفى المجتمع كله.

● ومصادر هذه العبادات هى الكتاب والسنة وسيرة النبى ﷺ، ولا بأس من الاستعانة بالشروح من التفاسير الصحيحة لهذه الأصول الثلاثة.

٣- وتكوين الأخلاق الإسلامية فى المتعلمين:

تعليم المدرسة لأبنائها القيم الخلقية الإسلامية هدف كبير، لا يقل أهمية عن تكوين العقيدة الصحيحة والعبادات السليمة لديهم، لأن القيم الخلقية لها الثبات والاستمرار الذى تتميز به العقيدة والعبادة، فهذه الثلاثة غير قابلة للتغيير مهمات تغير الزمان والمكان.

● والأخلاق الإسلامية فروع كثيرة تتناول جميع الفضائل، وأنواع الخير فى جانبها العملى، كما تتناول الابتعاد عن جميع الرذائل وأنواع الشر فى جانبها الامتناعى، وهذا وذاك لابد أن يشتمل عليه منهج المدرسة، وأن يقدمه للمتعلمين نظريًّا بالعودة به إلى مصادره؛ الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة، وعمليًا بإعطاء القدوة من المدرسة وكل العاملين فيها المتمسكين بأخلاق الإسلام.

● ومن الضرورى أن ننبه إلى أن أعداء الإسلام الذين يحاربونه علنًا ويعملون على احتلال بلاده بالقوة العسكرية الغاشمة فى هذا الزمن يزعمون فيه أنهم رسل الحرية وحقوق الإنسان، هؤلاء الأعداء لكل ما هو حق وصدق أى لكل ما هو إسلامى، لا يسرهم شىء

مثل تخلى المسلمين عن قيمهم الخلقية، وسبب ذلك معروف لكل من نظر واعتبر، لأن التمسك بأخلاق الإسلام لن يتيح لهؤلاء الأعداء أن ينتصروا على المسلمين بحال من الأحوال، لأن معارك المسلمين المتمسكين بأخلاق الإسلام محسومة معروفة النتائج وهى الفوز بإحدى الحسنيين النصر على العدو أو الشهادة فى سبيل الله تعالى.

- ومن الواضح أن أعداء الإسلام كما يوجهون ضرباتهم العسكرية للمسلمين يوجهون إليهم خططاً تباعد بينهم وبين أخلاقهم، لتسهل عليهم هزيمة المسلمين بعد تخليهم عن أخلاقهم، ومن أجل ذلك أطلق الأعداء عدة شعارات يخدعون بها المسلمين عن دينهم وعن أخلاقهم منها:

- التدين أمر شخصى لا يتأثر ولا يؤثر فى النظم الاجتماعية أو السياسية، بل يجب أن يظل بعيداً عن الحياة، ونظامها.

- وقول بعضهم: هذه مسألة أخلاقية لا وزن لها، ويجب أن تكون بعيدة عن ظروف اتخاذ أى قرار.

- والدين والأخلاقيات يجب أن تكون بمعزل عن السياسة وعن النظم، وأن تكون الكلمة النافذة فى الحياة الإنسانية لغير الدين، ويسمون هذا الموقف «علمانية».

- وقول بعضهم: إن النصوص الدينية -أى الكتاب والسنة والسيرة النبوية بالنسبة لنا معشر المسلمين- يجب أن يعاد فيها النظر، وأن يناقش محتواها على أساس القبول أو الرفض.

- ودعوتهم إلى الحرية الشخصية فى السلوك الأخلاقى بحيث يمارس الإنسان ما تمليه عليه غرائزه دون تقيد بالقيم الخلقية أى بالحلال والحرام، ومن هنا لا يعاقبون على الزنا إذا كان بعيداً عن الاغتصاب، ويدعون إلى الإجهاض، والمعاشرة الزوجية بغير زواج، وبإباحة الزواج المثلى، وغير ذلك مما يناقض أخلاق الإسلام تمام المناقضة.

- ومن عجيب ما قالوا: تغيير الخطاب الدينى!!!

وإنما كان هذا عجيباً وغريباً عندى، وعند كثير من المسلمين؛ لأن الدين من عند الله تعالى بلَّغه عنه رسوله الخاتم ﷺ، والخطاب الدينى هو خطاب الله لعباده عن طريق وحيه إلى خاتم رسله، فكيف يغيرون هذا الخطاب؟ ولماذا؟

● وخطاب الله تعالى لعباده فى القرآن الكريم له صيغ عديدة؛ كندائه عليهم بيأيها الذين آمنوا، ويأيها الناس، ويأيها الإنسان، وأيها المسلمون ونحو ذلك، وفى كل آية من تلك الآيات التى تبدأ بهذا النداء، يكون مضمونها أو مطلوبها القيام بعمل صالح، أو الانتهاء عن عمل فاسد، والصلاح والفساد عائد على الفرد والمجتمع معًا، فكيف يغيرون هذا الخطاب؟ ومن الذى أعطاهم الحق فى هذا التغيير؟ ولماذا التغيير؟ وهل هناك أحسن مما يأمر الله به عباده أو ينهاهم عنه؟ إنه لا يأمرهم ولا ينهاهم إلا إن كان فى ذلك صالح دنياهم وأخراهم، فلماذا يغيرون؟ وما ضرر الخطاب الدينى حتى يغيروه؟

إنهم غافلون يرددون ما يقال لهم من أعداء الإسلام دون وعى أو تفكير!!!

إنهم يريدون أن يقولوا: إن الدين عنف وإرهاب، ويطالب الناس بالعنف والإرهاب ولذلك يجب أن يتغير!!! وهم فى ذلك جاهلون مغالطون.

إنهم خُدعوا عن أنفسهم فاغتروا وظنوا أنهم بموازاة من خاطب الناس بالتكاليف الشرعية حينما أمرهم ونهاهم، فلماذا لا يأمرون هم وينهون؟

وإذا كان بعض المسلمين يتشددون فى بعض أمور الدين فتكون لهم أعمال وأخلاق يغلب عليها العنف والمشقة، فإن ذلك ليس من الدين وإنما هو من سوء فهم هؤلاء المتشددين، ويجب رفض تشددهم، لأن الإسلام بنى على اليسر والسماحة، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدين يُسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا...**».

وروى أحمد بسنده عن أبى عروة رضى الله عنه قال: كنا ننتظر النبى ﷺ، فخرج رجلاً يقطر رأسه من وضوء أو غسل، فصلَّى، فلما قضى الصلاة جعل الناسُ يسألونه: يا رسول الله، أعلينا حرج فى كذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا، أيها الناس، إن دين الله عز وجل فى يُسْر** -ثلاثًا- يقولها». فلماذا الدعوة إلى تغيير الخطاب الدينى؟

إن المدرسة الإسلامية بمناهجها وكتبها والعاملين فيها يجب أن تعمل ما وسعها على تعريف المتعلمين بقيم الإسلام الأخلاقية، وعلى وجوب التمسك بهذه القيم، مع ضرورة التنبيه على أن أى إخلال بأخلاق الإسلام فضلاً عن التخلى عنها هو بداية هزيمة المسلمين، وسيطرة أعدائهم عليهم، وأن حرب أعدائنا لأخلاق الإسلام فى المسلمين لا تقل خطرًا عن حربهم للمسلمين فى أفغانستان والعراق، واحتلال بلادهم بالقوة المتقدمة الغاشمة التى لا تقيم وزنًا لأى قيمة أخلاقية.

٤ - وتكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة:

ذلك هدف عام للمدرسة الإسلامية لا يقل أهمية عن الأهداف العامة الثلاثة التى تحدثنا عنها آنفاً.

وشخصية المسلم وتكاملها يتعهدها الإسلام ويعتنى بمكوناتها الأساسية وهى: العقيدة والعبادة والخلق الإسلامى، وهى بهذه الركائز الثوابت لابد أن تكون متكاملة.

وقد شغلنى البحث فى جوانب هذه الشخصية الإسلامية سنوات عديدة، ثم هدانى الله تعالى إلى أن أتصور لهذه الشخصية من أجل أن تتكامل عشرة جوانب[١] هى:

- الروح الصافية المؤمنة بالله، والحسنة الاتصال به العارفة العابدة، الخالية من الشوائب والأغيار.
- والخلق القويم المستمسك بالقيم الإسلامية قولاً وصمتاً وعملاً وتركاً، المقتدى بالرسول ﷺ.
- والعقل الواعى المتدبر الخالى من الخرافة والوهم، الحر القادر على اتخاذ القرار الصائب.
- والدين الصحيح الموثوق الموحى به من عند الله الذى جاء به خاتم الأنبياء ﷺ الذى أتمه الله تعالى وأكمله ورضيه للبشرية كلها ديناً ومنهجاً ونظاماً.
- والوعى السياسى الذى يجعل صاحبه عارفاً لحقوقه مؤدياً لواجباته فى الحياة قادراً على المشاركة فى قضايا وطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى، والعالم الذى يعيش فيه.
- والوعى الاقتصادى الذى يرسم له الطريق الصحيح للعمل والكسب والإنفاق وأداء ما فى ماله من حق مفروض وحق مندوب، لينعم بحياتيه الدنيا والآخرة.
- والوعى الاجتماعى الذى يعمق فى نفسه الإحساس بالأسرة والعمل على تكوينها ورعايتها، ومعرفة حقوقه وواجباته نحو مجتمعه الصغير والكبير والأكبر، والتزامه بكل ذلك جلباً للخير ودفعاً للشر.
- والاستعداد للجهاد فى سبيل الله تعالى بكل أنواعه، والجهاد بالكلمة، والعمل والإعداد المادى والمعنوى، والجهاد بالنفس، القتال، لكى تكون كلمة الله هى العليا، وينتقل الناس من الضلال إلى الهدى.

---

(١) لذلك كتبت سلسلة مفردات التربية الإسلامية العشر: التربية الروحية، والخلقية، والعقلية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والجهادية، والجمالية، والجسدية، فكان لكل منها كتاب مستقل - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

- والوعى الجمالى الذى يجعله يتدبر فى جميع ما صنع الله ويحس به، ويحاول أن يعبر عن هذا الإحساس بكل ما هو جميع من قوله وعمله، وأن يعمل على نشر الجمال فى نفسه وفى كل ما يحيط به.

- وإعداد الجسد القوى القادر على حمل أعباء العمل من أجل الإسلام والدعوة إليه والحركة به فى الناس والآفاق، ويكون ذلك بالأخذ بكل أسباب قوة الجسد، والابتعاد عن أى سبب من أسباب ضعفه.

● كل جانب من هذه الجوانب فى الشخصية الإسلامية المتكاملة، يجب أن تتولاه المدرسة لتربيه وتنضجه، وتجعله قادراً على العمل والبذل والجهاد فى سبيل الله، ملتزمة بالمصادر الأساسية للإسلام التى تمد المدرسة والمجتمع بكل ما تدعو الحاجة إليه لتربية الإنسان وتربية المجتمع.

تلك هى الأهداف العامة للمدرسة، فما هى أهدافها الخاصة؟

ثانياً: الأهداف الخاصة للمدرسة الإسلامية:

بعد أن عرضنا الأهداف العامة للمدرسة الإسلامية، ورأيناها جميعها تدخل فى إطار التربية، أى بناء الشخصية عقيدة، وعبادة لله وحده، وخلقاً وسلوكاً فى المجتمع، وبناء لجميع جوانب شخصية المتعلم، بعد ذلك نتحدث الآن عن الأهداف الخاصة للمدرسة الإسلامية وهى -كما سنوضح- خمسة أهداف، يدور كل هدف منها حول تزويد المتعلم بما يسهم فى إصلاح شأنه فى حياته الدنيا، وما يصلح شأنه فى آخرته، بعد أن يفضى إلى ربه بما قدم من علم وعمل، وتلك الأهداف الخاصة الخمسة هى فى إجمال:

- تزويد المتعلم بالعلم والمعرفة.
- وتزويده بالثقافة.
- وتزويده بالمهارة والفن.
- وتزويده بسيرة النبى ﷺ ليتخذ منها الأسوة الحسنة.
- وتزويده بتاريخ وطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى.

وإنما اعتبرنا هذه الأهداف خاصة، وإن كانت على أكبر جانب من الأهمية فى حياة الإنسان، لأنها أدخل فى التعليم منها فى التربية، للفرق الذى ذكرناه فيما سبق بين التربية والتعليم.

ونحاول أن نزيد الأمر أيضاحًا فى الفرق بين التربية والتعليم من وجهة تراثنا الإسلامى الأصيل، «فالتربية هى إنشاء الشيء حالاً بعد حال إلى حد التمام، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم»[1].

فالتربية أصل وأساس وإنشاء، أما التعليم فهدفه أن يحدث أثرًا فى نفس المتعلم.

فكل ما له علاقة بالأصل والإنشاء والوصول إلى حد التمام؛ فهو تربية، وهكذا العقيدة والعبادة والخلق وبناء الشخصية.

وكل ما له صلة بإحداث أثر أو آثار فى نفس المتعلم بعد أن أنشئت ووضعت لها أصولها؛ فهو تعليم.

لذلك استسغت أن أسمى الأولى أهدافًا عامة، والثانية أهدافًا خاصة، لدخول هذه الأهداف الخاصة فى التعليم الذى يحدث أثرًا أو آثارًا فى النفس، بعد تكوين الأصل والأساس والإنشاء بالتربية.

ونرجو من الله تعالى التوفيق والسداد.

١ - تزويد المتعلمين بالعلم والمعرفة:

تلك وظيفة المدرسة المباشرة التى تؤديها من خلال آليات المدرسة المختلفة، مبنى ومنهجًا ومعلمًا وكتابًا ومعملاً ومكتبة...

والعلم الذى تزود به المدرسة المتعلمين هو: مجموعة المعارف المتكاملة والمبادئ والكليات العامة المتعلقة بحقيقة ظاهرة معينة.

● وللعلم وظائف ثلاث معروفة هى:

- تمهيد الطريق للعمل الصحيح المبنى على العلم.
- وتأمين حاجات الإنسان مهما تغيرت؛ بصورة أفضل.
- وتجنيب الإنسان المخاطر التى تهدده من داخل المجتمع أو من خارجه.

● ولا يستطيع العلم أن يؤدى وظائفه هذه إلا إذا توافرت فيه خصائص بعينها هى:

- الملاحظة، والتجربة.

---

(١) الراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢ هـ): المفردات فى غريب القرآن ط: الحلبى -القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

- والموضوعية، واستبعاد الميول الفردية والآراء الشخصية.

- وإمكان اختبار الصدق فيه، وثبات هذا الصدق.

● وكل مدرسة إسلامية مطالبة بأن تزود المتعلمين فيها بهذا العلم، بما يناسب مرحلتها التعليمية ونوعها، ونوع المتعلمين فيها وظروفهم.

- ويدخل تحت مفهوم العلم -اليوم- كل ما له صلة بحياة الإنسان بحيث ييسرها له، ويمكنه من التغلب على ما يحيط بها من مشكلات.

- وفروع العلم -اليوم- كثيرة، وتزداد كثرة يومًا بعد يوم كلما جد جديد فى حياة الإنسان.

- والعمل الذى يمهد له العلم، أصبح اليوم يشمل كل أنواع التطبيق والتقنية.

وفروع التقنية -اليوم- فاقت كل خيال، ودخلت فى تأمين أبسط حاجات الإنسان وأعقدها على السواء.

● إن المدرسة الإسلامية لا تكتفى بمجرد تزويد المتعلم بالعلم، وإنما تزيد على ذلك أن تمكنه من التسابق فى العلم والكشف والاختراع فيه، بحيث تستهدف ألا تكون مسبوقة فى أى مجال من مجالات العلم، أى: تكوين العقلية العلمية التى تتخذ من التفكير العلمى وسيلة لها، فى ظل عدد من الحقائق التى جاء بها الإسلام، والتى نذكر منها:

- أن الإسلام يدعو إلى العلم وإلى الاستزادة منه، بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤]. وقوله جل شأنه: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٨٥].

- وأن الإسلام لم يكن له ولا يجوز أن يكون له موقف يعادى فيه العلم أو يحارب العلماء، أو يرى العلم شرًا يتهدده؛ كما فعلتْ الكنيسة الأوربية فى مطلع عصر النهضة فى الغرب؛ إذ كانت تحارب العلم والعلماء، وترى فى العلم خطرًا يهددها ويقلص من نفوذها وتسلطها.

أما الإسلام فقد شجع العلم حين دعا إلى حرية التفكير، وأكَّد ذلك حين جعل العقل مناط التكليف، وقدَّر حرية الإرادة والاختيار لدى الإنسان حتى فى قضية الإيمان أو الكفر، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...** ﴾ [الكهف: ٢٩]

– وكل مسلم –فى أى زمان أو مكان– يأخذ من العلم موقفًا سلبيًا أو معاديًا فهو غير فاهم لدين الإسلام ولا مستوعب لأهدافه وموقفه من العلم، مهما كان شأن هذا المعادى للعلم حاكمًا أو محكومًا أو مدعيًا أنه من العلماء.

– وأن الإسلام دعا إلى النظر والتدبر والتفكر والسير فى الأرض وكل ذلك من خطوات العلم وطرقه التى توصل إلى التعلم والاعتبار، بل زاد على ذلك بأن دعا إلى التعمق فى العلم والأخذ بكل أسبابه كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

– وأن الإسلام قد اعتبر العقائد والعبادات والأخلاق من الثوابت التى جاء بها الوحى وسوف تظل ثابتة راسخة إلى يوم الدين، على حين اعتبر العلم من المتغيرات التى تجرى عليها سنن التطور والتغيّر، ثم ترك الإسلام للعقل البشرى أن يصل من العلم إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه.

وكل ما يتصل بالإنسان، بل كل ما يتصل بطبيعة الحياة الإنسانية هو موضوع العلم، ومجاله للبحث والتطبيق «التقنية».

● ومن المؤكد أن الإسلام دعا إلى العلم بل إلى التفكير العلمى المنهجى، بدليل ما جاء عن ذلك من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة.

● أما آيات القرآن الكريم فمنها:

– قوله تبارك وتعالى: ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧–٢٠].

– وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

– وقوله: ﴿ **...فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا** ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ولقد جاء فى القرآن الكريم ست وثلاثون آية كريمة اشتملت كل واحدة منها على فعل الأمر «انظر أو انظروا»[1] وجاء بعد طلب النظر استفهام بكلمة «كيف».

وعند التدبر فى هذه الآيات الكريمة الست والثلاثين، التى اشتملت كل منها على استفهام بكلمة «كيف» نجد كل آية منها تقتضى التفكير العلمى فيما استفهم عنه «بكيف»؛ وذلك أن أسلافنا من العلماء قالوا: إن الاستفهام بكيف يعنى استفهامًا عن أحد أربعة أنواع من الكيفيات هى:

- الاستفهام عن كيفيات محسوسة.

- والاستفهام عن كيفيات نفسانية.

- والاستفهام عن كيفيات مختصة بالكميات.

- والاستفهام عن كيفيات استعدادية.

وهذه الأنواع الأربعة، لا يستطيع من طولب بالنظر فيها أن يجيب عنها إلا بالتفكير العلمى المنهجى للوصول إلى المعرفة المؤدية إلى إدراك الحقائق العلمية والإفادة منها والانتفاع بها.

ومعنى ذلك أن التفكير العلمى فطرة فطر الله الإنسان عليها، ليحقق به حاجاته ولينظم حياته ويطورها نحو الأحسن والأرضى لله تعالى.

وهكذا كانت البشرية فى أقدم تواريخها تمارس التفكير العلمى لتحقيق حاجاتها فى كل عصورها وفى مختلف أقطارها.

● ولأهل الديانات رؤية للعلم:

يقولون: إن العلم ثلاثة أنواع:

- علم أعْلَى وهو: علم الدين، وهو ما لا يجوز لأحد الكلام فيه، بغير ما أوَّله الله تعالى فى كتبه وعلى ألسنة رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) ومن ذلك: الآيتان: ١٠١، ١٣٧ من سورة آل عمران، والآية: ٥٠ من النساء، والآية: ٧٥ من المائدة، والآيات: ٢٤، ٤٦، ٦٢ من الأنعام، والآيتان: ٨٦، ١٠٣ من الأعراف، والآيتان: ٣٩، ٧٣ من يونس، والآية: ٣٦ من النحل، والآيتان: ٢١، ٤٨ من الإسراء، والآية: ١٥ من الفرقان، والآيات: ١٤، ٥١، ٦٩ من النمل، والآية: ١٩ من القصص، والآيتان: ٢٠، ٢١ من العنكبوت، والآيتان: ٤٢، ٥٠ من الروم، والآية: ٤٤ من فاطر، والآية: ٧٣ من الصافات، والآيتان: ٢١، ٨٢ من غافر، والآية: ٢٥ من الزخرف، والآية: ١٠ من محمد، والآية: ٦ من ق، والآيات: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠ من الغاشية، والآية: ٦ من الفجر، والآية: ١ من سورة الفيل.

– وعلم أوسط وهو: معرفة علوم الدنيا، التى يكون معرفة الشر فيها بمعرفة نظيره، ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة والزراعة وسائر العلوم وهى كثيرة وتزداد يومًا بعد يوم.

– وعلم أسْفَل وهو: أحكام الصناعات وضروب الأعمال، كالسباحة والفروسية والخط والزّىّ وغير ذلك من الحرف والمهن التى تحصل بتدريب الحواس والجوارح.

● وللفلاسفة رؤية فى العلم ملخصها ما يلى:

يقولون: إنه ثلاثة أيضًا كما قال أهل الديانات: أعْلَى وأوسط وأسفل.

والأوسط والأسفل عندهم لا يختلف عما قال به أهل الديانات. لكن العلم الأعْلَى عندهم هو: علم القياس فى العلوم العلوية التى ترتفع عن الطبيعة والفلك، مثل: الكلام فى حدوث العالم وزمانه، والتشبيه، ونفى التشبيه مما لا يدرك شىء منه بالحواس، وقد أغنت عن هذا العلم الأعلى كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام – مما لم يدخله تحريف أو تبديل –.

وللفلاسفة تفصيل فى العلم الأوسط لا يختلف كثيرًا عما فصله أهل الديانات.

ولكى نؤكد دعوة الإسلام للعلم والتفكير العلمى ننظر إلى جهود المسلمين فى المجالات العلمية، وبخاصة فى عصور ازدهارالحضارة الإسلامية.

يقول الدكتور فؤاد زكريا[1]: «والواقع أن أعظم ما يمكن أن يفخر به العلم الإسلامى فى عصر ازدهاره هو أنه أضاف بالتدريج إلى مفهوم العلم معنى جديدًا لم يكن يلقى اهتمامًا بين اليونانيين وهو استخدام العلم من أجل كشف أسرار العالم الطبيعى وتمكين الإنسان من السيطرة عليه؛ فقد عرف اليونانيون الرياضيات وتفوقوا فيها، ولكنهم لم يعرفوا كيف يستخدمونها لحل المشكلات الواقعية التى تواجه الإنسان. وفى مقابل ذلك كان المسلمون بارعين فى استخدام الأرقام ووضع أسس علم الحساب الذى يمكن تطبيقه فى حياة الناس اليومية، وكان اختراعهم للجبر، وتفوقهم فى الهندسة التحليلية، وابتكارهم لحساب المثلثات؛ إيذانا بعصر جديد تستخدم فيه الرياضة للتعبير عن قوانين العالم الطبيعى، وتطبق فيه مبادئها من أجل حل مشكلات المساحة الأرضية.

---

(١) فى كتابه: التفكير العلمى –المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت: ربيع الآخر ١٣٩٨ هـ مارس ١٩٧٨م، ص (١٥٩–١٦٢) باختصار.

وكذلك كانت كشوفهم الفلكية مرشداً هاماً للملاحين والجغرافيين، وساعدت على فهم أفضل للعالم الذى نعيش فيه.

ولقد كان هذا الاتجاه الذى يجمع بين النظرية والتطبيق أمراً طبيعياً فى حضارة قامت على أساس الجمع بين الدنيا والدين، وارتكزت على شعار: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» وبالفعل كان العلم الإسلامى ينطوى على جانب الدنيوية والأزلية فى آن واحد، ويستهدف خدمة الحياة الإنسانية فى هذا العالم الأرضى، فى إطار ترتكز أصوله على النظر فى عالم السماء والأرض واستخلاص العبرة من نظامه المحكم وقوانينه الأزلية.

وهكذا كان العلماء يقومون ببحوثهم مؤمنين بأن العلم ركن أساسى من أركان العقيدة، ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان الدينى تخطر ببال أحد منهم، بل إن كل مَنْ أثاروا هذه الفكرة لم يكونوا من العلماء، ولم تكن لديهم أدنى فكرة عن الطبيعة الحقيقية للبحث العلمى وعن أهدافه الإنسانية الرفيعة...

هذا العلم الإسلامى الذى ارتكز على دعائم قوية من المنهج التجريبى، ومن الحقائق الرياضية الدقيقة، كان واحداً من أهم العوامل التى أدت إلى ظهور النهضة الأوربية الحديثة، فمنذ القرن الثانى عشر الميلادى؛ أخذت المؤلفات العربية الكبرى تترجم على نطاق واسع إلى اللغة اللاتينية، لغة العلم فى أوربا خلال العصر الوسيط.

ولم يكن من المصادفات أن ينظر عدد غير قليل من الباحثين الأوربيين إلى هذا القرن بالذات على أنه نقطة البداية الحقيقية فى النهضة الأوربية، أو نقطة التحول من العصور الوسطى المظلمة إلى المرحلة الممهدة لظهور العصر الحديث.

ولم يكن من المصادفات أيضا أن تكون الجامعات ومعاهد العلم الأوربية القريبة جغرافياً من مراكز الثقافة العربية فى جنوب إيطالية وصقلية وفرنسا؛ هى مراكز الإشعاع الأولى لهذه النهضة...».

● وأما الأحاديث النبوية التى دعت إلى العلم والتفكير العلمى فمنها:

- ما رواه ابن ماجة بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتى ظاهرون على الناس لا يبالون مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ نصَرهم».**

وهل يكون النصر إلا بالإيمان بالله والتوكل عليه والأخذ بأسباب القوة، والعلم والتقنية

طريق القوة ومن أسبابها، كيف ينتصر المسلمون أو تلك الطائفة من المسلمين في المعارك التي تطورت فيها الأسلحة وتقدمت صناعتها إلا إن أخذوا من العلم قدراً يجعلهم لا يبالون من خذلهم أو نصرهم.

العلم قوة للمسلم في سلمه وحربه، والقوة مما دعا الرسول ﷺ إلى أن تكون من صفات المؤمن، حتى يكون القوي خيراً وأحب إلى الله ممن صفته الضعف.

- روى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خيرا وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»**.

فهل يكون المؤمن قويًا بغير العلم وبغير اتخاذ الأسباب؟

● وإذا كان الجهاد في سبيل الله فرض عين حينًا وفرض كفاية حينًا؛ فهل يستطيع المسلمون أن يجاهدوا وهم غير آخذين بأسباب القوة؟ والعلم والتقنية من أهم أسباب القوة.

- وما أكثر الأحاديث النبوية التي وردت في فضل العلم وأهميته ومكانة العلماء وأمانتهم ووجوب أن يوثقوا علمهم، ويقيدوه بالكتابة حتى لا ينسى ولا يضيع[1].

- والذي نحب أن نؤكده أن العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإن يقصد به في الأغلب العلم بالدين، فإن سائر علوم الدنيا بغير استثناء مهما تنوعت هي مطلب من مطالب الدين ما دامت تجلب للناس خيراً أو تدفع عنهم شراً؛ لأن ذلك الجلب للمنفعة والدفع للمفسدة من مقاصد الدين ومن مفردات شريعة الإسلام.

- وطلب العلم كما هو مقرر فريضة على كل مسلم مهما كان مكان أخذه بعيداً، فقد روى ابن عبد البر بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[2].

وإن كل جهود تبذل في سبيل تحصيل العلم بهذا المعنى العام لهدفه وهو جلب المصلحة ودفع المفسدة فريضة على كل مسلم، وبالتالي فإنه واجب المدرسة الإسلامية تزود به المتعلمين فيها، ويعد ذلك هدفًا خاصًا للمدرسة.

٢- وتزويد المتعلمين بالثقافة العامة:

للمدرسة الإسلامية اهتمام خاص بالثقافة التي تلزم نفسها بأن تزود بها أبناءها، إذ تجعل

(١) من أجمع الكتب في جمع الأحاديث النبوية في العلم وفضله كتاب: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ط دار الكتب العلمية- بيروت.

(٢) ورواه البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أنس رضي الله عنه، وضعّفه بعض العلماء، ولكن شهرته واسعة.

ذلك فى أولوياتها، وفى صميم منهجها، وهى محقة فى ذلك؛ لأن تزويد المتعلمين بالثقافة العامة له أسباب جوهرية نذكر منها:

أ- أنه ما من مجتمع إنسانى سَوِىّ يخلو من مطلق ثقافى، يمثل قيمة أو قيمًا يعتز بها الناس، ويشعرون أن لها أهمية وتطبيقًا عالميًا فى كل الأزمنة والأمكنة.

وأوضح مثال لذلك قيم الصدق والعدل والأمانة وغيرها من القيم الثقافية المطلقة، وهى كثيرة تحظى باحترام الناس وتقديرهم فى كل زمان ومكان.

ولا نبالغ فى شىء إذا قلنا: إن جميع القيم التى جاء بها الإسلام من فضائل دعا إلى التمسك بها هى من هذا المطلق الثقافى الذى يجب أن تهتم به المدرسة الإسلامية فتزود أبناءها به.

ب- وأن أى مجتمع إنسانى ناضج، إنما يقوم نضجه على ما يسود هذا المجتمع من نمطىْ الثقافة المعروفين:

● **نمط الثقافة غير المادية:**

وتتمثل فى المعايير والمعتقدات والاتجاهات والمعارف واللغة، وهى أمور تنتقل بين الناس من جيل إلى آخر.

● **ونمط الثقافة المادية:**

وتتمثل فى جملة الأشياء التى صنعها الإنسان بعد جهود ومحاولات كالمبانى والأثاث والأدوات والآليات والملابس وأنواع الطعام والشراب، وسائر المنتجات التى تتصل بالتطبيق والاختراع فى شتى مرافق الحياة.

هذان النمطان من الثقافة يجب أن تزود المدرسة بهما أبناءها جيلاً بعد جيل مع التطوير المستمر لمفرداتهما، حتى يكون للمجتمع كُلٌّ ثقافى يتكامل حينًا بعد حين.

جـ- والعالم العربى[1] مثل منطقة جغرافية ثقافية تتميز بين المناطق الجغرافية المحيطة به بأن له رؤية اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية متشابهة أو متقاربة إلى حد كبير.

والمدرسة الإسلامية فى العالم العربى يجب أن تغذى هذا الجانب فى شخصية الإنسان العربى، لا لينعزل عن غيره من الشعوب والأجناس أو يشعر بالتميز، وإنما ليعتز بهذا

---

(١) هذا التعبير: «العالم العربى» أصبح العدو الألد لإسرائيل وأمريكا، يعملان ما وسعهما لإبداله أولا بالشرق الأوسط ثم بالشرق الأوسط الكبير حتى لا تكون لكلمة العالم العربى وجود حتى لا تجتمع كلمة العرب أبداً، ومن العجيب أن نبادر إلى استخدام بدائل العالم العربى!!!

المركَّب أو الكل الثقافى الذى يسود العالم العربى، ثم ينطلق منه إلى الثقافة العالمية يأخذ منها ويعطيها فى حدود محافظته على مركبه الثقافى، ومنع إذابته فى الثقافة العالمية.

د- والعالم الإسلامى يمثل منطقة جغرافية ثقافية على الرغم من تعدد شعوبه وأجناسه ولغات أهله، لأن المكون الثقافى فى أى بلد من بلدان العالم الإسلامى قد تأثر بمفردات الثقافة الإسلامية التى ازدهرت قروناً عديدة، فجعل منها مكوناً من مكونات ثقافته غير المادية من معايير ومعتقدات واتجاهات ومعارف، ولغة عربية -لا تصح صلاة مسلم إلا بها-.

وبالتالى فإن المدرسة الإسلامية فى أى بلد مسلم تجد نفسها مطالبة باحترام هذه الثقافة الإسلامية، وبثها فى أبنائها وحفزهم على الاعتزاز بها.

هـ- ولأن المدرسة الإسلامية حريصة على مقاومة التخلف الثقافى الذى قد يصيب أى بلد مسلم، عندما لا تعتنى المدرسة بالتوازن بين عناصر الثقافة، بحيث لا يطغى عنصر منها على آخر؛ أى ينمو على حسابه؛ على نحو ما هو مشاهد فى كثير من بلدان العالم الإسلامى التى تنمو فيها الثقافة المادية على حساب الثقافة غير المادية، مما يرى أثره فى اهتمام الناس بعناصر الحياة المادية على حساب القيم والمعايير والمبادئ الإسلامية، مما أحدث خللاً فى التوازن بين عنصرى الثقافة، وذاك أمر يجب أن تسارع المدرسة فى تداركه بإحداث هذا التوازن الثقافى؛ لحاجة الناس إلى كل من عنصرى الثقافة.

و- ولأن المحافظة على التراث الثقافى الإسلامى ضرورية وحيوية لكيان الأمة الإسلامية دنياها وأخراها؛ فإن المدرسة الإسلامية فى أى بلد من بلدان المسلمين من واجبها المحافظة على هذا التراث الثقافى الإسلامى.

والتراث الإسلامى الثقافى مفردات تتوارثها أجيال المسلمين فى أى زمان ومكان، سواء أكانت هذه المفردات من الثوابت كالقيم والمعايير والمبادئ الإسلامية التى تتوارث جيلاً عن جيل، أم كانت هذه المفردات من المتغيرات كأنماط الثقافة المادية.

إن المدرسة مطالبة من خلال منهجها أن تحافظ على كل مفردات الثقافة الإسلامية، مهما تعددت شعوب العالم الإسلامى واختلفت ثقافاتها المادية، لأن الجانب الثابت من هذه الثقافة كبير وأساسى، ويمثل القاسم المشترك الأعظم بين شعوب العالم الإسلامى.

ز- ولأن الثقافة الإسلامية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة المعصوم ﷺ فى مجالها غير المادى -القيمى- عقيدة وعبادة وخلقاً، ومتأثرة بما صنعه المسلمون المتمسكون بدينهم وقيمه فى المجال المادى من الثقافة؛ فإن على المدرسة الإسلامية أن توظف هذه الثقافة بنوعيها لتؤدى عملها فى الحياة الاجتماعية للمسلمين، وتستمر فى

غير توقف إلى أن تصبح حياة الناس من أرقى وأمثل أنماط الحياة الإنسانية فى العالم كله، لأنها منبثقة عن أكمل الأديان وأتمها وأرضاها لله تعالى منهجًا ونظامًا.

وبعد: فتلك أسباب سبعة جعلتْ تزويد المدرسة الإسلامية للمتعلمين فيها بالثقافة العامة أمرًا واجبًا لا يجوز أن تتخلى عنه لأى سبب من الأسباب.

● ولابد لنا أن نتساءل قائلين: ما مفهوم الثقافة العامة؟

وما أهم قضاياها؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل تحتاج إلى كتب عديدة فى عالم شديد الاتساع واسع التغير، شديد الاتصال ووثيقه بين أقصى طرف منه وأقصاه من الجانب الآخر.

غير أننا نسدد ونقارب ونستعين الله على التوفيق، فنقول:

إن الثقافة العامة التى نريد هى أن تزود المدرسة الإسلامية أبناءها بما لابد لهم من الإلمام به من قضايا العالم الذى يعيشون فيه، وما أكثر هذه القضايا، لكننا قد اخترنا منها ثلاثين قضية اقتحمت على الناس عمومًا وعلى المسلمين خصوصًا حياتهم وثقافتهم، فنشير إليها فى عناوين تاركين الشرح والتفسير لما تختاره المدرسة من عناصر لهذه القضايا تستعين على توعية أبنائها فيه بالمنهج والكتاب والمعلم والأنشطة المدرسية العديدة.

وأبرز هذه القضايا -فى تصورى- هى:

١- قضية الديموقراطية وتطبيقاتها فى الغرب وتصدير الغرب لها على أنها أحسن سلعة وأغلى بضاعة، والعصا السحرية التى تطارد الاستبداد والاستغلال والاستيطان وتحقق الأمن والاطمئنان!!! وما مصداقية ذلك؟

٢- وقضية الحرية والعدالة والمساواة، وكلها شعارات نادى بها الغرب فى بلاده وجعلها حرامًا على من استعبدهم من الشعوب، فلا ينبغى أن ينخدع أحد بشعار أو تمثال يتصدر أكبر الميادين فى أهم العواصم، بينما تقطر أيدى من رفعوا الشعار ومن أقاموا التمثال بدماء الأبرياء، بينما تفيض بطونهم وجيوبهم بأموال الشعوب التى وقعت تحت وطأة أصحاب الشعار ومن أقاموا التماثيل!!!

٣- وقضية ازدواج المعايير والكيل بمكيالين، عندما يتعامل الغرب مع أبنائه أو مع أبناء العالم الثالث، وعندما يتعامل مع إسرائيل ومع العالم العربى والإسلامى، مع ما تدل عليه ازدواجية المعايير من خلل دينى وأخلاقى واجتماعى وإنسانى.

٤- وقضية علاقة الغرب بالدين المسيحى، ولماذا نشب الصراع الحاد بل الحرب بين مفكرى

الغرب وقادته ضد الكنيسة؟ وما حجة الغرب وما حجة الكنيسة فى هذه المعركة؟ ولماذا يعزل الدين عن الحياة الإنسانية ويبقى حبيس الكتب المقدسة؟

٥- وقضية علاقة الكنيسة بالعلم، وتأثير ذلك على الغرب فى سياسته واقتصاده وفكره، وتعامله مع الناس، وهل العلم يناقض الدين؟ أم أنها تَعلات ومبررات لعزل الدين عن الحياة؟

٦- وقضية الاستعمار وما تنطوى عليه هذه التسمية من مغالطة، وما صور هذا الاستعمار؟ وماذا أصاب العالمين العربى والإسلامى منه؟

وماذا يربط بين الاستعمار والاستيطان والاستيلاء على المقدرات الاقتصادية للشعوب؟

وما الدوافع لاحتلال بلاد الغير واستعباد الناس فيها، وخطفهم وترحيلهم إلى أوربا وأمريكا وتحويلهم هناك إلى عبيد؟.

٧- وقضية العبودية، التى تحولت على أيدى الغرب فى فترات طويلة من عبودية استغلال إنسان لإنسان واسترقاقه، إلى استعباد شعب بأسره واسترقاقه، وأخذ الحق فى قتله دون حساب أو خوف من قانون؟ وما الأسباب الحقيقية فى إصدار قانون بتحريم الرق؟

٨- وقضية تجارة العبيد فى أمريكا الشمالية وإنشاء «مزارع» لتربية العبيد وبيعهم فى الأسواق وبخاصة بعد سنة ١٨٠٨م، ولماذا شارك فى ذلك بعض المفكرين وبعض من يسمون أنفسهم رجال الدين فى الغرب.

٩- وقضية بسط النفوذ، نفوذ الدول القوية على الدول الضعيفة، أو من الدول الغربية على الدول الآسيوية والإفريقية، أو على الدول العربية والإسلامية، وما أنواع هذا النفوذ؟ وما أسوأه بالنسبة للشعوب؟ وما أساليب مقاومته؟

١٠- وقضية الشيوعية والاشتراكية ما لها وما عليها؟ وما الذى سهل للشيوعية أن تفرض نفسها؟ وما الذى جعلها تنهار هذا الانهيار المدوى؟

١١- وقضية الولايات المتحدة الامريكية فى ثوبها الجديد نسبيًا، وعدوانها على الشعوب وضربها بالقنابل الذرية ثم بأشد أنواع الأسلحة دمارًا!!! وماذا جنت الشعوب على أمريكا؟ ولماذا تحتل أمريكا البلاد والعباد؟

١٢- وقضية اصطناع أمريكا لحجة تحتل بها البلاد، وهى أن تلك البلاد على ضعفها وهوانها تمثل خطرًا على أمن أمريكا، وما حقيقة حجة الإرهاب؟ ومن الذى يمارسه؟ أمريكا وإسرائيل أم دولة أو دويلة لا تجد قوتها إلا بصعوبة؟

١٣- وقضية إثارة الغرب والحروب واصطناع أسبابها بين الدول الإسلامية بالذات، وبين الدول العربية؟ ولماذا يثير الفتن الداخلية فى عديد من بلدان العالم فى إفريقيا وآسيا، وبلدان العالمين العربى والإسلامى على وجه التحديد؟ وما أسباب الرغبة فى تفتيت الدول والشعوب؟

١٤- وقضية النظام العالمى الجديد بقيادة جورج بوش الأب وحرب الخليج الأولى، ورغبة أمريكا فى السيطرة على العالم سياسيًا، وبخاصة بعد سقوط ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى.

١٥- وقضية أمريكا والعولمة وجورج بوش الابن، ورغبة أمريكا فى السيطرة على دول العالم سياسيًا واقتصاديًا، وإطلاقها تسميات: الدول المارقة، ودول محور الشر، وشنها حربين على أفغانستان والعراق، وتحرشها بإيران وسوريا وخضوع ليبيا لها خضوعًا مطلقًا يسلمها السلاح ولتعلن ليبيا ما هو أكثر من الاستسلام.

١٦- وقضية تحيز أمريكا لإسرائيل تحيزًا يتجاهل كل الأعراف والقوانين الدولية، تحيزًا يقف بجانب إسرائيل المعتدية دائمًا، الإرهابية على مستوى الدولة، واستعمالها حق النقض فى مجلس الأمن حتى لا تدان إسرائيل على جرائمها.

١٧- وقضية حق الدول الكبرى الدائمة العضوية فى مجلس الأمن فى الاعتراض على أى قرار وإبطاله، وهذه الدول دول ظالمة باغية مستوطنة مستغلة لسائر الدول أسوأ استغلال. ومدى صلة هذا الحق بمصداقية ميثاق الأمم المتحدة، وصلة هذا الحق بإقرار العنصرية والتمييز.

١٨- وقضية فلسطين وموقف الغرب منها وإصراره مع إصرار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى عل أن تقام دولة لإسرائيل على أرض فلسطين مع طرد الفلسطينيين من أوطانهم وبيوتهم وما يملكون، وأبعاد هذه القضية السياسية والاجتماعية والعربية والإسلامية والعالمية.

١٩- وقضية جرائم إسرائيل المستمرة على بلدان العالم العربى واستيلائها على أرض الغير بالقوة الغاشمة والسلاح الأمريكى المتطور، والعالم كله غربه وشرقه لا يعترض، وإنما يملى مزيداً من الشروط على العرب، ويتغافل عن جرائم إسرائيل.

٢٠- وقضية تحالف قوى الغرب والشرق على القضاء على الدولة العثمانية، وما ترتب على ذلك من آثار سيئة للعالمين العربى والإسلامى، بحيث وقفت القوى الإقليمية عربية وغير عربية تناهض التجمع الإسلامى، وتستبعد فكرة الجامعة الإسلامية، التى دعا إليها بعض المصلحين المسلمين.

٢١- وقضية تمزق العالم العربى وتحويله إلى أكثر من عشرين دويلة أو ولاية، وإحكام ربط مصالحه السياسية والاقتصادية بالغرب حينًا، وبالشيوعية والاشتراكية حينًا ثانيًا، وبالنظام العالمى الجديد أو بالعولمة حينًا ثالثًا وهكذا...

٢٢- وقضية الجامعة العربية، وإعادة النظر فى ميثاقها الذى وضعه أو أشار به عبقرى صمَّمه على أن لا تقوم فى ظله وحدة كلمة فضلاً عن وحدة صف أو وحدة فكر أو وحدة سياسة أو وحدة اقتصاد، وكل رئيس لدولة أو دويلة عربية يستطيع أن يجمد أى قرار إذا اعترض!!!

٢٣- وقضية هيئة الأمم المتحدة بديلاً عن عصبة الأمم، ومدى ما حدث للأمم المتحدة من تحكم دول حق الاعتراض فى قراراتها، ثم تحكم أمريكا وحدها فيها، وضربها بقراراتها عرض الحائط وانفرادها بالعدوان على كثير من الدول دون مراعاة لميثاق الأمم المتحدة، حتى يمكن القول بأن أمريكا قتلت هيئة الأمم المتحدة قتلاً، وأصابت مجلس أمنها بالسكتة!!!

٢٤- وقضية تشويه إسرائيل والغرب للإسلام عقيدة وشريعة؛ وماذا فعل المسلمون إزاء هذا التشويه؟

- ماذا فعلوا على مستوى الدول الإسلامية؟

- وماذا فعلوا على مستوى المؤسسات غير الحكومية؟

- وماذا فعلوا على مستوى العلماء والمفكرين والأدباء والإعلاميين؟

- وماذا فعلوا على مستوى المنظمات الإسلامية؟

ماذا فعلوا من أجل الرد على هذه المفتريات وتلك الأباطيل؟

وما مدى ارتباط هذا العجز عن الرد بضعف العالم الإسلامى وقهر شعوبه ومؤسساته الحكومية والمدنية بحكومات مستبدة تخشى الإسلام أكثر مما تخشى إسرائيل!!!

٢٥- وقضية العجز العربى والإسلامى عن الدفاع عن بعض البلدان العربية والإسلامية التى احتلها الأعداء مثل: فلسطين والعراق وأفغانستان، وما سوف يأتى به الغد بالنسبة لسوريا ولبنان وإيران.

وما أسباب هذا العجز؟ وإلى متى يستمر؟ وما كيفية التخلص منه؟

٢٦- وقضية تغوّل أمريكا وتوغلها فى العالمين العربى والإسلامى جريًا وراء بسط النفوذ السياسى والاقتصادى والثقافى على العرب والمسلمين لتجنى عددًا من الفوائد منها:

- السيطرة على النفط .

- وتسويق سلاحها .

- وتأمين إسرائيل .

- ومنع دول العالمين العربى والإسلامى من إنتاج السلاح .

- ومنعها من انتهاج نظام حكم عادل يحترم حقوق الإنسان .

٢٧- وقضية حظر الأسلحة النووية أو أسلحة الدمار الشامل على أى دولة عربية أو إسلامية، بل منعها من إنتاج السلاح المتطور عمومًا، وما يعنيه هذا الخطر من استمرار ضعف العالمين العربى والإسلامى، وازدياد إسرائيل قوة واستكبارًا فى الأرض بغير الحق، واستيلاء على أراض من العالم العربى، وماذا على دول العالمين العربى والإسلامى أن تفعل لكى تقرأ رسالة حظر أسلحة الدمار الشامل عليها قراءة صحيحة فى ضوء عدم حظره على إسرائيل وعديد من بلدان العالم!!!

٢٨- وقضية التودد إلى إسرائيل الظالمة الباغية التى احتلت فلسطين بأسلحة الغرب ثم بأسلحة أمريكا، وتأييد الغرب وأمريكا وروسيا معنويًا وماديًا لها .

وإن علامة رضا أمريكا عن أى دولة عربية أو إسلامية هى أن تتودد هذه الدولة إلى إسرائيل أو تعقد معها اتفاقًا سياسيًا أو عسكريًا أو اقتصاديًا، أو يكون لها مكتب لتمثيل مصالحها!!!

فهل تعتبر إسرائيل إحدى الولايات المتحدة الأمريكية؟ أم تعتبر أمريكا خاضعة لنفوذ اليهود الذين يمثلون الإدارة الأمريكية غالبًا؟

٢٩- وقضية تدخل أمريكا فى رسم سياسة أى بلد من بلدان العالم العربى والإسلامى تدخلاً سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، عن طريق اصطناع كثير من قادة العالمين العربى والإسلامى من جانب، وفرض عدد من المستشارين اسمًا، والمشيرين فعلا بكل ما يجب أن تفعله أى دولة عربية أو إسلامية فى مجال السياسة والاقتصاد والثقافة، والتعليم، والتخويف من كل ما هو إسلامى وربطه بالعنف والإرهاب!!!

وعلى الرغم من تحكم أمريكا فى العالمين العربى والإسلامى، فإن ذلك لا يجوز أن يحدث يأسًا فى نفوس العرب والمسلمين، وإنما يعنى ذلك المزيد من التوعية و التعليم والتربية، والإخلاص والتفانى فى فداء الأوطان العربية والإسلامية من تدبير أمريكا وإضمارها الشر، إن ذلك ممكن وقريب وموعده الغد، وإن الغد لقريب إذا صحت

النوايا وصدقت الغرائم، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

وقد يُخَذِّل بعض الغافلين أو بعض الممالئين لأمريكا وإسرائيل، قائلين: وأين قوة العرب والمسلمين من قوة أمريكا وإسرائيل؟

وهي مقولة تخذيلية غافل من يرددها عن النواميس العامة التي قررها الله تعالى في كتابه الخاتم، فقد قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]

وقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر، فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وفي أمثال هؤلاء الظالمين المستبدين الذين يعادون الحق فيكفرون بالله لأنه سبحانه الحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ...﴾ [الأنفال: ٣٦].

٣٠- وقضية انتهاك أمريكا وإسرائيل للمواثيق والأعراف الدولية، وانتهاكهما لحقوق الإنسان، وتشبثهما بنزعة الاستعلاء والاستكبار على شعوب العالم، وانتهاجهما سياسة عنصرية استيطانية استبدادية استغلالية، ونظرتهما لدول العالم جميعًا كما ينظر السيد المستبد إلى عبده الراسف في قيوده!!!

ما أسباب ذلك؟ وما نتائجه؟ وما صلة ذلك بما تمارسه أمريكا في «جوانتانامو» وفي سجن أبي غريب والعراق وأفغانستان وما تمارسه إسرائيل في فلسطين؟

هذه جملة من القضايا الثقافية التي يجب أن تزود المدرسة الإسلامية أبناءها بأبعادها وأسبابها ونتائجها وطرق التغلب عليها.

ويستطيع المنهج المدرسي أن يعرضها بالأسلوب الملائم لأعمار التلاميذ ومستواهم التعليمي، لكن هذا العرض فرض على كل مدرسة إسلامية مهما كان مستوى التعليم فيها، ومهما كان نوع التعليم الذي تعلمه لأبنائها.

٣- وتزويدهم بالمهارات والفنون:

المدرسة الإسلامية مدرسة متكاملة، لا تدع شيئًا ينفع أبناءها في دينهم ودنياهم إلا علمتهم إياه، فبالإضافة إلى العلم والمعرفة والثقافة، لابد أن تعلمهم حرفًا وصناعات مناسبة

لهم، حينما يحتاجون إليها فى حياتهم العملية عندما يتخرجون فى المدرسة ولا يرغبون فى مواصلة التعلم.

المدرسة الإسلامية مسئولة عن أبنائها بحيث تؤهلهم لممارسة حياة اجتماعية ناجحة ببناء أسرة جديدة، وإسهام فى تطوير المجتمع نحو الأحسن والأفضل.

- وليست المدرسة الإسلامية مجرد مرحلة تعليمية، وإنما هى مؤسسة تربوية، ودار حرف وصناعات يحتاج إليها المجتمع ليعيش فيه الناس عاملين قادرين على الكسب وعلى العطاء.
- التربية عالم رحيب يجمع ما بين العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة والأخلاق التى نبعت من القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ وسيرته، وهو عالم ملئ بكل ما ينضج شخصية المسلم ويجعلها تتكامل، وابن المدرسة الإسلامية لا يغادرها حتى يكون قد استفاد من هذه التربية الإسلامية.
- والتعليم بحر واسع بعيد ما بين الشاطئين، هادئ الأمواج لأن الرياح التى تحرك أمواجه تأتيه على قدر ما يحتاج، لا تشح عليه فيركد، ولا تعصف بأمواجه فيُغرق، والسابح فى هذا آمن ميسور عليه أن يبلغ شاطئه فى ثقة وطمأنينة، والمتعلم فى هذه المدرسة الإسلامية لابد أن يكون قد تعلم فيها ما يوصله إلى شاطئ الأمان.
- ومن بين ما يجب أن يتزود به المتعلم فى المدرسة الإسلامية بعض المهارات والفنون التى لا تستغنى عنها المجتمعات الإنسانية، وهذه المهارات والفنون أكبر وأوسع وأكثر تنوعًا من أن نحصيها هنا أو نتحدث عنها جميعًا، ولكننا نذكر الشاهد والمثال، والله ولى التوفيق.

أ- المهارات:

المهارات: جمع مهارة وهى: الحذق، وإحكام الصنعة، والإنسان الماهر هو الذى يحسن ما يقوم به من علم أو عمل.

وكل مسلم مطالب بأن يحسن كل شىء يصدر عنه، لأن الله تعالى كتب -أى أوجب- الإحسان فى كل شىء وامتدح المحسنين فى آيات قرآنية عديدة منها:

- قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ [النساء: ١٢٥].
وقال جل شأنه: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: ٢٢].

وروى مسلم بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله**

تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».

● وفى التعريف الاجتماعى للمهارة يقال: هى القدرة على القيام بالأعمال الحركية المعقدة بسهولة ودقة، والقدرة على أداء هذه الأعمال فى ظل الظروف المتغيرة أو المستمرة فى التغير، وهذه الأعمال نوعان كبيران -تحت كل منهما فروع عديدة -وهما:

- الأعمال النظرية؛ التى يؤديها صاحبها بمهارة ودقة وقدرة على مواكبة المتغيرات.

- والأعمال الحركية؛ التى يؤديها صاحبها بنفس المهارة أى السهولة مع الدقة، والقدرة على مواكبة المتغيرات أيضاً.

● وهذه المهارة مثلها مثل أى عمل يتعلمه الإنسان، تتفاوت فيه مهارة من يؤديه، على ثلاث درجات:

- درجة المبتدئ فى تعلم المهارة الذى يخطو فى أول طريقها.

- ودرجة من اجتاز مرحلة الابتداء، فأصبح فى منتصف الطريق فازدادت مهارته وحظى بتقدير، وأصبح أجود من المبتدئ.

- ودرجة من أوفى على نهاية الطريق، فنمت مهارته وتعمقت فأصبح موضع التقدير من معظم الناس، وأصبحت مهارته فيما يصنع مثالاً يحتذى.

● ولتعلم المهارات أو الصناعات والحرف فى تاريخ المسلمين شأن كبير، كما أن لهذا التعلم أسساً وفلسفة يقوم عليها، ومن هذه الأسس:

- أن الإسلام يحترم الحرفة:

وذلك أن الحرفة باب من أبواب الرزق، يشجع الإسلام عليها، بل يأمر بها أمراً، عندما يتصور أحد المسلمين أن رزقه قد ضاق، وأنه ليس أمامه من سبب للرزق إلا سؤال الناس، عندئذ يجد المسلمون أن رسول الله ﷺ يوجه المسلمين إلى العمل والحرفة ليكفهم عن سؤال الناس.

روى البخارى بسنده عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى الجبل فيجىء بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها. فيكفَّ الله وجهه، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».**

وروى البخارى بسنده عن المقدام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود** - عليه السلام - **كان يأكل من عمل يده».**

● فعمل اليد حرفة يزاولها الإنسان بعد تعلمه إياها واكتسابه الخبرة فيها، مما يستغرق سنة أو سنوات.

والمدرسة الإسلامية مطالبة بأن تعلم أبناءها حرفة إلى جانب ما تعلمهم من علوم ومعارف وما تزودهم به من ثقافات وما تربيهم عليه من خلق يرفض السؤال والاستجداء.

وقد تكون هذه الحرفة مما يتعلمها الأبناء بنين وبنات فى بيوتهم، فتكون مصدر دخل للأسرة، وتلك ظاهرة معروفة فى عدد من المدن والقرى الإسلامية،(1) مع المدرسة أو بدونها.

● وبعض الباحثين يعرفون الحرفة اليدوية بأنها الأعمال التى يزاولها الصُّنَّاع مستخدمين مهاراتهم اليدوية دون الاعتماد على آلات، ومعنى ذلك أن الحرفة سابقة لعصر اختراع كل الآلات التى تعين على الحرف.

● والمدرسة الفنية زراعية أو صناعية أو تجارية أو غيرها، سواء أكانت متوسطة أو فوق المتوسطة تسهم إسهامًا كبيرًا فى تعليم المهارات، والتدريب على الحرف العديدة، وتستطيع هذه المدارس أن تسهم فى تعليم كل الحرف التى يحتاج إليها سوق العمل فى المجتمع، وبذلك تتيح لأبنائها فرص العمل وتباعد بينهم وبين البطالة على مستوى البلدان العربية والإسلامية.

● وتعلم الحِرَف مبدأ أصيل فى الإسلام، تتحدث عنه آيات قرآنية عديدة، يفهم منها الإشادة بالصنعة وبأهميتها فى حياة الناس بجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم، قال الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٨٠]. قال الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ...**﴾ أصل فى تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك، وقد أخبر تعالى فى كتابه عن أصفيائه ورسله وأنبيائه بالأسباب والاحتراف، فقال وقوله الحق: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ...**﴾ وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ...**﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال العلماء: أى يتجرون ويحترفون».

---

(١) هذه الحرف شائعة حتى اليوم فى مدينة دمياط بشمال مصر إذ تمارس فى المنازل حرفة النجارة وصناعة الجلود، وبعض أنواع الطعام كالجبن والحلوى ونحوهما، وكثير من مدن المسلمين كذلك.

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«وجعل رزقى تحت ظل رمحى...»**.

قال القرطبى: «وقد أخبر تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضًا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده.

وكان آدم حراثًا، ونوح نجارًا، ولقمان خياطًا، وطالوت دباغًا وقيل سقاءً؛ فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس، وفى الحديث: **«إن الله يحب المؤمن المحترف الضعيف المتعفف، ويبغض السائل الملحف»**(١).

وروى الطبرانى بسنده -فى الكبير- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يحب العبد المؤمن المحترف»**.

- والمجتمع المسلم يتأسَّى دائمًا بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية عن أنبياء الله تعالى وعباده الصالحين.

- وفى تاريخ الأنبياء عليهم السلام أنهم كانوا أهل حرف وصناعة، فقد صنع بعضهم آلات الحرب وملابسها، وصنع بعضهم المحاريب والتماثيل والجفان والقدور، وكان ذلك من فضل الله عليهم وعلى الناس.

وكل آلة أو أداة أو حرفة أو عمل يحقق للناس النفع ويدفع عنهم الضر فهم مطالبون بصناعتها بل التفوق فيها، لأن فى ذلك إعماراً للأرض التى استخلفهم الله تعالى فيها.

ولا نستطيع هنا أن نحصى الحرف التى يجب أن يحترفها المسلم، وأن يجيدها لكى يعيش حياته وينفق على نفسه وعلى من يعول، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى برزة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عَبْد حتى يُسأل عن أربع؛ عن عمره فيم أفناه، وعن عمله ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»**.

وروى أحمد بسنده عن أبى برزة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الكسب، فقال: **«بيعٌ مبرور، وعمل الرجل بيده»**.

وروى البخارى بسنده عن على رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا مع النبى ﷺ ومعه عود

---

(١) القرطبى (ت ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٣٢١، ط - دار الكتاب العربى القاهرة: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

ينكت في الأرض، وقال: «**ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من النار أو الجنة**» فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «**لا،اعملوا فكل مُيَسَّر لما خُلق له**» ثم قرأ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ [الليل: ٥-١٠].

وبعد: فتلك الصناعات والحرف وهى عديدة ومتطورة ومتغيرة من عصر إلى عصر، وهى كلها صناعات وحرف يجب أن تضعها المدرسة الإسلامية نُصب عينيها وفى صميم منهجها وخطتها وهى تعلم أبناءها وتزودهم بالمهارات التى تنفعهم فتجلب لهم الخير، أو تدفع عنهم الضر.

ب- والفنون:

للفن تعريفات عديدة تتراوح بين: التعبير عن الجمال، والتطبيق العملى للنظريات العلمية بوسائل معينة.

ونذكر من هذه التعريفات للفن:

- أنه جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة.
- أو هو المهارة التى يحكمها الذوق والمواهب.
- أو جملة الوسائل التى يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال.

وتعريف علماء الاجتماع للفن هو: التعبير الجمالى عن المدركات والعواطف ونقل المعانى والمشاعر إلى الآخرين عن طريق العمل الذى يتميز بالصنعة والمهارة، وهو ليس تمثلا للواقع، ولا تقليداً للطبيعة، بل ابتكار لعلاقات جديدة بين عناصر مستمدة من الحياة والمجتمع والطبيعة.

وهو أنواع: فنون جميلة، وفنون مرئية، وفنون مركبة وفنون تطبيقية.

والفن يقوم على الموهبة، ولكن التعليم يصقل هذه الموهبة وينميها، وهو تعبير عن الإحساس بالجمال يتخذ فنونًا عديدة منها:

● فن التعبير عن الإحساس بالجمال من خلال الأعمال اليدوية الجميلة، مثل:

- الفُسَيْفساء.

- والنقوش الخطية على الجدران والكتب ونحوها.

- وتلوين الزجاج.

● وفن التعبير عن الجمال بالنقوش على الجدران فى المعابد والقصور وبعض البيوت.

● وفن النحت على الخشب ونحوه.

● وفن أشغال المعادن نفيسة أو غير نفيسة.

● وفن الحفر على العاج.

● وفن صناعة الخزف.

● وفن صناعة المنسوجات.

وكل هذه الفنون يجب أن تعلمها المدرسة، وتدرب المتعلمين على إنتاجها وإجادتها وذلك أن الفن -كما أوضحنا- يعنى نوعًا من الصنعة المتقنة التى تكسوها مسحة من الجمال فى شكلها ونفعها وقدرتها على التأثير فى مشاعر الناس.

ووظيفة الفن الأساسية هى: الارتقاء بمشاعر الإنسان وترقيق حسه وتهذيبه، وله وظائف أخرى لا تقل أهمية عن ذلك، هى:

- إحداث التوازن الانفعالى لدى الإنسان.

- ودعم القيم الخلقية الفاضلة فيه.

- وتخليصه من القيم الخلقية الهابطة أو الضارة فيه.

- وإيقاظ المشاعر وتزكيتها وتنميتها نحو الأحسن والأفضل.

- وإحياء الرغبة فى الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام، وبالصالحين المخلصين من الناس.

- وعرض الحياة الإنسانية فى صورها الجميلة التى تدعو إلى التأمل فى مظاهر جمالها، والإقبال عليها، والأخذ بما هو جميل.

● وليس من المبالغة القول بأن الفنون عند المسلمين هى من المقومات الأساسية للحياة الإنسانية الصحيحة كما شرعها الإسلام، وكما أرادها الله تعالى للإنسان، ودليل ذلك.

- أن نظرة إلى مخلوقات الله تعالى التى سخرها الله تعالى للإنسان من أنعام ودواب، ونبات وجماد ومياه ورياح، وجبال، وسحاب ونجوم وكواكب، نظرة إلى ذلك كله تؤكد لنا أن

الإنسان المسلم لا تستقيم حياته الإنسانية على وجهها الصحيح إلا إذا أحس بجميل ما خلق الله، وحاول محاكاة هذا الجمال ثم عبر عنه فى ذاته وأخلاقه ومطعمه ومشربه ومسكنه وما يمارسه من عمل جميل أى فَنّ.

- وأن نظرة من الإنسان إلى نفسه، والتدبر فيما خلق الله تعالى عليه الإنسان من صورة جميلة وقوام معتدل، وجسد مَرِن قادر على الحركة والسكون، وعينين ولسان وشفتين، وعَقل وفكر ومشاعر وأحاسيس، وجوارح، نظرة إلى ذلك وتأمل الجمال فيه، تدعو الإنسان إلى حب الجمال وحب التعبير عنه بأسلوب فنى.

● ومعنى هذا وذاك أن الحياة الإنسانية وما أحاطها الله تعالى به من جميل مخلوقاته، قد أبدعها الله على هذا القدر الفائق من الجمال، ليعلم خلقه أن يحبوا الجمال ويحاكوه، لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، وما أكرم الإنسان إذا حرص على أن يكون كل ما يصدر عنه جميلا.

● إن الإسلام قد شرع لنا شريعة كل ما فيها جميل، من عبادات ومعاملات وأنظمة سياسية واجتماعية وعلمية وثقافية.

- ومن تأمل عبادة الصلاة مثلاً يجد فيها من الجمال ما لا يحصى؛

جمال فى معانيها وجمال فى شكلها وجمال فيمن يصلى:

أما جمال المعانى فى الصلاة، فكلها دعاء لله تعالى يخرج من قلب طاهر ولسان ذاكر شاكر، وعقل مفكر متدبر.

وأما جمال الشكل والمظهر ففى طهارة المكان والثوب، وأخذ الزينة عند كل مسجد، وجمال صفوف الصلاة وانتظامها.

وأما جمال المصلى فطهارة قلبه وبدنه، وإقباله على الله تعالى وصلته به، وجمال إنصاته ومتابعته للإمام.

- وكذلك فى كل عبادة كالزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما فرض الله على عباده.

- ومع هذا الجمال والإحساس به والقدرة على التعبير عنه بصورة فنية تناسبه تزيد الحياة جمالا وروعة، وتضفى على الناس والأشياء جمالا وراحة نفسية.

- وإن المعاملات الإسلامية فى كل مجالاتها ابتداء من الزواج وتكوين الأسرة وتربية الأبناء،

وبر الأقارب والقيام بأى واجبات اجتماعية، ومروراً بسائر العقود والعهود التى شرعها الله لصالح الناس فى كل مرافق حياتهم، لكى تقر بينهم العدل والإحسان والتراحم والتعاون على البر والتقوى، كل ذلك يدعم القيم الجمالية فى المعاملات الإسلامية كلها، ويحفز الناس على التعبير عنها بالصور الفنية العديدة الجميلة التى تضفى على الحياة الإنسانية جمالا وروعة.

- ولقد عبَّر الإنسان –فى تاريخه– عن إحساسه بالجمال فى أعمال فنية تشهد له حتى اليوم بأنه أوتى حسًّا مرهفًا فيما يحيط به من جمال، وأوتى قدرة على التعبير عن ذلك الجمال فيما أبدع من أنواع الفنون فى مسكنه وملبسه ومطعمه ومشربه وأدواتهما، وفى ملبسه وما يتحلى به ويتزين عند كل مسجد، كما أبدع فى سائر ما يحتاج إليه من آلة وأداة تيسر عليه الحياة وتجعلها جميلة.

- فماذا تستطيع المدرسة أن تفعل وهى تعلم هذه الفنون لأبنائها وتدربهم عليها؟

إنها تستطيع بوصفها مدرسة إسلامية أن تقوم فى هذا المجال بأعمال جليلة منها:

– تربية الفنان المسلم صاحب العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة والخلق القويم والشخصية المتوازنة المتكاملة ليتلاءم مع القيم والمبادئ الإسلامية فيما ينتج من أنواع الفنون مثل:

- لُعَب الأطفال ولعب من كبروا منهم، بحيث تشد اهتمامهم وتستجيب لرغباتهم ويتعلمون التعامل مع هذه اللعب تعاملا ينمى قدراتهم، ويغرس فيهم القيم الفاضلة وحب التعاون والتراحم، وفى ذلك ما يغنى عن اللعب المستوردة.

- وبعض المنتجات التى تحتاجها المنازل من أدوات وآلات وأوعية، ونحوها.

- وبعض ما تحتاجه المدارس من أدوات ومواد، مما يساعد فى القيام بالتعليم ويوفر احتياجاته الأولية البسيطة.

- وكثير مما يحتاجه المستهلكون من السلع البسيطة والخدمات الميسورة.

- إن المدرسة بإنتاجها هذه الأشياء تنمى عند أبنائها إحساسهم بالجمال والصور الفنية للتعبير عن هذا الجمال، فضلاً عما تحققه لنفسها وللمجتمع من توفير سلع وخدمات جميلة بأسعار رخيصة.

- وقد يقول بعضهم: وأين للمدرسة بهذه الأموال التى تنفقها على إنتاج هذه السلع والخدمات؟

والجواب عن هذا السؤال هو: أن للمدرسة موارد مالية تحدثنا عنها آنفًا، تستطيع أن تغطى هذه الاحتياجات ثم هى تسترد ما أنفقت وأكثر منه حين تبيع ما أنتجت.

– ومن الضرورى أن تعطى المنتجات الفنية للمدارس أولوية فى العالمين العربى والإسلامى من حيث التسويق.

– ومن الأهداف التربوية لهذه المنتجات الفنية فى مدارس المسلمين أن تنشر الثقافة المادية للمسلمين فى بلاد المسلمين.

– وأما الأهداف السياسية والاقتصادية لهذه المنتجات الفنية فهى خطوات جادة فى التقارب بين المسلمين وتحقيق لنوع من الوحدة فيما بينهم فى مجال الاقتصاد والتسويق ثم فى مجال السياسة تبعًا لذلك.

● وكل مدرسة إسلامية تستطيع الإسهام فى ذلك حسب مرحلتها التعليمية، فإذا كانت المدرسة فنية وحرفية وليست عامة فإن واجبها فى هذا المجال يكون أكبر وقدراتها تكون أوسع وأعمق.

فإذا كانت المدرسة كلية للتربية كان الواجب فى هذا المجال أضخم، والمنتجات أجمل وأحسن.

● ونستطيع هنا أن نقترح أنواعًا وألوانًا من الفنون التى تعلمها المدرسة الإسلامية وتدرب على إنتاجها –وإن كان أهل التخصص فى هذه المجالات أكفأ وأقدر– ومما نقترحه:

– مصنوعات من الألعاب والأشياء النفعية؛ تصنع من المعادن كالنحاس والحديد والبرونز والصفيح والألمونيوم، أو من الجبس والأسمنت والحجر والبلاستيك ونحوها.

– وصناعات وألعاب وأشياء نفعية تصنع من الخشب وأفرع بعض الشجر، والخيزران والغاب وبعض سيقان الشجر وأوراقه ونحو ذلك.

– وصناعات وألعاب وأشياء نفعية تصنع من قواقع البحر وما يقذفه من محار وأصداف ونحوها، وبخاصة المدارس القريبة من البحار والأنهار.

– وصناعات وألعاب وأشياء نفعية من الفخار والخزف والبلاط بأنواعه وكسر البلاط و«السراميك» وغير ذلك.

– وصناعات وألعاب وأشياء نفعية تصنع من الجلود ونحوها.

– وصناعات تتصل بتجليد الكتب والكتابة على جلدها أو غلافها بخط جميل.

– وصناعات وألعاب وأشياء نفعية تصنع من الأقمشة والمنسوجات القطنية والصوفية والكتانية ونحوها.

– وصناعة السجاد، وبخاصة صغير الحجم منها، مع تدريب الطلاب على التطريز والتفصيل والحياكة ونحوها.

● هكذا تكون المدرسة الإسلامية فاعلة ناجحة قادرة على الاستجابة لمتطلبات المجتمع، والناس، والأسواق، وفى كل ذلك ما يدعم وظيفة المدرسة الإسلامية.

٤- وتزويد المتعلمين بسيرة النبى ﷺ :

هذا واجب كل مدرسة إسلامية لا يمارى فى ذلك أحد من المسلمين، وذلك أن السيرة النبوية جزء من سنة الرسول ﷺ، أى جزء من الوحى الذى تكفل الله بحفظه، كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، والرسول ﷺ قد عصمه الله فهو لا ينطق عن الهوى ولا يسلك فى حياته سلوكًا يحركه إليه الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، كما يؤكد ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ**﴾ [النجم: ٢-٥].

● والقرآن الكريم ينادى على المسلمين فيطالبهم بأخذ الأسوة والقدوة من خاتم المرسلين ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذه الآية الكريمة تقرر أمورًا على جانب كبير من الأهمية نذكر منها:

– أن اتخاذ النبى ﷺ قدوة واجب شرعى يقتضيه الإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأن ذلك هو الأوفق للإنسان والأصلح له فى دينه ودنياه، إذ هو بغير هذه الأسوة يضيع فى زحمة الحياة، بل سوف يضل عن غاية الحياة وهدفها.

– وأن الاقتداء برسول الله ﷺ واجب على سبيل الفرض؛ فى كل ما يتصل بأمور الدين من عقيدة وعبادة وخُلق، وتعامل مع الناس والاحداث، لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾، ولقوله عز وجل: ﴿ ...**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**...﴾ [الحشر: ٧].

- وهذه الأسوة برسول الله ﷺ فى الأمور الدنيوية مستحبة؛ لأنها من أسباب الكمال البشرى الذى يستطيعه أى إنسان ليسره وبساطته.

● المسلمون جميعًا مطالبون بأن يتخذوا رسول الله ﷺ أسوة، لكن المسلمين فى وقتنا هذا لا تقدم لهم سيرة النبى ﷺ على النحو الواجب إذ تقصر المدارس والمعاهد فى الاهتمام بالسيرة النبوية، فلابد أن يتلافى المسلم هذا التقصير بأن يقرأ السيرة النبوية فى أحد مراجعها المعتمدة الموثقة.

وكتب السيرة بفضل الله كثيرة موسعة ووسيطة ووجيزة، وأحب أن أرشح كتابًا من كل مستوى من هذه المستويات.

- فمن الكتب الوجيزة كتاب: «نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» للشيخ محمد الخضرى (١٢٨٩-١٣٤٥هـ/ ١٨٧٢-١٩٢٧م).

- ومن الكتب الوسيطة كتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع» للمقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ).

- ومن الكتب الموسعة؛ كتاب: «سُبُل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» للإمام محمد بن يوسف الصالحى (المتوفى ٩٤٢هـ).

● السيرة النبوية فى أهميتها بالنسبة للمسلم تشبه القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ، فهى -كما قلنا آنفًا- جزء من الدين ومن الوحى، فلابد أن يكون للمدرسة الإسلامية اهتمام بالسيرة النبوية يناسب مكانتها من مصادر الإسلام، بل يكون لها فيها جهد وعمل.

● ومن المؤسف غاية الأسف أن السيرة النبوية لا تحظى فى مدارس العالمين العربى والإسلامى بما تستحقه من عناية واهتمام، ولست هنا بصدد البحث عن أسباب ذلك فهى معروفة لكل مثقف؛ فمن يوم بسط أعداء الإسلام نفوذهم على العالمين العربى والإسلامى سيطروا على التعليم ومناهجه، فجردوه من كل ما يجمع المسلمين ويوحد صفوفهم ويجعلهم أمة واحدة؛ وما ذلك إلا بإضعاف قدوتهم بالنبى ﷺ والاعتزاز بالانتماء إلى دينه الخاتم، ولا تزال تلك خطتهم حتى يومنا هذا، ولا لوم عليهم فهم أعداء، ولكن اللوم والإثم على من استجاب لخطتهم.

إن البلاد الإسلامية معظمها وقعت تحت سيطرة أعداء الإسلام من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والأسبان والهولنديين منذ ما يقرب من قرنين من الزمان من زمننا هذا، ثم

وقعت تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية أى تحت سيطرة اليهود، وكل أولئك لهم سجل حالك السواد فى معاداة الإسلام والمسلمين من أيام: «دانلوب» و«جب» و«زويمر» وغيرهم ممن لدولهم سيطرة على العالم الإسلامى وعلى التعليم فيه، وكان هدفهم وما يزال إخمال السيرة النبوية وإهمالها، وإبعاد المتعلمين عن التأثر بها مواقف وأحداثًا.

- ولا تزال المدارس فى العالم الإسلامى حتى يومنا هذا، غير معنية بالسيرة النبوية إلا فى أضيق الحدود وأضيق المساحات فى مناهج التعليم وخطته.

إن أقسام التاريخ فى الكليات الجامعية تكتفى بدراسة السيرة النبوية ضمن ما تطلق عليه التاريخ الإسلامى بمعناه الضيق الذى يؤرخ للحكام لا للإسلام؛ مع أن السيرة النبوية يجب أن تحظى فى مناهج التعليم فى المدرسة الإسلامية بأوفى نصيب، إذ هى فى تربية المسلمين كالقرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، تربيهم على ما يعود عليهم بالنفع فى دينهم ودنياهم.

- والسيرة النبوية كلها من يوم نزل جبريل على رسول الله ﷺ يقول له: اقرأ، وإلى أن لحق الرسول ﷺ بربه، وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، السنة كلها مواعظ واعتبار وهدى لأقوم السبل وأرضاها لله تعالى، غير أن الأسوة هى أهم ما يجب أن يعنى به المسلم وهو يقرأ السيرة النبوية، والذى يقرئه السيرة النبوية ويمكنه من دراستها والاستفادة منها هى المدرسة الإسلامية.

والسيرة النبوية ليست تاريخًا يروى، وإنما هى مواقف وأحداث، فى كل موقف منها هدى نبوى معصوم، وفى كل حدث منها إرشاد وتوجيه للبشرية كلها لتعرف وتهتدى.

وأهم هذه المواقف والأحداث التى يجب أن يهتم بها منهج المدرسة هى -فى تصورى-:

- جهود النبى ﷺ فى نشر الدعوة فى مكة من يوم وقف على الصفا ونادى على قريش، وما عاناه الرسول ﷺ وأصحابه من المشركين، من يوم كانوا يجتمعون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم إلى أن خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة يدعو أهلها إلى الدين الحق.
- وجهوده فى الحركة بهذا الدين إلى مواسم الحج حيث قوبل أكثر من مرة بالإعراض، ثم شاء الله له القبول فى بيعتى العقبة الأولى والثانية، وجهوده فى الحركة بهذا الدين إلى الطائف وما لقى فى الطائف ونزول جبريل -عليه السلام- عليه، وحديث مَلَك الجبال

معه ليطبق على من كذبوه الأخشبين(1)، فقال النبي ﷺ له: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»** رواه البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

– وجهوده في الدعوة والحركة في المدينة بعد أن هاجر إليها بأمر ربه وترك مكة أحب البلاد إليه، وهي جهود مضنية لا تقل صعوبة عما كانت عليه حاله في مكة، فقد كان منذ أن استقر فيها يعاني من غدر يهود وحقدهم ومحاولتهم قتله أكثر من مرة، ونكثهم بأي عهد أو ميثاق، كما عاني من المنافقين الذي خذلوه في أحد ورجعوا بثلث الجيش وأرجفوا وأطلقوا الشائعات المضادة.

– وجهوده في التعامل مع دولة الروم وهي إحدى دولتين هما أقوى دولتين في العالم آنذاك– الفرس والروم.

– وجهوده في دعوة أمراء الجزيرة العربية إلى الدخول في الإسلام وإرساله رسلا يحملون إليهم كتبًا منه ﷺ.

– وحروبه ضد مشركي جزيرة العرب.

– وغزواته، أسبابها وأهدافها، ودلالاتها.

– وشروط الجهاد في سبيل الله تعالى وآدابه.

– وسراياه، أسبابها وأهدافها ودلالاتها.

– ومعاهداته ومواثيقه، أسبابها ودلالاتها.

– وأمراؤه الذين ولاهم ولايات، وبماذا نصحهم، وكيف كان يعاملهم؟

– وهديه في التعامل مع أصحابه رضوان الله عليهم.

– وهديه في التعامل مع الوافدين عليه.

وغير ذلك من المواقف والأحداث التي اشتملت عليها سيرته الشريفة، وهو كثير ومعلم وهاد إلى سواء السبيل.

● تستطيع المدرسة الإسلامية أيا كان نوعها، وأيا كانت مراحلها أن تولي السيرة النبوية

---

(1) الأخشبان: جبلان يحيطان بمكة.

الاهتمام اللائق بها بين المقررات الدراسية، فى مناهجها، وأن تعرض السيرة النبوية بوصفها جزءاً من الدين، وجانباً من الوحى الذى تكفل الله تعالى بحفظه.

● ومن نافلة القول: أن نتحدث عن أهمية السيرة النبوية فى بناء شخصية المسلم بناء متكاملاً، وتنوير طريقه ليعرف الحق من الباطل والضلال من الهدى، وحسبى فى ذلك أن أذكر بالآية الكريمة التى وصفت الرسول ﷺ بأكمل الصفات وهى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة.

٥- وتزويد المتعلمين بتاريخ أوطانهم وتاريخ العالمين العربى والإسلامى:

واجب المدرسة هو تربية الإنسان الصالح، لا مجرد المواطن الصالح، لأن المواطنة وحدها نظرة ضيقة تورث الخصام والتنازع وتفضى غالبًا إلى الحروب، أما الإنسانية فمداها أوسع ومعناها أعمق ونظرتها رحيبة تعترف لكل إنسان بحقه فى حياة إنسانية كريمة، وعندئذ فما أبعد الخصام والتنازع والحروب عمَّن رُبُّوا ليكون كل منهم إنسانًا صالحًا فوق أنه مواطن صالح.

● والمدرسة الإسلامية تتميز من بين المدارس فى محافظتها على تكوين أبنائها تكوينًا عربيًا إسلاميًا يضم بين جوانحه الاهتمام بالوطن المحلى، فالإسلام يحبب الإنسان فى وطنه سواء أكان إقليميًا محليًا أو عربيًا أو إسلاميًا.

إن التربية الإسلامية تعزز انتماء الإنسان إلى وطنه بكل معنى من معانى الوطن المحلى والعربى والإسلامى؛ مما ينعكس على تنمية هذه الأوطان بالتقدم والرقى ثقافيًا وعلميًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

ولكل وطن من هذه الأوطان مطالبه ووسائل للارتقاء به، وطريق ذلك أو سبيله هو معرفة تاريخ هذه الأوطان، وما يحيط بها من ظروف وأحوال، ومعرفة تاريخ هذه الأوطان عمل تقوم به المدرسة بوصفه من أهم أعمالها التعليمية التى تحشد لها من الأسباب ما يمكنها من تجلية هذا التاريخ وأخذ العبرة منه للأجيال القادمة التى تسهم فى صنع تاريخ هذه الأوطان ورسم خطوط مستقبلها.

والتاريخ فى تصورى يتضمن جغرافية المكان والزمان، والجغرافية الطبيعية والسكانية والسياسية والاقتصادية، وعندما تؤدى المدرسة واجبها فى ذلك فإنها تتيح للمدرس

والطالب فرصة تأمل وتدبر وإعادة نظر فى هذا التاريخ وتلك الجغرافيا؛ ليعرف عنهما من الحقائق ما ينتفع به وهو يسهم فى بناء هذه الأوطان وتطويرها والارتقاء بها، انطلاقًا من أن ذلك واجبه الإسلامى.

أ- وفى تاريخ الوطن المحلى خطوط رئيسة.

هذه الخطوط التى يجب على المدرسة الإسلامية أن توضحها لأبنائها تشتمل على عدد من القضايا منها:

- نبذة عن تاريخه القديم وأخرى عن تاريخه الإسلامى.
- وحديث موضوعى محايد عن ظروفه الراهنة.
- وتقويم موضوعى عن القوى المعتدية المستوطنة التى وضعت يدها على مقاليد هذا الوطن واستغلال ثرواته.
- وحديث ضاف عن مقاومة القوى المعتدية ومحاولة إزاحتها أو إزاحة نفوذها عن الوطن.
- وتعريف بزعماء المقاومة والإصلاح فى الوطن.
- وتعريف بإمكانات هذا الوطن وقدراته ومدى إسهامه فى تنمية الوطن العربى والوطن الإسلامى.
- ورصد للقوى المعادية لهذا الوطن وتحليل لأطماع هذه القوى، وبخاصة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية اللتان لا حدود لأطماعهما فى أوطان العرب والمسلمين، واللتان يشنان حربًا لم تتوقف على العالمين العربى والإسلامى منذ تأييد إسرائيل لإنشاء دولة فى فلسطين.
- ورصد لقوى الغرب ذات الأطماع فى أوطان العالم العربى والعالم الإسلامى.
- ورصد لمطامع الاتحاد السوفيتى السابق والاتحاد الروسى اليوم فى العالمين العربى والإسلامى.

ب- وفى تاريخ العالم العربى خطوط أساسية:

وهذه الخطوط التى يجب على المدرسة الإسلامية أن توضحها لأبنائها تشتمل على عدد من القضايا، منها:

- مفهوم كلمة «العالم العربى» ودلالتها بالنسبة للعرب والمسلمين، ودلالتها بالنسبة لأعداء العرب والمسلمين، فهى عند العرب تعنى وحدة وأملا وقوة اجتماعية سياسية فاعلة،

وعند الأعداء تعنى خطرًا يجب مقاومته والعمل على القضاء عليه، ليحل محله: «الشرق الأوسط» أو ليحل محله «الشرق الأوسط الكبير». الهدف أن يقضى على تعبير العالم العربى أو الأمة العربية، لتأمن إسرائيل وأعداء العرب أن تقوم للعرب قائمة، أو يفكروا مجرد تفكير فى استعادة فلسطين من إسرائيل.

● إن المدرسة الإسلامية يجب أن تهتم بتعليم أبنائها تاريخ هذا العالم العربى وجغرافيته، وتزودهم بالعلم والمعرفة والثقافة لاستيعاب أبرز قضايا العالم العربى على أن تتكفل أقسام التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والحضارة فى الكليات الجامعية تزويدهم بكل ما يتصل بقضايا العالم على نحو شمولى يستوعب كل قضايا العالم العربى.

وأهم قضايا العالم العربى -فى تصورى- هى:

- قضية تمزيق العالم العربى وتفتيته.

- وقضية تمكين اليهود من فلسطين لإقامة دولة إسرائيل.

- وقضية السيطرة السياسية والاقتصادية على العالم العربى حتى لا تقوم له قائمة.

- وقضية إحياء العرقيات والقوميات غير العربية دعمًا لتقسيمه وتفتيته لأسباب داخلية.

ولنلق ضوءا على كل قضية من هذه القضايا، والله ولى التوفيق والسداد.

أ- قضية تمزيق العالم العربى وتقسيمه:

بدأت هذه القضية هدفًا غاليًا من أهداف أعداء الأمة العربية منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى عندما تحالفت دول الغرب على إضعاف دولة الخلافة العثمانية، حيث أطلقوا عليها تسمية دولة الرجل المريض -مع أن مؤامراتهم هى التى أمرضتها-!!!

- وإن جذور رغبة الأعداء فى تقسيم العالم العربى وتجزئته تمتد إلى الزمن الذى عاش فيه «بالمرستون» رئيس وزراء بريطانيا (١٧٨٤-١٨٦٥م) الذى قام بعمل خطير من أجل ضرب الوحدة العربية التى فكر فيها وعمل من أجلها محمد على باشا وولده إبراهيم، تلك الوحدة التى رُئى لها أن تضم وادى النيل والجزيرة العربية والمشرق العربى فى سياسة محمد على باشا وابنه إبراهيم.

عندئذ وفى الأعوام من (١٨٣٩م إلى ١٨٤١م) تمكن «بالمرستون» من تأليب الدول العربية كلها ضد محمد على وابنه لإجباره على التراجع عن خطته الوحدوية، فقام بعملين خطيرين فى هذا المجال، أو لتحقيق هدف الغرب فى ضرب الوحدة العربية؛ هما:

– حشد قوة عسكرية على الساحل اللبنانى فى « جونية » لإجبار إبراهيم باشا على التراجع، بل العجز عن إتمام مشروعه فى وحدة العالم العربى.

– والتخطيط والعمل على إقامة دولة يهودية فى فلسطين تكون سدًا منيعًا بين مصر والمشرق العربى كله، وكان ذلك قبل عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى « بال بسويسرا » بنصف قرن تقريبًا أى قبل ولادة « تيودور هرتزل » مؤسس الحركة الصهيونية.

ثم توالت الأحداث التى أدت إلى تمزيق العالم العربى وتجزئته تخطط لها وتنفذها القوى الاستيطانية المحتلة لمعظم بلدان العالم العربى أثناء اشتعال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٦م) حيث شرعت فى تنفيذ مخططاتها بمعاهدة: « سايكس بيكو » (١٩١٦م) التى ظلت سرّية فترة طويلة حتى أفرج عنها[1].

وهذه المعاهدة وضعت حدًا وحائلا منيعًا بين العرب والتوحد أو الاستقلال الحقيقى، وكان لها أبلغ الأثر فى تمزيق العالم العربى وتفتيته، وقد تمثلت آثارها فى:

● وضع الأساس لتمزيق العالم العربى، وتقسيم بلدانه لتكون مناطق نفوذ لكل من بريطانيا وفرنسا.

● ووضع العراقيل التى تحول بين العرب وبين التوحد فى أى مجال من مجالاته السياسية والاقتصادية، وغيرها.

● والقضاء على الأمانى القومية والإصلاحية والتطويرية فى العالم العربى كله.

● وتعطيل مبدأ تقرير المصير الذى ادعت دول الغرْب ومنها دول الاحتلال والاستيطان أنها أقرته بعد الحرب العالمية الأولى.

● وخداع العالم العربى الذى حارب إلى جانب دول الغرب مكرهًا فى الحرب العالمية الأولى فوعدهم الخلفاء بالحرية والجلاء عن بلادهم.

● والتركيز على استغلال خيرات العالم العربى وبخاصة النفط الذى بدأ ظهوره فى تلك الأوقات.

---

(١) هذه الاتفاقية هى تفاهم سرى استعمارى بين بريطانيا وفرنسا، متمم لاتفاق رئيسى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم الخلافة العثمانية، والاستيلاء على المشرق العربى.
و« سايكس » هو المندوب السامى البريطانى لشئون الشرق الأدنى، و« بيكو » هو القنصل العام لفرنسا فى بيروت والمندوب السامى الفرنسى المكلف بمفاوضة الحكومة البريطانية بشأن مستقبل الولايات العربية فى الخلافة العثمانية.

● واتخاذ هذه الاتفاقية دعامة رئيسة لسيطرة بريطانيا على فلسطين، تمهيداً لتمكين اليهود منها، ثم جاء وعد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا لليهود سنة ١٩١٧م بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين.

● إن المدرسة الإسلامية مطالبة بأن تزود أبناءها بمعلومات ومعارف عن عالمهم العربى وما يدبَّر له فى الخفاء، وما يمارس فيه من أعمال وحشية فى العلن.

ب- وقضية تمكين اليهود من إقامة دولة فى فلسطين:

تحالف الغرب وأمريكا وما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى على بذل كل ما يستطيعون من جهود مادية ومعنوية من أجل إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، فحققوا بذلك فوائد عديدة لهم ولليهود على السواء، وأضروا بذلك ضرراً بالغًا بفلسطين والعالم العربى كله، وكثير من بلدان العالم الإسلامى.

ومن تلك الفوائد التى جنوها:

- أن أقام اليهود دولتهم على أرض اغتصبوها بمعونة الغرب(١) والشرق وتأييد هيئة الأمم المتحدة بأسرع ما يمكن من تأييد.

- وتمكن اليهود بذلك من استقطاب من شاءوا من يهود العالم ومنحهم التيسيرات والمساعدات المادية والمعنوية التى كانت تتحمل معظمها دول الغرب وأثرياء اليهود فى العالم وأكثرهم نفوذاً فى أوربا وأمريكا مثل:

عائلة: «شافتز برى».
وعائلة «دزرائيلى».
وعائلة: «تشمير لين».
وعائلة: «سمطس».
وعائلة: «روتشيلد».
وعائلة: «مونتفيورى».

---

(١) لتلك المعونة قصة طويلة بدأت بوعد بلفور ووضع فلسطين فى يد بريطانيا وتشجيع بريطانيا لليهود على الهجرة إلى فلسطين وتيسير ذلك لهم، ثم سحب السلاح من الفلسطينيين، ثم تسليح اليهود بالأسلحة المتطورة، ثم دعم كل الأعداء لهم فى الإعلان عن قيام الدولة الإسرائيلية عام ١٩٤٨ وضمان تأييد هيئة الأمم المتحدة لهذا الاغتصاب!!!

- وتشجيع هجرة اليهود من أنحاء العالم إلى فلسطين، فلما هاجروا إليها دعمهم الغرب أنواعًا من الدعم الذى يمكنهم من الاستمرار فى قيام الدولة على النحو التالى:

• مَدُّ اليهود بالأسلحة المتطورة بالقدر الذى يزيد على حاجاتهم، حتى أصبحوا الآن يصدرون السلاح إلى دول أخرى خارج العالمين العربى والإسلامى.

• ومنع الفلسطينيين من الحصول على السلاح ومصادرة ما كان معهم منه، مما أضعف مقاومتهم لليهود.

• وتيسير تهجير الفلسطينيين من فلسطين إلى بلاد أخرى لهم فيها نفوذ، وقد تكون بلدانا عربية أو إسلامية.

• ثم تحول اليهود من الاعتماد على أوربا وحدها إلى الاعتماد على القوة العالمية الجديدة أمريكا؛ وذلك على النحو التالى:

- فى مؤتمر «بلتمور» الذى عقد فى «نيويورك» سنة ١٩٤١م أثناء الحرب العالمية الثانية حصل اليهود على تأييد الحزبين الرئيسين فى أمريكا -الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى- فأخذت أمريكا على عاتقها العمل على إقامة دولة لإسرائيل فى فلسطين.

- وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م، اتخذت هيئة الأمم المتحدة بتأثير أمريكا وأوربا قراراً بتقسيم إسرائيل بين العرب واليهود.

- والمساعدة الدائبة على قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م، وأعلن الاتحاد السوفيتى السابق وأمريكا ودول أوربا والدول الدائرة فى فلك هذه الدول أعلنوا اعترافهم بإسرائيل فوراً.

- ثم صدر البيان الثلاثى سنة ١٩٥٠م، بتعهد بريطانيا وفرنسا وأمريكا بضمان أمن إسرائيل، بل ضمان تأييدها فى العدوان على الأراضى العربية والتوسع على حساب العالم العربى.

- ومساندة إسرائيل فى عدوانها على مصر سنة ١٩٥٦م، وفى عدوانها على العالم العربى مصر وسوريا والأردن سنة ١٩٦٧م، وفى حمايتها بجسر جوى فى حرب تحرير سيناء سنة ١٩٧٣م، كما أعلن ذلك «كيسنجر» وزير خارجية أمريكا.

ولا تزال إسرائيل تحتل فلسطين ومرتفعات الجولان والضفة الغربية وغزة حتى يومنا هذا مؤيدة فى هذا العدوان من دول الغرب وأمريكا والاتحاد الروسى.

- ثم أصبحت إسرائيل بهذا التأييد تعتدى ما شاءت وتضرب المدنيين وتهدم المنازل على ساكنيها وتقتلع الأشجار وتسمم الآبار، وتفعل ما تشاء من جرائم الحرب المحرمة دوليًا، والمناقضة للمواثيق والمعاهدات الدولية، وهى آمنة من أن تدان أو يتخذ مجلس الأمن ضدها أى قرار، لأن أمريكا مستعدة دائمًا لاستعمال حق النقض فى مجلس الأمن حتى لا تدان إسرائيل!!! حتى قال بعض الذين يحصون استعمال أمريكا لحق النقض لصالح إسرائيل إنه بلغ ما يقرب من أربعين مرة أو يزيد.
- إن المدرسة الإسلامية يجب أن توعى أبناءها بكل أبعاد القضية الفلسطينية، حتى لا ينخدعوا فى أى كلام أو وعود يطلقها اليهود أو مؤيدوهم من دول الغرب وأمريكا، وإنما على العرب أن يعرفوا من عدوهم، وأن يتعاملوا معه بما يناسبه ويناسبهم من أساليب على أساس أن وحدة العرب وتماسكهم سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا وثقافيًا وإعلاميًا هى الخطوة الأولى الهامة فى قدرة العرب على تحرير فلسطين وعلى رد أى عدوان يقع عليهم، أو ينتقص جزءًا من أراضيهم وأن يدعوا جانبًا كل الأسباب والدواعى التى تحول بينهم وبين أن يتحدوا أو يكونوا عالمًا عربيًا متحدًا.

جـ- وقضية السيطرة على العالم العربى سياسيًا واقتصاديًا:

وهذه السيطرة تشمل ما هو أكثر من السياسة والاقتصاد حين نراها تتعمد السيطرة على التعليم أى على الفكر والعلم والابتكار والإبداع، بل السيطرة على الثقافة مادية وغير مادية، والسيطرة على العادات والأعراف الاجتماعية، ما يجادل فى صحة هذه السيطرة إلا الذين أصابهم عمى البصيرة والخلل فى التفكير.

ولا أقدم أدلة على هذه السيطرة أكثر من تجول فى عواصم الدول العربية من أقصى غربه فى الرباط حتى أقصى شرقه فى دول الخليج والعراق، ليرى المتجول كم تسود عادات الغرب وتقاليده وأعرافه ولغاته كثيرًا من عواصم العالم العربى، وكم يتبارى العرب فى أن ينشأ أبناؤهم نشأة غربية فى المسكن والملبس والمطعم والمشرب فضلاً عن اللغة والفكر والثقافة، ولا يوقف هذا التبارى فى التغرب أحد من حكومة أو مؤسسة تربوية أو مؤسسة ثقافية لأن أى حكومة أو مؤسسة لا تجرؤ على مقاومة هذا التيار، وإلا عصف بها الغرب، وربما أتى بجيوش متحالفة لغزوها واحتلالها كما كان أمر أفغانستان وحكومة طالبان التى لا تملك

نفطًا ولا تشكل خطراً محتملاً على أمن إسرائيل، أو كما كان أمر العراق التى خيل إليهم أنها ضد أمن إسرائيل، والحقيقة أن نظام الحكم فيها كان ضد أمن العراق أولاً ثم ضد أمن إيران والكويت وأى بلد عربى غير بعثى النزعة والهوى!!!

● وأما السيطرة السياسية على العالم العربى فأوضح من ضوء الشمس فى رائعة النهار، وحسبنا فى التدليل على صحة هذه السيطرة سياسيًا ما فعلته بريطانيا وفرنسا وإيطاليا فى تجزىء العالم العربى وتقاسم بلدانه فيما بينهم، كأنه لا صاحب له ولا غيور عليه وعلى مستقبله، وبعد زمن غير كبير انضمت أمريكا وما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى للمشاركة فى التجزىء والتقسيم والتفتيت حتى يومنا هذا كما هو الشأن فى دول الصومال والسودان ونيجيريا وتشاد ومالى وغانا وغيرها من بلدان إفريقيا المسلمة، وفى المغرب العربى المغرب والصحراء والجزائر والأمازيج وموريتانيا، ثم دول الخليج التى لا يبلغ عدد سكان بعضها ربع مليون نسمة!!!

ثم تعمد جمع بعض الدول العربية فى كيانات تدعم الفرقة والتجزئة وتؤيد الانقسام كدول الخليج، ودول المغارب، ودول الطوق المحيط بإسرائيل!!!

إن دول الغرب لها فى هذا التقسيم مآرب استيطانية استغلالية من جانب، ومآرب فى تحقيق أمن إسرائيل بإحاطتها بفتات من الدول لا بدولة عربية موحدة.

ووسيلة دول الغرب إلى التجزىء والتفتيت والتقسيم عديدة منها:

– إقناع الجزء بأن مصلحته فى الانفصال عن الكل عن طريق مده بكل ما يعزز انفصاله من أسباب مادية أو معنوية سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أحيانًا.

– ومساندة أنظمة الحكم الفاسدة المستبدة الدكتاتورية العسكرية فى كثير من الأحيان، لكى تمنع المواطن من ممارسة حريته أو حقوقه الإنسانية، وجعله دائمًا موضعًا للتجسس والاعتقال والحبس والتعذيب ومصادرة الأموال والتعرض بالسوء للأعراض، فما يكون أمام المواطن إلا أن يخضع ويخاف ويكفر بوطنه ويؤمن بالحاكم المستبد، فيفقد القدرة على حرية التفكير والإبداع فضلاً عن حرية التعبير، ويتعلم نفاق النظام حتى يعيش أى حياة، فإن أتيحت له فرصة هجر وطنه واستقر فى وطن من أوطان الغرب التى تيسر الهجرة إليها لمن أراد.

وقد يقال: كيف يكون هذا وفى معظم دول العالم العربى دساتير تضمن للإنسان حقوقه وحرياته؟

والجواب معروف وهو أن هذه الدساتير فيها كثير من الخلل منذ وضعت، فقد وضع أغلبها لصالح الحاكم المستبد، ولا يجوز لأحد أن يناقشها أو يفكر فى تعديلها أو تغيير خطابها أو مناقشة نصوصها بإعادة النظر فيها كما يقترحون إعادة النظر فى نصوص الكتاب والسنة!!!

● إن الغرب وأمريكا فى سيطرة سياسية تامة على دول العالم العربى بل هى سيطرة مستمرة حتى الآن، لا يستطيع أن يفلت منها بلد من بلدان العالم العربى.

وإذا كان فى العالم العربى بعض المواد الأولية التى يتصور معها أنه يملك إرادته السياسية والاقتصادية، فإن ذلك التصور يدخل فى الأوهام لا الحقائق؛ لأن أبرز هذه المواد هى النفط والقمح والقطن مثلاً، وعند التدبر فى هذه السلع الثلاث نجد أن النفط يسيطر عليه الغرب وأمريكا اكتشافًا واستنباطًا وتسويقًا وتحديد سعر، وتكوين احتياطى منه لمواجهة قلة الضخ إن حدثت، والقمح تتمكن فيه أمريكا على مستوى العالم كله، والقطن العربى انتقل إنتاجه إلى مناطق أخرى وعز النوع الجيد منه وحوربت ونوفست مصانعه!!!

● وكيف لا يسيطر الغرب وأمريكا وإسرائيل وهم يعدون لهذه السيطرة عدتها العلمية والفنية وينشئون مراكز الدراسات وينفقون عليها الملايين؟ مثل: مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية بالقدس «ميكاس»(١).

---

(١) أنشىء هذا المركز أثناء الحرب العالمية الثانية عندما شعر الحلفاء أن ألمانيا على وشك احتلال القاهرة، فكان لابد من إعداد ضباط مخابرات بريطانيين يعرفون العربية للعمل بين صفوف المحور، فلما انهزمت ألمانيا ولم تصل إلى القاهرة أصبح هدف المركز تدريب هؤلاء الضباط على أعمال المخابرات، ليتمكنوا من الوصول إلى دوائر السلطة المحلية والسيطرة عليها، حتى إن غالبية الدبلوماسيين البريطانيين الذن عملوا فى المنطقة العربية كانوا من تلاميذ «ميكاس».

وقد نشر «ليزلى ماكوكلين» المترجم الخاص لملكة بريطانيا كتابًا عن هذا المركز سماه: «وكر للجواسيس» وقد حدد أهداف هذا المركز رئيس المخابرات العسكرية البريطانية فى الشرق الأوسط: «ريتشارد كيسى» بقوله: سيكون على أفراد المجموعة استيفاء المتطلبات الاستخبارية خلال الحرب لتعيينهم فى الدوائر الحكومية المناسبة بعد الحرب، وكان من بين كبار المعلمين فى هذا المركز «أبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل فيما بعد، وقد كان عضواً فى منظمة تعمل على زيادة هجرة اليهود إلى فلسطين، وكان من بين المتخرجين فى هذا المركز السفير البريطانى فى مصر أيام الرئيس السادات وكان حاضراً فى منصة العرض العسكرى يوم اغتيال السادات.

وقد وضع «بيير ترام توماس» ضابط المخابرات البريطانى الهدف من المركز والقواعد الأساسية للدراسة فيه فقال: إن هدف المركز هو الرصد الدقيق للحياة الحكومية والشعبية فى البلدان العربية. أما المحاضرات فى المركز فقد حددها فى ١٤٤ محاضرة، منها: ٣٥ فى التاريخ، و ٤٥ فى السياسة، و٤٦ فى الحياة العامة والشئون الثقافية والدينية، و٩ فى الاقتصاد والأحوال الاجتماعية، بالإضافة إلى التدريب العملى وهو قضاء ثلاثة أشهر فى منطقة عربية ليكتب تقريراً عما نجح فى الحصول عليه.

● ولقد وضع الغرب خططًا للسيطرة على العالم العربى تستهدف أهدافًا تحقق معظمها وسوف يتحقق باقيها ما لم يفق العالم العربى ويخرج من هذه السيطرة السياسية والاقتصادية بل والعسكرية، وهذه الأهداف هى:

أولاً: إعداد الأفراد فى مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية بالقدس ثم زرعهم فى مناصب غير معلن عنها فى الحكومات العربية، بحيث تكون لهم من خلال دولهم السيطرة والنفوذ والتأثير فى اتخاذ القرار بشكل غير منظور، فى ثوب النصائح والمشورات التى تحقق مصلحة البلدين الغربية والعربية، وبهذا يكون لهم التأثير الكبير فى أى قرار سياسى أو اقتصادى.

ثانيًا: وربط سياسة العالم العربى واقتصاده وقواه العسكرية بتداعيات خطتهم فى الاستيلاء على فلسطين وزرع إسرائيل فيها، وهى خطة تراودهم منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى على يد «بالمرستون» رئيس وزراء بريطانيا، ثم على يد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا ثم على يد حكومتى بريطانيا وفرنسا التى وضعت اتفاقية «سايكس بيكو» التى مكنت بريطانيا من التحكم فى فلسطين فعملت على تسليمها لليهود.

ثالثًا: اقتطاع فلسطين من العالم العربى وتمكين إسرائيل من إقامة دولة عليها، وما ترتب على هذا من تداعيات مضادة لمصالح العالم العربى، ومنتقصة فى كل حين جزءًا من أرضه بعدوان إسرائيلى مدعوم من الغرب عمومًا وأمريكا على وجه الخصوص، مع حشد هائل من الجواسيس الغربيين أو اليهود فى كثير من بلدان العالم العربى.

رابعًا: دخول أمريكا بكل ثقلها لتنصر باطل اليهود على حق العرب فى الصراع المستمر بين إسرائيل والعرب، حيث عملت أمريكا صراحة على أن تجعل من جيش إسرائيل جيشًا أقوى من مجموع الجيوش العربية، وسجلت ذلك فى اتفاقية بينها وبين إسرائيل، ثم تعمد أمريكا اصطناع المشكلات فى العالم العربى، والتظاهر بحلها، ولكنه حل لصالحها أو صالح إسرائيل!!!

خامسًا: وربط سياسات كثير من الدول العربية واقتصادها وقوتها العسكرية من حيث التسلح والتسليح بمصالح الدول العربية ذات العلاقة والتأثير على البلدان العربية، وبخاصة بعد إنتاج النفط بهذه الكميات فى العالم العربى، حتى ليقال: إن للغرب سياسة نفطية فى العالم العربى ترتبط بسياسته العامة.

سادسًا: واستغلال ظروف الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، للتهجم على العرب والمسلمين، وإعلان عدد من أسماء منفذى العملية بعد ساعة واحدة من الحادث، مع الخطأ فى ذكر أسماء لأشخاص على قيد الحياة!!! مما ستكشف عنه الوثائق بعد ثلاثين سنة مثلاً، استغلت أمريكا هذا الحادث لغزو أفغانستان، ثم لشن حرب على العراق، والإعداد لشن حرب على سوريا ولبنان وإيران والسودان والصومال.

والهدف -كما جاء على لسان أكثر من كاتب من الغرب حيث ذكروا عدداً من البلدان المستهدفة، ومن هؤلاء الكتاب على سبيل المثال «تشارلز كراوتهامر» الذى قال: إن الهدف هو ما بعد العراق من تغيير سياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى شامل فى العالم العربى والعالم الإسلامى، وكل ذلك لصالح إسرائيل».

سابعًا: وخطة أمريكا تستهدف دولاً عربية لتعيد صياغتها بحيث تتلاءم مع مصالح أمريكا والغرب وإسرائيل، وهذه الخطة بعيدة عن الضغوط العسكرية والغزو المسلح، وذلك بتغيير مراكز الثقل فى بعض الدول أو الدويلات العربية لتحل محل دول عربية أكبر، بحيث تصبح هذه الدول الصغيرة دولاً محورية، مع الضغط على بعض الدول المحورية لتصبح هامشية، ولها فى الوصول إلى هذا الهدف وسائل عديدة نذكر منها:

- المساندة الاقتصادية لهذه الدول الصغيرة.
- والمساندة السياسية فى بعض قضاياها التى تتصل بالصراع مع دولة عربية أكبر مع المساندة الدبلوماسية.
- وتشجيع بعض هذه الدول على الخروج على قانون مقاطعة إسرائيل وعقد اتفاقات معها وإيجاد مكاتب تمثيل بينها وبين إسرائيل.
- وإثارة الصراعات والخلاف على الحدود بين دولة عربية وأخرى ومساندة من تريد أن تجعل لها تأثيراً محورياً فى المنطقة.

● ومهما تخيلنا خطة التغيير التى يستهدفها غزو أمريكا للعراق واحتلالها على الرغم من هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها وملايين المتظاهرين فى الغرب والشرق ضد هذا العدوان، ومهما قلنا إن الهدف هو السيطرة على نفط العراق واقتصاده، فإن ذلك كله مؤيد بالواقع المشاهد الذى تمارسه أمريكا وحلفاؤها فى العراق، وما هو بحاجة إلى دليل.

● ومن المعروف لدى كل متابع لخطة اغتصاب فلسطين لإسرائيل، يستطيع أن يعرف الهدف من العدوان على العراق وهو تغيير المنطقة العربية تغييرًا يحقق مصالح أمريكا وإسرائيل أولاً ثم مصالح الغرب من بعد ذلك.

إن الهدف من ذلك الاجتياح للعراق هو ضمه قسْرا إلى مجموعة دول بعينها هى: تركيا وإسرائيل وبعض الدول العربية الصغيرة التى أصبحت بفضل أمريكا ذات شأن، بحيث يمكن تشغيل خط أنابيب النفط من كركوك إلى حيفا، لتأخذ منه إسرائيل حاجتها ثم تبيع ما يفيض عما أخذته إلى من شاءت من الدول، وبخاصة أن لها أكثر من ميناء فى البحر المتوسط.

وكل هذا التخطيط مؤيد بالقواعد العسكرية المنتشرة فى العراق وفى بعض البلدان العربية، إن ذلك هو الذى يحقق مصالح أمريكا ورخاء إسرائيل وأمنها.

ومما يؤيد هذا التحليل تسارع إسرائيل إلى دخول العراق بعد الاحتلال الأمريكى لها بوساطة شركاتها ورءوس أموالها وخبرائها على أساس اتفاقيات تصوغها أمريكا بالنيابة عن العراق!!!

فقد سمحت أمريكا لإسرائيل بشراء الأراضى فى العراق وبالاستثمار فيها مما لفت نظر تركيا حليفة أمريكا وإسرائيل وأثار مخاوفها وجعل صحفها تتحدث عن ذلك؛ فقد نشرت «صحيفة جمهوريت» الواسعة الانتشار على صدر صفحتها الأولى تحت عنوان: «إسرائيل تملك مناطق البترول- احتلال ثانٍ للعراق».

● ونتائج دخول إسرائيل للعراق من خلال شركاتها واستثماراتها يعيد إلى الأذهان قصة دخولها فلسطين أيام الانتداب البريطانى على فلسطين، بل قبل ذلك منذ معاهدة «سايكس بيكو» وربما تكون النتائج واحدة أو متقاربة.

● إن المدرسة الإسلامية مطالبة بان تبصر أبناءها بهذه القضايا وأن تعطيها فى مناهجها وأنشطتها المدرسية ما يوقظ فى النفوس الاعتزاز بالوطن العربى، والتسارع إلى اتخاذ الوسائل المضادة لهذا المخطط الأمريكى الإسرائيلى الغربى الذى يستهدف تفتيت العالم العربى وتمزيقه، وإغراقه فى المشكلات السياسية والاقتصادية والعسكرية والإقليمية.

وقضية إحياء العرقيات غير العربية:

إحياء العرقيات والطائفيات خطة خبيثة لانقسام العالم العربى وتمزقه وتفرقه وإضعافه،

وهى خطة ابتدعتها بريطانيا المستوطن المستغل للعالم العربى منذ زمن بعيد مواكب لعملها على إضعاف دولة الخلافة العثمانية، البريطانيون هم أصحاب سياسة: «فرِّق تَسُد».

ومنذ ذلك التاريخ والغرب كله ماضٍ فى سياسة «فرق تسد». الغرب ومعه أمريكا ومعها إسرائيل، وهذه السياسة تقوم على مبدأ التسلط على الآخر بإضعافه وشق صفه وتجزئة وحدته.

وهى سياسة دأبت على استعمالها الدول القوية الغاشمة المستبدة المتسلطة على بلدان الغير.

● وليس للتفريق والتمزيق ما هو أخطر من إثارة العرقيات والطائفيات بين أبناء الوطن الواحد، للقضاء على وحدته.

ولقد تولت بريطانيا وفرنسا سياسة إثارة العرقيات والطائفيات ولا يزال مستشاروها حتى اليوم يهمسون فى آذان بعض الغافلين ليعملوا على إثارة ذلك والتشبث به.

● وفى تاريخ العالم العربى -الحديث- تولَّت بريطانيا وفرنسا بكفاءة عالية فى الشر إثارة هذه العرقيات والنعرات الطائفية بين أبناء الأقطار العربية التى كانت تحتلها وتسيطر عليها، أثارت ذلك خوفًا من توحد هذه الأقطار وإفاقتها على ما يدبر لها، فعلت بريطانيا وفرنسا لتضمن لنفسها بقاءً آمنًا بين ضعاف متفرقين لو اتحدوا لطردوهما شر طردة، ولقد بقيت بريطانيا فى مصر على سبيل المثال أكثر من سبعين عامًا حتى طردت، وبقيت فرنسا فى الجزائر -على سبيل المثال- مائة وثلاثين عامًا حتى طردت أيضًا.

- ولبريطانيا سوابق فى العالم العربى معظمه، وبخاصة فى مصر والعراق ودول الخليج وعدن والصومال والسودان.

- ولفرنسا سوابق فى العالم العربى، من الجزائر والمغرب وتونس، وفى سوريا ولبنان والصومال.

● غير أن الصورة الواضحة الصارخة لسياسة إحياء النعرات والعرقيات سياسة «فرِّق تسد» تمثلت فى سياسة بريطانيا وفرنسا ومن بعدهما أمريكا فى تخطيطهم للقضاء على وحدة العالم العربى لمقاومة ما يرونه ماثلاً أمامهم من أسباب هذه الوحدة فى العالم العربى التى فى مقدمتها وحدة اللغة واللسان، وبالتالى وحدة الثقافة مادية وغير مادية، ووحدة التاريخ والجغرافيا، فعملوا متفقين ومنفردين على القضاء على أسباب هذه الوحدة فوجهوا لكل سبب من أسبابها ضربة، فزاحموا اللغة بلغاتهم الأجنبية وشجعوا على

اللهجات العامية ولغة الشارع والسوق، وشوهوا الثقافة وقلصوا نفوذها، وزيفوا التاريخ، وما عجزوا عن فعل شيء في الجغرافيا، مستغلين في ذلك سيطرتهم على العالم العربي سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا وتعليميًا، فعلوا كل ذلك ليحولوا بين العرب وأى توحد أو اتحاد، وليضربوا إحساس العرب بالوحدة في مقتل، ليظل العالم العربي؛ دويلات ودولاً صغيرة يعتز كل منها بعرقه وطائفته أكثر مما يعتز بعربيته.

● وعلى سبيل المثال:

– فقد أحيوا في مصر ما زعموا أنه قومية فرعونية، وأقنعوا بها بعض الغافلين أو الذين تعلموا في مدارسهم أو ابتعثوا في بلدانهم فأخذوا يقولون: إن مصر فرعونية والفرعونية فيها أهم وأعرق من العروبة أو الإسلام!!!

وانطلى الباطل على من يؤثرونه لأنهم ربوا عليه في تنشئتهم الأجنبية المقصودة، فمنهم من لبس ملابس تشبه ملابس الفراعنة، ومنهم من تقدم بتشكيل حزب فرعوني وتقدم به للجنة الأحزاب في هذه الأيام!!!

– وأحيوا في الشام سوريا ولبنان القومية الفينيقية بين صور وصيدا على الشاطئ الشرقي من البحر المتوسط.

– وأحيوا في العراق القومية الأشورية القديمة التي كانت مسيطرة على أعالي نهر دجلة، ثم انتقلت عاصمتها فيما بعد إلى نينوى.

– كما أحيوا القومية البابلية فيما بين النهرين –دجلة والفرات– في العراق أيضًا.

– وأحيوا العرقية البربرية أو الأمازيجية(١) في الشمال الإفريقي المغرب والجزائر وتونس وليبيا.

– وأحيوا في السودان وفي الصومال ما مزق القطرين العربيين.

وما فتئوا يفعلون، ولن يهدأ لهم بال حتى يحولوا بين العالم العربي وأى اتحاد أو وحدة.

● وحسبهم شرًا أنهم زرعوا في قلب العالم دولة إسرائيل وهي حاجز حصين بين العرب وبين أي وحدة أو اتحاد.

● إن المدرسة الإسلامية مطالبة بأن توضح ذلك كله لأبنائها ليعملوا على تلافيه، ولينطلقوا في طريق الاتحاد العربي أو الوحدة العربية.

---

(١) أمازيج: كلمة تعني الأشراف الأحرار.

٦- وتزويدهم بتاريخ العالم الإسلامى وأهم قضاياه:

العالم الإسلامى تعبير يَوَدّ أعداؤنا لو قبروه وقبروا من يرددونه؛ لأنه أغيظ لهم من تعبير العالم العربى؛ لأن العالم العربى لو نجح فى توحده لجمع ضد الأعداء من يزيدون فى عددهم على ثلاثمائة مليون عربى، أما العالم الإسلامى لو نجح فى توحده فإنه يواجه العدو بما يقرب من ألف وخمسمائة مليون مسلم!!! فأى التعبيرين أشد على هذا العدو لو توحد أهله؟

- وهذا العالم الإسلامى مترامى الأطراف جغرافيًا يمتد من أقصى شرق العالم إلى أقصى غربه، ومن أقصى شمال العالم إلى أقصى جنوبه، وفيه من المقدَّرات الاقتصادية ما يحقق له الاكتفاء الذاتى وما يفيض به على غيره من الناس من زروع وثمار وقمح وقطن وسكر وثروة حيوانية، وثروة من المياه العذبة والمياه المالحة، فضلاً عما أنعم الله عليه من نفط أصبح اليوم أهم أسباب الطاقة التى لا يستغنى عنها الناس.

وكثير من دول الأرض لا يمكن أن تستغنى عن التعامل مع العالم الإسلامى والتنقل فى أرضه وسمائه ومياهه، بينما يستطيع هو أن يستغنى عن غيره من الدول لما لديه من مواد أولية وثانوية تغنيه عن غيره.

- وعدد سكان العالم الإسلامى يكاد يبلغ ربع سكان العالم، أو خمسه على أقل تقدير، وفيه عدد هائل من الجامعات ومعاهد التعليم العالى ومراكز التدريب على جميع أنواع التقنية.
- والعالم الإسلامى مليء بحركات الإصلاح واليقظة والتجديد فى أمر الدين والتطوير والتقدم فى أمور الدنيا، لا ينكر ذلك إلا جاحد أو جاهل.
- وعلماء العالم الإسلامى فى أمور الدين والدنيا أكثر من أن يحصوا، وفيهم من هو فى علمه ضرورة عالمية لا يُستَغنى عنه بحال.
- وبعض دول العالم الإسلامى قطعت شوطًا بعيدًا فى التقدم العلمى التقنى مكنها من إنتاج أسلحة نووية مثل باكستان.

- وبعضها نجح فى تحقيق قفزة اقتصادية هائلة، وإمكانات فى التصنيع وإنتاج السلع والخدمات بحيث وفر احتياجاته وطفق يصدر لدول العالم مثل ماليزيا، وإلى حد كبير أندونيسيا.

- وبعضها يكمن فى باطن أرضه بحار من النفط الذى لا يمكن أن يستغنى عنه العالم بما فيه أمريكا التى يعدونها أغنى دول العالم!!! ومن هذه الدول العائمة على بحار النفط :

المملكة السعودية، والعراق، والكويت ودول الخليج ومصر -لولا تحدّى شركات إنتاج النفط واستنباطه!!! والسودان ونيجيريا وغيرها.

- والعالم الإسلامى ملىء بالقيم والمبادئ والأخلاق التى لا يستغنى عنها الناس ليعيشوا فى أمن وسلام، إذ هى القيم النابعة من خاتم الكتب السماوية على لسان خاتم رسل الله تعالى، محمد ﷺ، ولن يسود البشرية العدل والإحسان إلا إن أخذت بهذه القيم وتحاكمت إليها، لا إلى أسلحة الدمار الشامل والعدوان على البلاد والعباد كما تفعل أمريكا وحلفاؤها اليوم.

- وهذا العالم الإسلامى المعاصر ورث حضارة إسلامية شامخة عريقة سادت الدنيا كلها عددًا من القرون، لكن هذا العالم الإسلامى عندما تحدى الغرب أهله وأضمروا له الشر شغلوه بنفسه فتوقف عن الابتكار والاكتشاف، فتراجع حضاريًا لأسباب عديدة؛ ولكنه بفضل الله يستطيع أن يتغلب على هذا التراجع الحضارى ليأخذ طريقه نحو ما ينفعه وينفع الناس، ومهما تكن أسباب هذا التراجع فإن من بينها أو من أهمها بعد العالم الإسلامى عن التمسك بالإسلام أو الالتزام بقيمه ومنهجه ونظامه(١).

هذا العالم الإسلامى عندما أدار ظهره لمنهج الإسلام فى الحياة، وأهمل التعمق فى الدراسات الإنسانية، وقعد عن التعمق فى مجال العلم المتخصص والتقنية، عندما فعل ذلك أخذ أعداؤه يتخطفونه يغيرون عليه ويحتلون أرضه، ويسيطرون عليه سياسيًا واقتصاديًا، ويشنون عليه الحروب ويثيرون فى بلدانه الفتن والقلاقل، ويشجعون النابغين من أبنائه على الهجرة منه إلى بلاد الأعداء، ويغرون هؤلاء المهاجرين إليهم بما يحول ولاءهم من العالم الإسلامى الذى لم يعيشوا فيه آمنين؛ لأن معظم حكوماته مستبدة، إلى العالم الغربى الذى يرحب بهم بعلمهم وقدراتهم!!!

إن عالم الغرب ومعه ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى يقعدون للعالم الإسلامى بكل مرصد، ويكبلونه بقيود من حديد ويحولون بينه وبين التقدم والتوحد.

---

(١) لمعرفة أسباب التراجع الحضارى عند المسلمين، ومعرفة الطرق التى يمكن أن يتغلب بها المسلمون على هذا التراجع، انظر لنا كتاب : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى، وطرق التغلب عليه. ط دار الوفاء -القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• والعالم الإسلامى يحيط به عدد من القضايا والمسائل أو المشكلات التى يجب على المدرسة الإسلامية أن توعيه بها، وأن تعينه على رسم خطة للتغلب على هذه المشكلات أو القضايا.

وأبرز هذه القضايا فى تصورى هى:

- قضية تمزيق العالم الإسلامى وتفتيته.
- وقضية السيطرة عليه سياسيًا واقتصاديًا.
- وقضية شن الحروب على كثير من بلدانه.
- وقضية إثارة الفتن والقلاقل فيه.
- وقضية منعه من إنتاج السلاح المتطور.

ولنلق ضوءًا على كل منها، والله الموفق.

أ- قضية تقسيم العالم الإسلامى وتفتيته:

مفهوم العالم الإسلامى الحضارى والثقافى والقيمى والبشرى، يترك أثرين مختلفين فى نفوس المسلمين وعقولهم، وفى نفوس أهل الغرب وعقولهم.

- أما أثره فى نفوس المسلمين وعقولهم فهو: الإعجاب بهذا العالم الإسلامى لكثرة ما منحه الله من نعم ظاهرة وباطنة، مع الرغبة الشديدة فى الأخذ بأسباب التقدم والنهوض، حتى يصبح المسلمون على مستوى تكريم الله تعالى لهم، ومطالبته إياهم بإعمار الأرض وخلافته سبحانه وتعالى فيها وفق منهج الإسلام ونظامه، ليكونوا بهذا الإعمار مصدر خير وبر ونفع للعالم كله مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

- وأما أثر مفهوم العالم الإسلامى فى نفوس الغربيين وسيطيين ومُحَدثين، وبخاصة بعد أن أصبحت أمريكا فى مقدمة دول الغرب فى إرادة الشر بالعالم الإسلامى، فهو أن تولدت لديهم ضد الإسلام رغبتان:

أولاهما: محاولة تشويه الإسلام لينصرف الناس عنه.

والأخرى: هى الرغبة فى تفكيكه وتجزئته وإضعافه.

• أما الرغبة الأولى وهى تشويه الإسلام فتستهدف الإساءة إلى الإسلام وإشاعة المفتريات

والأكاذيب عنه، لصرف المسلمين عنه إن أمكن، فإن لم يمكن هذا فصرف المقبلين إليه عنه.

ولهم في تحقيق هذه الرغبة عشرات الوسائل والأسباب، كالمقالات والدراسات والكتب وعقد المؤتمرات والندوات وإذاعة وإشاعة ما يقوله وما يكتبه الحاقدون من المستشرقين، وما يدعيه المنصرون من أن الإسلام حجر عثرة في طريقهم، وقد يسَّر عليهم هذا شبكات الاتصال والقنوات الفضائية والسرعة المذهلة في وصول الكلمة والصورة من المرسل إلى المستقبل.

ومن وسائلهم في هذا التشويه أن يكون صادراً عن المسلمين؛ وهؤلاء المسلمون الذين يشوهون الإسلام هم من فئات ثلاث:

الأولى: فئة من الدارسين أو العلماء تستقطب لتنتقل من العيش في جحيم الاستبداد في أوطانها الإسلامية إلى العيش في فردوس الدنيا كما يقولون.

والأخرى: فئة المبتعثين من صفوة الجامعيين ليستكملوا دراساتهم العليا هناك.

والأخيرة: فئة من العلماء وربما أساتذة الجامعات الذين يغرونهم بالتهجم على الإسلام في مقالاتهم وكتبهم ودراساتهم.

● وكل فئة من هذه الفئات عندما تصل إلى الغرب تشعر براحة وأمان، وحرية بحث علمي بغير معوقات، وعون وتشجيع على البحث والدراسة، وكل من تهجم من هؤلاء على الإسلام فَشَوَّه شيئًا منه كوفئ ماديًا ومعنويًا، وأعد له في بلاد الغرب الملاذ الآمن، والعيش الهنيء، فإن عاد إلى بلاده فلابد أن يكون في انتظاره منصب مرموق، وكلما زاد في البذاء زادوا له في العطاء!!!

وأما الرغبة الأخرى في تفكيك العالم الإسلامي وتجزئته وتفكيكه فسببها أن الغرب يخشى مفهوم العالم الإسلامي ويخشى أن يتوحد أو يتعاون فيما بين دوله، ويرى في ذلك خطراً عليه.

هذه الرغبة في تفكيك العالم الإسلامي تمتد جذورها إلى زمن الحروب التي سموها صليبية وشنوها للقضاء على أي اتحاد أو تعاون بين دول العالم الإسلامي، ثم تجددت الرغبة في ضرب المسلمين والعالم الإسلامي عندما طردوا المسلمين من الأندلس أو أجبروهم على التنصر، ثم تجددت هذه الرغبة بعملهم الدائب على إسقاط دولة الخلافة العثمانية وتجزيء العالم الإسلامي الذي كان في حوزة دولة الخلافة العثمانية، لتستولي

كل دولة من دول الغرب المستوطنة كبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإسبانيا وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى على بلد أو أكثر من بلدان العالم الإسلامى بعد انفراطه وتقاسمه فيما بينهم.

ثم بذل الغرب غاية ما فى وسعه ليحارب -بعد إسقاطه نظام الحكم العثمانى- فكرة إنشاء جامعة إسلامية.

ثم أقاموا إسرائيل بين العالم العربى والإسلامى الممزَّق لتكون حائلاً بين المسلمين وأى توحد.

- وخطة الغرب فى تقسيم العالم الإسلامى إلى دول أو دويلات ماضية ما توقفت، فقد نجحوا فى جعل العالم الإسلامى الذى توحده العقيدة والعبادة وأخلاق الإسلام والعدل والإحسان والشورى، نجحوا فى جعل هذا العالم -الذى كان الأصل أن يكون واحداً- سبعًا وخمسين دولة قلما تتحد حول قضية سياسية أو اقتصادية، كما فتتوا العالم العربى إلى اثنتين وعشرين دولة قلما تجتمع كلمتها على قرار.
- ثم اتجه الغرب إلى تفتيت الوطن الإسلامى الواحد، كما قسموا جمهورية باكستان الإسلامية إلى دولتين باكستان وبانجلاديش، وكما فعلوا فى أطراف أندونيسيا ودعموا انشقاق بعض أقاليمها، وكما فعلوا فى الشام إذ أصبح سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وكما تفعل أمريكا الآن فى السودان شماليه وجنوبيه، وكما تفعل فيما لا أستطيع إحصاءه فى هذه الوريقات.

وكما فعل ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى فى المسلمين فى آسيا الوسطى فحولها إلى جمهوريات ست ألحقها بنظامه، وقضى على حريتها واستقلالها وحال بينها وبين التوحد، وهى جمهوريات:

أذربيجان،

وأوزبكستان،

وطاجيكستان،

وتركمانيا،

وقازاخستان،

وقرغيزيا.

كما تحالف الغرب والشرق على أن يظل المسلمون أقليات فى كثير من بلدان العالم، مع أن الإحصاء الصادق لا يجعلهم أقليات!!!

ب- قضية السيطرة على العالم الإسلامى سياسيًا واقتصاديًا:

كما سيطر الغرب على العالم العربى سياسيًا واقتصاديًا -على نحو ما أوضحنا آنفًا- سيطر كذلك على العالم الإسلامى سياسيًا واقتصاديًا سيطرة كاملة أو شبه كاملة.

وكانت للغرب ومعه ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، خطة فى فرض هذه السيطرة السياسية بتشجيع الانقلابات العسكرية، وفرضها اقتصاديًا بإغراق هذه البلدان فى الديون والسيطرة على النفط.

● لقد عمل أعداء العالم الإسلامى من الغرب والشرق على إحداث الانقلابات العسكرية فى بلدان العالم الإسلامى، مع يقين العدو بما فى الحكم العسكرى من بطش بالشعوب وإهدار لحقوق الناس وحرياتهم، ومنعهم من المشاركة فى الحكم أو تداوله، حتى لو سمحت بعض البلاد بتشكيل مجالس نيابية وأحزاب سياسية ورقية ليس لها شرعية إلا بإذن الحزب الحاكم وإملاء شروطه، بل قد تسمح بعض النظم العسكرية باصطناع معارضة شكلية تعارض فيما توافق الحكومة العسكرية على المعارضة فيه، فإن يخرج حزب أو معارضة عما رسم له فله الويل والثبور وعظائم الأمور، والسجن الحربى فى مصر وسجن المزة فى سوريا وسجن أبى غريب فى العراق وما لا يحصى من سجون الباطشين مع ما فى هذه السجون من تعذيب حتى الموت، ومن نجا من التعذيب تنتظره محاكم الثورة والشعب والقضاء العسكرى وأحكام جائرة لا تمت إلى العدل بأدنى صلة حتى إجراءاتها وشكلها، ومن لم يعجبه هذا فهو عدو للدستور الذى وضعه الحاكم المستبد ورجال قانون متنكرون للقانون، يملؤهم الرعب إن هم لم يفعلوا!!!

● ومن المعروف أن الأنظمة العسكرية لا تستطيع قمع الشعوب إلا بالبطش وآلته السلاح، وبالإرهاب وآلاته عديدة، والغرب والشرق كلاهما مصدر السلاح ومصدر أدوات الإرهاب وآلاته، كما لا تستطيع هذه الحكومات الباطشة أن تسلح نفسها لمواجهة إسرائيل أو لمواجهة انقلاب عسكرى مضاد، فتلجأ إلى الغرب أو الشرق فيبيع لها السلاح -غير المتطور- بالثمن الذى يريد والفائدة الفاحشة التى يرغب فيها، وفى ظل شروط تحقق مصلحة البائع وحده، ولا تملك هذه الحكومات العسكرية المستبدة إلا أن تشترى، وتلك سيطرة سياسية عسكرية ضاغطة، هذا سبب من أسباب السيطرة السياسية، والاقتصادية على بلدان العالم الإسلامى.

وسبب آخر لسيطرة الغرب أو الشرق على بلدان العالم الإسلامى سياسيًا واقتصاديًا هو : تشجيع بعض البلدان الإسلامية على القيام بمشروعات زراعية أو صناعية أو لتطوير البنْية أو لتحسين الخدمات أو غيرها، ثم مدّ هذه البلدان بقروض ذات فوائد ربوية فاحشة وشروط مجحفة، ومستشارين ماليين للمشروع نافذى الكلمة وفنيين أجانب وأدوات وآلات وأحيانًا بعض المواد الأولية، وكل ذلك يغرق هذا البلد الإسلامى بديون كثيراً ما يعجز عن سد فوائدها الفاحشة، ولهذا تكبل هذه البلدان بقيود سياسية واقتصادية لا تملك معها اتخاذ القرار، ولا التخلص من هذه السيطرة فترسف فى القيود وتفقد من حريتها ما تفقد .

يحدث هذا وشعوب هذه البلدان مكممة لا تعرف شيئًا ولا تملك أن تقول شيئًا فضلاً عن أن تعترض على شىء فى ظل هذا الحكم الشمولى المستبد العسكرى أو غير العسكرى .

● ومن يوم ظهر النفط فى بعض بلدان العالم الإسلامى اتخذته دول الغرب وسيلة للسيطرة السياسية والاقتصادية على البلاد التى ظهر فيها؛ وذلك أن التنقيب عن النفط واستخراجه وتصفيته وتصنيفه وتسويقه، كل ذلك إنما يكون عن طريق دول الغرب وبوساطة خبرائها وفنييها، بل إن مد خطوط النفط من خلال البحار أو الأراضى حكر على هؤلاء الأجانب الأعداء بكل أسف، وحاجة الغرب إلى النفط تزداد يومًا بعد يوم، ومن أجل تأمين هذه الاحتياجات تزداد سيطرتهم على العالم الإسلامى الذى توجد بكثير من بلدانه ثروة نفطية هائلة، حتى يمكن القول : إن بلداً نفطيا واحداً فى العالم الإسلامى كله لا يملك أن يتخذ قراراً له صلة بالنفط إلا إن وافقت عليه وسمحت به دول الغرب، ولندع جانبًا تلك الجعجعة التى تصدر من بعض بلدان النفط زاعمة أنها تخفض إنتاجها أو تزيده، أو تبيعه لمن تشاء، فإنها مجرد كلمات ومجرد صخب إعلامى فارغ من المحتوى ومن المصداقية!!!

● والاتحاد السوفيتى السابق أو اتحاد روسيا الآن، يمارس نفس السيطرة السياسية والاقتصادية مع بلدان العالم الإسلامى التى تطولها يده، وهو كالغرب يشجع على قيام حكم عسكرى باطش، أو نظام شمولى مستبد، بل إنه الذى يصدر أنظمة الحكم الشمولية المستبدة لكل بلدان العالم، وللبلدان الإسلامية على وجه الخصوص، تحت اسم الاشتراكية أو الشيوعية أو تحالف قوى الشعب أو غيرها من الأسماء الجوفاء المنطوية على أسوأ أنواع التحكم فى الإنسان وحرمانه من حريته وحقوقه .

ومن خلال هذه الأسماء لأنظمة الحكم الباطشة بقوى الشعب سيطر الاتحاد السوفيتى السابق أو اتحاد روسيا الآن على البلدان الإسلامية التى صدر إليها هذه التسميات الجوفاء.

إن الاشتراكية التى تعبوا فى تصديرها وفرضها على كثير من شعوب العالم أصبحت تعنى قهر الشعوب بتوزيع الفقر عليهم، فى حين ينعم الحكام وأعضاء الحزب الحاكم بحياة مرفهة فى القصور والدثور[1]، والويل والثبور وعظائم الأمور لمن يعترض على ذلك أو يفكر فى الاعتراض، إنه الموت فى التعذيب بعد الاعتقال أو السجن المؤبد بعد التعذيب بآلات وأدوات اشتراكية اعتمدها الاتحاد السوفيتى أو اتحاد روسيا.

إن جبروت الحكام الاشتراكيين وقهرهم لشعوبهم يحتاج فى كتابته إلى مئات الصفحات، فلتكن الاشتراكية وليذهب الشعب إلى الجحيم الإمبريالى إذا رفض الاشتراكية التى سوف تنقذه وتجعل منه لبنة من لبنات التحالف بين قوى الشعب العامل، ممجداً للحاكم الاشتراكى الملهم الموهوب ذى القبضة الحديدية والفك العريض المفترس والسوط الملهب والكلاب المفترسة والقيود والأغلال وتغمية العيون وتكميم الأفواه، والزنازين المحكمة دون الشمس والهواء، أو الممتلئة بالماء ليغرق فيها من له رأى فى أى شىء.

إن الحكام الاشتراكين فى العالم الإسلامى الواسع قد خلدوا هزائمهم فى كل معركة خاضوها، وبخاصة معاركهم مع إسرائيل فى العالم العربى، إن أحد هؤلاء الحكام الملهمين افتخر فى كعبته الاشتراكية وهو فى موسكو بأنه اعتقل فى ليلة واحدة ثمانية عشر ألفًا من المواطنين وزجهم فى سجونه!!!

وإن حاكمًا آخر ملهمًا موهوبًا أوحد سليل الأشاوس المغاوير كان يقتل بيده، ويذيب أعداءه فى أحواض مليئة بحامض الكبريتيك، وتحكم محاكمه على أعدائه بالذهاب إلى مزبلة التاريخ.

وإن حاكمًا ثالثًا من هؤلاء هدم حيًا كاملاً فى مدينة لأن الناس تحصنوا من عسسه بمنازلهم.

وإن حاكمًا رابعًا وخامسًا وسادسًا.. فعلوا بشعوبهم ما لا يفعله اليهود بأسرى الفلسطينيين أو العرب فى دفنهم أحياء بعد تكسير عظامهم وتكليفهم بحفر قبورهم

---

(١) الدثور: المال الكثير. وفى الحديث الشريف: «ذهب أهل الدثور بالأجور...» رواه أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه.

بأيديهم، وما أظن إلا أن الاشتراكية صناعة يهودية، بدأت لديهم قديمًا يوم ألقوا أخاهم فى غيابة الجب وذهبوا إلى أبيهم يبكون!!! ثم جدد هذه الوحشية فيهم وفى الاشتراكيين كارل ماركس، وأورثها ابن جوريون وديان ورابين وشارون.

ولاشك أن فى حكام العالم الإسلامى مجانين، كذلك الذى اقترح حذف كلمات من القرآن الكريم، وأتى بكل عجيب وغريب فى نظام حكمه أغرب من الخيال، ثم تحول من النقيض إلى النقيض عندما أحس بأنه يوشك أن يقع فيما وقع فيه صدام حسين طاغية العراق، وسجين الأمريكان أنصار الحرية والديموقراطية فى قاعدة عسكرية أمريكية فى بلد عربى من دول الخليج!!!

● هكذا يسيطر الغرب والشرق على بلدان العالم الإسلامى سياسيًا واقتصاديًا، حتى لا تقوم له قائمة.

وهكذا ينبغى أن توعى المدرسة أبناءها بقضية هذه السيطرة وتبصرهم بأبعادها، حتى تكون مدرسة إسلامية.

جـ- وقضية شن الحروب على كثير من بلدان العالم الإسلامى:

يخطئ من يظن أن شنَّ الحروب على العالم الإسلامى من أعدائه قد بدأت بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، لأنها أبعد وأعمق فى التاريخ من ذلك بكثير بل بقرون عديدة.

- إنها بدأت فى حياة النبى ﷺ عندما وجهت الروم جيوشها لقتال المسلمين فى مؤتة، وكان جيش الروم مائة ألف وجيش المسلمين ثلاثة آلاف، وفى هذه المعركة قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة، ثم تولى خالد بن الوليد القيادة، فغير فى نظام الجيش فخافه الروم وظنوا أنهم قد جاءهم مَدَدٌ فانصرفوا وانصرف خالد بجيش المسلمين.

- ثم كون هرقل جيشًا ضخمًا أكثر من مائة ألف، واستطاع رسول الله ﷺ أن يكون جيشًا قوامه ثلاثون ألف مقاتل سمى جيش العسرة للشدة والضيق الذى كان فيه المسلمون، وقصد رسول الله ﷺ تبوك وأقام بها عشرين ليلة، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيدًا.

- ثم جيشوا جيوشًا عديدة حمتها الكنيسة وأطلقوا عليها: حربًا صليبية، وحاربوا

المسلمين حربًا ضارية واحتلوا بيت المقدس وأسسوا فى الشام ممالك صليبية ثم انهزموا فيما بعد على يد صلاح الدين الذى استعاد بيت المقدس، ثم أنهى وجودهم الأشرف خليل قلاوون.

– ثم حاربوا المسلمين فى الأندلس وأقاموا محاكم التفتيش وبطشوا بالمسلمين وأجبروا عددًا منهم على الدخول فى النصرانية.

– ثم أجهزوا على دولة الخلافة العثمانية وتقاسموا أطرافها فيما بينهم (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا).

– ثم دعموا مصطفى كمال فى تركيا لإلغاء الخلافة والقضاء على كل ما إسلامى فى تركيا كلها، حتى المساجد وتعليم الإسلام.

– ثم أثاروا الحروب ضد المسلمين فى الهند مؤازرين الهندوس على المسلمين حتى قسمت شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان.

– ثم أثاروا الفتن والحروب بين المسلمين فى باكستان حتى قسمت إلى باكستان وبنجلاديش.

– وهكذا فعلوا فى العالم العربى:

● أثاروا الحرب بين غاشم العراق ومشئومها وبين إيران الدولة الجارة المسلمة، ودعموا هذه الحرب ثمانية أعوام حتى أتت على الأخضر واليابس فى العراق وإيران، وعلى أموالهما بل على أموال دول الخليج، ولعبت أمريكا فى هذه الحرب أخس عمل وأحقره إذ كانت تمد العراق بنقاط الضعف فى الجيش الإيرانى وتبيع السلاح للطرفين صراحة أو من خلال وسطاء.

● وأثاروا حرب العراق ضد الكويت الجارة العربية المسلمة وخدعوا مجنون العراق وصدامها حتى غرق إلى أذنيه فى حرب عدوانية ظالمة، ثم تحالفوا ضده حتى أخرجوه من الكويت مذءومًا مدحورًا وخسرت العراق والكويت والعالم العربى والإسلامى وربحت أمريكا ودول الغرب ولا زالت تستمتع بهذا الربح المادى والمعنوى حتى اليوم.

● ولقد دأبت أمريكا على تحدى العرب والمسلمين بمساندتها الجائرة لإسرائيل ضد العرب، ومدها بالمال والسلاح والخبراء ومعلومات رجال مخابراتها المنبثين فى بلدان العالم الإسلامى فى أثواب أصدقاء أو مستشارين أو « دبلوماسيين ».

إن إسرائيل بمعاونة أمريكا تضرب المدنيين بالطائرات والدبابات الأمريكية وتقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وهذا حلال لها من وجهة نظر أمريكا، أما أن يدافع الفلسطينيون عن أنفسهم بقطع من الحجارة فذلك إرهاب وعنف يجب القضاء على القائمين به!!!

وتهدم إسرائيل البيوت وتضرب المساجد والمدارس والمستشفيات وتبنى جداراً يحول بين الفلسطينى وأرضه أو مزرعته أو مدرسته فذلك حقها طلباً للأمن، أما أن يرد على ذلك رجل أو امرأة باختياره أن يستشهد فذلك إرهاب وعنف على الفلسطينيين أن يكفوا عنه، وعلى رسل السلام بينهم وبين إسرائيل أن ينصحوهم بالكف عن الإرهاب والعنف، وتقتل إسرائيل الشيخ المجاهد أحمد ياسين وهو خارج من المسجد بعد صلاة الفجر ويشرف على هذه الجريمة شارون بنفسه كما أخبر هو بذلك، فذاك مستساغ ضد أحمد ياسين وضد قادة الفلسطينيين، ولا تسميه أمريكا إرهاباً!!!

وكلما أدان مجلس الأمن إسرائيل على هذه الجرائم وقفت أمريكا بغير حياء تستعمل حق النقض لكى لا تدان إسرائيل على جرائمها، فأى عالم هذا التى تدعى أمريكا أنها تقوده؟

ثم يتساءلون فى أمريكا: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟

- وتشن أمريكا حرباً على أفغانستان بغير تبرير، فتقضى على حكومة طالبان الشرعية، وتتعقب تنظيم القاعدة وتضرب أفغانستان بقنابل يزيد وزن الواحدة منها على ألف رطل فتقتل النساء والأطفال والشيوخ وتقضى على مواطنين مدنيين، فهذا جائز ولا يوصف بأنه إرهاب، ثم يتساءلون فى أمريكا قائلين: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟

- ثم تشن أمريكا حرباً على العراق غير مبررة، وتقررها عقب أصوات الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م.. كما أخبرت بذلك «كوندليزا» مستشارة الأمن القومى، ثم تحتل العراق وتصطنع لها حلفاء تعدهم وتمنيهم بأن يشاركوا فى إصلاح ما أفسدته أمريكا فى العراق على حساب نفط العراق، ولقد ارتكبت أمريكا فى العراق جرائم أبشع مما ارتكبته وترتكبه إسرائيل فى فلسطين، ومع ذلك فهو ليس إرهاباً.

وأما أن تقصف أمريكا المساجد ويدوس جنودها الآثمون المصاحف، ويقتلون بالأسلحة المحرمة دولياً ألوف المدنيين من العراقيين فليس هذا إرهاباً ولا عنفاً، ثم يتساءلون قائلين: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟

● إن الأمريكيين برروا عدوانهم واحتلالهم للعراق، بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل، ولما احتلوها فتشوها شبراً شبراً فلم يجدوا هذه الأسلحة، فإذا كان امتلاك العرب أو المسلمين لأسلحة دمار شامل يوجب احتلال أرضهم وانتهاك حرماتهم، فلماذا السكوت على ما تملكه إسرائيل من أسلحة دمار شامل؟

ثم يتساءلون قائلين: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟

● إن أمريكا تعلن الحرب على الإسلام وتسميه الشيطان، وتحشد لقتال المسلمين الأذناب والأذيال من كل أقطار الأرض، وتشوه المسلمين بتسميتهم مارقين حيناً، ومحور شر حيناً، وإرهابيين حيناً، وتضرب في عقر دورهم لا تفرق بين مدني ومحارب ولا بين طفل وشاب ولا بين امرأة وشيخ!!!

ثم يتساءل الأمريكيون قائلين: لماذا يكرهنا العرب والمسلمون؟

● إن كراهية الإدارة الأمريكية وقيادات أمريكا السياسية والعسكرية من كل عربي وكل مسلم أمر تبرره أعمال أمريكا ضد العرب والمسلمين، أما الشعب الأمريكي فإنه تظاهر معلناً رفضه لحرب أفغانستان وحرب العراق، وتظاهر ضد استعمال القوات الأمريكية العنف المفرط ضد المدنيين العزّل، وهذا ما يستطيعه الآن، ولكنه يستطيع غداً أن يخذل جورج بوش وينفيه عن البيت الأبيض، وأظن أنه سيفعل، ولذلك فإن العرب والمسلمين لا يكرهون الشعب الأمريكي، ولا يضمرون له عداء.

● إن التساؤل الصحيح هو قول الإدارة الأمريكية: لماذا لا يكرهنا العرب والمسلمون؟

أو لماذا لا يكرهنا العالم الثالث بأسره؟

أو لماذا لا يكرهنا الاتحاد الأوربي؟

أو لماذا لا يكرهنا الاتحاد الروسي؟

أو لماذا لا يكرهنا أهل الصين واليابان؟

● إن الأمريكيين لهم في كل بقعة من بقاع الأرض جريمة نكراء[1]، وهكذا تشن أمريكا الحرب تلو الحرب على العالم الإسلامي كما هي مستمرة في شن الحروب على عديد من بلدان العالم؛ جَرْيًا وراء مطامعها التي لا تقف عند حد، إنه المرض بالسيطرة على الآخر وسيادته والتحكم فيه واستيطان بلاده، بل استعباده، ثم يتساءلون: لماذا يكرهنا العالم؟

(١) سنحصي كثيراً من هذه الجرائم في النقطة التالية إن شاء الله.

د- وقضية إثارة الفتن والقلاقل فى أغلب بلدان العالم الإسلامى:

ما من فتنة فى بلد إسلامى تستهدف الإساءة إلى الإسلام أو تقليص ظله على المسلمين ليعيشوا فى هاجرة القيم الوافدة على العالم الإسلامى من أعدائه، ما من فتنة كهذه إلا وتجد من ورائها أصابع كيد غربية عمومًا أو أمريكية أو إسرائيلية على وجه الخصوص؛ وذلك أن العالم الإسلامى مستهدف بالنسبة لهؤلاء جميعًا.

ليس ذلك من المبالغة أو التهويل فى شىء وإنما له أسبابه لمن أراد أن يعى ويتذكر ويذكر...

الغرب فى ماضيه كان له صراع مع المسلمين هنا وهناك، وكان ينتصر على المسلمين حينًا وينهزم أمامهم أحيانًا، فتصور -وهى مخطئ فى تصوره -أن العداء بينه وبين الإسلام أبدىٌّ دائم، فوضع خططه على هذا التصور الخاطئ فى التعامل مع المسلمين.

وعندما ضعف المسلمون لأسباب عديدة أهمها وأبرزها تخليهم عن الإسلام وقيمه، وانتصر الغرب لأسباب أبرزها تقدمه فى العلم «والتكنولوجيا» التقنية، استولى على كثير من بلدان المسلمين استيلاءً عسكريًا فيه وحشية وضراوة عقب الحرب العالمية الأولى، وفى نشوة انتصاره وغروره أنكر على معظم بلدان العالم الإسلامى حقها فى الحرية والاستقلال - حتى بعد معونة كثير من بلدان العالم الإسلامى له فى الحرب العالمية الثانية- فبدأ صراع جديد بينهما من أجل الاستقلال والحرية، وهو صراع مشروع لا ينكره إلا من ينكر على الإنسان أن يعيش حياة كريمة، فزاد استبداد الغرب بكثير من دول العالم الإسلامى وشواهد ذلك أكثر من أن تحصى، هذا من جانب الغرب المنتصر فى حربين عالميتين المغرور بقوته وعتاده.

أما العالم الإسلامى فلم ير أن العداء قد يتوارث، لأن الإنسان والظروف المحيطة به فى تغير مستمر، فمن كان عدوًا قد يكون صديقًا وقد يكون مسالمًا، وليس هناك عداء تقليدى بين المسلمين والمسيحيين -وهم معظم الغربيين- لأن ذلك هو ما تدل عليه أو تأمر به نصوص الإسلام من القرآن الكريم، حيث تؤكد هذه النصوص أن العداء بين المسلمين وغيرهم ليس هو الأصل، وإنما تحركه أسباب، فإن بطلت الأسباب فلا عداء بل موالاة وحسن تعامل وحسن جوار.

ومن هذه النصوص القرآنية:

- قول الله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن**

﴿ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
[الممتحنة: ٨، ٩]

والآيتان الكريمتان تؤكدان أنه لا عداء بين المسلمين وغيرهم إلا بسبب هو بدء العدو بقتال المسلمين أو طردهم من بلادهم أو مساعدته على هذا الطرد، فلا حرب تورث ولا عداء يستمر، لأن الأصل فى الإسلام هو دعوة الناس إلى الإيمان والإسلام وموادتهم ومؤاخاتهم فى الله إن استجابوا.

فإن لم يستجيبوا فإن لهم فى ذلك الحق، لأن المبدأ الإسلامى العام هو: لا إكراه فى الدين، كما يؤكد ذلك:

– قول الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

– وقوله جل وعلا: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ... ﴾
[الكهف: ٢٩]

وهذه الآية الكريمة دليل قاطع على حق الإنسان فى حرية الاختيار وحرية الإرادة.

- والفرق إذن شاسع بين ما يراه المسلمون وما يراه الغرب وبخاصة أمريكا، فالإسلام على وجه الحقيقة وكما تؤكد ذلك نصوصه ليس إرهابًا ولا عنفًا ولا شيطانًا كما تسميه أمريكا، وليس المسلم من يقتل النساء والأطفال والشيوخ والآمنين –كما يفعل الغرب وتفعل أمريكا وإسرائيل–، لأن المسلم يخسر دينه إذا لقى الله بدم حرام، كما أخبر بذلك الرسول الخاتم ﷺ:

– روى البخارى بسنده عن سعيد بن العاص رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال المرء فى فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»**.

- ولا يسمح الإسلام للمسلمين أن يقهروا الناس أو يعذبوهم أو يمثلوا بجثثهم بعد موتهم، أو يخرجوهم من ديارهم ويغتصبوها أو ينفوهم فى مجاهل «جوانتانامو» أو مجاهل سيبيريا كما كان يفعل الاتحاد السوفيتى أو كما فعلت إسرائيل!!!

- ولأن الغرب وأمريكا وإسرائيل ينظرون إلى الإسلام والمسلمين نظرة خاطئة تنبعث عن

حقد وكراهية لكل ما هو إسلامى وكل من هم مسلمون، فإنهم يعادون الإسلام والمسلمين ويعملون ما وسعهم على إثارة الفتن والقلاقل فى بلدانهم، حتى يتفرقوا ويضعفوا ولا يستطيعوا ردّ عدوان الغرب وأمريكا وإسرائيل، فيقعوا وتقع بلدانهم فى أيدى أعدائهم.

● والذى أود أن أوضحه هو أن أمريكا تلخيص للغرب وأن إسرائيل تلخيص لأمريكا، أو أن إسرائيل توجه أمريكا وتسيطر عليها بالمال والأعمال والإعلام، وأمريكا توجه أوروبا بالتهديد والوعيد، لذلك تحمل أمريكا بوصفها القوة الفاعلة رأس الحربة أو تحمل الرءوس النووية وأسلحة الدمار الشامل وتمارس بذلك جرائمها فى لذة وانتشاء كما يفعل الوحش بفريسته.

لا أقول هذا تحاملاً على أمريكا، فإن الشواهد والبراهين على صحة ما أقول أكثر من أن تحصى فى قرن واحد هو القرن العشرون الميلادى.

وسوف أسرد.. وأرجو ألا أطيل -عدداً من جرائم أمريكا ضد العالمين العربى والإسلامى -بعد إثارة مزيد من الفتن والقلاقل- وهى:

١- عاونت أمريكا الدول الأوربية وروسيا على العمل على إسقاط دولة الخلافة العثمانية، وأحلوا محلها نظامًا علمانيًا يعادى الإسلام وكل ما يمت إليه بصلة بقيادة مصطفى كمال الذى ينحدر من يهود الدونمة بسالونيك.

٢- وعاونت أمريكا دول الغرب على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، بداية بوعد «بلفور» ١٩١٧م ومروراً بتجريد الفلسطينيين من أسلحتهم وتزويد اليهود بالسلاح، حتى أقيمت الدولة سنة ١٩٤٨م.

٣- وإثارة الفتن والقلاقل والانقلابات العسكرية فى العالمين العربى والإسلامى، بإحياء النزعات العرقية والطائفية، كما تحدثنا عن ذلك آنفًا.

٤- ووضعت أمريكا بيدها بذرة القلاقل فى الجزيرة العربية التى لا نزال نرى آثارها حتى اليوم، فعلت ذلك من خلال عملين خطيرين هما:

أ- توقيع اتفاق مع السعودية سنة ١٩٣٣م أيام الملك عبد العزيز للتنقيب عن النفط فى السعودية وحقها فى شرائه وتسويقه وتلك بداية تبعية السعودية لأمريكا.

ب- وإنشاء قاعدة جوية للقوات الأمريكية فى الظهران، لتكون أول احتلال عسكرى لجزء من السعودية، وكان ذلك سنة ١٩٤٥م أيام: «ترومان وعبد العزيز أيضاً».

ثم توالى التواجد الأمريكى فى الجزيرة العربية وتكثف، واستبد بالنفط، وبما هو أكثر من النفط، مما أدى بعد ذلك إلى مزيد من القلاقل التى ظهرت آثارها فى هذه الأيام فى تفجيرات ضخمة فى المنطقة الشرقية وفى الرياض وفى كل تجمع للأمريكيين.

٥- وفى مارس سنة ١٩٤٩م نفذت المخابرات الأمريكية انقلاباً عسكرياً فى سوريا بقيادة حسنى الزعيم، وقد خطط لهذا الانقلاب فى سفارة الولايات المتحدة بدمشق.

ولما اغتر حسنى الزعيم وظن أنه رئيس لسوريا ولم يخضع لكل ما طلبته أمريكا أطاحت به فى انقلاب عسكرى آخر بقيادة سامى الحناوى ثم فى انقلاب عسكرى ثالث بقيادة أديب الشيشكلى.

٦- فى أغسطس ١٩٥٣م نفذت المخابرات الأمريكية انقلاباً ضد حكومة مصدق بإيران مع أن هذه الحكومة كانت وطنية بإجماع آراء الناس فيها، والذى خطط ودبر هو «كليم روزفلت حفيد الرئيس الأمريكى روزفلت».

٧- وفى سنة ١٩٦٨م دبرت المخابرات المركزية الأمريكية انقلاباً عسكرياً بقيادة: «سوهارتو» ضد «سوكارنو» فى أندونيسيا وكان «سوكارنو» قد حرر أندونيسيا من اليابان ثم من الهولنديين، وفى انقلاب «سوهارتو» خسرت أندونيسيا مليون إنسان.

٨- وفى سبتمبر ١٩٧٣م قبل حرب أكتوبر بشهر واحد، وجَّه الرئيس الأمريكى «نيكسون» تحذيراً شديداً إلى الدول المنتجة للنفط فى الشرق الأوسط يطلب منهم عدم استعمال النفط فى أغراض سياسية، وإلا فقدوا أسواقهم -وأسواقهم هى أمريكا- وذلك التحذير معناه تجريد العرب من أى سلاح حتى لو كان النفط فى حربهم مع إسرائيل أى مع أمريكا، كما اتضح ذلك بعد نشوب الحرب.

٩- وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م وهزيمة إسرائيل وتحطيم خط «بارليف» وتحطيم أسطورة جيش إسرائيل الذى لا يُهزم، ويأس إسرائيل لولا الجسر الجوى الأمريكى الذى مدها بالسلاح والمقاتلين، تحول الموقف الإسرائيلى بفعل كيسنجر اليهودى إلى تفاوض واتفاقيتين.

١٠- وفى عام ١٩٧٥م وضع «الكونجرس» الأمريكى (برلمان العالم شاء العالم أم أبَى) خطة لاحتلال آبار النفط فى منطقة الخليج، وتشتمل هذه الخطة على ما يلى:

- الاستيلاء على المنشآت النفطية.

- وحماية هذه المنشآت بضعة أسابيع أو بضعة شهور أو سنوات.

- وترميم المنشآت والمعدات بسرعة.

- وتشغيل جميع المنشآت النفطية دون عودة المالك لها.

وهذه خطة عصابة لا دولة، فلا الأرض أرضها ولا النفط نفطها، وإنما هى الطامع الشره القبيح.

١١- وفى أكتوبر سنة ١٩٧٧م؛ أعلن وزير الطاقة الأمريكى آنئذ: «جيمى شليز نجر» أن على أمريكا حماية مصادر النفط فى منطقة الشرق الأوسط، واعتبر ذلك من وجهة نظره ضرورة عسكرية!!!

١٢- وفى يناير سنة ١٩٧٩م طلبت الحكومة الأمريكية من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إعداد دراسة شاملة حول الحركات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم، وبكل تأكيد جاءها هذا التقرير ووزعته على حكومات البلدان الإسلامية، لتضربها وتقضى عليها، وقد فعلتْ!!!

١٣- وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٧٩م -بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية -جمدت أمريكا الودائع الإيرانية فى جميع مصارف الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل حصار الثورة الإسلامية الإيرانية والقضاء عليها بالعجز والشلل، ثم بعثت أمريكا بحاملة الطائرات: «كينى هوك» ترافقها خمس سفن حربية إلى منطقة الخليج لتؤازر حاملة الطائرات: «ميسواى» الموجودة فى مدخل الخليج.

١٤- وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٧٩م قررت أمريكا إبعاد «الدبلوماسيين» الإيرانيين منها.

١٥- وفى ديسمبر أيضاً من سنة ١٩٧٩م جَمَّعتْ أمريكا فى بحر عمان أضخم قوة بحرية عسكرية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فى بحر عمان، وزادتْ عددَ سفنها إلى ثلاثين لحصار إيران.

١٦- وفى أبريل عام ١٩٨٠م قامت مجموعة «دلتا» الأمريكية المكونة من القوات الخاصة

باعتداء على الأراضى الإيرانية بحجة تحرير الرهائن الأمريكيين فى السفارة الأمريكية فى طهران، وكانت إشارة إلى بعض عملاء أمريكا لكى يقوموا بانقلاب ضد إيران، وهؤلاء العملاء هم الأمريكان أنفسهم وأنصار الشاه المخلوع، ولكنها فشلت فى ذلك.

١٧- وكانت أمريكا تتوق إلى أن تشن حربًا على الشرق الأوسط كله، فوضعت فى «استراتيجيتها» العسكرية عنصرًا جديدًا هو إمكان شَنّ حربين فى وقت واحد، لأنها بالضرورة لها حرب مستمرة فى إحدى مناطق العالم والثانية تتوق إليها فى الشرق الأوسط.

١٨- وفى أغسطس من سنة ١٩٨١م أغارت طائرات الأسطول السادس الأمريكى فى خليج سرت على طائرتين ليبيتين للحراسة فدمرتهما.

١٩- وفى شهر فبراير من سنة ١٩٨٢م اتخذت أمريكا خطوات فى مقاطعة النفط الليبى، وفرضت حظرًا على دول العالم حتى لا تبيع لليبيا المعدات النفطية أو «الإلكترونية» فاستجابت دول العالم للقرصان الشرير.

٢٠- وفى شهر يونيو سنة ١٩٨٢م عملت أمريكا ما وسعها لكى يصل: «حسين هبرى» عميلها ومعينها فيما تريد من تشاد، إلى الاستيلاء على الحكم فى تشاد، وما وصل إلى ذلك إلا بعد أنهار من الدم وبحار، ثم نَكَّلْ «هبرى» بالشعب التشادى أشد تنكيل.

٢١- وفى يوليو سنة ١٩٨٢م وصلت قطع الأسطول السادس الأمريكى إلى مسافة تقل عن عشرين عُقدة[1] لمساندة إسرائيل فى عدوانها على لبنان باحتلال أرضه فى يونيو سنة ١٩٨٢م.

٢٢- وفى شهر مايو سنة ١٩٨٤م أبلغ الرئيس الأمريكى: «ريجان» الأمير فهد بن عبد العزيز نائب الملك آنئذ بأن الولايات المتحدة الأمريكية تبحث فى قيامها بعمل عسكرى لحماية النفط فى الخليج، ومن الضرورى أن تستعمل أمريكا القواعد العسكرية الأمريكية المقامة فى السعودية.

٢٣- وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٨٥م اعترضت طائرة مقاتلة أمريكية طائرة مدنية مصرية كانت تحمل مختطفى السفينة الإيطالية: «أكينى لاورد» وأجبرتها على الهبوط فى قاعدة عسكرية بجزيرة صقلية.

---

(١) العقدة وحدة قياس بحرى، تطلق على الميل البحرى، والميل البحرى طوله ١٨٥٢ مترًا.

٢٤- وفى شهر يناير سنة ١٩٨٦م فرضت أمريكا عدداً من العقوبات الاقتصادية على ليبيا، كما أجرى الأسطول السادس الأمريكى مناورات بحرية وجوية استفزازية على الساحل الليبى، وأعلنت عن إغراق سفينة حراسة ليبية.

٢٥- وقصفت بصواريخ سام قاعدة بحرية ليبية ودمرت سفينتين.

وهددت أمريكا على لسان متحدث باسم البيت الأبيض بالقيام بعملية عسكرية ضد ليبيا.

٢٦- وفى شهر أبريل سنة ١٩٨٦م هدد «ريجان» الرئيس الأمريكى بضرب سوريا وإيران، وفرض مجموعة من العقوبات الاقتصادية ضد سوريا بسبب تأييدها لما يسمونه الإرهاب وهو المقاومة المشروعة دوليا لمن يحتل البلاد.

٢٧- وفى شهر أبريل سنة ١٩٨٨م دمرت السفن الحربية الأمريكية رصيفين نفطيين عائمين إيرانيين فى جنوب الخليج.

كما أغرقت للإيرانيين ثلاث سفن حربية، وأصابت فرقاطتين أخريين.

وأسقطت وحدات الأسطول الأمريكى فى الخليج طائرة ركاب مدنية إيرانية لقى ركابها جميعاً مصارعهم، وكان عددهم ٢٩٨ راكباً.

٢٨- وفى شهر يوليو سنة ١٩٨٨م عارض مشروع البرنامج السياسى للحزب الجمهورى الأمريكى قيام وطن قومى للفلسطينيين فى بلدهم فلسطين!!

٢٩- وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٨٨م اتهمت الخارجية الأمريكية ليبيا بإنشاء مصنع لإنتاج الأسلحة الكيماوية والغازات المضادة للاعصاب، وغاز الخردل السام، واتهمتها فى شهر مارس من سنة ١٩٩٠م بإنتاج أسلحة كيماوية وتصنيعها فى مصنع الرابطة.

٣٠- وفى عام ١٩٩٠م أوقفت الولايات المتحدة الأمريكية كل مساعداتها العسكرية والاقتصادية «لباكستان» للاشتباه فى أن باكستان تطور أسلحة نووية.

٣١- وفى حرب الخليج لإخراج العراق من الكويت سنة ١٩٩١م، دمرت القوات الأمريكية فى العراق:

٨٤٣٧ داراً سكنية،

و١٥٧ جسراً وسكة حديد،

و ١٣٠ محطة كهرباء رئيسية وفرعية،

و ٢٤٩ داراً لرياض الأطفال،

و ١٣٩ داراً للرعاية الاجتماعية،

و ١٠٠ مستشفى ومركز صحى،

و ١٧٠٨ مدارس ابتدائية.

وقصفت ملجأ العامرية فى بغداد فقتلت عشرات الأطفال والنساء والشيوخ.

فهل هذا إخراج للعراق من الكويت أم تدمير للعراق؟

لقد تعاملت أمريكا مع العراق بالأسلحة المحرمة دوليًا، بالقذائف التى تحوى اليورانيوم، وقد تأثر بهذا السلاح أعداد كثيرة، وبخاصة الأطفال والأجنة فى أرحام أمهاتهم!!!

كما استعملت صواريخ «كروز» الموجهة فى غارات جوية على العراق. حقًا إنها القرصان الشرير(١).

٣٢- وفى شهر أغسطس سنة ١٩٩٦م وقع الرئيس الأمريكى «كلينتون» قانونًا صدّق عليه «الكونجرس» اسمه قانون: «دماتو» يستهدف فرض عقوبات على الشركات النفطية الأجنبية التى تستثمر فى إيران أو ليبيا أكثر من أربعين مليون دولار سنويًا. ألم أقل إنه برلمان العالم رغم أنف العالم؟

٣٣- وفى عام ١٩٩٦م أنشأت أمريكا صندوقًا مولته بعشرين مليون دولار لزعزعة النظام الإسلامى فى إيران.

٣٤- وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٩٧م قال تقرير لبعثة وكالات غذاء دولية: إنها وجدت دلائل على نقص عام فى الغذاء والأدوية فى العراق.

٣٥- وفى شهر أكتوبر سنة ٢٠٠١م بعد أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١م ضربت الطائرات الأمريكية أفغانستان للقضاء على تنظيم القاعدة، وعلى حكومة طالبان لاتهامهما -

---

(١) هذا هو أسلوب أمريكا، فقد ألقت قنبلة ذرية على «هيروشيما» فى أغسطس ١٩٤٥م بأمر من رئيسها «ترومان» أودت بحياة ٧٨١٥٠ شخصًا بخلاف المشوهين.

كما ألقت قنبلة ذرية ثانية على مدينة «ناجازاكى» بعد السابقة بيومين فقضت على حياة ٧٣٨٨٤ شخصًا وأصابت ٦٠ ألفًا من البشر وأبادت الحيوان والحشرات والنبات.

دون دليل- بأنهما السبب فى تفجير مركزى التجارة فى نيويورك ووزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطن.

٣٦- وفى شهر مارس سنة ألفين وثلاثة شنت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا هجومًا جويًا كاسحًا على العراق بأقوى الطائرات، وأشد الأسلحة فتكًا، ثم احتلت العراق فى إبريل سنة ٢٠٠٣م فى قصة مأساوية هدفها الأول والأخير تأمين إسرائيل، وسيطرة أمريكا على منطقة الشرق الأوسط، منطقة النفط من العالم الإسلامى(١).

- وتداعيات اجتياح أمريكا للعراق دون مبرر، وخروجًا على جميع المواثيق والأعراف الدولية لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، بعد استيقاظ المقاومة العراقية، وانكشاف كذب أمريكا فى أنها تريد للعراق الحرية والديموقراطية!!!

إن أمريكا بهذا العدوان ألغت وجود هيئة الأمم المتحدة وعصفت بالاتحاد الأوربى وباتحاد روسيا وبالصين واليابان.

والخلاصة التى نحب أن ننتهى إليها فى هذه النقطة من الكتاب هى: أن الغرب وفى مقدمته أمريكا وإسرائيل، لا يفتر عن إثارة الفتن والقلاقل فى أى بلد عربى أو مسلم ما دام ذلك يحقق مصالح القرصان الشرير ومطامع إسرائيل التى تتحكم فى هذا القرصان الشرير وتشير عليه بأنواع القرصنة والشر!!!

- وإن المدرسة الإسلامية مطالبة بأن توضح لأبنائها هذه الحقائق من خلال آليات المدرسة كلها: المنهج والكتاب والمدرس وكل الأنشطة والخدمات المدرسية.

هـ- وقضية منع العالم الإسلامى من إنتاج الأسلحة المتطورة:

الغرب والولايات المتحدة وإسرائيل فئة واحدة أو متوحدة فى إنتاج السلاح المتطور والسلاح النووى، وسلاح الدمار الشامل، ومهما تَسُن هيئة الأمم المتحدة من قوانين تحظر إنتاج السلاح النووى فإن قوانينها لن تطول الغرب ولا أمريكا ولا إسرائيل، وذلك أن أكبر دولتين استيطانيتين استعماريتين فى الغرب هما بريطانيا وفرنسا وكلاهما من أصحاب حق النقض فى مجلس الأمن، ومعنى ذلك أن قرارات مجلس الأمن بالنسبة لهما لا قيمة لها ولا أثر فضلاً عن أن تلتزم فيها بشىء أى شىء.

---

(١) هذا الذى ذكرت قليل من كثير من جرائم أمريكا ضد العالمين العربى والإسلامى، أما جرائمها ضد العالم فأكثر من ذلك بكثير.

أما أمريكا فهى على رأس الدول أصحاب حق النقض، وإسرائيل جزء من أمريكا، أو هى المسيطرة على أمريكا، أو هى ولايتها الثانية والخمسون فى فلسطين، وبالتالى فإن إسرائيل لها حق النقض من خلال أمريكا !!!

وهكذا تنهار قرارات مجلس الأمن أمام خمس دول لها حق النقض وسادستها إسرائيل!!!

فما جدوى قرارات مجلس الأمن؟

إن جدواها فقط فى إلزام الدول العربية أو الإسلامية بما يصدر ضدها من قرارات.

● والعيب أن بريطانيا وفرنسا وأمريكا وإسرائيل من أكثر دول العالم حديثًا عن الديموقراطية والحريات وحقوق الإنسان، بينما هى أكثر الدول امتهانًا للحريات وحقوق الإنسان وكيل الديموقراطية بمكيالين.

وكل واحدة من هذه الدول الأربع تجيد بل تحترف ازدواجية المعايير، وتتقن الانحياز لمنافعها على حساب أى قيمة دينية أو اجتماعية، ولا يعتريها من أجل كل ذلك شيء من الحياء أو الخجل!!!

وأعجب من ذلك أن يقر العالم المعاصر الذى يطنطن بأنه أكثر تحضراً ورقيًا وعلمًا وتقنية وقدرة على غزو الفضاء وعلى السباحة فى الكواكب البعيدة كالمريخ وأمثاله، أن يقر هذا التفاوت فى التعامل بين الناس.

كما أن سكوت هيئة الأمم المتحدة على هذا التفاوت وازدواجية المعايير وحق النقض كارثة إنسانية أخلاقية تجعل هذه الهيئة غير ذات اعتبار، مهما ادعت، ومهما أغاثت الجوعى والمصابين بالنوازل.

إن معنى هذا أن هيئة الأمم المتحدة تعلم علم اليقين أنها مع هذه المثالب متحدة ضد الأمم الضعيفة لصالح الأمم القوية ولن يزيل هذه الوصمة إلا إن استطاعت أن تلغى امتياز حق النقض، وازدواجية المعايير، والعضوية الدائمة فى مجلس الأمن، وإن لم تفعل فما أجدر أن يلفظها العالم ويستبدل بها نظامًا إنسانيًا، يحترم الإنسان لأنه إنسان.

- هل لأعضاء هيئة الأمم أن يقولوا إن مجلس الأمن المكون من خمس عشرة دولة منها أصحاب العضوية الدائمة، إن مجلس الأمن بنظامه هذا ترسيخ للتمييز العنصرى أو الإقليمى وأن قراراته فى معظمها جائرة لأنها تكرس هذا التمييز العنصرى الإقليمى؟

إن هذا الخلل فى هيئة الأمم المتحدة هو الذى مكن الدول الكبرى من ظلم الدول الصغرى واستغلالها واستعباد أهلها أحيانًا، كما فعلت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا وبلجيكا وألمانيا ثم أمريكا وإسرائيل فى عديد من دول الأرض تسومها الخسف وتستعبدها وتسخرها وتحرم عليها وتحل لها، لأن دول العالم على وجه الحقيقة اليوم إما خائفة من أمريكا وإسرائيل وإما راجية لمعونة أمريكا، وهذا نوع من الاستعباد يشبه وضع طوق العبودية فى رقبة العبد!!!

ولا ينكر ما أقول إلا خائف من أمريكا أو راج لمعونتها ورضاها، ولن تعيش دول العالم راضية بهذا الغبن الفاحش دهرًا طويلا، ولننظر ماذا يفعلون؟

● بعد هذه المقدمة الصريحة المؤلمة للنفس المثيرة للاستمئزاز والامتعاض أقول:

إن العالم العربى والإسلامى قد وضعا فى أسوأ الظروف فحيل بين بلدانهما وبين إنتاج القمح أو القطن أو السكر حتى تظهر الحاجة إلى الدول القوية صاحبة حق الامتياز.

وإن دول العالم الثالث كلها لا تملك فى ظل نظم الغرب ورضوخ هيئة الأمم المتحدة لا تملك إرادتها، ولا تملك حق الدفاع عن نفسها، ولا تملك قرارها فى زراعة أو صناعة، بل لا تملك على وجه الحقيقة مذخورات أرضها ومياهها إلا بإذن هذه الدول القوية الطامعة المسيطرة، التى تجعل مصالحها فوق رءوس العباد وتتشبث بتحقيق هذه المصالح حتى لو كان فى ذلك قتل وإبادة وخطف وتعذيب وتنكيل واستعباد!!!

– إن هذه الدول التى تتمتع بحق النقض ومعها إسرائيل، ترتكب من الجرائم ما لايقل عما سردناه من جرائم أمريكا فى قرن واحد من الزمان، وما اقترفته إسرائيل فى نصف قرن فقط.

– ولو ذهبنا نستقصى جرائم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا واتحاد روسيا ما وسعتنا صفحات وصفحات، ولا بلغنا عشر معشار ما ارتكبته هذه الدول الباغية ضد الدول الضعيفة وضد الإنسان على وجه العموم، وبخاصة إذاكان ذلك الإنسان مسلمًا أو عربيًا.

إن ما أقوله عن جرائم هذه الدول الكبرى ليس تخيلاً وليس ادعاء، وليس مبالغة ولا تهويلاً وإنما هو وقائع وأحداث وأخبار ومشاهدات فى القنوات الفضائية والإذاعة المسموعة والمرئية بالصوت والصورة والمكان والزمان...

أرأيت ما فعلت أمريكا فيمن قبضت عليهم فى أفغانستان؟

أرأيت سجن « جوانتانامو » على حدود كوبا؟

أرأيت ما فعلته إسرائيل فى جنين ونابلس وتو الكرم؟

أرأيت كيف ضربت المصلين فى المسجد الأقصى؟

أرأيت أمريكا وهى تستعمل حق النقض حتى لا تدان إسرائيل؟

أرأيت ما فعلت أمريكا فى العراق؟ وفى سجن أبى غريب؟

أرأيت كيف يتنكر الغرب وأمريكا لشعاراته الجوفاء، تمثال الحرية، والديموقراطية وحقوق الإنسان والإخاء والمساواة؟

إنها أكاذيب العصر على ألسنة الدجالين من رؤساء هذه الدول التى تفرض العقوبات على من ينتهك حقوق الإنسان!!!

أرأيت مغالطات أبشع من هذه؟

وليست فرنسا ولا بريطانيا ولا الاتحاد الروسى ولا إسرائيل بأقل شرًا من أمريكا، وليسوا أقل منها رغبة فى الاستيلاء على مقدرات البلاد والعباد، ولا أقل منها تعطشًا لدماء الأبرياء المدنيين الذين لا يحملون سلاحًا فضلاً عن سلاح متطور فتاك!!!

● وإذا كان ذلك كله يحدث عن تعمد وإصرار من هذه الدول الكبرى صاحبة امتياز حق النقض وصاحبة القدرة على تحدى هيئة الأمم المتحدة، وسائر المواثيق والأعراف الدولية، إذا أرادت أن تعتدى على بلد من بلدان العالمين العربى والإسلامى الذى تستغل أرضه وسماءه وبحره ومياهه، وأهله، ولا أحد يعترض على هذا الظلم وذلك الاضطهاد، فكيف يسمح لبلد عربى أو مسلم أن ينتج سلاحًا متطوراً، أو من أسلحة الدمار الشامل؟

أنهم لا يسمحون لبعض البلاد العربية أو الإسلامية أن تزرع قمحًا أو أى محاصيل زراعية تغنيها عما تنتجه هذه الدول الكبرى، ولا تسمح لمن يملك النفط منها أن ينتجه إلا بالقدر الذى تراه هذه الدول الكبرى، محافظة على مصلحتها وجشعها، فكيف يتصور أن تسمح لبعضها أن تنتج سلاحًا متطوراً أو سلاح دمار شامل؟

إنه من المستحيل بعينه، بل هو كبيرة من الكبائر؛ التمرد على السادة الذين يملكون مصائر شئون العالم، أى يملكون رقاب الناس ويملكون القدرة على إبادتهم بالأسلحة النووية!!!

• وإذا قيل: إن باكستان وهى بلد مسلم قد استطاعت إنتاج سلاح نووى لتواجه الهند العدو التقليدى لها -الذى فرضها الغرب عليها- والذى ساعدها الغرب على إنتاج سلاح نووى لقمع المسلمين فى شبه القارة الهندية.

فإن عشرات الحسابات والموازنات والتوجسات والترقبات والمحاذير والمجازفات والتنازلات هى التى أعطت لباكستان هذه الفرصة، التى تصورت أنها تؤمن بها نفسها عند تفكير الهند بالعدوان عليها...

لكن سرعان ما تدخلت أمريكا ضد باكستان وساندها الغرب ليصبح السلاح النووى الباكستانى تحت سيطرة الغرب وأمريكا، ولتصبح باكستان طرفًا يحارب مع أمريكا فى أفغانستان المسلمة التى اجتاحتها جيوش أمريكا والغرب!!!

إن اتفاقات وتهديدات وتوريطات عديدة أوقعتْ فيها أمريكا باكستان لكى يكون سلاحها النووى تحت السيطرة الأمريكية.

• ومع كل تلك التحوطات والاحترازات حول السلاح النووى الباكستانى فإن الآلة الإعلامية الغربية -وما أوسع انتشارها وما أعلى صوتها- ملأت الدنيا صياحًا واعتراضًا وإدانة للغرب وأمريكا بسبب الغفلة التى سمحت لدولة مسلمة -هكذا قال إعلاميوهم- بأن تنتج سلاحًا نوويًا بينما لم يعترض أحد على إنتاج الهند للسلاح النووى، بل رحبوا جميعًا بامتلاك إسرائيل للأسلحة النووية!!!

• إن الإعلام الغربى أخذ يردد بأعلى صوت أن امتلاك باكستان لسلاح نووى معناه أن كل بلد مسلم سوف يملك سلاحًا نوويًا، وتلك كارثة وإيذان بفناء العالم!!!

يقولون هذا وهم يعلمون أن سلاح باكستان النووى تحت سيطرتهم وأنها لا تملك أن تعطيه لبلد مسلم، لأنه كما قلت تحت السيطرة.

• والحقيقة التى لا تقبل جدلاً أن الغرب معظمه وفى مقدمته أمريكا وإسرائيل، وأن الاتحاد الروسى هم الذين ينتجون الأسلحة نووية وغير نووية، وهم الذين يوجدون أسباب الحروب والصراعات بين الشعوب ليبيعوا لهم السلاح بالسعر الذين يشاءون؛ لذلك يصبح من المستحيل أن يسمحوا لبلد آخر -وبخاصة إذا كان مسلمًا- أن ينافسهم فى صناعة السلاح!!!

وإذا كانوا لا يسمحون لبلاد أن تنافسهم فى زرع القمح على الرغم من توافر المياه والتربة الصالحة والأيدى العاملة الرخيصة فكيف يسمحون بإنتاج السلاح؟

إن الدول أصحاب حق النقض لقرارات مجلس الأمن هم أصحاب حق منع معظم دول العالم من إنتاج أى سلعة أو خدمة تضر بمصالحهم الاقتصادية أو السياسية.

لا أقول هذا من باب التحامل -أو التفسير التآمرى- وإنما هى حقائق يعرفها القاصى والدانى، وكل منصف يتابع الأحداث والحروب، بحيث يمكن القول بأنه ما من حرب بين بلدين أو بين أبناء بلد واحد إلا كان وراء إثارتها وتأريثها واحدة من هذه الدول التى تحتكر صناعة السلاح وبيعه ومنع الآخرين من إنتاجه، ما يشك فى هذه الحقيقة منصف.

• ولقد عاصر جيلنا -الذى يعيش السبعينيات من عمره- حروبًا ضارية بين العرب وإسرائيل المعتدية التى يؤيدها الغرب بسلاحه وماله وخبرائه، وعاصر حروبًا بين الهند وباكستان وبين العراق وإيران، وبين العراق والكويت. وبين أمريكا وحلفائها ضد العراق، وبين أمريكا وحلفائها ضد أفغانستان والعراق، وبين الصومال وفصائله وبين السودان شماله وجنوبه، وبين قبائل نبجيريا، وبين الشيشان والاتحاد الروسى، وبين البوسنة والهرسك وكوسوفو وبين الصرب والكروات؛ الصرب تؤيدهم روسيا ضد المسلمين والكروات تؤيدهم أوروبا ضد المسلمين، وبين ألبانيا والصرب الذين يؤيدهم الغرب.

ثم تتدخل أمريكا لصالح الطرف غير المسلم فى كل تدخل وتفرض ما تراه فرضًا وتحشد له الحلفاء المدججين بالسلاح.

• كل هذه الحروب إنما حركتها وأثارتها وأشعلت نيرانها دول إنتاج السلاح وتسويقه مع دول حق الاعتراض.

وبعد:

فإن المدرسة الإسلامية مطالبة بأن تقدم كل هذه المعلومات والثقافات لأبنائها فى مجال تزويدهم بتاريخ وطنهم الإسلامى وبأهم قضاياه، لأن هذا وغيره -كما قدمنا- يدخل فى صميم الأهداف الخاصة للمدرسة الإسلامية بكل أنواعها وبجميع مراحلها.

ولعلى أكون قد أوضحت الأهداف العامة والخاصة للمدرسة الإسلامية فى هذا الفصل الأول من الباب الثالث من الكتاب، لأتحدث فى فصله الثانى عن وسائل المدرسة الإسلامية فى تحقيق أهدافها العامة والخاصة، ومن الله تعالى العون والسداد.

*****

الفصل الثانى

الوسائل

الوسائل جمع وسيلة وهى فى الأصل ما يُتَوسَّل به إلى الله تعالى من عبادة له وفق شرعه، ومن عمل صالح، ومن علم ومن صدقة جارية ومن تمسك بمكارم شريعة الإسلام.

أما فى مجال التعليم والتربية فإن للوسيلة مفهومًا خاصًا بذلك حدده علماء التربية بقولهم فى تعريفها: إنها مجموعة المواد والأجهزة والمواقف والأنشطة والخدمات التعليمية التى تلزم المعلّم ليزيد من فهم المتعلم فى المدرسة.

ونوضح ذلك بقولنا: إن الوسيلة التعليمية هى: كل موقف، وكل كلام وكل عمل، وكل مادة تعليمية يستعين بها المدرس على توضيح هدفه من التعليم والتربية فى المدرسة.

وهذه الوسائل نوعان -كما سنفصل بإذن الله- :

● الوسائل العامة، مثل:

- إعداد البناء المدرسى الصالح للتعليم وللتربية.
- إعداد المعلم الصالح لنقل الخبرة والتعليم والتربية.
- إعداد المنهج المدرسى الصالح لتعليم المتعلمين وتربيتهم تربية دينية ودنيوية تؤهلهم لممارسة أعمالهم فى الحياة وإسهامهم فى بناء المجتمع بناء صحيحًا راشداً.
- إعداد الكتاب المدرسى الصالح الذى يزود المتعلم بما يحتاج إليه فى برنامجه التعليمى التربوى، وما يحتاجه إليه فى حياته.
- إعداد المكتبة المدرسية الصالحة التى تزود المتعلم بالعلم والمعرفة والثقافة.
- إعداد المرافق المدرسية الصالحة التى تحبب المتعلم فى المدرسة وتجعله متفاعلاً معها مقبلاً عليها.

وعند التأمل فى هذه الوسائل العامة نجدها واجب وزارات التعليم ومؤسساته،لأنها هى الأقدر على تأمينها من ناحية، ولأنها واجبها الأساسى من ناحية أخرى.

● والوسائل الخاصة مثل:

- طرق التدريس لكل مادة تدرس فى المدرسة نظرية كانت أو عملية.
- والمعينات على التدريس من أداة أو جهاز أو صورة أو حركة أو كلمة.
- والأنشطة المدرسية المصاحبة لعملية التعليم والتربية وهى عديدة -كما سنوضح-.
- والخدمات المدرسية التى تقدمها المدرسة لأبنائها وللعاملين فيها، ولأهل الحى أحيانًا وللمجتمع كله فى بعض الأحيان.

- وكلما كانت الوسيلة جيدة أى مثيرة لاهتمام المتعلم وقادرة على تحريك فكره ومشاعره، فهى أفضل وأعون على فهم الدرس، وعلى استيعاب محتواه، وعلى التجاوب مع أهدافه.
- وكلما كانت الوسيلة ذات صلة وثيقة بأهداف المجتمع، وأهداف المدرسة، وأهداف المقرر الدراسى، وأهداف هذا الدرس من المقرر، كانت أنفع وأمتع للمتعلم وأكثر إقناعًا له وتأثيرًا فيه.
- وكلما كانت الوسيلة قادرة على دعوة المتعلم إلى المشاركة فى العملية التعليمية التربوية برضا وتقبل، كانت أقرب إلى قلبه وعقله وأدعى إلى مشاركته الإيجابية، وأعون على نجاحه وتقدمه.
- وكلما كانت الوسيلة قد أُحسن اختيارها لتناسب عمر المتعلم وبيئته، ولها صلة بالدرس الذى يقدّم له صلة توضيح أو تعليل كانت ناجحة فى تحقيق الهدف.
- ومن المؤكد أن الوسائل التعليمية عندما تختار بهذه الدقة وتلك الصفات فإنها تشرك فى العملية التعليمية والتربوية معظم طاقات المتعلم وقدراته وحواسه؛ على حين نجد وسيلة التلقين فى التعليم لا تشرك سوى حاسة السمع والرغبة فى الترديد والتقليد، وذلك قصور فى وسيلة التلقين إذا قورنت بما يجب أن تثيره الوسيلة التعليمية الجيدة من طاقات وحواس فى المتعلم.

والتربية الإسلامية فى المدرسة الإسلامية تقوم على حسن اختيار الوسائل التعليمية، وعلى مدى قدرتها على تحقيق الأهداف العامة والأهداف الخاصة للعملية التعليمية.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة؛ فقد بعثه الله تعالى معلمًا كما أخبر هو عن نفسه ﷺ فى قوله: «... **إنما بعثت معلمًا**» فقد استعمل رسول الله ﷺ وسيلة بصرية أكثر من مرة عندما أشار بأصبعيه السبابة والوسطى فى أكثر من حديث. وعندما رسم خطًا فى الرمل ورسم عن يمينه خطين وعن يساره خطين.

- وإذا كانت الوسيلة التعليمية -بعدما أوضحنا- عنصرًا هامًا من عناصر المنهج، لما تؤديه من وظائف أساسية لا غنى عنها، ولما تحققه من أهداف عديدة فى العملية التعليمية كلها فهى تسهم فى توضيح المفاهيم؛ عامها وخاصها.

وتقرب هذه المفاهيم إلى الأذهان وتثير حولها التفكير والتأمل.

وتختار أحسن الصور وأنسبها لمتعة المتعلم وإشباع رغبته فى التعلم.

وتكسب المتعلم المهارات وتنميها وتحسن توجيهها.

وتعين على التغلب على كثير من المشكلات التعليمية والتربوية.

وتعمل على تكوين الاتجاهات الإيجابية.

إذا كانت الوسيلة التعليمية على هذا القدر من الأهمية فإنها تصبح ضرورة تعليمية تربوية لا يُستغنى عنها.

وإلى الحديث عن الوسائل التعليمية العامة، ثم الحديث عن الوسائل التعليمية الخاصة، والله المستعان.

أولاً: الوسائل التعليمية العامة

هذه الوسائل العامة هى واجب وزارات التربية والتعليم، كما هى واجب أى مؤسسة تعليمية تربوية تتبعها مدارس أو دور تعليم وتربية.

وهذا الواجب لا يستطيع أن يقوم به الأفراد، وإن كانوا يستطيعون أن يكملوا بعض الجوانب فيه.

وهذه الوسائل التعليمية العامة هى:

– إعداد البناء المدرسى الصالح للتعليم وللتربية.

– وإعداد المعلم الصالح لنقل الخبرة والعلم والمعرفة.

– وإعداد المنهج المدرسى الصالح للتعليم وللتربية.

– وإعداد الكتاب المدرسى الصالح.

– وإعداد المكتبة المدرسية الصالحة.

– وإعداد المرافق المدرسية الصالحة.

ولنتحدث عن كل وسيلة منها بإيجاز....

١ – إعداد البناء المدرسى الصالح:

يعتبر البناء المدرسى هو الإطار الذى يستوعب عملية التعليم والتربية، ويعطيها أحسن الفرص لتحقيق أهدافها، بل أن البناء المدرسى عند التأمل هو أهم الوسائل، لأنه إذا لم يكن بناء مدرسيا جيدا فإن ذلك ينعكس بالضرورة على فشل عملية التعليم وفشل المدرسة فى تحقيق أى أهداف.

وليس من المبالغة القول بأن المبنى المدرسى الصالح هو أهم مفردات العملية التعليمية والتربوية، وذلك أن العملية التعليمية والتربوية تتوقف على شروط بعينها يجب أن تتوافر فى المبنى المدرسى.

● والمبنى المدرسى له مكونات أو مفردات أساسية لا يمكن أن يستغنى عنها بحال، وإلا انعكس ذلك على العملية التعليمية التربوية بالقصور أو العجز المطلق.

وهذه المكونات أو المفردات هى إجمالاً:

- قطعة الأرض المناسبة من وجهة نظر الخبراء، من حيث موقعها ومساحتها وطبيعتها لإقامة المدرسة عليها، مع أخذ قربها من القرية أو المدينة فى الاعتبار.
- والفصول الدراسية التى تتلقى فيها الدروس، ومدى ما يجب أن يتوافر لها من اتساع وتهوية وإضاءة.
- والمعامل التى يمارس فيها المتعلمون دروسهم العملية التطبيقية، وما تشتمل عليه هذه المعامل من أجهزة ومعدات.
- والمكتبة العامة للمدرسة، القسم الخاص منها بالمطالعة ومدى ما زُوِّدَتْ به من كتب، ومدى ما يقدم فيها من خدمة لمن يرتادها من الطلاب أو المدرسين.
- ومبنى الإدارة المدرسية ومدى ملاءمته لممارسة الإدارة وتجهيزه وتأثيثه واختيار مكانه من البناء المدرسى.
- وحجرات المعلمين، وتجهيزها بما يتيح لهم الانتظار حينًا وتصحيح الكراسات الخاصة بالطلاب حينًا، ومقابلة بعض الطلاب فى بعض الأحيان.
- قاعات الاجتماعات، و قاعات المحاضرات العامة والمسرح المدرسى.
- المسجد المدرسى الذى تؤدى فيه صلاة الجماعة وتلقى فيه أحيانًا بعض الدروس الدينية.
- والأماكن الملائمة لممارسة الأنشطة المدرسية، وتجهيزها بالآليات المناسبة وبالخامات المطلوبة التى يحددها مدرسو الأنشطة والمشرفون عليها.
- والأفنية فى المدرسة، من حيث سعتها ونظافتها وجمالها وقدرتها على استيعاب طلاب المدرسة.
- والملاعب الرياضية المكشوفة أو المغطاة، وتجهيزها بما يلزمها من أجهزة ومعدات ونحوها.
- وأماكن الخدمات الأخرى كالمطعم والمطبخ والمقصف وغير ذلك من لوازم هذه الأماكن.
- والمرافق العامة للمدرسة دورات المياه والحمامات، ومياه الشرب، وما يلزم ذلك من تجهيزات ومعدات ونحوها.

- والحديقة المزهرة المشجَّرة فى المدرسة، ومدى ما فيها من تنسيق وجمال ويسر استعمال.

- والجمع فى المبنى المدرسى بين الناحيتين الأساسيتين فيه وهما: الناحية الهندسية الجمالية والناحية النفعية.

● ولهذا المبنى المدرسى شروط أساسية يضعها الخبراء بل مكاتب الخبرة فى المبانى المدرسية، وهى شروط كثيرة ولا يجوز الإخلال بها أو بشىء منها، وإلا انعكس ذلك على العملية التعليمية التربوية بأسوأ النتائج.

● ولابد أن يستحيب المبنى المدرسى للمتطلبات المستجدة مثل أماكن الحاسبات ومعامل تعليم اللغات وغير ذلك مما يستجد ولا تستطيع المدرسة أن تستغنى عنه.

- ومن مفردات المبنى المدرسى ومكوناته وضع خطة لصيانته وصيانة مرافقه وتجديد ما يستحق التجديد منها.

● والمدرسة الإسلامية ذات رسالة ووظيفة خلقية سلوكية إلى جانب وظائفها التعليمية التربوية، ولا تستطيع المدرسة أن تؤدى هذه الوظائف إلا إن كانت على هذا المستوى من الإعداد الفنى والجمالى والنفعى للمبنى المدرسى.

٢- إعداد المعلم الصالح:

إذا أعد المعلم -على ما سنبين- فقد ضمنت العملية التعليمية التربوية أهم وسائلها فى تحقيق أهدافها؛ وذلك أن جميع الوسائل عامها وخاصها ليس فيها ما هو أهم من إعداد المعلم الصالح.

ولبيان ذلك والتأكيد على صحته نقول:

إذا كانت عملية التربية والتعليم فى المدرسة تقوم على أسس وركائز عديدة منها:

المدرسة والإدارة والمنهج والكتاب والمكتبة، والمرافق والملاعب والمسرح والمحاضرات العامة، والأنشطة الثقافية والرياضية والأفنية، والفصل الذى يتلقى فيه الدرس، وعدد الطلاب فى كل فصل، وطول اليوم المدرسى أو قصره، وتصنيف التلاميذ حسب قدراتهم، وحسم الإدارة المدرسية وأبوتها للتلاميذ وما لا أحصى من العوامل والركائز والأسس والوسائل...

إذا كان ذلك كذلك وأردنا أن نرتب هذه الأسس والوسائل والمرتكزات حسب أهميتها،

فإن المعلم الصالح هو أهم هذه المرتكزات وأنفع هذه الوسائل للعملية التعليمية التربوية، ولا يقلل ذلك من شان الأسس الأخرى وإنما يدعمها ويقويها، ويعضدها جميعًا.

● ومن أجل أهمية المعلم الصالح فى العملية التعليمية، فإن إعداده قد شغل العلماء والخبراء من أهل التربية فأولوه من الأهمية ما هو أهل له، وأصبح اختياره لإعداده وتدريبه لا يقل أهمية عن إعداده.

وإذا كان الأنبياء جميعًا معلمين، اصطفاهم الله من خيرة عباده وأوحى إليهم فحفظوا وحيه وأمرهم بالتبليغ فبلغوا وأبانوا، وكانوا من بين أصحاب الفطنة والذكاء، والصبر والاحتمال، فإن المعلم يقوم بعمل نبى من الأنبياء عليهم السلام، فالأصل أن تكون لديهم من صفات الأنبياء ما يعينهم على أداء مهامهم، وهى تنوير الناس وتعليمهم وتبصيرهم بما ينفعهم أو يضرهم فى دنياهم أو آخرتهم.

وتبرز فى ذهنى صفات أربع كانت متوافرة فى كل نبى، حفظناها ونحن طلاب صغار فى الأزهر هى:

الصدق.

الأمانة.

التبليغ.

الفطانة.

وكل صفة من هذه الصفات الأربع ركيزة يقوم على مجموعها نجاح المعلم فى عمله.

- فالصدق فى المعلم: صدق القلب فيما يعتقد أنه الحق والثبات عليه، وصدق الكلام بتجنب كل كذب، وصدق العمل بمعنى الإخلاص فى أدائه، وصدق الموقف بمعنى الصبر على متاعب الموقف مهما تكن، وهذا الصدق من أهم صفات المعلم الذى يقوم بعمل نبى.

والأمانة: تعنى أن يكون أمينا على ما علمه الله من علم وخُلُق فينقله لأبنائه بأمانة دون إخلال بشىء منه ودون بخل ببعضه ودون تقصير فى عرضه، وهى صفة أساسية من صفات المعلم.

والتبليغ: القدرة على توصيل المعلومة التى عنده إلى من يعلمه فى لسان فصيح مبين، وكلام بليغ مؤثر، ودقة وحسن اختيار للكلمات، هكذا كان الأنبياء عليهم السلام

وهكذا ينبغى أن يكون المعلمون، بحيث لا يصلح لهذه المهمة من به عيوب فى نطق الكلام أو ضعف البيان.

والفطانة: تعنى الذكاء والفطنة والتعقل والحكمة والأناة، وكل الأنبياء كانوا كذلك أعطاهم الله هذه القدرة ثم اصطفاهم وأمرهم بالتبليغ، ومن لم يكن من أهل الفطنة فكيف يعلم غيره ويوجهه ويهديه.

ولو شئنا أن نتتبع صفات المعلم التى تمكنه من أداء عملية التعليم على وجهها لهالنا ما نعدده من صفات، وحسبنا أن ننظر إليه على أنه يؤدى عملا كعمل نبى من أنبياء الله تعالى، لنذكر مئات الصفات، لكننا نسدد ونقارب فنقول:

التدين الصحيح، والخلق القويم، والإخلاص، والعلم، والثقافة، والقدرة على القيادة والتأثير والمهارة فى كل ما يتصل بنقل المعلومة إلى الطرف الآخر، والحسم، والحنان والجدية، والصبر، والقدرة على التحمل، والتكرار لما يقول حتى يفهم عنه الآخر وسرعة البديهة وأن يكون مألفا أى يألف غيره، ويألفه غيره. واكتفى بهذا وإن الباقى لكثير.

● ونناقش فى إعداد المعلم الصالح موضوعات ثلاثة هى:

- على من تقع المسئولية فى إعداد المعلم.
- والأسس التى يختار عليها المعلم.
- والجوانب التى تُعد فى المعلم.

أ - على من تقع مسئولية إعداد المعلم؟

تقع هذه المسئولية على الدولة ممثلة فى وزارات التعليم وكليات التربية وكليات المعلمين بالدرجة الأولى، ثم على المؤسسات المعنية بتنمية المجتمع والمجتمع المدنى كله، كل جهة من هذه الجهات تسهم فى إعداد المعلم بما لها من إمكانات علمية وفنية ومالية، وإنما كان إعداد المعلم واجب هؤلاء جميعًا ؛ لأن هناك عدداً من الحقائق الهامة فى هذا المجال منها:

- الأهمية القصوى للمعلم فى بناء شخصية المتعلم بناء إنسانيًا سليمًا صحيحًا، أى قادراً على الفعل والتفاعل والإسهام فى البناء، والتقدم؛ لأن كل تقدم فى المجتمع لابد أن يكون من بين أسبابه تعليم جيد ونهضة علمية تقنية.
- واليقين بأن كل نكوص أو تراجع حضارى فى مجتمع ما، لابد أن يكون من أسبابه قصور

فى التعليم أو خلل فى برامجه، وذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بقدرات المعلم وإمكاناته وحسن إعداده للقيام بمهمته التعليمية التربوية فى المجتمع.

- والمجتمعات الإسلامية المعاصرة التى تعد متأخرة علميًا وتقنيًا إذا قورنت بالمجتمعات الأخرى التى أمسكت بزمام العلم والتقنية والتقدم، إنما حدث لها هذا التأخر لخلل فى التعليم أهدافه ووسائله، ولا يختل التعليم فى مجتمع إلا إذا كان المعلم فيه لم يختر اختياراً صحيحاً ولم يعد إعداداً جيداً.

- ونحن- المسلمين- نعتقد أن محمداً ﷺ كان معلمًا كما وصف نفسه بذلك- وهو لا ينطق عن الهوى- فقد روى ابن ماجة بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حُجَره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين، إحداهما يقرأون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال: «**كلٌ على خير؛ هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلمًا**» فجلس معهم، فالمعلم أساس فى بناء المجتمع.

- والإسلام دين العلم، ومن المقرر فيه على لسان المعصوم ﷺ: أن العالم أفضل من العابد، وأن العلماء ورثة الأنبياء، ومن أخذ العلم فقد أخذ بحظ وافر، وأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأن طلب العلم من مظانه مهما كانت بعيدة أمر مرغوب فيه، وأن المعلم والمتعلم بمنزلة المجاهد فى سبيل الله تعالى(١).

● وكل هذه الحقائق تؤكد لنا أن المعلم حجر الأساس فى النهضة العلمية، والنهضة هى طريق النجاح والفلاح وسعادة الدنيا والآخرة.

لهذا ولغيره كانت مسئولية إعداد المعلم منوطة بهذه الجهات جميعًا، وكان تقصيرها فى إعداده إحدى الجرائم التى يحاسب الله تعالى صاحبها حسابًا عسيرًا، لأنه سبحانه طالب على لسان رسوله ﷺ بالعمل من أجل الدين والدنيا، ولا عمل له وزنه وفاعليته دون علم، ولا علم دون معلم جيد.

ب- أسس اختيار المعلم:

الأصل أن يختار من يُعد ليكون معلمًا من بين أفضل العناصر التى أنهت مرحلة التعليم الذى يسبق التعليم الجامعى، لأنه سيعد لأفضل عمل يقوم به الإنسان وهو تعليم سواه، وقد أكدنا أنه يقوم بمهمة تشبه مهمة الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) رويت أحاديث شريفة فى كل ذلك - انظر ابن ماجة: سننه: ١/٩٨-١٠١. ط، بيروت دار الفكر دون تاريخ.

لذلك كانت الأسس التى يختار عليها من يعد ليكون معلمًا أسسًا مستوعبة لكل الجوانب فى شخصية من يقع عليه هذا الاختيار، وعلى سبيل المثال فلابد من مراعاة الجوانب التالية:

- **الجانب الدينى:**

أى يختار ممن يتمسكون بقيم الدين ويحرصون على السلوك القويم فى الحياة أى يكون ملتزمًا بما أحل الله وما حرم، ويتضح ذلك فى عباداته وطاعته وإخلاصه وحبه للخير ومعاداته للشر، وتأييده لكل ما هو حق، ومقاومته لكل ما هو باطل تاركًا الحكم على الشىء أو المواقف بأنه حق أو باطل كما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة المعصوم ﷺ؛ ومن كان متدينًا عرف واجبه وأداه على أحسن وجه، لأنه يراقب الله تعالى فى قوله وعمله وسلوكه.

- **والجانب الخلقى:**

بمعنى أن تكون أخلاقه منضبطة مع القيم الخلقية الإسلامية، إذ تنعكس هذه الأخلاق على تلاميذه حبًا فى الفضائل وابتعادًا عن الرذائل وحبًا للخير وكراهية للشر، وحفاظًا على كل قيمة فاضلة، وحفاظًا على الناس حقوقهم وممتلكاتهم، وعلى الوطن مرافقه ومصالحه.

- **والجانب الشخصى فيه:**

ويتمثل هذا الجانب فى أمور هى:

- حسن مظهره، سمتًا وملبسًا، ونظافة.
- وقوة بدنه، وسلامته من الأمراض.
- وانطلاق لسانه وقدرته على الإبانة، دون تلعثم أو إخلال بمخارج الحروف، ودون تسرع أو تباطؤ.
- ووضوح صوته وتوسطه فى العلو والانخفاض.

واعتدال خَلْقه وسلامة جسمه من العيوب الخلقية، فلا يكون بائن الطول ولا بيِّن القصَر، ولا مفرطًا فى السمنة أو النحافة، أو كبير الأنف بشكل يلفت النظر إليه، ومن كان من الناس غير مستوف لهذه الصفات فإنه يصلح لأعمال كثيرة لكن ليس من بينها أن يكون معلمًا.

- والجانب المهني:

أى حب من اختير ليعد معلمًا لمهنة التعليم وميله إلى ممارستها، وهذا تكشف عنه أسئلة وحوارات فى قضايا تطرح عليه وهو يختار ويختبر، فإن لم تعرف عنه هذه الرغبة وذلك الميل، فإنه لن ينجح فى ممارسة التعليم، وسوف ينعكس على من يعلمهم قصورا وعجزا، وعدم قدرة على التقدم فى مجال العلم والتعلم، لأن معلمهم غير محب لمهنة التعليم.

إن المحب لمهنته يبدع فيها ويتفوق، وينتقل هذا الإبداع والتفوق لتلاميذه.

بل إن المحب لمهنته يولد عنده هذا الحب حماسة وإقبالا على العمل وغيرة عليه ورغبة فى أن يكون جهده فيه مؤديًا إلى تجويده، وأدائه على أحسن وجه.

جـ- الجوانب التى تُعدّ فى المعلم:

إذا كانت الجوانب التى يجب أن تراعى فيمن يعد ليكون معلما هى الجانب الدينى والخلقى والشخصى والمهنى على النحو الذى فصلناه، والذى له غاية الأهمية كما أوضحنا، فإن كليات التربية والمعلمين والمعاهد ذات الاهتمام بإعداد المعلم ، عليها أن تراعى كل هذه الجوانب فى اختياره، ثم عليها أن تربى فيه جوانب أخرى لتتكامل شخصيته فيصبح المعلم الجيد القادر على تعليم تلاميذه وتربيتهم.

ومن هذه الجوانب التى تربيها كليات التربية وكليات المعلمين وتوليها اهتماما:

- الجانب العلمي:

أي تزويد المعلم بالعلم والمعرفة فى مجال تخصصه، وفق مناهج علمية أعدها خبراء أو علماء متميزون لهم دراية وعلم بكل ما يحتاجه المتعلم مما يمكنه من أداء عمله على وجهه الأكمل، ومما يدعم هذا الجانب العلمي ويقويه أمور:

- التدريب النظرى والعملى على تدريس مادته التخصصية، مع استعمال كل الوسائل التى تقربها إلى عقول أبنائه وتيسرها لهم، بل تمكنهم منها.

- والتعمق العلمي بمعرفة ما كتب فيها من بحوث ودراسات ومدى ما تطورت إليه هذه المادة، وما الجديد فيها علمًا وطريقة ووسيلة إيضاح؟

- ودراسة جيدة لعلم النفس عموما وعلم النفس التربوى على وجه الخصوص، لأن علم النفس هنا هو على وجه الحقيقة علم التعامل مع النفس التى نعلمها ونربيها.

والتعامل مع النفس الإنسانية عموما لتعليمها وتزكيتها مطلب قرآنى تحدثت عنه آيات

القرآن الكريم فى مناسبات ومواقف عديدة، حتى ليسوغ لنا أن نقول: إننا لدينا علم نفس إسلامى متكامل[1] قبل أن يتحدث عنه علماء النفس فى الغرب.

- **والجانب الثقافى:**

تعد الثقافة التى يجب أن يتزود بها المعلم متنوعة ومتعمقة وضرورية، وذات صلة مباشرة وغير مباشرة بمهنته.

وهذا التنوع فى ثقافة المعلم تقتضيه ظروف المهنة، فإن عشرات الأسئلة توجه إليه وكل سائل يوقن بأنه سيجد الإجابة عند أستاذه ومعلمه.

ومن أجل ذلك وجب أن تكون ثقافة المعلم متنوعة بل شديدة التنوع، وهناك حد أدنى لتنوع ثقافته لا يجوز القصور فيه، أيًّا كانت المادة العلمية التى يقوم بتدريسها، وعلى سبيل المثال:

- لابد من ثقافة دينية تمكنه من الإجابة عن الأسئلة الدينية مهما كان تخصصه الذى يقوم بتدريسه.
- وثقافة عربية تمكنه من اتخاذ اللغة العربية الفصيحة وسيلة للتعبير عن المادة العلمية التى يدرسها.
- وثقافة علمية عامة تجعله على صلة بما اكتشف وما جد فى العالم وفى المجتمع الذى يعيش فيه، مع ثقافة علمية خاصة بالمادة التى يدرسها، وكيف تطورت وإلى أين وصلت؟
- وثقافة سياسية تمكنه من معرفة النظريات والنظم السياسة في وطنه المحلى والعربى والإسلامى، وتسمح له أن يكون رأيا سياسيا يدين به ويعمل من أجله، مع وجوب التدقيق فى اختيار هذا الرأى بحيث لا يتعارض مع قيم الإسلام ولا مع حرية الأوطان وحقوق الإنسان.
- وثقافة اجتماعية تسمح له بمعرفة أبرز القضايا والمشكلات الاجتماعية على مستوياتها الثلاثة؛ المحلية والعربية والإسلامية، مع الإلمام بأساليب مناقشة هذه القضايا وحل هذه المشكلات.
- وثقافة اقتصادية تجعله ملمًا بما يحيط به وبأوطانه من مشكلات اقتصادية نابعة من داخل هذه الأوطان أو مفروضة عليها من خارجها، مع تدارس أسباب هذه المشكلات، ووسائل التغلب عليها، على أن يكون التغلب عليها نابعا من تصور إسلامى مدروس لهذه الحلول.

---

(١) أرجو الله أن يوفق ويمنح من الأسباب ما يمكننى من وضع كتاب فى هذه الموضوعات تجمع، وتسمى علم النفس فى الإسلام.

- وثقافة فى أهم مجالين للمعلم من الناحية المهنية وهما: مجال التربية ومفرداتها، وأهدافها والتربية الإسلامية بالذات، ومجال علم النفس، وكيف يتغلب به على مشكلات تلاميذه، ويدخل فى هذه الثقافة كل تطور وجديد يحدث فى طرق تدريس مادته التى يدرسها.
- وثقافة صحية عامة،هدفها التعريف بأسباب الأمراض وبخاصة المحلى منها، أو المتوطن فى بلد بعينه، ومعرفة إزالة هذه الأسباب، ثم معرفة الوقاية من هذه الأمراض ومعرفة علاجها إن وقعت.
- وثقافة رياضية يعرف من خلالها أثر الرياضة فى الإنسان وضرورتها له، مع الممارسة لنوع منها حتى يكون بدنه رياضيًا قويًا، وأهم ما يجب أن يلم به فى هذا المجال هو معرفة الأضرار التى تعود على الإنسان إن لم تكن له ممارسة للرياضة البدنية.

مع التحذير من التعصب للأندية الرياضية وبيان سلبيات هذا التعصب وخبث التيارات التى تعمل على نشره فى الناس وإذكائه

- **والجانب الدينى الخلقى**:

تحدثنا آنفا عن أسس اختيار المعلم، فاشترطنا الجانب الدينى والجانب الخلقى فيمن يقع عليه الاختيار ليدخل إحدى كليات التربية أو المعلمين أو المعاهد الخاصة بذلك.

ونقول هنا: إن كليات التربية والمعلمين ونحوها مطالبة بأن تعد للملتحقين بها بعد اختيارهم برامج دينية خلقية تستهدف:

- حب الدين والتعلق به وبمصادره ومراجعه والأخذ منها بقدر كاف يحقق المعرفة.
- وممارسة التدين عمليا، لأن الدين فى جوهره ليس فلسفة، ولا هرطقة، وإنما هو معاملة وسلوك، والتزام بما أمر الله به لينفذ وبما نهى عنه ليتجنب.

وكذلك ممارسة الأخلاق التى دعا الإسلام إلى التمسك بها ومجملها ما جاء فى القرآن الكريم، والابتعاد عن الأخلاق التى نهى عنها الإسلام فى آيات الكتاب الكريم وفى كلمات المعصوم ﷺ.(١)

- وإذا كانت الدراسة فى كليات التربية والمعلمين أربع سنوات فإنها مدة كافية لتحصيل ما لابد منه من الدين ومن أخلاق الإسلام، والتدريب على التدين الصحيح، والأخلاق القويمة.

على أن شرط نجاح الكليات فى ذلك أن تتقيد هى بالتدين وأن تدخل فى خطتها

---

(١) جاء ذلك فى كتب السنة النبوية، وقد جمعها الإمام السيوطى فى جامعه الصغير فى اكثر من مائة وسبعين حديثًا نبويًا. كلها تبدأ بـ: نهى رسول الله ﷺ - انظر: الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير- تاليف محمد ناصر الألبانى، ط المكتب الإسلامى بيروت: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

وبرنامجها أداء صلوات الجماعة فى مسجد الكلية إذا حان وقت الصلاة على ألا يتخلف عن أداء هذه الفرائض أحد، وقد طبق هذا ونجح فى كثير من كليات الجامعات فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

كما أن سنوات الدراسة الأربع فى هذه الكليات تسمح للطالب أن يتدرب على ممارسة أخلاق الإسلام، وطريقنا معشر المسلمين فى التدرب على ذلك سهلة ميسورة ؛ هى اتخاذ النبى ﷺ قدوة فى كل أمورنا، ومن هنا أذكر بما قلته وأكدت عليه من ضرورة الاهتمام بسيرة النبى ﷺ فى كل مدرسة إسلامية مهما كان نوعها ومهما كانت مرحلتها التعليمية.

- **والجانب المهنى:**

أى إعداد المعلم ليمارس مهنة التدريس، وهذا الإعداد ضخم بعيد المرامى، متعدد الأنواع، بحيث يتمكن المعلم من خلاله أن يمارس تدريس المادة التى تخصص فيها بكفاءة علمية واقتدار فنى، تدخل فيه طريقة التدريس ووسيلته كما يدخل فيه التعمق العلمى فى تخصصه، وذاك لا يكون إلا إذا كان المدرس جيد الصلة بتراث المادة التى يدرسها وما دخل عليها من تجديد.

● ومن أجل أن هذه المهمة ثقيلة من جانب وعلى درجة عالية الأهمية من جانب آخر، كان لابد لنا أن ننبه ونحدد الجهات أو الهيئات التى تناط بها هذه المهمة، وهى:

- كليات التربية وكليات المعلمين.
- وإدارات التدريب فى وزارات التربية.
- والمعلِّم نفسه.

● أما كليات التربية وكليات المعلمين ونحوها فإن واجبها فى هذا المجال ضخم نشير إلى بعضه فيما يلى:

■ تعميق العلم فى مجال التخصص، ووصله بأحدث الدراسات والبحوث العلمية والتطبيقية «التقنية» حتى لا ينعزل عن مادته التى يدرسها وعما جرى فيها وأدخل عليها من تطوير وتغيير وإعادة نظر، وبالتالى يجد المعلم نفسه منعزلا عما يحيط به وبمادته من جديد، فيفقد القدرة على توجيه أبنائه توجيها يلائم الزمن الذى يعيشون فيه من الناحيتين الاجتماعية والإنسانية، لأن ذلك فى صميم أدائه المهنى الذى لا يقوم به سواه.

إن تعميق العلم للمعلم فى مجال تخصصه يكسبه خبرات وتجارب ويوقفه على

جديد الأفكار وأكثرها فاعلية وجدية، ويمكن المعلم من القدرة على مواكبة المتغيرات والتعامل معها تعاملاً لا يمس الثوابت فى شخصية المعلم كالعقائد والعبادات والقيم الخلقية، وبالتالى لا يمس ثوابت أبنائه فى المدرسة ولا ثوابت المجتمع المسلم.

- وتحبيب المعلم فى مهنته التى هى شبيهة بعمل الأنبياء عليهم السلام، ليتيسَّر له أداؤها والقيام بواجباتها، وتذليل الصعاب والعقبات من طريقها، لأن من أحب أمراً أقبل عليه وأحاطه برعايته واهتمامه وباعد بينه وبين المخاطر التى يتعرض لها، ولا نقصد هنا الحب الذى يصفه بعض الحالمين بأنه يعمى ويصم، ولكن نقصد الحب المبنى على البصر والبصيرة القادر على توليد العواطف النبيلة والحوافز البناءة لتجويد هذه المهنة والاستمرار فى أدائها بإخلاص، واقتداء بإمام المعلمين محمد ﷺ الذى بعثه الله تعالى معلما، ولولا أن نطيل لفصلنا القول فى إعداد المادة العلميـة التى يتولى المعلم تدريسها لكن ذلك هو عمل الخبراء والعلماء المتخصصين، وما نذكره هنا مجرد تسديد ومقاربة.

- وتقسيم العلوم الى يتلقاها المعلم فى هذه الكليات شأن يقوم به الخبراء والعلماء، ولكننا نشير إلى الحد الأدنى الذى لا ينبغى النزول عنه فى إعداد المعلم ليتكامل بناؤه وتتكامل قدراته ومهاراته، وهذا الحد الأدنى فى تصورى هو بعد الدين والخلق، لجميع المعلمين مهما تكن تخصصاتهم، هو:

– قدر ملائم من العلوم الطبيعية فيزياء وكيمياء وعلوم الأحياء فى مجال الحيوان والنبات، وطبقات الأرض.

– وقدر ملائم من الرياضيات الأساسية كالجبر والهندسة والحساب، ونحو ذلك مما لا ينبغى أن يجهله أى معلم.

– وقدر ملائم من العلوم الاجتماعية فى مجال التاريخ والجغرافيا والاجتماع والفلسفة، وعلم النفس وعلم التربية.

– وقدر ملائم من اللغات مع التركيز على لغة القرآن الكريم والسنة النبوية – العربية – وإلى جوارها لغة أخرى إجبارية وثالثة اختيارية، تختار من بين عدد من اللغات التى لا يليق بالمعلم أن يجهلها.

- وفى مجال تخصص المعلم الذى يقوم بتدريسه لابد من إلمام بعلوم ضرورية تعينه على إجادة التعليم فى تخصصه، ونذكر منها؛ فى الجانب النظرى:

– أصول التربية وتاريخها، ومناهجها، والتربية المقارنة.

- وطرق تدريس مادة التخصص ووسائلها.
- والتقنية فى مجال التعليم، ومدى ما وصلت إليه.
- وعلم الإدارة عموما وإدارة المدرسة على وجه الخصوص.
- وعلم الحاسب الآلى وما يتصل به.

● ونذكر من هذه العلوم الضرورية التى تعينه على إجادة التعليم فى تخصصه، الجانب العملى المكمل للجانب النظرى، ومنها:

- تدريب عملى على تدريس مادته التى تخصص فيها يحدد زمنه ومدته الخبراء والعلماء المختصون فى هذه الكليات.
- وتدريب عملى وممارسة للرياضة البدنية، لما لها من تأثير فى بناء جسد المعلم بناء قويًا يعينه على أداء مهنته بمهارة وكفاءة.
- وتدريب عملى على نشاط فنى من الأنشطة التى تمارس فى المدرسة(١) لأنه قد يكلف بالقيام ببعضها بالإضافة إلى عمله الأساسى فى تخصصه.
- والتدريب العملى على إدارة المحاضرات العامة والندوات والمؤتمرات والمناظرات، ونحوها من الأنشطة الثقافية.
- والتدريب على بعض الخدمات التى تؤديها المدرسة لأبنائها أو لأبناء الحى الذى أقيمتْ فيه، أو المجتمع عموما(٢)

وهذا الجانب العملى من إعداد المعلم مكمل لشخصيته ولعلمه ومهارته، ولا يجوز إغفاله أو تجاهله بحال.

وهذا التدريب العملى تقوم به كليات المعلمين وكليات التربية ومعاهدها، تحت إشراف خبراء وعلماء من أساتذة هذه الكليات.

● وأما إدارات التدريب فى وزارات التربية فإنها يناط بها إعداد المعلم، ورعايته عمليا، بحيث لا يقل واجبها عن واجب كليات التربية وكليات المعلمين ومعاهد إعدادهم.

ونستطيع القول بأن التدريب العملى للمعلم نوعان:

- نوع تقوم به الكلية أو المعهد الذى يعد المعلم، ويمكن أن نسمى هذا التدريب: التدريب المؤهل لممارسة العمل التعليمى وقد تحدثنا عنه آنفاً.

---

(١) سوف نتحدث بتفصيل معقول عن الأنشطة المدرسية؛ لأننا نعدها إحدى الوسائل الخاصة فى تحقيق أهداف المدرسة الإسلامية.

(٢) سنتحدث عن الخدمات التى تؤديها المدرسة باعتبارها وسيلة من وسائل تحقيق أهداف المدرسة الإسلامية.

- والنوع الآخر هو التدريب المستمر بعد ممارسة المعلم للتعليم، وهو ما تقوم به إدارات التدريب فى وزارات التعليم، وهو الذى نتحدث عنه الآن؛ فنقول:

- إدارات التدريب تتبع فى الغالب فى عالمنا العربى والاسلامى وزارات التربية والتعليم، وهى التى تضع لها برامجها وتحدد لها أهدافها ووسائلها فى التدريب.

لكن الذى يلحظ فى هذه الإدارات التدريبية جميعا أنها تكاد تكون فى تدريبها مقصورة على من يرشحون لأعمال إدارية فى المجال التعليمى، وهذا جيد ومطلوب، لكن اهتمام هذه الإدارات بتدريب المعلم أثناء ممارسته للتعليم لزيادة علمه وكفاءته وإقداره على مواكبة النهوض بالتعليم وترقية الأداء فيه، لا تحظى بالاهتمام الواجب، أو الملائم، وهذا قصور يؤخذ على هذه الإدارات نرجو أن تتلافاه.

- إن تدريب المعلم بعد ممارسته للتعليم عمل ضرورى، يسهم فى ترقية العملية التعليمية كلها،وهو أمر مطلوب باستمرار وإلا جمد المعلم على ما عرفه وتدرب عليه فى كليته ، وهذا إهمال لتطوير عمل المعلم، وإخلال بقدرته على التجويد للعمل ومواكبة أحدث ماجرى فيه من تغييرات.

- والأصل فى إدارات التدريب أن يكون القائمون عليها والمنفذون لتدريباتها نخبة من صفوة أعضاء الأسرة التعليمية، يمثلون جميع المواد العلمية والعملية التى تدرس فى جميع المدارس على مختلف أنواعها ومتعدد مراحلها، وأن يكونوا جميعا من الحاصلين على أعلى المؤهلات الدراسية فى مجال تخصصاتهم مع سابق خبرة فى التعليم وشهادة بكفاءتهم فيه.

- والحديث فى مجال التدريب ذو شعب وتفاريع عديدة، لا نستطيع أن نقول فيه الكلمة الأخيرة، وإنما نسدد ونقارب ونسأل الله تعالى العون والتسديد.

أولا: أنواع الـمُدَرَّبين:

- **النوع الأول منهم**: هم كل من مضى عليه فى ممارسة التدريس عامان دراسيان، وهؤلاء يدربون على:

تجويد التدريس وتجديده أى الأخذ بكل الأسباب التى تجعل تدريسهم جيداً وجديداً وهذه الأسباب كثيرة منها:

- التذكير الدائم بالهدف من التدريس لأى مادة.
- والتذكير بالهدف من تدريس هذه المادة.
- والعمل على إشراك التلميذ فى التدريس، أى تكليفه بتدريس بعض الموضوعات.
- والتعرف على أحدث الوسائل التعليمية وأجداها فى مجال الإعانة على التوضيح.

● والاطلاع على البحوث والدراسات التى تتصل بالمادة التى يدرسها وعلى مدى ما حدث فيها من تطوير علمى وفنى.

● **والنوع الثانى من المدرَّبين**: هم المرشحون لوظيفة مدرس كبير أو أوَّل، وهؤلاء يستحسن أن يكونوا قد أمضوا فى ممارسة التدريس بمهارة واقتدار خمس سنوات أو ستًّا، وهؤلاء يشتمل تدريبهم على:

■ التعمق العلمى فى المادة التى يدرسونها بترشيح مراجع هامة فى هذا المجال مع تيسير اطلاعهم عليها.

■ والتعمق الفنى والتقنى فى تدريس هذه المادة التى يتولى تدريسها على أعلى مستوى توصلوا إليه.

■ والتحديد الدقيق لأعمال المدرس الأول أو المدرس الكبير بحيث لا تترك هذه الأعمال للاجتهاد الشخصى، أو أن تترك دون تحديد. وتوضيح الجانب العلمى فيها والجانب الفنى وجانب العلاقة الطيبة بالمدرسين.

■ وتحديد علاقته بإدارة المدرسة التى يعمل فيها.

■ وتحديد علاقته بإدارة التوجيه الفنى فى القطاع الذى تتبعه مدرسته.

■ وتحديد عمله فى الأنشطة والخدمات المدرسية.

■ ووضع حوافز معنوية ومادية لمن يختار لعمل المدرس الكبير أو المدرس الأول.

● **والنوع الثالث من المدرَّبين**: هم المرشحون للعمل فى التوجيه الفنى فى إحدى المواد التى تدرس فى المدرسة، وهؤلاء يدربون على:

■ الهدف من التوجيه فى مادة من مواد الدراسة، وأنه بالضرورة ليس تصيد الأخطاء ولا تتبع العورات، وإنما الطابع العام له هو العون والتسديد والتوجيه إلى الأحسن لهذه المادة العلمية.

■ وتوضيح وسائل التوجيه المثلى وهى التى تجعل العلاقة بين الموجِّه والموجَّه علاقة تستهدف صالح العملية التعليمية، لا التفتيش - كما يحلو للبعض أن يسموه -.

■ وأن التوجيه الصحيح هو ما يسبقه حوار ومناقشة بين الموجِّه والمعلمين قبل بداية عمل الموجِّه، وليكن حواراً حرّاً، يبدى فيه كل برأيه.

■ وأن التوجيه فى جوهره تعاون بين الطرفين ليصبح تدريس المادة الدراسية على أعلى مستوى ممكن.

■ التعرف على المشكلات والمعوقات التى تعترض الطريق القويم للتعليم، سواء أكانت مشكلات تتصل بإمكانات المدرسة فصولا وآليات وكثافة عدد الطلاب فى الفصل الواحد، والتعاون على حلها مع سائر الجهات ذات العلاقة بهذه المشكلات والمعوقات.

● **والنوع الرابع من المدرَّبين**: هم المرشحون لوظائف إدارية فى مجال التعليم كوكلاء المدارس ومديريها أو إلى وظائف أعلى من ذلك، وهؤلاء يشتمل تدريبهم على:

■ التعريف الدقيق للوظيفة الجديدة، طبيعة العمل فيها، وأعبائها ومتطلباتها، تعريفًا مكتوبًا، يسلم لكل مرشح فى يده، ويحاور فيه فى جلسات مفتوحة يعبر فيها كل مشارك عن رأيه بوضوح.

■ محاضرات وتدريبات فى علوم الإدارة، وأساليبها يقوم بها نخبة من المتخصصين فى العلوم الإدارية.

■ ومحاضرات وتدريبات فى إدارة المدارس والقطاعات التعليمية يقوم بأدائها والتدريب عليها خبراء فى هذا المجال لهم وزنهم العلمى والفنى.

■ وزيارات ميدانية لبعض المدارس الكبيرة الناجحة فى إدارتها، وزيارات لبعض قطاعات التعليم الناجحة، مع عقد حلقات مناقشة وحوار حولها.

■ وتدريب عملى على إدارة بعض المدارس التجريبية فى هذا المجال، قبل إسناد الوظائف إليهم.

● **والنوع الخامس من المدرَّبين**: هم المرشحون لإدارة المناطق أو القطاعات التعليمية، أو المرشحون لوكالة وزارة التربية نفسها، وهؤلاء هم قمم العمل الإدارى فى وزارات التعليم، وبصلاحهم يصلح من دونهم من المديرين، وبالإهمال فى إعدادهم تنهار معظم الأعمال الإدارية فى الوزارة أو المنطقة التعليمية، وهؤلاء يشتمل تدريبهم على أعلى المستويات فى مجالهم، ومن ذلك:

● تذكيرهم بالهدف من وجود وزارة التربية والتعليم والهدف من إيجاد القطاعات أو الإدارات التعليمية، لتزداد رؤيتهم وضوحًا فى مجال مستوياتهم.

■ وتحديد مهامهم مكتوبة وتسليمها إليهم لقراءتها، ثم الحوار والمناقشة فيها، بحرية.

● والتأكيد على إبعاد هؤلاء المديرين أو المسئولين عن الدجل السياسى بتقريب المنافقين مهما قلت كفاءتهم، وإقصاء الأكفاء إذا لم يحسنوا النفاق لكبار المسئولين، لأن هذه الظاهرة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ذات الحكم الشمولى المستبد هى التى جعلت التعليم وغيره فى تلك البلاد يعانى فشلاً وإحباطًا وتبديدًا لأموال الدولة فى غير طائل.

● وتدريبهم على الإخلاص فى العمل لذات العمل ونبل هدفه، بعيداً عن إرضاء الرؤساء، والاستعداد لاستقبالهم وزياراتهم بما يعطل العمل ويعوق أهدافه، وذلك من منطلق حقيقة ضخمة هى موضع احترام الدولة الناجحة المتقدمة، تلك الحقيقة هى أن الأفراد إلى زوال وأن الأعمال هى الباقية.

● وتدريبهم على سعة الصدر وحسن الاستماع للرأى الآخر ومناقشته بحياد وموضوعية والاستعداد لقبوله، مع احترام صاحبه سواء قبل اقتراحه أو رفض؛ وذلك أن هذا الأسلوب هو الذى ينضج الرأى ويدنى من الصواب ويعلى شأن الحق وشأن الالتزام به، وهو الطريق إلى تقدم الأمم ونهوضها.

● ومن أهم واجبات إدارات التدريب إلزام جميع المدربين فى جميع المواد الدراسية بأن تكون لغة تدريس أى مادة - ما عدا اللغة الأجنبية - هى اللغة العربية الفصيحة، وبخاصة فى العالم العربى، فلذلك أثره فى إعطاء اللغة العربية لغة القرآن مكانتها اللائقة بها، والاعتزاز بها وعاءً للفكر فى العالم العربى، لما لذلك من مردود إيجابى على المجتمع المحلى، والمجتمع العربى، بل المجتمع الإسلامى كله، لأن لغة القرآن هى التى يقرأ بها القرآن الكريم فى الصلوات الخمس المفروضة على المسلمين جميعًا.

● وأما المعلم نفسه، وما يقوم به من جهد فى إعداد نفسه للتعليم وممارسته بكفاءة فيما يتصل بمادته التى يدرسها، فهو أقدر الناس على إعداد نفسه لهذه المهنة الشريفة التى هى من صميم عمل الأنبياء عليهم السلام؛ فلماذا كان ذلك؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول:

- المعلم أدرى بما ينقصه لكى يؤدى عمل التعليم على أكمل وجه وما ينقص المعلم قد لا يعرفه أحد سواه:

■ فقد ينقصه التعمق العلمى فى مادته.

■ وقد تنقصه النواحى الفنية والحرفية.

■ وقد تنقصه سعة الأفق فى الإلمام بما يحيط بمادته من مشكلات ومعوقات.

■ وقد ينقصه سعة الصدر، والحلم، والصبر، والتواضع، والثقة بالنفس، والتسامح وما إلى ذلك من قيم تتصل بالتعليم.

■ وقد ينقصه حسن المظهر والوقار وهدوء السمت.

وفى جميع الحالات فإنه وحده الذى يستطيع أن يكمل هذا النقص ويسد هذا الخلل، ويعالج هذا القصور، وذاك نوع من التربية نسميها: «التربية الذاتية»[1] حيث يربى المعلم نفسه بأخذها بما يجب أن تؤخذ به، مما يعرف هو وحده حاجته إليه.

● وإنما يستطيع المعلم ذلك فى ظل عدد من الحقائق التى يجب أن يضعها نصب عينيه مادام يعمل بالتدريس، وتلك الحقائق هى:

– أن يتابع ما يكتب وما ينشر فى مجلات التربية وغيرها من المجلات والصحف والنشرات المعنية بقضايا التعليم والتربية وما يتصل بمهنة التدريس، ليقرأ ويتدبر، ثم يقيس نفسه وإمكاناته على ما قرأ، ثم يحاول أن يعد لنفسه برنامجًا يستكمل من خلاله ما يراه ناقصًا فيه، فتلك هى التربية الذاتية التى يربى بها نفسه.

– وأن يلزم نفسه بحضور المحاورات والمناقشات العلمية فى مجال تخصصه، كالندوات والمؤتمرات التربوية ليسمع ويستوعب ثم يعمل ويعد نفسه، وأضعف الإيمان فى ذلك عندى؛ أن يحضر مناقشة الرسائل العلمية الجامعية فى كليات التربية والمعلمين ومعاهد إعداد المعلمين، إذ قلما يمضى عام دراسى جامعى دون أن تناقش رسائل عديدة للحصول على الدرجات العلمية فى مجالات التربية الواسعة.

– وأن تكون لديه مكتبة منزلية فى مادة تخصصه يجمع فيها كل ما له علاقة بتخصصه، وأن يجعل القراءة فى كتب هذه المكتبة عملا لا ينقطع عنه إلا لضرورة؛ فإن هذا هو الذى يزوده بكل مفيد وكل جديد فى مادته، وبغير ذلك يصدأ علمه، وتتقادم طريقته ووسائله، وما وراء ذلك إلا العجز عن ممارسة المهنة على صورتها الصحيحة، أو القصور فى ذلك.

---

(١) هذا التعبير: «التربية الذاتية» من مصطلحات فقه الدعوة إلى الله، حيث يطالب الداعية إلى الله إن حُرِم المنهج والظروف أن يعد منهجًا لنفسه يربى فيه نفسه تربية ذاتية.

● والذى اقترحه أن تتبنى وزارات التربية فى العالم الإسلامى طبع جميع الرسائل العلمية التى لم تطبع فى كل مجالات التربية بدل أن تظل قابعة فى مكتبات الكليات لا يستفيد منها ومن الجهد العلمى فيها إلا أقل القليل.

● وما أحسن أن تزود إدارة المكتبات المدرسية معظم المدارس بنسخ من هذه الرسائل الجامعية المطبوعة، وأن تيسر للمعلم الحصول عليها اقتناء بأن تجعل بيعها بسعر التكلفة.

إن فى هذه الرسائل الجامعية كنوزا يحتاج إليها المعلم والمدير ووكيل الوزارة والوزير، لأن ذلك هو الإبداع العلمى الحقيقى الذى ينفع المجتمع.

● إن ما سيقوم به المدرس مما اقترحنا– فى ضوء هذه الحقائق– هو الحد الأدنى لما نسميه: «تربية ذاتية» مستمرة واجبة على كل صاحب مهنة، ولكن وجوبها على المعلم آكد من وجوبها على غيره، لخطر العمل الذى يقوم به وقوة تأثيره على المجتمع كله، ما يشك فى ذلك أحد.

● وفى مقابل ذلك– والمقابل الحق هو ما عند الله – فإن على وزارات التربية أن تنصف المعلم، وأن تكفل له المقابل المادى الذى يمكنه من حياة إنسانية كريمة له ولأبنائه، وأن ترصد لهم من المكافآت ما يغنيهم ويكفيهم، ويجنبهم السعى نحو عمل آخر، أو عمل مساند لدخله المحدود.

● والذى أتصوره أو أستطيع قوله باطمئنان: أن وزارات التربية والتعليم لو قدرت المدرس ماديًا وأدبيًا، وكفلت له العيش الإنسانى الكريم، لانصرف المدرس بكل طاقته إلى عمله يجوده ويحسن فيه، وذلك عند التأمل والتدبر هو أجدى على المجتمع كله حاضره ومستقبله من أى استثمار فى مجالات عديدة، تعطيها الحكومات قصيرة النظر لمجالات أخرى، إن الاستثمار فى التعليم والتربية هو الدرع الحصينة لأى دولة ضد الأمية والجهل، وضد البطالة، وضد المرض والفقر، بل ضد العجز الاقتصادى والسياسى، وضد التخلف والتراجع الحضارى.

– إن التصور القديم البالى للإنفاق على التعليم، على أنه لمجرد محو أمية القراءة والكتابة تصور ممعن فى الخطأ والخلل، إذ الإنفاق على التعليم، يمحو أمية الزراعة والصناعة والتجارة، ويمحو أمية العلم والمعرفة، ويمحو بل يزيد كل أسباب التخلف والتراجع الحضارى.

- إن الإنفاق على التعليم استثمار يُحسِّن تكوين الطبيب والمهندس والمعلم والتاجر والزارع والمنتج لأى سلعة أو خدمة، والمسوق لهذه السلعة أو الخدمة والمصدر لها خارج البلاد، مما يعود على المجتمع كله بالرواج.

إن دول العالم قد أفاقت على هذه الحقائق وعملت وفقها، باستثناء الدول ذات الحكم الشمولى المكمم للأفواه المليء بالمنافقين الذين يحسبون كل صيحة عليهم، فيحاربون الكلمة ويملأون السجون بأصحاب الرأى، ويوزعون على الناس أسباب الحياة بالبطاقات حتى يظل الناس عبيدا للحكومة، لأنها وحدها التى تمنح وتمنع وتسجن وتقتل، وتحبس الأنفاس وتروع القلوب[1]، وتغالط الناس وتلبس الباطل ثوب الحق، وتتحدى الإسلام- أقوم نظام اجتماعى عرفته الإنسانية- عيانًا بيانًا وجهاراً نهاراً، وتخشى أن يصل الإسلاميون إلى الحكم ولو من خلال صناديق الاقتراع.

- ومن أجل ذلك تجد الأمم التى عملت وفق هذه الحقائق تتقدم، والأمم الواهمة ذات الحكم الاستبدادى تتأخر بل تتقهقر، وتخسر فى كل يوم أرضًا ومواقع، ويزداد عليها ضغط الأعداء حتى يلزموها بما لا يلزم، ويسلبوا منها حريتها واستقلالها يوما بعد يوم، ومادام الزعيم خالداً ومادام هو الملهم المفدَّى، وصانع المعجزات، ومحقق كل الانتصارات، فلا مشكلة ولا خلل، ومادام البطل المفدَّى يجثم على صدر الأمة بحاشيته ومنافقيه أكثر من ثلاثين أو أربعين عاما لا ينافسه فى زعامته إلا مجنون سريعًا ما يودع مستشفى الأمراض النفسية والعصبية أو يقتل أو يخطف؛ فماذا ينقص الشعب لكى يتقدم؟

إن تصور هذه الدول المستبدة للتعليم على هذا النحو الممعن فى الخطأ، كتصورهم لمهمة المعلم فى المجتمع على أنه الشخصية المتسلطة التى تمسك بعصا السلطة وتسوق أمامها قطيعًا من المتعلمين يتعلمون الهتافات ويحفظون الشعارات ويتدربون على المشاركة فى مظاهرات التأييد للزعيم الخالد والبطل الملهم ورئيس البلد ورئيس الحكومة ورئيس الحزب الحاكم، ورئيس التعليم ورئيس الإعلام، ورئيس الطرق والمبانى والترع والمصارف ورئيس كل أسرة وكل شارع وكل حى وكل محافظة، ورئيس كل

---

(١) الأمثلة على تلك الحكومات فى العالمين العربى والإسلامى أكثر من أن تحصى، ولا تحتاج إلى تسمية أو تعيين لأن غالبيتها العظمى كذلك، ومن تشكك فى شيء من ذلك فليتدبر الشعارات السائدة فى كثير من مجتمعات العالم الاسلامى، ابتداء من: ارفع رأسك ومروراً بياعديم الاشتراكية وبالروح بالدم نفديك يا... والتطرف والإرهاب الإسلاميين وامريكا فى يدها ٩٩٪ من اوراق اللعب..... إلخ.

شىء، فمن أولى منه بالتأييد والهتاف وإطلاق الشعارات التى تمد فى عمره وتطيل من حكمه، وتكثر من عدد أنصاره ومنافقيه، وعلى الناس فى هذا المجتمع أن يعيشوا فى هذا النعيم!!!

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

اللهم أعد للتعليم والمعلم مكانتهما فى المجتمع لكى ينهض ويتقدم ويخرج من دوائر النفوذ والتحكم.

٣- وإعداد المنهج المدرسى الصالح:

المنهج المدرسى الصالح وفى إيجاز شديد هو الذى يحقق أهداف المدرسة الإسلامية.

والمدرسة الإسلامية الصالحة- فى إيجاز أيضًا- هى التى تحقق أهداف المجتمع المسلم.

والمجتمع المسلم الصالح - فى إيجاز - هو الذى يحقق أهداف الدين الحق الخاتم الذى جاء به الرسول الخاتم ﷺ:

ذاك تعريف للمنهج من خلال أهدافه - وهو فى تصورى - أوجز التعريفات وأجمعها.

● وكلمة المنهج: تعنى لدى علماء التربية عناصر ومفردات عديدة ذات دلالات اصطلاحية فى علوم التربية، فهى تعنى:

- الأهداف.
- والمحتوى
- والمعلم نفسه.
- وطرق التدريس ووسائل الإيضاح.
- والأنشطة التعليمية والتربوية.
- والمتابعة لكل عنصر من هذه العناصر.
- والتقويم لكل ما توبع لتعديله وتسديده.

● وفى مرحلة سابقة فى تاريخ التعليم، كان تعبير: «المنهج المدرسى» يطلق فقط على مجموعة المقررات الدراسية.

وكان المنهج يتفاوت كمالاً ونقصًا بمدى قدرته على استيعاب جميع المقررات الدراسية فحسب.

لكن المؤكد الآن أن النظرة إلى المنهج تغيرت وتطورت بتغير أسلوب الحياة الإنسانية وتطورها، إذ صارت حياة الناس اليوم حياة الانتقال بالناس إلى عصر السرعة.

- سرعة المواصلات.
- والسرعة الفائقة فى الاتصالات.
- وسرعة الاطلاع على المعلومات فى دقائق مهما كانت مصادرها بعيدة.
- وسرعة الانتصار فى الحروب بالسلاح الأكثر تطورا.

وما لا حصر له من أنواع السرعة.

وهذا التطوير جعل المختصين ينظرون إلى المنهج على أنه مجموعة من الخبرات المتراكمة فى مجال التعليم والتربية، تشمل المدرسة والكتاب والمعلم والمقررات الدراسية والأنشطة والخدمات المدرسية، لتحقيق أكبر قدر من تنمية الفرد والأسرة والمجتمع المحلى والعربى والإسلامى.

● إن المنهج بالإضافة إلى كل ذلك يعتبر وسيلة من وسائل التربية والتعليم الفاعلة المؤثرة التى لاتقل أهمية عن سائر وسائل التربية والتعليم.

● والمنهج وسيلة هامة من وسائل تربية المعلم نفسه بحيث يقدم لهذه الشخصية كثيراً من الأسباب التى تجعلها قادرة على التفكير السليم، والابداع، والإنتاج، والمشاركة الإيجابية فى العلاقات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وغيرها من العلاقات مشاركة تسهم فى تطوير المجتمع وتنميته وإقداره على تحقيق أهدافه.

وحديثنا عن المنهج بهذا المعنى يتناول موضوعين:

الأول: علامات جودة المنهج.

والآخر: علامات حسن اختياره.

أولاً: علامات جودة المنهج:

ليس كل منهج جيداً، ولكنه يتفاوت، لأنه من وضع علماء التربية وخبرائها، وهؤلاء كسائر البشر يستحيل عليهم الوصول إلى الكمال فى شىء، ولذلك فنحن نبحث عن العلامات والشواهد التى تؤكد أن منهجاً ما أجود من غيره.

ومن هذه العلامات الدالة على جودة المنهج:

- تشبثه بالقيم والمبادئ، لأنها الأساس الأول فى التربية، وكلما قل تشبث المنهج بالقيم حمل الدليل على قصوره وفشله فى التربية، وعندنا لابد أن تكون القيم والمبادئ نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- وجمعه بين غزارة المعلومات وأهميتها فى حياة الناس؛ وفاعليتها فى إقدار الناس على تطوير حياتهم بهذه المعلومات وهذا العلم الذى تشتمل عليه.
- واشتماله على أنواع المعرفة(1): الاستدلالية، والتجريبية، والحسيّة والمعرفة العامة.
- واشتماله على المهارات التى يجب أن يجيدها الإنسان لكى يمارس حياته العملية.
- واشتمالة على الأفكار والاتجاهات التى تعين الإنسان على الاختيار الصحيح للناس والأعمال والأشياء، لكيلا يفقد حقه فى الاختيار ولا يفقد التميز بين الخبيث والطيب فيما يختار.
- واهتمامه - بوصفه منهجًا مدرسيًا - بالتلميذ الذى هو هدف العملية التعليمية والتربوية.

ويتمثل هذا الاهتمام فى أمور هامة منها:

- رغبة المنهج فى تنمية التلميذ من كل جوانب شخصيته.
- وعمله على الاستجابة لحاجاته النفسية والعقلية والجسدية مادامت مشروعة ولا تضر غيره.
- وإعطاء التلميذ المقدرة من خلال برامجه على تنمية قدراته واستعداداته.
- وتوجيه ميول التلميذ نحو ما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع فى دنياه وأخراه، ولا يعود بالضرر على أحد.
- وقدرة المنهج بجميع عناصره ومفرداته على تكوين الإنسان الصالح تكوينًا روحيًا وخلقيًا وعقليًا وجسديًا، ودينيًا، وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وجهاديًا، وجماليًا بحيث يمكنه هذا التكوين الصحيح من ممارسة حياته الإنسانية الكريمة، التى تمكنه فى

(1) المعرفة هى مجموعة المعانى والأحكام والمفاهيم التى تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به.

المستقبل من أن ينشئ بيتًا مسلمًا وأسرة مسلمة يحسن رعايتها وتوجيهها كما طالبه الإسلام بذلك.

– واهتمامه – بوصفه منهجًا لمدرسة إسلامية – بالمجتمع كله.

ويتمثل اهتمام المنهج بالمجتمع فى أمور:

- تثبيت القيم السائدة فى هذا المجتمع، وهى بالضرورة قيم جيدة لأنه مجتمع مسلم يستمد قيمه من الإسلام، فإن ظهرت قيمة معادية كشفها المنهج وعمل على طردها واستبعادها.

- واهتمامه بتراث المجتمع الثقافى؛ توضيحه والكشف عنه، والعناية به عن طريق التأمل فيه وأخذ الصالح منه والبناء عليه، وترك السيئ الدخيل من هذا التراث ورفضه.

مع الاعتزاز بهذا الزاد الثقافى والحفاوة به.

- ودعمه للنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتمسك بالصالح منها الذى لا يتعارض مع الإسلام ونظمه، وطرح ما يتعارض منه مع الثوابت الإسلامية فى مجال العقائد والعبادات والقيم الخلقية.

- وعمل المنهج على إقدار المجتمع من خلال أبنائه ومتعلميه – على أن يحقق أهدافه العامة والمرحلية، الحاضرة والمستقبلية.

- وإقداره الناس من خلال ما علمهم ورباهم على تحقيق ما يرغبون فيه من حاجات مشروعة، وآمال لا تضر بأحد.

- واشتماله من خلال مفرداته على تصور لمشكلات المجتمع والعقبات التى تقف فى طريق تقدمه، وتصور الحلول لهذه المشكلات، من خلال ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

- وأن تكون كل مفردات المنهج وعناصره، موافقة لما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– واهتمامه بالنواحى العلمية:

من علامات جودة المنهج المدرسى أن يهتم بالجانب العلمى والتقنى، وهو يعلم الأبناء ويعطيهم القدرة على مواكبة التقدم العلمى والثورة فى مجال التقنية.

وربما كان الاهتمام بالتقدم العلمي والتقني من أوسع مفردات المنهج في المدرسة الإسلامية، لأن العلم ميدان واسع وبحر زاخر لا سبيل إلى حصر مفرداته وعناصره؛ لأن كل يوم يمر على الناس يزيدون فيه جديدا في العلم والتقنية، حتى إن هذا التطور في الكشوف العلمية ليهول من رآه- وكان يعيش في خمسين سنة مضت، فما كنا نعتبره في الماضي تخيلات جاء العلم فجعله واقعًا نعيشه ونتعامل معه.

والتقدم العلمي الذي اتسعت مجالاته، كل هذا الاتساع مرتبط أوثق الارتباط بالمناهج المدرسية، ومرتبط بالكشوف العلمية التي اهتدى إليها الباحثون والعلماء في الجامعات ومراكز البحوث العلمية.

وكل منهج لا يضع في اعتباره الاهتمام بالعلم والتقنية منهج مدرسي فاشل وقاصر، ولا يمكن أن يكون منبعثًا من فكر إسلامي، لأن الإسلام دعا إلى العلم والتقدم فيه والاجتهاد وبذل الغالي والنفيس، وكلما وصل الإنسان اليوم إلى جديد، وغدا إلى جديد، واستطاع أن يسخر العلم لصالحه الدنيوي والأخرى فلا ينبغي أن يتصور أنه وصل إلى الغاية أو أوفى على النهاية، لأنه سبحانه وتعالى يقول للناس: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٨٥]، أي اجتهدوا في العلم ما وسعكم وأفيدوا منه ما استطعتم لكن اعلموا أن كل ما تتوصلون إليه من العلم ما هو إلا قليل من كثير.

وبعد فتلك من علامات جودة المنهج.

فما هي علامات حسن اختياره.

ثانيًا: علامات حسن اختيار المنهج:

الذين يختارون المنهج يهيمنون باختيارهم هذا على المدرسة ومن فيها وما فيها، لأن المدرسة تستمد تسعة أعشار عملها من المنهج وتستهدف تطبيقه على أكمل وجه.

والذين يختارون المنهج هم الذين وضعوه وكونوا عناصره ومفرداته، وواضعوا هذا المنهج مطالبون من قبل الله تعالى، أي من قبل قيم الحق والخير والعدل، ومن قبل المجتمع بمزيد من التدقيق والتأني، واتباع المنهج العلمي الموضوعي وهم يضعون المنهج أو يختارون مفرداته وعناصره.

- ولا يكون المنهج قد أحسن وضعه واختيار عناصره إلا إذا روعيت فيه شروط أساسية ثلاثة يدخل تحت كل منها عشرات الفروع والعناصر.

وهذه الشروط الثلاثة هى :

– أن يتضمن تطبيق الخطة الدراسية الملائمة .

– وأن يستوعب المقررات الدراسية الملائمة .

– وأن يتجاوب مع الأنشطة المدرسية .

ولنتحدث عن هذه الشروط بإيجاز لنؤكد أن توافرها دليل على أن المنهج قد أحسن وضعه واختياره .

أ – تضمن المنهج للخطة الدراسية :

من علامات حسن وضع المنهج واختياره الصحيح، أن يكون مشتملا على موضوعات وعناصر ومفردات تلائم الخطة الدراسية أو الخطة المدرسية التى تتضمن كل ما من شأنه أن يعين على تكامل العملية التعليمية التربوية والتنسيق بين مفرداتها العديدة من عدد فصول المدرسة وعدد الطلاب فى كل فصل وعدد المعلمين والإداريين والعاملين فى المدرسة .

وعدد الحصص الأسبوعية وعدد الحصص اليومية .

وعدد الحصص لكل مقرر دراسى أسبوعيًا .

وعدد الحصص التى يقوم بتدريسها المدرس أو المدرس الأول أو مدرس الفصل، وعدد الحصص فى المعامل لكل فرقة دراسية، وعدد حصص التدريب العملى داخل المدرسة أو خارجها، وغير ذلك من مفردات كثيرة تتضمنها الخطة .

وعند وضع المنهج واختياره لابد أن يشتمل على مفردات هذه الخطة وينسق بينها بحيث لا يطغى بعضها على بعض، ولا يأخذ بعضها اهتمامًا أكثر أو أقل مما تحدده الخطة أو توصى به .

وكل إخلال بشىء من هذه المفردات الكثيرة طعن فى المنهج وفى قدرة واضعيه ومختاريه .

ب – وقدرة المنهج على استيعاب المقررات الدراسية :

وهذه المقررات الدراسية تختلف من مرحلة تعليمية إلى أخرى، ومن مدرسة عامة إلى مدرسة فنية أو حرفية .

كما أن تعليم أهل الريف والبوادى والقرى النائية يجب أن يتضمن ما يتلاءم مع البيئة التى يعيشون فيها، وكذلك أهل المدن والحواضر الكبرى والعواصم.

وإنما كان هذا الاختلاف بين الريف وغيره حتى يكون من أنهى دراسته فى مدرسة قادراً على خدمة مجتمعه فى المجالات التى يحتاج فيها إلى خدمات بعينها، لأن المدرسة الإسلامية تستهدف ذلك وتجعله دائماً نصب عينها، وتساوى بين أهل المدن وغيرهم فى الخدمات التى تؤدى إليهم، فتلك مبادئ الإسلام وقيمه.

- ومن المقرر لدى علماء الاجتماع أن احتياج المجتمعات يختلف باختلاف ما يسود هذه المجتمعات من ظروف وملابسات لا يمكن أن تتجاهل أو تهمل، وإنما الأصل أن يستجاب لها، وأن يعدل منها ما يحتاج إلى تعديل وبخاصة إذا كان ما يعدل غير متساوق ومتلائم مع قيم الإسلام ومبادئه، وتلك من وظائف المنهج فى المدرسة، ومن صميم ما تستهدفه المدرسة الإسلامية.

- واحتياجات المجتمعات الإنسانية عديدة لكن يمكن الإشارة إلى أصولها ورءوسها؛ إلى:

- الاحتياجات الأدبية من فكر وثقافة ووسائل تعبير.
- والاحتياجات الإبداعية التى ترتكز على ما فى المنهج والمدرسة من حرية وعدالة ومساواة.
- والاحتياجات العلمية القائمة على العلم والبحث والتعمق والتنوع والقدرة على تسخير العلم لصالح الإنسان.
- والاحتياجات التقنية والحرفية التى تدرب على العمل الجيد والإنتاج لكثير من السلع والخدمات.

وكل هذه الاحتياجات مرهونة بمنهج صالح قد أحسن وضعه واختياره لتلبية هذه الاحتياجات.

جـ - وقدرة على التجاوب مع النشاط المدرسى:

من المقرر لدى علماء التربية وخبرائها أن الأنشطة المدرسية التى تقدم للتلاميذ من خلال المنهج المدرسى، تستثير دوافعهم نحو التفكير والعمل والإبداع.

كما تستهدف الأنشطة المدرسية تعديل سلوك التلاميذ إلى الجانب العملى من الحياة

الإنسانية، وتدربهم على ممارسة الحرية، وتنمى شخصياتهم بدعم الجوانب الإيجابية فيهم كحب العمل وحب التعاون والمشاركة، وتحجيم الجوانب السلبية فيهم أو حجبها نهائيا، كالرغبة فى الانطواء، والأنانية وتحدى الآخر، وإضمار الشر، والإهمال، والتهرب من أداء العمل، والتقصير فى أداء الواجبات.

والأنشطة المدرسية تستهدف ذلك وأكثر منه مما يعين على بناء شخصية متكاملة اجتماعيا للتلميذ، الأنشطة كلها، ما كان منها على مستوى المدرسة كلها، أو كان على مستوى الصف، أو على مستوى الفصل الواحد؛ لأن لها نتائج إيجابية فى مجال التربية والتعليم عموما وفى الطلاب والمدرسة خصوصًا.

ولولا خشية الإطالة لضربت على ذلك الأمثال، لكن حسبى أن أذكر مثالاً واحدًا فى مجال النشاط المدرسى «اللاصفّى» الذى يأخذ شكل رحلات ومسابقات، أو شكل معسكرات بعيداً عن المدرسة، أو يأخذ شكل زيارات لمناطق سياحية أو متاحف أو دور للكتب، ونحو ذلك.

- إن هذا النشاط أيا كان نوعه وأيا كان زمنه وأيا كانت الجهة المقصودة فيه، وأيا كانت نوعية النشاط المطلوب من المشارك فيه؛ فإنه يسهم فى عملية التعليم والتربية إسهامًا ذا أثر عميق لا يقل إن لم يزد فى بعض الأحيان على كثير من أنواع العمل المدرسى داخل المدرسة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن هذه الأنشطة تحقق الأهداف التالية:

- تدفع التلميذ بل تغريه بالحركة والفاعلية والإيجابية.
- وتعلمه التفاعل والتجاوب مع رائد النشاط والمشرف عليه.
- وترغبه فى التعاون مع زميله فى القيام بالعمل.
- وتدربه عمليًا على حب العمل والإقبال عليه.
- وتعلمه احترام المواعيد والانضباط فى الحضور والانصراف.
- وتدربه على تسجيل مشاهداته، فتطلق عقله وأسلوبه من القيود، إذ يعبر عما شاهد فعلا.
- وتمده بالثقافة، وتعرفه بأماكن جديدة عليه، وتبصره بما تقوم به هذه الأماكن من وظائف وأعمال.

- وتقنعه بأن المدرسة علم وعمل وحركة ونشاط، وليست دائرة مغلقة على نفسها منعزلة عن المجتمع.
- وتقدم له المعلومة عن طريق المشاهدة وهى أثبتت من المعلومة التى جاءت نتيجة للقراءة أو الاستماع.
- وتعرفه بوطنه المحلى، أو بوطنه العربى لو كان النشاط انتقالا إلى بلد عربى، وتدربه على السفر والتنقل وتنقل إليه خبرات جميلة، تظل فى ذاكرته ما عاش، وتربط بين الأوطان العربية برباط وثيق.
- والأنشطة المدرسية تربط بين التلميذ وبين القيم التعليمية والتربوية التى يتلقاها فى المدرسة.

وهى تقنعه عمليا بأن الإسلام الذى يدين به دين حركة ونشاط وانطلاق وترفيه فى غير محرم، وتفاعل مع المجتمع، وإسهام فى تثبيت الصواب من عاداته، وتخلص من الردئ منها.

هذا فى الجانب الإيجابى الذى تحققه الأنشطة المدرسية فى التلاميذ، على أن الأمر ليس مقصورا على ذلك، وإنما للأنشطة المدرسية آثار عميقة فى تخليص التلاميذ من كثير من السلبيات التى لا تليق بهم، مثل:

- دعوتهم بشكل عملى إلى التخلى عن الكسل والقعود والسلبية.
- وتزيل عن نفوس بعض التلاميذ ما يحملونه فى داخلهم من تحد للمدرس فى الفصل، لكثرة ما يفرض عليهم من واجبات.
- وتنزع عنه صفة التنافر مع الآخر ورفض التعاون معه أى رفض القيام بعمل مشترك.
- وتنفى عنه عدم احترام العمل اليدوى أو العمل الكشفى أو الارتحال إلى أماكن أخرى.
- وتشجعه وتدعوه إلى ترك التراخى والتسيب والحضور متأخرا فى كثير من الأحيان.
- وتحول بينه وبين العجز عن التعبير عن الموضوع الذى يكتب فيه، أى تطلق له حرية التعبير.
- وتجعل ثقافته ثقافة عملية،وهى مشاهدات أكثر منها قراءات.
- وتطرد من عقله ومشاعره أن المدرسة دائرة مغلقة لايغادرها الطالب إلا بميعاد، فيقبل على المدرسة التى كان يعتبرها سجناً له حارس وأبواب مغلقة.

■ وتنفى عن عقله كل التصورات الناقصة أو السلبية للأماكن التى لم يشاهدها من قبل.

■ ولقد صدقوا وأحسنوا الذين سموا الأنشطة المدرسية تسميات تشير إلى وظائفها بدقة حين قالوا عن الأنشطة:

- «التربية عن طريق النشاط».

- أو «التربية عن طريق العمل».

- أو «التربية للحياة».

٤ - وإعداد الكتاب المدرسى الصالح:

الكتاب المدرسى من الوسائل العامة للمدرسة الإسلامية، بل هو أساس فى عملية التعليم والتربية، بحيث لا تقل أهميته عن الأسس والوسائل العامة التى من خلالها تتحقق أهداف المدرسة.(١)

إن هذه الوسائل العامة لتحقيق أهداف التربية والتعليم منظومة متكاملة، لا تتحقق الأهداف إلا بها جميعاً، والكتاب إحدى هذه الوسائل.

- ونحن -المسلمين- الذين أنزل على نبينا ﷺ أول ما أنزل من القرآن الكريم **«اقرأ»**، ندرك أكثر من غيرنا أهمية القراءة والكتابة، والتعلم والتعليم، ونقدر العلم ونعتبره مطلباً دينياً دنيوياً، وأن بابه هو التعلم والقراءة عنصر من عناصر التعلم، والكتاب وسيلة من وسائله.

- وإذا كانت كل مدرسة مطالبة بأن تعنى بالكتاب الذى تقدمه للمتعلمين فيها، فإن المدرسة الإسلامية يجب أن تكون أشد عناية بالكتاب المدرسى فيما يخصها، وما تستطيع أن تقوم به نحو الكتاب، أى أن وزارات التربية والتعليم على مستوى العالم الإسلامى مسئولة عن الكتاب المدرسى، منذ إعداده، ثم طباعته وإخراجه إلى أن يصل إلى أيدى التلاميذ. وكل تقصير منها فى إعداد الكتاب ينعكس على قدر من القصور فى العملية التعليمية كلها.

---

(١) ذكرنا منها ستاً فى هذا الكتاب هى:

- إعداد البناء المدرسى الصالح.
- وإعداد المنهج المدرسى الصالح.
- وإعداد المكتبة المدرسية الصالحة.
- وإعداد المعلم الصالح.
- وإعداد الكتاب المدرسى الصالح.
- وإعداد المرافق المدرسية الصالحة.

- وحديثنا عن الكتاب المدرسى يتناول:

أولاً: وظائف الكتاب المدرسى.

ثانياً: وما يعين الكتاب المدرسى على أداء وظائفه.

ثالثاً: ما يكمل الكتاب المدرسى.

أولاً: وظائف الكتاب المدرسى:

يؤدى الكتاب المدرسى الجيد وظائف عديدة للتلاميذ وللمعلمين وللمدرسة وللعملية التعليمية برمتها، وللمجتمع، وللعالم الاسلامى كله، ولتوضيح هذه الوظائف نقول:

- الكتاب الجيد يؤدى وظيفة حيوية للتلميذ، إذ يحببه فى القراءة، ويعتبر بالنسبة له نافذة جيدة على المعرفة فى عمومها، وهذا شأن كل كتاب مدرسى.

- كما يهيئ للتلميذ وسيلة جيدة للتعلم والتثقف، وتكوين الرأى فى قضية من القضايا، وذلك شأن كتب التاريخ والفلسفة، وكتب السياسة والاقتصاد عندما يكبر التلميذ ويكبر معه أو من أجله الكتاب المدرسى.

- والكتاب يعطى للتلميذ فرصة ليكون ثقافة خاصة بكل فرع من فروع المعرفة يؤلف فيه كتاب، وذلك شأن كتب العلوم فيزياء وكيمياء وأحياء، وعلوم نبات، والعلوم التى تتصل بالحرف التى يتعلمها التلميذ فى المدارس الفنية.

- وهو بحسن عرضه للموضوع وحسن إخراجه يربى فى التلميذ إحساسا بالجمال واللون والمساحة والخط والزخرفة والحجم وغير ذلك، وذلك شأن كل الكتب المدرسية وكتب التربية الفنية بوجه خاص.

- ومن وظائف الكتاب أن يعقد صلة بين التلميذ ومعلمه الذى يهتم بالكتاب وما فيه، ويوجه تلاميذه إلى كيفية قراءة الكتاب، وكيفية مناقشة ما فيه، وكيفية استيعاب ما احتوى عليه الكتاب.

- وهو يربط التلميذ بروابط وثيقة بينه وبين وطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى من خلال ما يذكر من معلومات ومعارف عن هذه الأوطان، تحبب التلميذ فى هذه الأوطان وتشوقه إلى زيارتها، وبخاصة أنه ينتمى إليها، وذلك شأن كتب التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية، والحضارة عموماً.

- ويشعر التلميذ بأنه جزء من عالم إنسانى كبير، ويبصره بواجبه نحو هذا العالم الإنسانى بوصفه مسلماً ينتمى للدين الحق دين الرحمة والتسامح والدعوة وجهاد المعتدين.

- ويعرفه بالتيارات والمذاهب الموالية له أو المعادية، ويشرح له موقفه بوصفه مسلماً من أوليائه وأعدائه، ولماذا كان من هذا التيار أو ذلك المذهب ولاء أو عداء للإسلام والمسلمين.

- ويعرفه بدينه الخاتم للأديان ولماذا اختتمها؟ ولماذا وجبت الدعوة إلى هذا الدين الخاتم على كل مسلم يملك البصيرة فيما يدعو الناس إليه، مع تأكيد أن الدعوة إلى الدين الحق ليس فيها إكراه، لأنه لا إكراه فى الدين، وأنه دين يدعم حرية الإرادة والاختيار ما دام الدين قد بُيِّن لمن دعى إليه: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

- ويعرفه بمنهج الإسلام ونظامه وقدرة ذلك المنهج على أن يهيئ للناس - إن اتبعوه - حياة إنسانية كريمة، وقدرته على حل أى مشكلة أو نزاع يقع بين المسلمين أو بينهم وبين غيرهم من أهل الأديان الأخرى، أو بينهم وبين الذين لا يدينون بدين، وذلك شأن كتب الفقه الإسلامى والتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية التى تستقى مادتها من القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية المطهرة.

- إن الكتاب المدرسى الجيد لا تقف وظائفه عن هذا الحد وإنما له وظائف أخرى فى مقدمتها أنه يحبب فى الكتب غير المدرسية، ويشير إليها ويحيل عليها، وبخاصة كتب التراث العربى وكتب التراث الذى خلفه المسلمون فى عصور ازدهارهم التى امتدت عددا من القرون، وملأت الدنيا علماً وفناً وتقدماً بحيث اغترفت منها الإنسانية ما شاءت.

الكتاب المدرسى نافذة على حضارات العالم وفى مقدمتها الحضارة الإسلامية.

- وإذا كانت هذه وظائف الكتاب المدرسى؛ فماذا يعينه على أداء هذه الوظائف من أسباب؟

ذلك ما نوضحه فيما يلى والله المستعان

ثانياً: ماذا يعين الكتاب المدرسى على أداء وظائفه:

الذى يعين الكتاب المدرسى - نافذة العلم والمعرفة - على أداء وظائفه، أمور يتصل بعضها بشكله وإخراجه، وبعضها بموضوعاته ومحتواه، وتاليفه ولغته وطريقة عرضه، ولبيان ذلك نقول:

أ- شكل الكتاب وإخراجه :

والشكل العام لكتاب يعنى :

- تغليفه وألوان غلافه، وما فيه من صور ورسوم .
- وحجمه، وعدد صفحاته، ووزنه، ونوع ورقه .
- والحرف الذى طبع به من حيث حجمه وعدد الكلمات فى السطر .
- وعدد الأسطر فى الصفحة الواحدة .
- وأى الكلمات شديدة السواد وأيها عادية .
- والمساحات بين الأسطر وبين الفقرات .
- وعلامات الترقيم، وعلامات التعجب أو الاستفهام .
- وتلوين بعض الكلمات بمداد مختلف للفت الانتباه إليها .
- والرسوم التوضيحية فيه .
- والأسئلة والتدريبات .
- والأجوبة الصحيحة .
- والأسئلة التى ترك جوابها .

وغير ذلك من الأمور الفنية فى الطباعة وفى إخراج الكتاب عموما، ومع كل هذه الاحترازات فلابد أن يكون الكتاب جميلاً جذابًا مشوقًا يرغب فى اقتنائه وقراءته والمحافظة عليه .

ب - موضوعات الكتاب ومحتواه :

- اشتماله على المادة العلمية المبسطة الملائمة لمستوى من أُلف لهم، مرحليا، ونوعيا .
- وتناول موضوعاته بيسر وسهولة مع المحافظة على القيمة العلمية لمحتواه وموضوعاته .
- واشتماله على الصور والرسوم، والرسوم البيانية المعينة على التوضيح والتبسيط وإقامة الدليل المرئى المشاهد .
- وصور الآلات والأجهزة فى كتب العلوم فيزياء وكيمياء وكتب الأحياء حيوانا ونباتاً، وكتب الرياضيات، وكتب طبقات الأرض، والخرائط فى كتب الجغرافيا .

- واشتماله على التقويم؛ أسئلة وأجوبة، وعلى التدريبات، وبعض الأسئلة التى تختبر درجة الذكاء وعدم التركيز على الأسئلة التى تختبر القدرة على التذكر والحفظ، وإنما تأتى كأنها غير مقصودة، وإدراك أن خير الأسئلة ما يوحى بالإجابة.

- والإشارة فى هامش الصفحة إلى أسماء وبعض مصادر المادة العلمية وبعض مراجعها، وبخاصة فى المرحلة المتوسطة بنوعيها عامة وفنية، والتركيز على ذلك فى المرحلة الثانوية، وأما فى الجامعات فذكر ذلك ضرورة لا يجوز تجاهلها.

- واشتماله على تدريب التلاميذ على تلخيص موضوع فى نصف حجمه أو ربعه أو أقل من ذلك، وعلى شرح موضوع موجز مركز وتبسيطه وتفصيله، وفى هذه الأحوال لابد من أمثلة وشواهد.

إلى غير ذلك من الأمور الفنية التى تلزم فى كل مقرر دراسى مما يضعه المختصون فيها والخبراء فى كيفية خدمتها وتيسيرها للتلاميذ كل فيما يناسب عمره ومرحلته التعليمية ونوع المرحلة التى يتعلم فيها.

جـ - وتأليف الكتاب ولغته وطريقه عرضه:

- أما تأليف الكتاب فتقوم لجنة من علماء مختصين فى موضوعه، خبراء فى تأليف الكتب المدرسية، على أن تكون للمادة العلمية فى الكتاب شروط وصفات تقرها إدارة المناهج فى وزارات التربية والتعليم، وإدارات المناهج ينبغى أن يكون أعضاؤها علماء خبراء، بعيدين بحكم مكانتهم عن الانزلاق فى نفاق المسئولين وتبرير أخطائهم، كما هى أصول كثير من إدارات المناهج، وكل الإدارات فى البلدان التى يحكمها حاكم مستبد من أولئك الذين يوصفون بأنهم خالدون ملهمون حكماء وكانوا على موعد من القدر ليحكموا الناس بالحديد والنار، وليسعد بهم الناس مع هذا القهر والجبروت!!!

وأن يكون المؤلفون أبعد الناس عن التزلف والنفاق وليّ الحقائق والتبرير لأخطاء بعض الحكام الملهمين!!!

- وأما لغة الكتاب فهى يجب أن تكون من البساطة واليسر والالتزام بالعربية الفصيحة بحيث تخاطب التلاميذ على قدر عقولهم وأعمارهم والمرحلة التعليمية التى يتعلمون فيها، حتى يكون الكتاب محبباً لقارئه ميسوراً عليه فهمه.

ونحن فى العالم العربى نعيش ازدواجية لغوية شجع الناس عليها عدو لا يريد إلا أن

تختفى لغة القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ، هذه الازدواجية هى اللغة الفصيحة واللغة العامية، ولقد انخدع بعض الغافلين بأن العامية يمكن أن تكون لغة كتابة فنادوا بالكتابة بها إبان تحكم الإنجليز فى مصر في أخريات القرن التاسع عشر وأوليات القرن العشرين الميلاديين، حتى إن المغالطة وصلت ببعض الإنجليز الحاقدين على لغة القرآن أن قال: إن سر تخلف العرب هو تمسكهم باللغة الفصحى.(١)

لكن شاء الله للغة كتابه ألا تغلبها العامية، فاكتفوا بأن انشأوا فى كلية الآداب بالجامعة المصرية التابعة لهم آنذاك قسمًا للأدب الشعبى، خضوعًا لنظرية: أن المغلوب مولع بتقليد الغالب والاستجابة له فيما يطلب منه.

إن لغة الكتاب المدرسى هى لغة التعليم، أى لغة العلم والأدب، ولغة الكتاب خارج المدرسة ولغة كتب التراث العربى كله، ولغة المكتبة الإسلامية فى العالم الإسلامى كله الذى يحتاج للعربية كى تصح صلاته.

والمكتبة الإسلامية التى ألفت كتبها بالعربية تبلغ ملايين الكتب ما بين مخطوط ومطبوع، ومن أراد أن يشاهد ذلك فليذهب إلى بعض البلدان الإسلامية التى تتحدث بغير العربية كإيران وتركيا وأندونيسيا وماليزيا والهند فى آسيا ليرى مئات الألوف من الكتب التراثية التى ألفت بالعربية لغة الإسلام، أو ليذهب إلى الجمهوريات الإسلامية الست فى وسط آسيا ليرى فى مكتباتها ألوف الكتب المؤلفة بالعربية لغة الإسلام، أو ليذهب إلى إفريقيا وفيها ما يقرب من عشرين دولة مسلمة، ليجد لغة تأليف كتبها هى العربية مع أن لغاتها غير العربية، مثل: نيجيريا والنيجر ومالى والسنغال والكاميرون وموزمبيق وغينيا وغانا وجامبيا والجابون، وتوجو وتشاد وبروناى وغيرها مما تحتفظ حتى الآن فى مكتباتها العامة بألوف الكتب الإسلامية المؤلفة باللغة العربية، مع أن لغاتها غير العربية.

من أجل هذا كله تصبح العربية لغة الإسلام كتابًا وسنة هى لغة المدرسة ولغة التعليم ولغة العلم والأدب فى العالم العربى، وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى، لكن ينبغى أن تكون هى اللغة السهلة البسيطة المحافظة على العربية الفصيحة.

---

(١) ذلك هو: ويلككس المهندس الإنجليزى الذى كان أول رئيس تحرير لمجلة الأزهر حين إنشائها!!! فاندفع أولياء الإنجليز من المصريين ينادون بالكتابة بالعامية، إنهم كانوا من الضعف الوطنى بحيث يفتنون باى باطل ينادى به احد المستعمرين !!! جريًا على قاعدة: الناس على دين ملوكهم.

- وأما طريقة عرض الكتاب المدرسى على التلاميذ، فتقوم على أُسس لا يمكن تجاهلها، منها:

- تبسيط العلم وقضاياه من خلال عرضه الجذَّاب على القارئ فى الكتاب المدرسى حتى يقبل عليه المتعلمون دون أن تهولهم مصطلحاته ورموزه.

- والتنسيق بين الموضوعات العلمية بحيث تؤلف فى النهاية كلا متشابكًا متماسكًا ييسر فهمُ أوله فهمَ آخره ويصبح الانتقال من بسيطه إلى مركبه، ومن يسيره إلى عويصه أمرًا هينًا على من قرأ الكتاب المدرسى فى أى مجال من المجالات العلمية التى تدرس فى المدارس.

- وجعل هذا العرض للكتب المدرسية متقبلاً لدى المتعلمين، وإنما يكون الأمر كذلك إذا كان مؤلفو الكتب المدرسية أيًا كان تخصصهم على صلة بعلوم التربية وعلوم علم النفس وبخاصة التعليمى منه؛ لأن للنفوس وللعقول مداخل لا يهتدى إليها ويسير فيها بأمان وسلام إلا هؤلاء العلماء الذين يعرفون هذه المداخل، ويحسنون التسرب إليها دون ضجيج أو صخب.

- ومما يدخل فى حسن عرض الكتاب المدرسى كل ما تحدثنا عنه آنفًا من شكل الكتاب المدرسى وإخراجه وورقه وطباعته وحجمه ووزنه وخطه وصوره ورسومه، وما فيه من وسائل إيضاح تعين على الفهم وتيسر التدريب.

بل يدخل فيه كل ما تحدثنا عنه آنفًا من محتوى الكتاب وموضوعاته وتبسيطه وتيسر التعامل معه، والحصول منه على العلم والمعرفة والثقافة.

وبعد: فإذا كانت هذه النقاط من شكل الكتاب ومحتواه ولغته وطريقة عرضه تعين الكتاب المدرسى على أداء وظائفه وتُعَد أسبابًا لنجاحه؛ فإن سببين آخرين ينضمان إلى هذه الأسباب الثلاثة ويضمنان للكتاب المدرسى أقصى درجات النجاح فى تحقيق الأهداف، وهما:

- كتاب المعلم أو دليل المعلم.

- المعلم نفسه.

وسنوضح ذلك فيما يلى- والله المستعان-:

أ- كتاب المعلم أو دليل المعلم :

هذا الكتاب تعده مجموعة من العلماء والخبراء الذين يشاركون فى وضع المناهج واختيار مفرداتها، وكل مقرر دراسى يقوم بوضع منهجه علماء وخبراء فى هذا التخصص، أى الكتاب المدرسى الذى تحدثنا عنه آنفًا.

ونقول هنا : إن الكتاب المدرسى بكل ما شرطنا فيه، يحتاج - لكى يؤدى وظيفته على الوجه الأمثل- إلى كتاب آخر يكمله هو ما نسميه « دليل المعلم » أى الكتاب الذى يعين المعلم على التعامل الأمثل مع الكتاب المدرسى.

وهذا التعامل مع الكتاب المدرسى يتناول أمورًا أهمها :

- تحديد أهداف الكتاب المدرسى العامة، وتحديد الهدف الخاص لكل وحدة من وحداته، ذلك أن وضوح هذه الأهداف يعين المعلم على النجاح فى الوصول إليها.

- وتوضيح الارتباط بين وحدات الكتاب المدرسى وتسلسلها، حتى يسهل على المعلم إدراك هذا الارتباط مما يعينه على المضى فى تدريسه وتفهيمه لتلاميذه.

- واقتراح خطة للسير فى تدريس الكتاب تشتمل على :

- تقسيم موضوعات الكتاب إلى دروس.
- وطريقة لعرض هذه الدروس.
- واقتراح أسئلة بعينها ومناقشات فى الموضوع.
- واقتراح تدريبات -تختلف من مقرر دراسى إلى آخر-.
- وتحديد مدى زمنى لتدريس كل وحدة من وحدات الكتاب.
- واقتراح وسائل الإيضاح الملائمة لكل درس.
- وعمل تطبيقات عملية كتابية أو معملية أو ميدانية على كل درس، لدقة التقويم ومعرفة مدى استيعاب التلاميذ لهذا الدرس.

- وإتاحة فرصة للمعلم لينتقد الكتاب المدرسى؛ ليستفاد بهذا النقد عند إعادة طبع الكتاب أو عند إعادة تأليفه أو إجراء أى تعديلات عليه، وهذا النقد فى تصورى هو أولى من غيره بأن تنظر فيه لجنة تأليف الكتاب لأنه نقد ميدانى لرجل مارس تدريس الكتاب وعرف كل ما فيه من إيجابيات أو سلبيات.

على أن يتناول هذا النقد أموراً بعينها مثل:

- شكل الكتاب حجمه وورقه وطباعته... إلخ.
- موضوعات الكتاب ومحتواه، ومدى ملاءمته للتلميذ الذى يدرسه.
- وماذا فى الكتاب من صعوبات أو عيوب.
- وما مقترحات المعلم فى تعديل الكتاب أو تبديله أو تبسيط لغته أو نحو ذلك من مقترحات.
- وقد يستهين بعض كبار المسئولين باقتراحات التعديل الصادرة من معلم لا يزال فى الميدان ممارساً، ولكنهم يخطئون إن استهانوا بذلك، لأن مقترحات المعلم لا تقل -إن لم تزد- عن مقترحات الخبراء الذين قد يطلب منهم إعادة النظر فى الكتاب المدرسى، ولا تقل عن مقترحات أولياء أمور الطلاب بهذه التعديلات.
- إن كتاب دليل المعلم لا يقل أهمية عن الكتاب المدرسى نفسه إذ كل منهما لبنة فى بناء الإنسان، وفى تنمية المجتمع، والراغبون فى العمل الجيد لابد أن يستطلعوا آراء الآخرين.

وبعد: فإذا كان كتاب دليل المعلم مكملاً للكتاب المدرسى، فإن المعلم نفسه مكمل أيضاً للكتاب المدرسى.

ب- المعلم نفسه:

المعلم هو محور العملية التعليمية والتربوية، وركنها الأساسى المكين، بدليل أنه قد يعلم دون كتاب مدرسى، بل قد يعلم دون منهج، ودون مدرسة أو وزارة تعليم.

وما كل الوسائط والوسائل التى يستعيد بها المعلم على التعليم إلا عوامل مساعدة تجعل التعليم أجدى وأقدر على تحقيق أهدافه، هذه حقيقة لا يجادل فيها أحد من العارفين.

غير أننا ننظر إلى المعلم -ونحن نتحدث عن الكتاب المدرسى- نظرة أخرى لا تقلل من شأنه ومن أهمية عمله وخطره، إذ نراه مكملاً للكتاب المدرسى يضمن له تحقيق أهدافه، على اعتبار أن الكتاب المدرسى محور -أيضاً- للعملية التعليمية كلها.

- ويستطيع المعلم المخلص فى أداء عمله أن يجعل من نفسه أى عمله وجهده فى التعليم وسيلة فعالة من الوسائل التى تكمل الكتاب المدرسى إذ تعينه على أن يؤدى وظائفه

-التى تحدثنا عنها آنفًا- فكلما أدَّى المعلم واجبه أعان الكتاب على أداء وظائفه، كما أن الكتاب كلما كان مستوفيًا للشروط -التى ذكرنا- كان عونًا للمعلم على أداء وظيفته التعليمية والتربوية.

وإذا نجح المعلم والكتاب المدرسى فى أداء وظيفتهما انعكس ذلك النجاح على التلميذ - بوصفه المحور الثالث فى العملية التعليمية- وبالتالى حدثت التنمية والترقية للمجتمع المحلى فالمجتمع العربى فالمجتمع الإسلامى.

فكيف يكون المعلم نفسه مكملاً للكتاب المدرسى وعونًا له، كما أن الكتاب المدرسى عون للمعلم؟

إن ذلك يتناول عدة نقاط هى:

- أن يقرأ المعلم الكتاب المدرسى قراءة استيعاب ونقد قبل أن يدرسه لتلاميذه.
- وأن يتعمدالتوسع فى شرح بعض موضوعات الكتاب فيزيد فيها ما يشوق التلاميذ إلى الموضوع، وربما يدفع بعضهم إلى مزيد من القراءة حول الموضوع -وبخاصة فى المرحلتين المتوسطة والثانوية العامتين- فمن هنا ومن تلك المعاناة والبحث يولد العلماء والمفكرون والمبدعون.

مع الاحتفاظ بالكتاب المدرسى وموضوعاته بالمكانة اللائقة به، لأنه الكتاب الأساسى المعتمد.

- وأن يكون تدريسه لموضوعات الكتاب المدرسى قائمًا على الحوار والمناقشة، وحرية إبداء الرأى.
- وأن تكون أسئلته لتلاميذه قادرة على أن توصلهم إلى الإجابات الصحيحة.
- وأن يزيد فى أسئلته بما هو أكثر مما فى الكتاب، وأن يكون بعضها تدريبات.
- وأن يسارع إلى تذليل أى صعوبة فى الكتاب بوضع الحل المناسب لها.
- وأن يربطهم بالكتاب المدرسى لأنه الأمثل فى كل تقويم للتلاميذ والأسئلة التى يشتمل عليها هى الأساس فى وضع الأسئلة.
- وأن يكلف بعض النابهين من تلاميذه بتدريس موضوع من موضوعات الكتاب ويزوده بما يستطيع الاستعانة به فى تدريسه لزملائه.

- وإذا تعمد أن يشير إلى أسماء بعض المصادر والمراجع فى موضوع من موضوعات الكتاب كان أفضل.

- وإذا علم تلاميذه كيف ينتقدون بعض ما فى الكتاب حتى تنمو عندهم ملكة النقد وحرية الرأى كان من المستحسن.

- وإذا أحسن الاستماع إلى بعض تلاميذه الذين يحبون أن ينتقدوا بعض ما فى الكتاب، كان ذلك فى صالحهم العلمى.

- وإذا أقنع تلاميذه بأن الكتاب المدرسى هو على وجه الحقيقة مفتاح للعلم والأدب والإبداع والفن، والمعرفة والثقافة، لأنه طريق إلى ذلك كله كان قد أعان الكتاب فعلاً.

● إن المعلم حينما يفعل ذلك أو أكثره مع الكتاب المدرسى إنما يقدم خدمة جليلة للكتاب وللتلميذ وللمدرسة وللمجتمع كله، وهو عندئذ المعلم الحق الجدير بأن يمتهن عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٥- وإعداد المكتبة المدرسية الصالحة:

المكتبة المدرسية هى: إحدى الوسائل الهامة التى تستعين بها المدرسة على تحقيق أهدافها وتأدية وظائفها.

والمكتبة العامة لها فى تاريخنا معشر المسلمين مكانة كبيرة، حتى يوم كانت الكتب مخطوطة إذ لم تكن الطباعة قد عرفت آنئذ.

لقد كان المسجد أهم مؤسسة إسلامية لأداء فريضة الصلاة وللعلم والتعلم والتعليم، كان هذا المسجد لا يخلو من مكتبة فى معظم أحيانه، مكتبة زاخرة بعلوم الدين أول الأمر، ثم اتسعت لتشمل معظم العلوم والمعارف فيما بعد، ثم نمت المكتبات فى بعض المساجد حتى أصبح فيها ألوف الكتب، بل اشتهرت بعض مكتبات المساجد على مستوى العالم الإسلامى كله وبخاصة مكتبة الجامع الأزهر بمصر، ومكتبة الجامع الأموى بدمشق وغيرهما.

على أن العالم الإسلامى اهتم بإنشاء المكتبات العامة مثل:

- مكتبة دار الحكمة ببغداد التى أنشأها الخليفة المأمون العباسى ١٩٩هـ- ٨١٣م.
- ودار كتب «أردشير» بقرطبة الأندلس ٣٥٠هـ- ٩٦١م.
- ومكتبة جامع القرويين (٢٤٥هـ- ٨٥٩م).

– ومكتبة دار الحكمة بمصر التى أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٦هـ – ١٠٠٥م.

● ثم كانت هناك مكتبات الخلفاء والأمراء والعلماء، بل مكتبات بعض البيوت المسلمة التى كان أربابها يقدرون العلم والعلماء والكتب والمكتبات.

● ولقد عمرت بعض الكتاتيب بالمكتبات –على نحو ما أوضحنا ونحن نتكلم عن المؤسسات المعنية للمدرسة فى الموضوع الثانى من مدخل هذا الكتاب– مما يؤكد أهمية الكتاب والمكتبة فى تراثنا.

فلما كانت المدارس وانتشرت كان لبعض مكتباتها العامة شهرة على مستوى العالم كله مثل:

– مكتبة المدرسة النظامية.

– والمكتبة المستنصرية.

– ومكتبة دار الحكمة بمصر، وغيرها.

● ثم أنشئت الجامعات فكان لكل جامعة مكتبة مستقلة، مثل:

– مكتبة جامعة الأزهر.

– ومكتبة الجامعة المصرية.

– ومكتبات الجامعات فى العالم الإسلامى.

– ومكتبة فى كل كلية من كليات أى جامعة.

● والمكتبة المدرسية ضرورة علمية تعليمية للمعلم وللمتعلم ولكل من فى المدرسة، ولقد كثرت هذه المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى حتى فاقت المليون مكتبة، إذا قدرنا أن كل مدرسة وكل كلية وكل جامعة بها مكتبة عامة، عدا العديد من المكتبات الخاصة.

● وسوف يكون حديثنا هنا عن المكتبة فى موضوعات ثلاثة:

– وظائف المكتبة.

– وروافد المكتبة.

– وإعداد المكتبة.

أولاً : وظائف المكتبة المدرسية :

للمكتبة المدرسية وظائف عديدة فى مجال العلم والتعلم والتعليم نشير إلى بعضها فيما يلى :

أ- تزويد القراء معلمين وطلابًا وعاملين بالكتب التراثية التى لا تطبع إلا قليلاً لضخامتها وتكلفة اقتنائها، ومن هذه الكتب التى لا غنى عنها للمسلم :

- كتب تفسير القرآن الكريم، وكتب علومه.
- وكتب السنة النبوية الجامعة.
- وكتب السيرة النبوية المطهرة.
- وكتب تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم.
- وكتب التابعين والمصلحين المجددين فى تاريخ الإسلام.
- وكتب التاريخ الإسلامى الجامعة.

ب- وتزويد المترددين على المكتبة بالكتب العلمية والأدبية والفنية، وبخاصة الكتب التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، والحضارية والثقافية، وكل ما يتصل بقضايا العالم العربى والإسلامى، وبخاصة الدراسات الحديثة المعتمدة على الإحصاءات والتحليلات السياسية ونحوها.

جـ- وتزويدهم -إجمالاً- بكل ما يتصل بجميع فروع المعرفة الإنسانية تالدها وطريفها، والعربى منها وغير العربى. أى تزويد الإنسان بكل ما يحتاج أن يعرفه ويطلع عليه فى هذا العالم المتسارع الخطى، المتقارب المسافات والأرجاء بعد هذا التطور فى وسائل المواصلات والاتصالات، وبخاصة كتب تلك العلوم المستحدثة التى ملأت على الناس حياتهم وآفاقهم كعلوم الحاسب الالى وعلوم الاتصالات، فكل ذلك أصبح ضروريًا للإنسان، والمكتبة تستطيع ان توفره له دون عناء البحث عنه، دفعًا لوصمة الجهل به.

د- ومن وظائف المكتبة المدرسية -بهذا الشمول- أن تحبب القراءة إلى الناس وبخاصة أهل الإسلام فهم أمة ﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، وأمة: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، وأمة: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

والقراءة مفتاح المعرفة، ومفتاح العقل والقلب، ومفتاح العلم والادب والفن، بل مفتاح

معرفة الحياة الإنسانية فى أرقى صورها، وفى أدناها أيضًا؛ ليعرف الإنسان أين يضع نفسه فى ذلك الإطار، فى الأعلى أم فى الأدنى، بعد أن يقرأ ويتدبر فيما يقرأ ويختار لنفسه ليشق طريقه وقد تسلح بخبرات من سبقوه.

إن القراءة -كما لا يمارى فى ذلك أحد- هى النافذة على العالم كله ماضيه وحاضره.

هـ- والمكتبة المدرسية، عندما تحسن إدارة المدرسة تخصيص وقت للاطلاع فيها، ملائمًا لخطتها المدرسية، وعندما تختار فيها مكانًا هادئًا جيد الإضاءة والتهوية للقراءة عمومًا، أو لقراءة أبناء الفصل الواحد مع معلمهم لمدة حصة أو حصتين فى بعض المقررات الدراسية، حبنما تفعل المدرسة ذلك وما هو بعسير عليها؛ فإنها عندئذ تحبب الطالب فى القراءة وفى التزود من بحور المعرفة بما يروى ظمأه ويملأ قلبه وعقله بالعلم والمعرفة والخُلُق القويم والسلوك الرشيد.

إن الهدف هو أن يصبح صديقًا حميمًا لقارئه، أو خير جليس له كما قال الشاعر: «وخير جليس فى الزمان كتاب».

وتلك من أهم وظائف المكتبة المدرسية.

و- المكتبة المدرسية بما تقدمه لمن يرتادها من نفع وخير وثقافة وعلم ومعرفة، تغريهم بأن يكون لكل منهم مكتبة خاصة به فى بيته إذا ما سمحت ظروفه المالية بذلك وهى لابد سامحة مع التحكم فى الإنفاق وحسن توجيهه مهما كان ضئيلاً[1]، ومن كانت لديه مكتبة فى بيته وقد أصبح بيته جنة الدنيا يلتقى فيه بكل من يحب ممن مضوا إلى ربهم من الأنبياء والصالحين وكبار العلماء، يقرأ لهم ويحاورهم ويجد فى ذلك أكبر المتعة النفسية والعقلية، ثم انفتح أمامه المستقبل العلمى الزاهر بفضل من الله ونعمة.

إن الكتاب حينما يصادقه الإنسان يصله بالإنسانية كلها فى مختلف عصورها وأماكنها، ويعينه على أن يرسم لنفسه طريق النجاح والفلاح فى حاضره ومستقبله.

---

(١) كان حب الكتاب وحب اقتنائه هاجسى منذ زمن بعيد يوم كنت صغيراً، وكنت أكوّن مكتبة لا باس بها تناسب طالبًا فى المرحلة الثانوية، وكلما كبرت كانت تكبر معى هذه الرَّغبة حتى أصبحت مكتبتى -بفضل الله- زاخرة -على الرغم من عدوان زبانية عبدالناصر زوار الفجر عليها أكثر من مرة-، ولما عملت بالتدريس كنت أقول لطلابى- وكان المصروف اليومى لمتوسطى الحال منهم خمسة قروش فى اليوم- ادّخر قرشًا يوميًا واشتر كتابًا كل أسبوع أو كل أسبوعين او كل شهر، وكثير منهم فعلوا ذلك وأصبحت لديهم مكتبات شخصية زاخرة.

ز- المكتبة المدرسية عندما تحسن إدارة المدرسة أو المنطقة التعليمية أو الوزارة أو الجامعة أو أهل العلم والخير؛ عندما يحسن هؤلاء تزويد المكتبة بالكتب الجيدة التراثية والحديثة فإنها تفتح أمامهم أبواب العلم والمعرفة والثقافة على مستوى العالم كله، فلا يعيش فى عزلة عن العالم، ولا يستطيع ذلك ما دام فى بيته مكتبة، إن العزلة عن العالم وما يحفل به من قضايا ومسائل سياسية واقتصادية واجتماعية، ونزعات استيطانية وعدوانية على بلدان العالم واحتلالها بجيوش غازية فى مطلع القرن الحادى والعشرين كما فعلت أمريكا -تؤيدها دول عدوانية استيطانية- لاحتلال أفغانستان والعراق على الرغم من الشرعية الدولية التى نتشدق بها ولا وجود لها إلا فى عالم الخيال والتمنيات وعلى الرغم من هيئة الأمم المتحدة ضد الضعفاء ومن لا يملكون الأسلحة النووية، المتحدة أيضًا -فى كثير من الأحيان- ضد من لا يملكون حق النقض فى مجلس الأمن الذى عجز عن تحقيق الأمن لأى دولة ضعيفة إن العزلة... هى التى تحرم المواطن من ربطه بالعالم الخارجي.

إن المكتبة الخاصة التى حبَّبت فيها المكتبة العامة فى المدرسة تتيح للإنسان أن يطلع على ما أنتجته عقول الناس فى العالم كله، وتلك ثروة لا يُقادر قدرُها.

ونحن -المسلمين- مطالبون من آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة بأن نسير فى الأرض فننظر كيف كانت عاقبة المؤمنين والكافرين، وذلك فى عشرات الآيات الكريمة والأحاديث النبوية المطهرة، والسير فى الآيات والنظر يعنى الإطلاع والعلم والاتعاظ وأخذ العبرة، ومن لم يفعل قد خالف وأثم.

والمكتبة عامة وخاصة هى التى تيسر لنا السير دون عناء السفر والارتحال ومفارقة الأهل والأوطان، إن لنا بعد هذا السير والنظر فى عواقب من سبق، أن نأخذ ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا، وأن نتعلم فندع ما يعارض ديننا، وهو بالقطع مضر بدنيانا.

ح- المكتبة المدرسية تمثل مدرسة متكاملة يغترف الإنسان من كتبها دون معلم بعينه فى ساعة بعينها فى مكان بعينه، إنها تدعم الحرية فى الزمان والمكان وتغذى معانى استقلال الرأى والقرار.

إن المكتبة تطلق فى الإنسان طاقة التربية الذاتية من جانب، فيعلم نفسه بنفسه عن طريق الكتاب، بل تعالج مشكلة الانقطاع عن التعلُّم بعد التخرج؛ لأن الانقطاع عن التعلم خسارة وضياع ومخالفة لقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ**

انظُرُوا... ﴾(١)، وقوله: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا...**﴾ (٢)، وقوله: ﴿**أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا...**﴾ (٣)، وقوله: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا...**﴾(٤).

فالقراءة فى الكتاب تربية ذاتية مستمرة للقارئ.

ط- المكتبة المدرسية حين تنجح فى تحبيب القراءة لمن يتردد عليها فإنها تسدى بذلك الخير كله لمن أحب القراءة؛ لأن القراءة إذا كانت عادة واعية مستوعبة ناقدة لما قرئ؛ فإنها تكسب القارئ ثقة بنفسه، نابعة من ثقته بتعدد معارفه وثقافته وعلمه ومعلوماته التى أفادها من القراءة.

ونجاح الإنسان فى الحياة آخذاً ومعطيًا ليس بحاجة إلى شيء أهم من ثقة للإنسان بنفسه؛ بعلمه ومعرفته وثقافته.

ونجاح الإنسان فى حياته بدايته الطبيعية وانطلاقته، إنما تكون بدايتها فى المدرسة والتفوق فيها، وما طريق ذلك إلا القراءة.

ثم يأتى نجاح الإنسان فى العمل والتفوق فيه نتيجة لنجاحه فى مدرسته، ثم يأتى نجاح الإنسان فى تكوين أسرة نتيجة لنجاحه فى عمله، ثم يكون نجاحه فى الحياة كلها، وتبوؤه فى الحياة مكانة لائقة نتيجة لنجاحه فى تكوين أسرة ناجحة.

وإذن فالنجاح كله وذروته إنما ترتب على حب القراءة والإقبال عليها بشغف دفعته إليه المدرسة أى مكتبتها.

ى- والمكتبة المدرسية عند التردد عليها، والتزود منها، تعلم الإنسان بعد فترة ليست بالطويلة أن يعتمد على نفسه فى بحثه عن الكتاب الذى يريد، ثم بحثه فى الكتاب

---

(١) الأنعام: ١١، والنحل: ٣٦، والنمل: ٦٩، والعنكبوت: ٢٠، والروم: ٤٢.

(٢) يوسف: ١٠٩، والحج: ٤٦، وغافر: ٨٢، ومحمد: ١٠.

(٣) الروم: ٩، وفاطر: ٤٤، وغافر: ٢١.

(٤) آل عمران: ١٣٧.

وكل هذه الآيات الكريمة جاء بعدها الأمر بالنظر فى عواقب من آمن أو كفر، لتؤخذ العظة ويكون الاعتبار، وهو الهدف من السير فى الأرض أى قراءة ما فيها، وما جاء من الآيات الكريمة مصدراً بفعل الأمر فذلك واضح، وما سبق بالاستفهام: أفلم؟ أو لم؟ فإن هذا الاستفهام إنكارى، أى ينكر على من لم يسيروا عدم سيرهم وعدم أخذهم العظة.

عن الموضوع الذى يريد، بعد أن كان يسأل أمين المكتبة أو المعلم المصاحب له فى المكتبة أحيانًا.

وعلى سبيل المثال فإنه بدأ يعرف البحث عن الكتاب الذى يريد فى فهرس أسماء المؤلفين، ثم عرف فهرس أسماء الكتب وعرف كيفية البحث هنا وهناك.

والاعتماد على النفس أقوى عوامل نجاح الإنسان فى عمله أولاً، ثم فى بيته ثانيًا ثم فى حياته كلها.

أرأيت أن البداية الحقيقية لكل هذا النجاح هى حب القراءة وحب التردد على المدرسة؟

أرأيت المعنى الدقيق الشامل لقولنا: إن الأمة الإسلامية هى أُمَّة: ﴿اقْرَأْ﴾، وأمة: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وأمة: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، وأمة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾.

ثانيًا: روافد المكتبة المدرسية:

تستمد المدرسة الإسلامية حاجتها من الكتب من مصادر عديدة تحدثنا عنها آنفًا، وهذه المصادر هى ما نسميه روافد للمكتبة المدرسية.

وهذه المصادر المتنوعة التى ترفد المدرسة تنقسم جميعًا إلى قسمين:

قسم: يمد المدرسة بالكتب؛ لأن ذلك واجبه، كوزارات التعليم والمناطق التعليمية التى تتبعها المدارس.

وقسم: يمد المدرسة بالكتب لأن ذلك أمر محبوب ومطلوب وإن كان لا يرقى إلى درجة الواجب كسائر الأنواع التى سنذكرها بعد قليل.

القسم الأول: مَنْ يجب عليه مَدّ المكتبة المدرسية بالكتب:

وهذا القسم جهتان:

أ- وزارات التربية والتعليم المسئولة عن المدارس وإنشائها وتجهيزها بكل احتياجاتها، وعلى رأس هذه الاحتياجات المكتبة، وكل تقصير فى تزويد المكتبة بالكتب تقصير من وزارات التربية تؤاخذ عليه من الحكومة كلها.

ب- والمناطق أو الإدارات التعليمية التى تتبعها المدرسة؛ لأنها مطالبة بالتضامن مع الوزارة

فى تأمين احتياجات المدرسة كلها، البشرية والمادية، والمكتبة على رأس هذا كله؛ لأنها بمثابة الرئة التى تتنفس المدرسة من خلالها العلم والمعرفة والثقافة.

القسم الثانى: مَنْ يحسُن به أن يزود المكتبة المدرسية بالكتب:

وهذا القسم جهات عديدة هى:

أ- دور الكتب ودور النشر الحكومية وغير الحكومية، وأقل ما يكون ذلك فى المدارس التى تحيط بهذه الدور، فإن اتسعت الدائرة كان ذلك أحسن.

ب- ومجلس الآباء فى المدرسة.

جـ- والجهات الحكومية التى لها علاقة بالثقافة وبالكتب مثل: وزارة الثقافة ودور الكتب العامة، ووزارات الأوقاف، ووزارات السياحة، ووزارات الإعلام ونحوها.

د- والنقابات المتعددة فى البلاد، لأن أعضاءها جميعًا كانوا طلابًا فى مدارس وجامعات ويعرفون تمامًا قيمة الكتاب.

هـ- والأحزاب السياسية؛ لأن من صميم أهدافها نشر الفكر والثقافة، والثقافة السياسية على وجه الخصوص.

و- والأندية الاجتماعية والرياضية.

ز- والمكتبات الخاصة التجارية أو الشخصية.

ح- والجامعات، وبعض الكليات القريبة من مدرسة معينة.

ط- والجمعيات الأهلية المتعددة الأنشطة، وبخاصة الخيرية منها.

ى- وأهل الخير والبر من القادرين الذين يحبون أن يدخروا عند الله عملاً يجزون عليه أحسن الجزاء.

ثالثًا: ما يجب أن تكون عليه المكتبة المدرسية:

المكتبة المدرسية جزء من بناء المدرسة -الذى تحدثنا عنه آنفًا وتحدثنا عما يجب فى هذا المبنى من اشتراطات يضعها مختصون وفنيون فى المبانى المدرسية-.

والمكتبة تعد جزءًا أساسيًا من بناء المدرسة، وإذا كان البناء المدرسى بجميع مشتملاته ومرافقه هو من مدخلات المدرسة، فإن التلميذ الذى تعلم وتثقف وتربَّى فى المدرسة هو

أهم مخرجاتها، وإذا دخل التلميذ مدخلاً حسنًا خرج مخرجًا حسنًا، هذه بدهيات يعرفها جميع الناس.

- والمبنى المدرسى الحالى من المكتبة أشبه ما يكون بإنسان ذى رئة واحدة، أما الرئة الثانية فهى المكتبة المدرسية، وذلك أن المكتبة المدرسية مكملة لمنظومة التربية والتعليم، مثلها مثل سائر المكملات لتلك المنظومة من حجرات لفصول الدراسة ومعامل وقاعة محاضرات وقاعات لممارسة الأنشطة المدرسية وأفنية ومرافق وسائر ما تقترحه بيوت الخبرة الهندسية فى بناء المدارس.

- وللمكتبة لدى هذه البيوت المتخصصة فى هندسة المبانى المدرسية حظ موفور من العناية والاهتمام، حتى إن للمكتبة عندهم صفات عديدة على درجة عالية من إقدار المكتبة على أداء مهامها، ومن ذلك:

- ما يتصل بمساحة المكتبة فى المبنى المدرسى كله، ومكانها منه.
- وما يتصل بمبانيها ونوافذها التى يجب أن تعزلها عن أى ضوضاء تأتيها من الخارج.
- وما يتصل بارتفاع حوائطها وأسقفها.
- وما يتصل بإضاءتها الطبيعية والصناعية نهاراً وليلاً.
- وما يتصل بتهويتها وجوها صيفًا وشتاءً.
- وما يتصل بتوافر الظروف الصحية فيها.
- وما يتصل بقاعات القراءة والإطلاع.
- وما يتصل بأماكن الفهارس.
- وما يتصل بخزائن الكتب وخزائن المخطوطات.
- وما يتصل بتأثيثها من مقاعد ومناضد.

وغير ذلك من المواصفات والاشتراطات التى أصبحت معروفة اليوم للمكتبة المدرسية على وجه الخصوص.

وبعد: فأرجو أن أكون قد ألقيت بعض الضوء على المكتبة المدرسية التى هى جزء مهم من منظومة التربية والتعليم فى عالمنا العربى والإسلامى، والتى هى إحدى الوسائل العامة التى تمكن المدرسة من تحقيق أهدافها.

٦- وإعداد المرافق المدرسية الصالحة:

المرافق المدرسية هى كل ما يُنتفع به فى المدرسة من فراغات ومبان وحدائق وملاعب وغيرها مما يستعان به على أن تؤدى المدرسة وظائفها العديدة التى تحدثنا عنها آنفًا.

وهذه المرافق -أيضًا- جزء من المنظومة التعليمية، لا نجاح لهذه المنظومة إلا باستكماله على الصورة الجيدة التى تساعد على أن تحقق المدرسة أهدافها، فهى من الوسائل العامة التى تتخذها المدرسة سببًا فى أداء وظائفها على النحو الأمثل.

- وهذه المرافق متنوعة ومتكاملة أيضًا، ولها من الصفات العلمية والفنية والوظيفية ما هو معروف لدى بيوت الخبرة الهندسية فى المبانى المدرسية، والتى يمكن إجمالها فى صفتين كبيرتين تدخل تحتهما كثير من التفريعات، هما:

- تحقيق الانتفاع على أحسن صورة.
- والمسحة الجمالية فى المبنى.

وحديثنا عن المرافق فى نقطتين:

الأولى: أنواع هذه المرافق.

الأخرى: فى صفاتها وشروطها.

أولاً: أنواع المرافق المدرسية:

أ- الفصول الدراسية التى يتلقى فيها التلاميذ دروسهم من حيث سعتها وتهويتها وإضاءتها، وأثاثها، ومكان المعلم من تلاميذه ورؤيته لهم جميعًا ورؤيتهم له، وسبورة يكتب عليها بغير «الطباشير» لما فيه من أضرار صحية، وشاشة عَرْض عند الحاجة إليها مع آلة عَرْض مناسبة لبعض الدروس التى تحتاج لذلك.

ب- والفصول والقاعات الخاصة بأجهزة «الحاسب الآلى» مع وصل تلك الأجهزة بشبكة المعلومات العامة أو الخاصة لتيسير الحصول على المعلومة عند الحاجة إليها، ولسرعة الاتصال بالآخر والحوار معه من خلال هذه الآليات الحديثة، حتى لا ينعزل المتعلم عن وطنه المحلى أوالعربى أو الإسلامى أو العالم كله.

جـ- وقاعة أو أكثر تتسع لطلاب عدد من الفصول الدراسية لممارسة نشاط أسبوعى بالتبادل

مع فصول أخرى، مع تجهيز هذه القاعات وتأثيثها بكل ما يلزمها من مقاعد وأجهزة لنقل الصوت والصورة.

د- وقاعة أو أكثر للاجتماعات المدرسية، لإدارة المدرسة، أو مجلس الآباء والمعلمين فيها، أو لممثلى الطلاب، لمناقشة موضوع أو قضية لها علاقة بالظروف المحيطة بالمدرسة حاضرها أو مستقبلها.

هـ- والمسرح المدرسى وإعداده علميًا وفنيًا على أيدى خبراء، وسعة المسرح وإضاءته وتهويته، فالمسرح جزء أيضًا من المنظومة التعليمية التربوية، وله وظائف عديدة تدخل فى صميم وظيفة المدرسة، كما أن له وظيفته التعليمية.

و- ومكتبة المدرسة التى تحدثنا عنها آنفًا، والتى تؤكد أنها من أهم مرافق المدرسة، للأسباب التى ذكرناها، والتى لا يمكن التقليل من شأنها بحال.

ز- ومعرض المدسة، وهو قاعة فسيحة خاصة بعرض منتجات التلاميذ من الرسوم والفنون التشكيلية وغيرها من وسائلهم فى التعبير الفنى عما يحسون به فى المدرسة أو فى بيوتهم أو فى المجتمع المحلى أو العربى أو الإسلامى أو العالمى.

ح- ومطعم المدرسة ومقصفها، وما يجب أن يتوافر له من شروط وصفات بحيث يقصده الطلاب فى أوقات تحددها المدرسة لتناول الطعام وكسر حدة العمل المدرسى المتواصل، ولكى لا يلجأ التلاميذ إلى تناول الطعام فى الفصول الدراسية، أو فى فناء المدرسة.

ط- والملاعب الرياضية وهى متنوعة ولكل منها مواصفات تخص اللعبة التى تمارس فيه، ولكل ملعب أجهزته وآلياته، وهذه الملاعب جزء هام من البناء المدرسى، وعون للمدرسة على أن تؤدى وظيفتها التربوية فى أجساد الطلاب وتنشيط قواهم.

ى- وفناء المدرسة الذى يجتمع فيه التلاميذ صباحًا قبل التوجه إلى حجرات الدراسة، والأفنية الأخرى الصغيرة لكل فصل أو صف دراسى، وما يجب أن تكون عليه هذه الأفنية من تنسيق ونظافة وجمال وتحقيق للنفع منها.

ك- والأماكن «الورش» التى تعد لكى يتعلم فيها التلاميذ ممارسة بعض الحرف -وفى المدارس الفنية لهذه الأماكن صفات خاصة وأجهزة خاصة معروفة- وتختلف باختلاف الحرفة التى تتعلم، وهى من عمل وتصميم بيوت الخبرة الهندسية فى إنشاء المدارس الفنية.

ل- والمساحات المزروعة من المدرسة بالأشجار أو الزهور أو نحوها، وتنسيقها، بحيث يتوافر

لها الجمال والنفع إذ قد يتدرب فيها التلاميذ على الزرع غرسًا وريًا وتربية، أما إن كانت المدرسة فنية زراعية، فإن الأمر يختلف تمامًا وله خبراؤه.

م- ودورات المياه في المدرسة، مكانها ونظامها ونظافتها، وملاءمتها لأعمار التلاميذ، والإشراف عليها، وهي جزء أيضًا من المنظومة المدرسية.

وبعد: فهذه المرافق التي ذكرت ليست كل مرافق المدرسة وإنما هي بعضها، لكنني ذكرت ما ذكرت منها لأؤكد أهميتها وفاعليتها، ولأوضح أنها إذا أقيمت على صورتها الصحيحة واعتني بها كما يجب أن تكون العناية فإنها تسهم في أن تؤدي المدرسة وظيفتها، وإذا أدت المدرسة وظيفتها على الوجه الصحيح فإن التلميذ يقبل على المدرسة بل يتعلق بها، لأنه يمارس فيها إلى جوار التعلم كثيرًا من هواياته ويعبر عن كثير من رغباته، وفي هذا الحب للمدرسة نتغلب على كثير من المشكلات المتعلقة بتغيب التلاميذ عن المدرسة أو تسربهم منها، أو ذهابهم إليها مكرهين.

ثانيًا: صفات المرافق وشروطها:

الدخول في تفاصيل الشروط والمواصفات له -كما قلنا- بيوت الخبرة الهندسية المتخصصة، لكننا نتحدث هنا عن عموميات في هذه الشروط والمواصفات، يمكن أن نجملها في ثلاث:

أ- شروط ومواصفات فنية متعارف عليها بين وزارات التربية والتعليم أو المناطق التعليمية، وبين بيوت الخبرة الهندسية المختصة.

ب- شروط ومواصفات وظيفية لكل مرفق من هذه المرافق، بحيث يؤدي هذا المرفق وظيفته على أمثل وجه، وهي شروط وصفات يحددها أهل الخبرة والاختصاص بالتفاهم مع الخبراء التربويين.

جـ- شروط وصفات جمالية لا يمكن تجاهلها، فالأصل أن يكون كل مرفق من هذه المرافق جميلاً في ذاته، وجميلاً إذا نظر إليه مع غيره، والجمال صفة فضلى، بل هي من أفضل صفات الحياة الإنسانية، وقد وصف الله تعالى نفسه بها، وأعلن أنه يحب من اتصف بها في نفسه أو فيما يقول أو يعمل أو ينتج **«إن الله جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة»، «وكتب الإحسان على كل شيء»**(١).

---

(١) هذه الكلمات أجزاء من أحاديث نبوية شريفة خرجناها فيما سبق من هذا الكتاب.

وبعد: فهذه الوسائل العامة التى تستعين بها المدرسة، على تحقيق أهدافها، وهى -كما أوضحنا- متكاملة بمعنى أن بعضها لا يغنى عن بعض، وأنها ضرورية لمنظومة التربية والتعليم، وكل قصور فيها ينعكس بقصور أو عجز للمدرسة عن أن تحقق أهدافها.

غير أن هناك وسائل خاصة تستعين بها المدرسة على أداء وظائفها، هى التى سنختم بها هذا الفصل وهذا الباب وهذا الكتاب، سائلين الله العون وحسن المثوبة.

ثانيًا: الوسائل الخاصة:

ونعنى بالوسائل الخاصة التى تعين على تحقيق أهداف المدرسة أو تحقيق أهداف التعليم والتربية تلك الوسائل التى تتصل بالمعلم أساسًا والتى يجب أن يستكملها ليمارس التعليم الجيد، أو التى تتصل بالمدرسة لكى يشترك فيها المعلم ويخرجها إلى مجال التطبيق العملى.

والمدرسة مقصد الناس جميعًا تتولاهم بالتعليم والتربية صغاراً وشبابًا إلى سن النضج والاكتمال، وتؤهلهم لممارسة الحياة العملية وتمكنهم من إنشاء بيوت صالحة وأسرة صالحة، وتجعلهم قادرين على الإسهام فى تنمية المجتمع وترقيته.

لهذه الأسباب ولغيرها مما لا أستطيع الإفاضة فى الحديث عنه، كان للمدرسة الإسلامية وسائل خاصة بالإضافة إلى وسائلها العامة التى ذكرنا، تستعين بها على تحقيق أهدافها، وهى فى تصورى أربع وسائل هى:

- طرق التدريس.
- الوسائل الإيضاحية المعينة على التدريس.
- الأنشطة المدرسية.
- الخدمات المدرسية.

١- طرق التدريس:

طريقة التدريس هى الأسلوب الذى يتبعه المعلم من أجل تحقيق أهداف الموضوع الذى يدرسه، سواء أكانت أهدافًا معرفية أو مهارية أو وجدانية.

● طرق التدريس عديدة -كما يدل على ذلك اسمها: «طُرُق تدريس» وكما سنوضح بعد قليل- ولكنها جميعًا من الوسائل الخاصة التى يستعان بها على تحقيق أهداف التعليم والتربية عمومًا.

- وإنما تعددت طرق التدريس لأنها شديدة الاتصال بالمعلم، ولا يوجد معلمان متفقان فى العلم أو فى القدرة على توصيل المعلومة إلى التلميذ، وإنما هم فى ذلك أنواع وأنواع؛ إذ لكل معلم منهم طريقته الناجحة فى تنوير أذهان التلاميذ، وتنشيط عقولهم وإثارة اهتمامهم بالتعلُّم، كما أن لكل معلم قدراته الخاصة فى توصيل المعلومة إلى التلاميذ؛ لذلك كانت طُرُقًا للتدريس ولم تكن طريقة واحدة.

- وطريقة المعلم فى التدريس مكونة من عدة مفردات متكاملة كلما فقد واحد منها نقص نجاحه فى تدريسه بمقدار ما نقص من هذه المكونات أو المفردات.

● وتلك المفردات، أو المكونات هى:

أ- مهارته فى القيام بعمل التدريس، وهى مترتبة غالبًا على ما تلقاه من دراسات فى التربية ومناهجها.

ب- وتمكُّنه من المادة العلمية التى يقوم بتدريسها، وحبه لهذه المادة.

جـ- وثقافته العامة وثقافته فى مجال علم النفس عمومًا، وفى مجال علم النفس التربوى على وجه الخصوص.

د- وتهيؤه نفسيًا للقيام بعمل التدريس، وإعداد نفسه للقيام به.

هـ- وتهيؤه عقليًا وثقافيًا، بالقراءة فى موضوع الدرس واستيعابه ونقده والتغلب على ما فيه من مشكلات، وإنما يكون ذلك بسعة اطلاعه على الموضوع فى مصادر ومراجع تتصل به.

و- وإخلاص المعلم فى عمله عمومًا، ولمهنة التدريس خصوصًا وللمادة التى يدرسها على وجه الخصوص.

ز- وتدقيقه فى اللغة التى يتعامل بها مع التلميذ بحيث تكون سهلة وصحيحة وفصيحة، مع اختياره لطبقة صوته وهو يتحدث إلى تلاميذه.

ح- وإقباله على عمله بانشراح وتقبل، مع الابتعاد كل البُعد عن العبوس والتذمر وإظهار السخط.

ط- وتهيئة تلاميذه للتلقى والمشاركة والحوار والمناقشة، وإثارة دوافعهم للتعلم، وتوجيه طاقتهم ونشاطهم نحوه؛ ليقبلوا عليه برغبة وشوق.

ى- وتهيئة الجو المناسب فى حجرة الدراسة، لعرض موضوع الدرس على التلاميذ، وهم نشطون راغبون فى المشاركة والمناقشة، والسؤال والإجابة.

هذه المفردات أو المكونات هى التى توضح طريقة المدرس فى عرض مادته على طلابه.

● ولابد أن نقول: إن المدرس لا يستطيع أن يمارس طريقته هذه إلا إذا أعدَّ لذلك تصوراً مسبَّقًا، وهذا التصور يقوم على عناصر أربعة:

الأول: التخطيط، أى وضع خطة للموضوع الذى سوف يدرسه وأهم مفردات هذا التخطيط هى: تحديد أهدافه ووسائله والمدى الزمنى الذى يستغرقه.

الثانى: تطبيق هذه الخطة أى إدخالها حيز التنفيذ عمليًا.

الثالث: المتابعة لهذا العمل الذى قام به، بمعنى اختباره لمدى تقبل التلاميذ له واستيعابهم إياه لعلاج الخلل والقصور قبل تراكمه.

الرابع: التقويم لهذا العمل بمعنى التعرف على أثر هذا العمل فى نفوس التلاميذ، ومدى إقبالهم عليه، وإجراء الاختبارات الشفهية والتحريرية لذلك، حتى يتمكن من علاج القصور فى المادة أو الطريقة أو الوسيلة.

● ولنا -معشر المسلمين- فى القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ زاد أى زاد فى تعلم الطرق التى نعلم بها الناس دين الله ودعوته.

وقد علمتنا آيات القرآن الكريم ثلاث طرق للدعوة أو للتعليم هى:

- طريقة الحوار أى الجدال بالتى هى أحسن.

- وطريقة النظر والتفكر والخلوص إلى النتائج.

- وطريقة الملاحظة والتجربة.

● ففى طريقة الحوار والمناقشة والجدال بالتى هى أحسن، جاء قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...﴾ [العنكبوت: ٤٦]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾
[الكهف: ٢٩]

فهذه الآيات الكريمة تعلم الحوار والجدال بالتي هي أحسن وحرية الإرادة وحرية الاختيار. وقد سمى ذلك علماء التربية: طريقة المناقشة.

● وفي طريقة النظر والتفكر والخلوص إلى النتائج الحقيقية، جاء قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ...﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [يونس: ١٠١].

وقوله جل وعلا: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

فهذه الآيات الكريمة تدعو إلى إعمال العقل والتفكر والنظر واعتبار الأدلة والبراهين من أجل الوصول إلى الحق والهدى، قبل فوات الآوان. إن ذلك هو المنهج العلمي الذي يقوم على النظر والفهم والتحليل والتركيب للوصول إلى النتيجة الصحيحة، وقد سمى ذلك علماء التربية: طريقة حل المشكلات.

● وفي طريقة الملاحظة والتجربة، أي ملاحظة الظاهرة والتأمل فيها وتجربتها، جاء قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

إن توجه إبراهيم عليه السلام إلى الاهتداء إلى الحق جاء ليعلمنا ضرورة الملاحظة والتجربة في كل أمر نريد أن نهتدي فيه إلى الحق والصواب.

هذه هي طرق التعليم التي علمنا إياها الإسلام، وهي هداية لنا في كل أسلوب نتبعه في نقل المعلومة إلى الطرف الآخر بحيث نحقق بها أهداف التعليم المعرفية والمهارية والوجدانية.

٢ - وسائل الإيضاح المعينة على التدريس:

التعليم فى معظمه يقوم على الدراسات النظرية وعلى التلقين من المعلم للمتعلم، وهو بهذه الصفة يعتمد على الألفاظ المنطوقة، واللغة؛ فمن المعلم الكلام والتلقين، ومن المتعلم الاستماع والحفظ وإدراك هذه المعانى التجريدية التى عرضها المعلم.

وهذا النوع من التعليم النظرى فقط يعتمد على حاسة السمع وحدها لتكون بابًا للفهم والإدراك، فى حين يتجاهل سائر حواس الإنسان التى تعتبر أبوابًا أخرى للإدراك، فهو يتجاهل حاسة البصر وحاسة اللمس وحاسة الشم والذوق، وكل هذه حواس أساسية وضرورية للإنسان خلقها الله له وجعل لها وظائف لخدمة الإنسان، إنها حواس تساعد الإنسان على تجسيم المعانى المجردة لتشاهد وتُحَسّ فتكون أكثر وضوحًا، وأقدر على إيضاح ما ينشده المعلم من درسه، وهو تحقيق أهداف الدرس كلها معرفية أو مهارية أو وجدانية.

- وكلما اجتهد المعلم فى الاستعانة على تفهيم درسه بوسائل أكثر إثارة لانتباه التلميذ، وأنجح فى تحويل النظريات التجريدية إلى عالم الواقع المحسوس؛ كان مدرسًا ناجحًا وموفقًا، بل كان تعليمه أدخل فى قلوب تلاميذه وعقولهم، وكان جديرًا بأن يحقق أهدافه، وأهداف درسه وأهداف المدرسة وأهداف التربية التعليم.
- والوسائل التعليمية على مدى تاريخ التعليم متغيرة متطورة؛ لأنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتقدم العلمى والتقنى فى كل عصر وفى كل مجتمع إنسانى.

وعلى سبيل المثال:

- كانت الوسيلة فى الماضى بسيطة وبدائية، إذ لم تكن تعدو بعض الصور والرسوم، ومشاهدة بعض مناظر الطبيعة ومظاهرها من خلال رحلة أو نحوها، وربما كان من الوسائل التعليمية آنئذ بعض القطع الحجرية أو الخشبية أو المعدنية المصنعة خصيصًا لتعين على فهم بعض الدروس فى الفيزياء والنبات والحيوان، كان ذلك فى الماضى قبل عصر النهضة العلمية المسمى عصر العلوم.
- غير أن الوسائل التعليمية اليوم أخذت من النهضة العلمية بحظ وافر، وواكبت المكتشفات والمخترعات وكل أنواع التقنية «التكنولوجيا» فأصبحت تستعين بالسينما والمسرح والإذاعة مسموعة ومرئية، والمحطات الفضائية وشبكة المعلومات، والحاسب الآلى، وغير ذلك من المستحدثات، بل أصبح أمام المعلم كم هائل من الوسائل التى

يمكن أن يستعين بها على توضيح درسه، ولم تكن فى الحسبان قبل ذلك، فماذا يفعل المعلم اليوم مع هذه الوسائل؟

● على المعلم وهو يختار الوسيلة التعليمية أن ينظر إلى مدى قدرتها على تحقيق أهدافه، ومن ذلك:

- أن تكون قادرة على إثارة انتباه التلميذ، وجذبه إليها، حتى ينجذب إلى ما تستهدفه هذه الوسيلة.

- أن تكون قادرة على تحويل الخبرات النظرية التى يحصل عليها التلميذ من الدرس إلى واقع يحس به ويلمسه ويعايشه، فإن فى ذلك فائدة أخرى غير الإيضاح هى إذهاب الملل عن التلميذ إذا اكتفى بمجرد الاستماع.

- وأن تحدث الوسيلة مع حسن استخدامها تطابقًا بين المعانى المجردة التى عبر عنها المعلم بالألفاظ، وبين هذه الألفاظ، لأن ذلك فى صالح العملية التعليمية أولاً، كما أنها تقارب بين المعلم وتلميذه بما تصنع من مصداقية بين اللفظ والمعنى.

- وأن تكون الوسيلة قادرة على أن تقدم خبرة تعليمية حية أى محسوسة للموضوع الذى قام الأستاذ بتدريسه، مما يجعل لهذه الوسيلة تأثيراً قويًا فى قلب التلميذ وعقله.

- وأن تسهم الوسيلة فى إفساح المجال أمام التلميذ ليشارك فيما يرى ويمارس فيه ما استطاع، حتى تتكون لديه الخبرة فى المعارف والأفكار والمهارات.

- وأن تنمى الوسيلة قدرة التلميذ على التأمل والتدبر وعمق التفكير مع سرعة الفهم والإدراك، وأن تنمى قدرته على الدقة فى الملاحظة والفهم، لأن ذلك يحدث له شعوراً غامراً بالسعادة حين يصل إلى ذلك.

- وأن تكون الوسيلة لكثرة ما هى محببة إلى التلميذ دافعة له على حب الدرس وحب المعلم وحب المدرسة والإقبال عليها.

● ومما يكمل حديثنا عن الوسائل التعليمية أن نضع هذه الاحترازات أو الشروط التى تجعل الوسيلة أقوى أداء وأفعل فى قلب التلميذ وعقله، ومن ذلك:

- أن الوسائل التعليمية لازمة فى كل مرحلة من مراحل التعليم؛ لأن المتعلم دائمًا بحاجة إلى أن يخرج من حيز النظرية إلى مجال التطبيق مهما كانت المرحلة التعليمية التى يتعلم فيها.

غير أن وسيلة الإيضاح أوجب وألزم فى المرحلة الأولى مرحلة الأساس والتاسيس، حتى لا يمل التلميذ من المدرسة ولا يتسرب منها ضيقًا بها وبنظرياتها وتجريدياتها التى لا يستسيغها عقله وقد لا تكون مناسبة لعمره.

– وأن المعلم النابه هو الذى يجرِّب الوسيلة بنفسه قبل أن يعرضها على تلاميذه، ليتأكد منها ومن أدائها وفاعليتها وقدرتها على تحقيق الأهداف المرجوة منها، ولكى يتلافى أى قصور أو خلل فيها قبل أن يعرضها على التلاميذ، كما أن عليه أن يحسن اختيار المكان الذى تعرض فيه الوسيلة على التلاميذ.

– ولا تؤدى الوسيلة هدفها إلا إذا عَرَّضها المدرس لكى تكون موضع نقد تلاميذه، ومناقشتهم وحوارهم حولها بل إنه بذلك يسهم فى حل عُقَد ألسنتهم، ويتيح لهم حقًا أساسيًا من حقوقهم عليه وعلى مادته ووسيلته والمدرسة كلها وهو حقهم فى التعبير عما يريدون.

● والمدرسة أو الوزارة المختصة بالتعليم عليها أن تؤمن وسائل الإيضاح كما تؤمن الكتاب والمعلم والمنهج، فذاك واجبها المستمر أبدًا، فهى وسائل فوق طاقة المدرسة وإمكاناتها وهى بكل تأكيد تعجز المدرس عن أن يؤمنها.

والذى أحب أن أقوله بعد المشاهدة لكثير من مدارس العالم العربى والعالم الإسلامى أن وسائل الإيضاح المعينة على التدريس لا تأخذ من اهتمام وزارات التربية والتعليم ما تستحق من اعتبار.

● ونحن معشر المسلمين الذين تعنينا المدرسة الإسلامية، ونراها الأساس فى النهوض العلمى والتقنى والمعرفى والوجدانى للعالم الإسلامى كله، نحن قد منَّ الله علينا بأن علمنا أن وسائل الإيضاح مطلوبة فى حياتنا التعليمية والعلمية، حيث لجأ إلى التعامل بها المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى مواقف عديدة من حياته ومواقفه وهديه لأصحابه وللمسلمين جميعًا من بعد صحابته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

– إنه ﷺ اعتبر الدعوة إلى الله والعمل على نشر دين الله فى الأرض عملاً تعليميًا تربويًا، يستهدف تكوين المعارف والمهارات وإحياء القلوب وترطيبها.

– فقد استعان رسول الله ﷺ على توصيل المعانى التى يتحدث بها إلى صحابته وإلى الناس جميعًا ببعض وسائل الإيضاح، ليقول لنا: فكروا واعملوا على تأمين كل ما

يعينكم على توضيح أهدافكم، وما تدعون إليه، فقد فعلت أنا ذلك مرات ومرات، ﷺ.

- والجمع بين الدعوة إلى الله والتعليم جمع منطقى لأن الدعوة إلى الله إلى الدين تعليم، ولأن التعليم دعوة إلى الحق والهدى، وقد جمع المعصوم ﷺ فى أحاديثه بين الدعوة والتعليم، كما وردت الآيات القرآنية الكريمة بذلك.

● ففى الدعوة إلى الله إلى الدين الحق جاء قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...**﴾ [يوسف:١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...**﴾ [النحل:١٢٥].

وروى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**... إنما بعثنى الله مبلغًا ولم يبعثنى معنتًا**».

وروى ابن ماجة بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حُجَره، فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين إحداهما يقرأون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال رسول الله ﷺ: «**كل على خير، هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بُعثتُ معلمًا**» فجلس معهم.

● ومن وسائله ﷺ فى الإيضاح، إشارته بإصبعه(١) أو بإصبعيه(٢) أو بأصابعه(٣).

وأشار إلى حلقه(٤)، وإلى عاتقه(٥)، وإلى مناط قلبه(٦)، وأشار بسبابته(٧)، وأشار إلى صدره(٨).

● ومن وسائله ﷺ رسمه على الأرض خطوطًا.

---

(١) ورد ذلك فى حديث رواه مسلم فى باب: المساجد.
(٢) ورد ذلك فى حديث رواه مسلم فى باب: المساقاة.
(٣) ورد ذلك فى حديث رواه مسلم فى باب: الصيام.
(٤) ورد ذلك فى حديث رواه النسائى فى باب: الجنائز، وابن ماجة فى: الوصايا.
(٥) ورد ذلك فى حديث رواه البخارى فى باب: الحج.
(٦) ورد ذلك فى حديث رواه مسلم فى باب: الزهد.
(٧) ورد ذلك فى حديث رواه مسلم فى باب: الزهد.
(٨) ورد ذلك فى حديث رواه مسلم فى باب: البر.

– فقد روى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: كنا عند النبى ﷺ، فخط خطًا، وخط خطيْن عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده فى الخط الاوسط فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...**﴾ [الأنعام:١٥٣].

– وروى أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: هذه سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سُبُل متفرقة على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...**﴾ [الأنعام:١٥٣].

– وروى أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه خط خطًا مُرَبَّعًا، وخط خطًا وسط الخط المربَّع، وخطوطًا إلى جنب الخط الذى وسط الخط المربَّع، وخط خارج من الخط المربع، قال: «**هل تدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا الإنسان الخط الأوسط، وهذه الخطوط إلى جنبه، الأعراض تنهشه من كل مكان؛ إن أخطأه هذا أصابه هذا، والخط المربّع؛ الأجل المحيط به، والخط الخارج، الأمل**».

٣– الأنشطة المدرسية خارج المدرسة:

المدرسة الإسلامية لها نوعان من النشاط:

أحدهما: داخل المدرسة وقد تحدثنا عنه آنفًا [١]، وهناك تحدثنا عن أقسام هذا النشاط وأنواعه، ووظائفه داخل المدرسة أثناء حديثنا عن علامات حسن اختيار المنهج. وقلنا هناك: إن جماعات النشاط المدرسى الثقافى والفنى والاجتماعى والعلمى والرياضى، تلك الجماعات المكونة من التلاميذ بريادة أحد الأساتذة المتخصصين فى كل مجال من هذه المجالات.

والآخر: النشاط خارج المدرسة وهو ما سوف نتحدث عنه الآن بعون الله، فنقول:

إن المدرسة الإسلامية لها مع الأنشطة الداخلية أنشطة خارج المدرسة، تتصل بواجبها فى إحداث وعى بين الناس عمومًا وبين تلاميذها على وجه الخصوص، وبين شباب الحى الذى أقيمت فيه المدرسة.

---

(١) فى هذا الفصل من هذا الباب الثالث آخر أبواب هذا الكتاب.

وإنما كان إحداث هذا الوعى بين الناس من واجب المدرسة؛ لأنها مؤسسة اجتماعية بوصفها مدرسة، وأما وصفها بأنها إسلامية فهو الذى أوجب عليها هذه الأنشطة.

● الفكرة السائدة بين الناس عن المدرسة أنها مكان يَتَلقَّى فيه التلاميذ التعليم فيحصلون على العلم ثم تغلق المدرسة أبوابها حتى صباح اليوم التالى!!!

وهذه الفكرة يجب أن تتغير لتحل محلها الفكرة الصائبة وهى:

أن المدرسة مؤسسة اجتماعية لا ينبغى أن تكتفى بتعليم التلاميذ وتربيتهم، وإنما يجب أن يمتد أثرها فى المجتمع فى أنشطة أخرى غير التعليم والتربية، وأن أبوابها يجب أن تكون مفتوحة بعد اليوم المدرسى، بل يجب أن تظل مفتوحة فى شهور الصيف حين تخلو من العمل التعليمى التربوى، لتمارس أنشطتها من أجل هذا المجتمع.

وعلينا بعد هذا التقديم أن نتحدث عن أنواع الأنشطة التى يجب أن تمارسها المدرسة فى المجتمع أى خارج المدرسة، والله تعالى ولى التوفيق.

أنواع الأنشطة المدرسية خارج المدرسة:

هى أنواع كثيرة أصلاً -كما سنوضح- لكنها دائمًا قابلة لأن تزيد وتتعدد كلما دعت حاجة إلى ذلك، وسنشير هنا إلى أهم أنواع هذه الأنشطة وهى:

أولاً: نشر الوعى الوطنى والعربى والإسلامى بين الناس:

ولهذا النشر طرق عديدة، يقوم بها المعلمون والطلاب، وضيوف المدرسة من العلماء والوجهاء والمحبين لإصلاح المجتمع وتطويره نحو الأحسن والأنفع للناس.

ومن هذه الطرق:

أ- عقد محاضرات وندوات عامة فى الموضوعات التى تهم الوطن المحلى والعالمين العربى والإسلامى، اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا وعلميًا وأدبيًا، وطرح هذه الموضوعات بالسنة علماء وخبراء ومفكرين وأدباء تدعوهم إدارة المدرسة إلى ذلك، ثم فتح باب الحوار والمناقشة بين الذين جهزوا هذه المحاضرات والندوات، بهدف الوصول إلى تصور إسلامى صحيح لهذه القضايا.

ب- وعقداجتماعات بين معلمى المدرسة ووجهاء الحى وبعض العلماء والمفكرين، والحوار

فيما بينهم بهدف التنوير والتبصير بهذه القضايا، حتى يتمكن المشاركون في الحوار فيما بعد من أن يثيروا هذه القضايا ويُوَعُّوا بها في دائرة أصدقائهم وجيرانهم وزملائهم.

جـ- وكذلك يفعل طلاب المدرسة، وبخاصة إذا كانت مدرسة ثانوية فما فوقها؛ إذ هم قد استوعبوا هذه القضايا في دروسهم وما حضروه من محاضرات وندوات، وعليهم أن يطرحوها ويتحاوروا فيها مع أصدقائهم وجيرانهم وزملاء النادي الاجتماعي أو الرياضي، ليكون الناس على علم بأبعاد هذه القضايا، ولديهم قدرة على التصور الصحيح لها.

ثانيًا: التركيز على نشر الوعي الاجتماعي والسياسي في المجتمع:

وطرقها هي نفس الطرق التي تحدثنا عنها آنفًا، ويمكن أن يضاف إليها في شهور الصيف - والطلاب لا يتلقون التعليم في المدرسة - أنشطة أخرى مثل:

الزيارات لبعض المسئولين، وبعض الأماكن الهامة في الحيّ أو في المدينة، وبعض دور الأيتام ومراكز المعاقين وبعض المستشفيات، وغيرها مما يحدث أثرًا اجتماعيًا جيدًا في نفوس الزائرين والمزورين.

● أما في المحاضرات العامة والندوات، فتثار فيها أبرز القضايا الاجتماعية في المجتمع مثل:

- قضية الأمية والعمل على إزالتها من المجتمع.
- قضية البطالة ومالها من تأثير على نشر الجريمة.
- قضية تفشي الأمراض وطرق الوقاية منها.
- قضية التعليم وتسرب بعض التلاميذ والتلميذات منه.
- قضية عمل المرأة.
- قضية الزواج والعقبات في طريقه والتصور الصحيح لإزالة هذه العقبات.
- قضية الأخلاق وكيفية المحافظة على القيم الخلقية الإسلامية.
- قضية العادات والتقاليد المستوردة التي تخالف ديننا وقيمه.

كما تثار في هذه المحاضرات والندوات أبرز القضايا السياسية في المجتمع مثل:

- قضية الحريات عموماً؛ حرية الفكر وحرية التعبير وحرية العمل وحرية الكسب وحرية الاقتناء وحرية التصرف، وحرية السفر والتنقل.
- وقضية الحقوق والواجبات.
- وقضية العدالة والمساواة أمام القانون.
- وقضية الاستعمار والاستيطان والتغريب.
- وقضية استيلاء اليهود على فلسطين، وتحيز بريطانيا لإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين، وانحياز أمريكا لجرائم إسرائيل وتبريرها ورفض إدانتها.
- وقضية الإرهاب ومقاومة المحتل.
- وقضية احتلال أمريكا لأفغانستان والعراق.
- وقضية التحدى الإسرائيلى الأمريكى للعرب.
- وقضية التحدى الغربى للإسلام والمسلمين.
- وقضية هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها.
- وقضية حق الاعتراض الممنوح للدول القوية.
- وقضية الجامعة العربية ما لها وما عليها.

ثالثًا: فتح أبواب المكتبة المدرسية أمام أهل الحى طوال العام:

وإنما ينجح ذلك العمل ويؤدى وظائفه بجدارة إذا استمر تزويد المكتبة بالكتب والدراسات والبحوث العلمية والأدبية من الجهات التى تحدثنا عنها أثناء حديثنا عن المكتبة العامة والمكتبة المدرسية، وفتح أبواب المكتبة له فوائد كثيرة منها:

- تشجيع الناس على القراءة والمعرفة وترشيد أوقات الفراغ عند كثير منهم.
- وحفز سكان الحى على التردد على المكتبة والمدرسة، مما يشعرهم بأن المدرسة للكبار والصغار على السواء.
- وتشجيع أهل القدرة واليسار على تزويد المكتبة المدرسية ببعض الكتب، لإحساسهم بأن المكتبة لكل الناس، وليست للمدرسة وحدها.

رابعًا : فتح بعض الفصول الدراسية بعد اليوم المدرسى :

المدرسة ملك المجتمع وإن كانت إدارتها لبعض المختصين فى المدرسة أو المنطقة أوالوزارة، ولأنها كذلك فهى كالمسجد لا يجوز إغلاق بابها ما دام الناس فى حاجة إليها.

● وتفتح المدرسة لغير تلاميذها بعد انصرافهم عنها يوميًا. وتفتح على فترتين صباحية ومسائية فى شهور الصيف.

● والأعمال التى تؤديها المدرسة للمجتمع عديدة أبرزها :

- فتح فصول لمحو الأمية لمن فاتتهم فرصة التعليم فى الصغر لسبب أو لآخر، ومهما قلنا فى فوائد محو الأمية عن الأميين فلن نستطيع أن نوفيها ما تستحق.

- وتستطيع المدرسة أن تكافئ المدرسين فى فصول محو الأمية نوعين من المكافأة، مكافأة مادية هى الأجر الذى يأخذه على القيام بهذه المهمة إن كان غير متبرع بهذا العمل، ومكافأة أدبية معنوية بمنحه شهادة بانه أدَّى هذا العمل الجليل على أن تعتبر هذه الشهادة تزكية له فى المكان الذى يعمل فيه أو سيعمل فيه.

- وتستطيع الحكومة أن تعتبر الإسهام فى محو الأمية واجبًا على كل من أنهى التعليم الثانوى أو ما فى مستواه أو ما هو أعلى منه وتستطيع أن تجعله مرجحًا لقبوله فى أى عمل أو فى دراسة أعلى مما حصل عليه.

- وتستطيع المدرسة أو الوزارة أن تجعل إسهام المعلم فى محو الأمية عنصرًا من عناصر تقويمه، فضلا عن الأجر الذى يناله.

وبهذا تسهم المدرسة فى ترقية المجتمع وتنقيته من بقعة الأمية العالقة بثوبه المشوهة له.

خامسا : المشاركة فى التوعية الصحية :

التوعية الصحية حق للمواطنين على الجهات القادرة على ذلك ووزارة الصحة هى المسئولة أولا عن التوعية الصحية. لكن جهات عديدة تحمل هذه المسئولية واجبًا وطنيًا على كل قادر عليه.

والمدرسة الإسلامية قادرة على ذلك وبخاصة فى العطلة الصيفية، وللمدرسة فى ذلك خطوات عليها اتباعها قبل أن يمارس أبناؤها هذه التوعية :

- التفاهم والتنسيق مع بعض الأطباء لإلقاء محاضرات على الطلاب فى واجبات التوعية الصحية، وبخاصة فيما يتصل بالوقاية من بعض الأمراض.

- وتشجيع الطلاب على الإسهام فى هذا العمل، ولا بأس من مكافاتهم ماديًا بالتفاهم مع وزارة الصحة، مع إعطاء من واظب على محاضرات التوعية الصحية ومارسها، شهادة تحسب له فى نشاطه وتزكّيه.

- وتشجيع الطلاب على المشاركة فى حملات التطعيم ضد أمراض بعينها بعد توعيتهم وتدريبهم على ذلك، فتلك خدمة للمجتمع تستطيع المدرسة الإسلامية أن تؤديها، بل إن ذلك أدخل فى الواجب الشرعى لكل من قدر عليه، إذ هو دفع للضرر عن الناس، أو جلب للمصلحة لهم وكلاهما واجب شرعًا على كل من قدر عليه.

سادسا: عمل المسابقات الدينية:

وهذه المسابقات تذكى فى المتسابقين روح العمل وبذل الجهد للحصول على التفوق والمكانة وأحيانا المكافأة، والتسابق أو التنافس فى الإسلام محبوب فى أعمال البر والخير.

والمسابقات فى الموضوعات الدينية لها آثارها وفوائدها العديدة التى نذكر منها:

- الاهتمام العملى بالموضوعات الدينية ودراستها واستيعابها والإحاطة بأبعادها، وفى كل ذلك نشر للثقافة الإسلامية على مستوى الناس عموما، وليس على مستوى الطلاب.

- والتعرف الدقيق على أبعاد الموضوعات التى طرحت للتنافس فى الكتابة فيها، وفى ذلك ما فيه من فهم وفقه للدين وإحياء لقيمه ومبادئه.

- والتشجيع على البحث العلمى فى موضوعات المسابقة.

● وموضوعات هذه المسابقة غير قابلة للحصر؛ إذ تشتمل على كل موضوع له صلة بأى فرع من فروع العلوم الإسلامية الكثيرة.

ومن هذه الموضوعات:

- حفظ قدر من القرآن الكريم ومعرفة تفسيره.

- وحفظ عدد من الأحاديث النبوية مع شرحها.

- وسيرة النبى ﷺ.

- وبعض غزوات النبى ﷺ وخصوصًا:

● غزوة بدر الكبرى.

● وغزوة أحد.

- وغزوة الأحزاب.
- وصلح الحديبية.
- وفتح مكة.
- وغزوة حنين.

– والأحداث الكبرى فى تاريخ المسلمين مثل:

- حروب الردة أسبابها وآثارها.
- والفتوحات الإسلامية على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.
- وكتابة المصحف الإمام فى عهد عثمان رضى الله عنه.
- والخوارج على علىّ رضى الله عنه.
- وسيرة عمر بن عبد العزيز.
- والأسرة الزنكية وجهاد الصليبيين.
- وصلاح الدين وتحرير بيت المقدس.
- والأشرف خليل بن قلاوون وطرد الصليبيين عن آخرهم.
- وسيرة الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية.
- وتواريخ: ابن تيمية، وابن القيم، والعز بن عبدالسلام.
- والانتصار على التتار.
- ودولة الخلافة العثمانية واتساع رقعة الدولة الإسلامية.
- وتحالف الشرق والغرب على إسقاط دولة بنى عثمان فى تركيا وتفكيك أجزائها.
- وجهود المستشرقين والمبشرين المعادية للإسلام.
- وحركات الإصلاح والتجديد فى العام الإسلامى.
- والمد الشيوعى والاشتراكى المعادى للإسلام.
- وأعلام المجددين المسلمين.

سابعًا : عمل المسابقات الأدبية والفنية :

ويدخل تحت هذه المسابقات ما لا حصر له من الموضوعات والأنواع، وعلى سبيل المثال :

– المسابقات الأدبية فى الشعر والقصة والمسرحية، والمقالة بأنواعها .

– والمسابقات الفنية فى الرسم وسائر الفنون التشكيلية .

– والمسابقات الرياضية فى عدد من الألعاب الرياضية كالفروسية، والرمى، والسباحة، ونحوها مما يقوى الأبدان ويوسِّع الأخلاق ويدرب على الصبر والتحمل كالعدو، والقفز، واجتياز المواقع، وصعود الجبال ونحوها .

– والمسابقات العملية نظريًا وعمليًا .

– والمسابقات فى العمل على أجهزة الحاسب الآلى، والتعامل مع شبكة المعلومات ونحوها .

وبعد : فهذه نماذج من أنشطة المدرسة خارج المدرسة تضاف إلى أنشطتها داخل المدرسة، ليشكلا معًا وسيلة خاصة تعين المدرسة على تحقيق أهدافها، وأهداف التربية والتعليم على وجه الخصوص.

وإلى الحديث عن رابع هذه الوسائل الخاصة، وهى : الخدمات المدرسية خارج المدرسة، والله المستعان .

٤– والخدمات المدرسية :

أحب أن أوضح فرقًا بين الأنشطة المدرسية والخدمات المدرسية التى تؤديها المدرسة فى خارجها هو : أن الأنشطة التى تحدثنا عنها تكاد تكون خدمات معنوية أو أدبية، بينما الخدمات المدرسية خارج المدرسة أغلبها خدمات مادية فى مجال المجتمع على نحو ما سنبين الآن فى حديثنا عن النقطتين التاليتين :

– ما الخدمات المدرسية الاجتماعية خارج المدرسة؟

– وما أنواع الخدمات المدرسية الاجتماعية؟

أولا : الخدمات المدرسية الاجتماعية خارج المدرسة هى خدمات عديدة للحى الذى أقيمت فيه المدرسة، لتلافى أى نوع من القصور فيما يجب أن يتوافر للمجتمع من خدمات .

وهذه الخدمات الاجتماعية تؤديها المدرسة إلى الأفراد أو إلى الجامعات، أو الأسر، أو المؤسسات الأخرى، حكومية كانت أو أهلية، تؤدى هذه الخدمات دون مقابل غالبًا، وبمقابل رمزى فى بعض الأحيان .

● ولهذه الخدمات الاجتماعية أهداف نبيلة منها:

- مساعدة الناس عمومًا، أفرادًا وأسرًا وجماعات ومؤسسات دون مقابل أو فى مقابل رمزى، لأن هذه المساعدة مادية كانت أو غير مادية حق لهم على المجتمع تؤديه المدرسة بالنيابة عنه، لأن مثل هذه المساعدات التى تدفع الحاجة عن المحتاجين هى التى تحقق الوئام الاجتماعى بين الناس.

- ومساعدة الناس بإشباع حاجاتهم التى يحتاجون إليها من خدمات قد يصعب عليهم الوصول إليها، أو يكون المختصون بهذه الخدمات فى أماكن بعيدة عنهم، بينما المدرسة أقرب إليهم، وهم أكثر ألفة لها وترددًا عليها من أجل أبنائهم وبناتهم الذين يتعلمون فى المدرسة.

- وغرس روح المودة والإخاء بين الناس فى المجتمع بتقديم هذه الخدمات لعموم من يحتاجون إليها، وهذه الروح عندما تنتشر بين الناس فإنها تحقق للمجتمع الأمن، لأنه ما يخل بهذا الأمن شىء مثل الحاجة، ومثل فقد روح المودة وكل هدف من هذه الأهداف النبيلة ضرورة اجتماعية مهمة يخسر المجتمع كثيرا إن لم يجد من يحققها فيه، وما بالنا بمجتمع لا تقدم فيه مساعدة لمن يحتاج إليها، ولا تُيَسَّر له خدمة من الخدمات؟

فماذا تستطيع المدرسة أن تقدم من خدمات اجتماعية، وما أنواع هذه الخدمات؟

ثانيا: أنواع الخدمات التى يمكن أن تؤديها المدرسة الإسلامية خارج المدرسة.

المدرسة الإسلامية تؤدى خدمات اجتماعية عديدة منها:

- الخدمات التعليمية كمحو الأمية التى هى وصمة فى جبين المجتمع الذى تنتشر فيه، وقد تحدثنا عن محو الأمية كواحد من أنشطة المدرسة الإسلامية خارج المدرسة، وهناك تحدثنا عن يسر هذا العمل وسهولته للمدرسة.

- والخدمات الصحية وهى نوعان:

● نوع يدخل فى الوقاية من الأمراض حتى لا تقع، وذلك مثل الإسهام فى عملية إعلامية لتوعية الناس حتى لا تنتشر فيهم الأمراض، وتحذير الناس وتعريفهم بطرق الوقاية منها، وسبيل المدرسة إلى ذلك هو الاستعانة ببعض المختصين من الأطباء لمحاضرة أو ندوة لعدد من المعلمين وعدد من كبار الطلاب، فإذا تمت توعيتهم انطلقوا يمارسون العمل لأداء هذه الخدمة الجليلة للناس.

● ونوع من الخدمات الصحية يدخل فى العلاج البسيط مثل التدرب على تطعيم الناس بأمصال مضادة لبعض الأمراض، وهذا العمل وإن كان من واجبات وزارة الصحة فى العالم الإسلامى كله، إلا أن ديننا علمنا أن نتعاون على البر والتقوى، والمدرسة أقرب إلى قلوب الناس من أى مؤسسة حكومية.

– والخدمات الاجتماعية، وهى كثيرة متعددة، وتستطيع المدرسة أن تسهم فيها، وأن تكون على علم بمن يحتاجون إلى الخدمة الاجتماعية من خلال الأخصائى الاجتماعى فيها، ومعرفته بظروف التلاميذ الاجتماعية، وإذا بدأت المدرسة بأولياء الأمور للتلاميذ المحتاجين إلى خدمة اجتماعية، فقد أحسنت المدرسة البدء، وأتتْ البيوت من أبوابها.

والخدمة الاجتماعية التى تؤديها المدرسة أنواع:

● فقد تكون الخدمة الاجتماعية مادية كالمال وبعض العينيات كالملابس والأغطية ونحوها.

● وقد تكون خدمة فنية كآلة إنتاجية بسيطة كآلة الحياكة وآلة التطريز ونحوها، وفى الريف تختلف هذه الآلة عنها فى المدينة، فقد تكون الآلة بسيطة تعين فى الغرس أو الحصد أو صناعة الجبن، أو نحو ذلك.

● وقد تكون الخدمة الاجتماعية التى تقدمها المدرسة هى إلحاق أحد الأفراد بعمل فى داخلها، أو فى خارجها إذا استعانت بأحد أعضاء مجلس الآباء ممن لهم نفوذ ومعارف فى إحدى المؤسسات.

– والخدمات المهنية.

وذلك أن المدرسة – وبخاصة – الحرفية منها، فيها أقسام عديدة تشتمل على معظم الصناعات والمهن، وهى دائما فى حاجة إلى مساعدين فى هذه المجالات إلى جانب من يدرسون هذه الحرف والصناعات، فإذا كان هؤلاء المساعدون من أبناء الحى أو القرية، فقد أضافت المدرسة لهؤلاء قوة أخرى إلى أبنائها، ثم تعاونوا جميعا على أداء الخدمات الحرفية للناس دون مقابل، إذا دربوهم على هذه الحرف فى المدرسة وعلى أيدى معلميها ومساعديها دون مقابل – وهو الأصل – أو فى مقابل رمزى.

وهذا المقابل الرمزى توزعه المدرسة على من قام بهذه الخدمة أو أسهم فيها.

● إن المدرسة فى مجال تقديم هذه الخدمات الحرفية تستطيع أن تنشر بين الناس وعيًا حرفيًا ذا مستوى جيد، وبذلك تتيح لكل من تعلم فيها حرفة - من غير تلاميذها -أن يستطيع أن يشق طريقه فى الحياة عاملا، يكسب من عمله ما يكفه عن الحاجة، وما يكفيه أو يعينه على ممارسة حياة إنسانية كريمة قوامها الحرفة والاعتماد على النفس والحركة والنشاط.

إن المدرسة وهى تفعل ذلك وتقدم هذه الخدمات الاجتماعية للمجتمع إنما تعزز فاعلية قيامها بهذه الخدمات الاجتماعية الممتدة خارج المدرسة.

● غير أن أنشطة المدرسة وخدماتها خارج المدرسة تحتاج دائما إلى دعم مالى، وإلى تنظيم وحسن إدارة، وكل ذلك متاح للمدرسة من خلال ما سبق أن تحدثنا عنه من تمويل المدرسة وتحديد مواردها المالية، ومصارفها، فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

وبعد، فإنى أؤكد أن الأنشطة والخدمات المدرسية خارج المدرسة وسيلتان خاصتان من وسائل المدرسة فى تحقيق أهدافها، فإذا انضمت هاتان الوسيلتان الخاصتان إلى أختيهما، طرق التدريس ووسائل الإيضاح استطاعت المدرسة أن تسهم فى تحقيق أهدافها بكفاءة واقتدار.

فإذا انضمت إلى ذلك الوسائل العامة للمدرسة فى تحقيق أهدافها من: إعداد البناء المدرسى الصالح، وإعداد المعلم الصالح، وإعداد المنهج الصالح، وإعداد الكتاب المدرسى الصالح، وإعداد المكتبة المدرسية الصالحة، وإعداد المرافق المدرسية الصالحة؛ فإن المدرسة تحقق أهداف التربية والتعليم بعامة، بل تسهم بقدر كبير فى تحقيق أهداف المجتمع الإسلامى كله.

وهذا الباب كله: المدرسة الإسلامية أهدافا ووسائل، الأهداف العامة أو الخاصة، والوسائل العامة أو الخاصة.

هذا الباب الثالث الأخير من الكتاب مكمل ومتمم لما أردت قوله وتأكيده فى البابين الأول والثانى من هذا الكتاب، لكى تتضح صورة المدرسة الإسلامية القادرة على أداء وظائفها فى المجتمع المسلم على مستوى أوطان العالم الإسلامى المحلى منها أو العربى أو الوطن الإسلامى كله، ليلهج لسانى بحمد الله وفضله وبالثناء عليه بما هو أهله، وبالصلاة والسلام على خاتم رسله محمد ﷺ المبعوث مبلّغًا ومعلّمًا وهدى ورحمة للعالمين.

خاتمة الكتاب

في خاتمة هذا الكتاب أدعو الله تبارك وتعالى أن ينفع به كل قارئ له، وأن يلهم هذا القارئ العزيز أن يتوجه إلى الله تعالى داعيًا لي ولسائر المسلمين بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة، وأن يهيئ للمسلمين من الأسباب ما يمكنهم من هداية الناس إلى الدين الحق خاتم الأديان وأتمها وأكملها وأرضاها لله تعالى، دين الإسلام الذي يملك العلاج الحقيقي لكل أمراض الإنسانية في هذا العصر الذي أصبح أخطر أمراضه استبداد الأقوياء بالضعفاء، إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

*****

ثبت موضوعات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولاً : فى الفكر الإسلامى وقضاياه :

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج – دار الوفاء بمصر.

٢ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى – دار المنار – بالقاهرة.

٤ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى – دار المنار – بالقاهرة.

٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه – دار الوفاء – بمصر.

٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٧ – نحو منهج بحوث إسلامى – دار الوفاء – بمصر.

٨ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – دار عكاظ بالسعودية.

ثانيًا : فى التربية :

أ – سلسلة التربية فى القرآن الكريم :

٩ – التربية الإسلامية فى سورة المائدة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٠ – التربية الإسلامية فى سورة النور – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١١ – التربية الإسلامية فى سورة آل عمران – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٢ – التربية الإسلامية فى سورة الأنفال – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٣ – التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤ – التربية الإسلامية فى سورة النساء – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٥ – التربية الإسلامية فى سورة التوبة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ب – سلسلة مفردات التربية الإسلامية :

١٦ – التربية الروحية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٧ – التربية الخُلُقية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٨ – التربية العقلية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٩ – التربية الدينية (الغائبة) – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٠ – التربية السياسية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢١ – التربية الاجتماعية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٢ – التربية الاقتصادية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٣ – التربية الجهادية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٤ – التربية الجمالية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٥– التربية الجسدية الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

جـ- فى التربية الإسلامية المعاصرة:

٢٦ – تربية الناشئ المسلم – دار الوفاء – بمصر.

٢٧ – التربية الإسلامية فى المدرسة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٨ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٩ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين – دار الوفاء – بمصر.

ثالثًا: فى فقه الدعوة الإسلامية:

٣٠ – فقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء – بمصر.

٣١ – فقه الدعوة الفردية – دار الوفاء – بمصر.

٣٢ – فقه الأخوة فى الإسلام – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٣ – المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله – دار الوفاء – بمصر.

٣٤ – فقه المسئولية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٥ – عالمية الدعوة الإسلامية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٦ – التوثيق والتضعيف عند المحدثين والدعاة – دار الوفاء – بمصر.

رابعًا: سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا :

٣٧ - ركن الفهم - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٨ - ركن الإخلاص - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٩ - ركن العمل أو منهج الإسلام الإصلاحى - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٠ - ركن الجهاد - الذى لا تحيا الدعوة إلا به - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤١ - ركن التضحية - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٢ - ركن الطاعة - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٣ - ركن الثبات - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٤ - ركن التجرد - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٥ - ركن الأخوة - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٦ - ركن الثقة - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

خامسًا: فى الأدب الإسلامى المعاصر :

٤٧ - مصطفى صادق الرافعى، والاتجاهات الإسلامية فى أدبه - دار عكاظ بالسعودية.

٤٨ - جمال الدين الأفغانى، والاتجاهات الإسلامية فى أدبه - دار عكاظ بالسعودية.

سادسًا: فى الدراسات الأدبية :

٤٩ - القصة العربية فى العصر الجاهلى - دار المعارف - بمصر.

٥٠ - النصوص الأدبية، تحليلها ونقدها - دار عكاظ بالسعودية.

سابعًا: كتاب معد للنشر :

التربية الإسلامية فى المجتمع.

